المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا



الآمدي وآراؤه الاعتقادية في النبوة والرسالة
عرض ونقد
على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية
فرع العقيدة

إعداد الطالب / حسين جليعب حسين السعيدي

إشراف الأستاذ الدكتور / محمود أحمد خفاجي

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

موضوع البحث : ((الآمدي وآراؤه الاعتقادية في النبوة والرسالة عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة)) .

محتوى البحث : يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة .

أبرزت المقدمة أهمية الموضوع ، ودوافع الكتابة فيه ، ومنهج البحث وخطته .

أما التمهيد فكان عن الإيمان بالأنبياء والرسل في الكتاب والسنة وأنه ركن من أركان الإيمان ، وقد تناول البحث في بابه الأول : عصر الآمدي وصفاته ، وأخلاقه ، وشيوخه ، وأقرانه ، وتلاميذه ، وطلبه للعلم ، ورحلاته ، وثقافته ، ومؤلفاته ، ومنهجه في دراسة النبوة والرسالة .

أما الباب الثاني : فكان عن حقيقة النبوة والرسالة عند الآمدي ، وأوضحت فيه رأي الآمدي في مفهوم النبوة والرسالة في اللغة والاصطلاح ، وحكم إرسال الرسل ، وبيان موقف أهل السنة والجماعة من ذلك كله ، كما بينت مفهوم الوحي في اللغة والاصطلاح عند الآمدي وأهل السنة والجماعة ، وعن إمكانه وطرقه ووقوعه ، ولما كانت مسألة إثبات النبوة من أهم مسائل النبوات توسع البحث في مناقشة الآمدي على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، كما أبرزت رأي الآمدي في ختم النبوة وعمومها وعصمة الأنبياء ، وموقف أهل السنة والجماعة من ذلك أما مسألة التفاضل بين الأنبياء والملائكة عند الآمدي وأهل السنة والجماعة فكانت آخر مسائل النبوة عند الآمدي ، والتي تناولها البحث بالتفصيل .

أهم نتائج البحث : لا يرى الآمدي أن هناك ثمة فرق بين النبوة والرسالة ، إذ النبوة عنده عبارة عن قول الله لمن اصطفاه واجتباه إنّك رسولي ونبيي ، وقد خالف الآمدي في ذلك جماهير أهل العلم ، فالأدلة من الكتاب والسنة تؤيد من قال بالتفريق .

يرى الآمدي أن النبوة اصطفاء واختيار من الله عز وجل لمن يشاء من عباده ، ليست خاضعة كما يقول الفلاسفة للاكتساب ولا تستحق بإجتماع أسباب وشروط ، بل هي محض فضل من الباري سبحانه يهبها لمن يشاء من الأخيار .

أما بالنسبة لحكم إرسال الرسل فهو يرى أن ذلك واقع في حكم الجواز مخالفاً في ذلك القائلين بالوجوب كالمعتزلة والفلاسفة ، والقائلين بالامتناع كالبراهمة والصابئة والتناسخية .

يوافق الآمدي أهل السنة والجماعة في حكم إرسال الرسل ، إلاّ أنهم يختلفون معه في الأصول التي بنى عليها قوله في المسألة كالقول بالحسن والقبح الشرعيين ، ونفي الحكمة والتعليل والقول بجواز تكليف ما لا يطاق .

يرى الآمدي خلافاً لجمهور أصحابه أن المعجزة هي الدليل الوحيد على صدق النبي ، بينما يرى أهل السنة والجماعة وكذلك جمهور الأشاعرة أن هناك طرق أخرى يمكن الاستدلال بها على صدق النبي كقرائن الأحوال وبشارات الأنبياء ، ومضمون رسالة النبي نفسها .

وهذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

الباحث	المشرف على الرسالة	العميد
حسين جليعب السعيدي	أ.د محمود احمد خفاجي	أ.د محمد سعيد بن حسن
	١٤١٨/١٢/١٣	٢/٤/١٨/٤١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ با لله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده ا لله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي لـه ، وأشهد أن لا إله إلاّ ا لله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد :

فمن نعم ا لله تبارك وتعالى على خلقه أن أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على ا لله حجة بعد الرسل .

فإن الرسل والأنبياء هم الواسطة بين ا لله تبارك وتعالى وبين خلقه ، فتبليغ أوامر ا لله ونواهيه وأحكامه لا يكون إلا عن طريقهم .

فمهما بلغت قدرات الإنسان العقلية فإنه لا يستطيع إدراك هذه الأحكام أو معرفتها عن طريق العقل « فمن أين للعقل معرفة ا لله تعالى بأسمائه وصفاته ...؟ ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه ودينه الذي شرعه لعباده ؟ ومن أين له معرفة تفاصيل محبته ، ورضاه وسخطه وكراهيته ؟ ومن أين له معرفة تفاصيل ثوابه وعقابه ، وما أعدَّ لأوليائه ، وما أعدَّ لأعدائه ... ومن أين له معرفة الغيب الذي لم يظهر ا لله عليه أحداً من خلقه إلاّ من ارتضاه من رسله إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل ، وبلغته عن ا لله ، وليس في العقل طريق إلى معرفته » (1).

ومن أجل ذلك بعث ا لله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، من ظلمات الشرك والجهالة إلى نور التوحيد والعلم ، وتزويدهم بالعقيدة الصحيحة ، وتزكية نفوسهم الفاضلة ، وتوضيح التشريعات العادلة ، وكل ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة .

ومن هنا تبرز أهمية مباحث النبوات ، فإذا ثبتت النبوة ثبتت بقية مباحث العقيدة ، فهي أساس العقيدة وقوامها (2).

---

(1) ابن القيم – مفتاح دار السعادة – (117/2) – طبعة صبيح القاهرة .

(2) انظر ابن قيم الجوزية – التفسير القيم – (ص 61) – دار الفكر – بيروت – لبنان .

وقد أدرك ذلك كثيرٌ من أصحاب الاتجاهات المعادية للأديان السماوية فوجهوا نشاطهم إلى التشكيك في النبوة باعتبارها مصدراً لهذه الأديان ، فإذا نجحوا في ذلك ، نجحوا بالتالي في تحقيق أهدافهم في محاربة الأديان ، والتشكيك فيها .

وقد تصدى لهؤلاء وبين زيف آرائهم الهدامة جملة من أعلام الأمة ، منهم أبو الحسن الآمدي عليه رحمة الله ، فقد هب للدفاع عن عقيدة النبوة وغيرها من العقائد فأبلي في ذلك المجال بلاء حسناً ، وتتبع شبه القوم شبهة شبهة ، وناقشها واحدة واحدة ، مناقشة تكشف عن تهافتها وبطلانها ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

يقول العز بن عبد السلام عن شيخه الآمدي :

« لو ورد على الإسلام متزندق يستشكل ما تعين لمناظرته غيره » [1].

ولما كانت آراء الآمدي بهذه المكانة من الأهمية ، أحببت أن تكون موضوع بحثي لنيل درجة الماجستير .

ولما كان الآمدي كغيره من المتكلمين له منهج في دراسة النبوة والرسالة يختلف في جوهره عن منهج أهل السنة والجماعة آثرت أن تكون دراسة آرائه العقدية في النبوة والرسالة على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة .

ومما زادني حرصاً على هذا الموضوع تشجيع أهل العلم من أساتذتي ومشايخي ، لا سيما وأن هذا الموضوع على حسب علمي القاصر لم يتناوله أحد بالبحث والدراسة ، فتوكلت على الله واستعنت به ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

---

(1) ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - (٢٨٥/٦) - طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مصر - ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

عملي في البحث :

لقد قمت في أثناء عملي في هذا البحث بإعداد مجموعة لا بأس بها من المراجع والمصادر التي تتصل بهذا الموضوع ، إضافة إلى رحلة علمية لجامعتي القاهرة والأزهر ، في سبيل جمع المادة العلمية من كلام الآمدي في هذا المجال .

وبعد ذلك شرعت في الاطلاع على كتبه الكلامية والأصولية التي حصلت عليها من مخطوط ومطبوع واستخرجت منها ماله علاقة ببحثي .

وقد كان جل اعتمادي في نقل كلام الآمدي على كتابيه أبكار الأفكار وغاية المرام ، إذ إنهما قد حويا كلامه في هذا المجال .

وبعد ذلك أخذت في ترتيب كلام الآمدي ودراسته وصياغته متبعاً في ذلك المنهج التالي :

منهجي في البحث :

أولاً : أبدأ بتحرير رأي الآمدي في المسألة المراد بحثها ، مع بيان ما اعتمد عليه من أدلة ، ثم أبين مدى قرب رأي الآمدي من آراء أصحابه من الأشاعرة ، فإن كان قد تأثر بغيرهم أوضح ذلك ، ثم أعرض ذلك كله على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، فما وافق ذلك فهو الحق ، وما خالفه فهو الباطل .

ثانياً : قد أذكر خلاف بعض الطوائف في بعض المسائل ، إذ اقتضى المقام ذلك منبهاً على مدى قرب مذهب الآمدي أو بعده عنها ، أو للتأكد من صحة نسبة الأقوال لتلك الطوائف التي ناقشها الآمدي ، مع الرجوع في ذلك كله إلى المصادر الأصيلة ، أو المراجع المعتمدة حسب الإمكان .

ثالثاً : حرصت على عزو كل نص من كلام العلماء والباحثين إلى مكانه عزواً صحيحاً ، فإن كان بنصه يكون بين علامتي تنصيص ، وأذكر المرجع في الهامش ، وأما المنقول بمعناه أو بتصرف فيه فلا يكون بين علامتي تنصيص ويحال إلى موطنه بلفظ : « انظر » .

رابعاً : عزوت الآيات الواردة في البحث ، وحرصت على أن يكون رسم الآيات وفق المصحف ما أمكنني ذلك .

خامساً : خرجت الأحاديث ، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بالعزو إلى من خرجه منهما ، وإن كان في غيرهما فإني أذكر موطنه فيما تيسر لي من المصادر الحديثية الأصلية مع الحرص على ذكر حكم العلماء عليه بالصحة أو غيرها ، متبعاً في ذلك الأصول العلمية المتعارف عليها في العزو والتخريج .

سادساً : التعريف بالأماكن والبلدان غير المشهورة التي ترد في الموضوع .

سابعاً : التعريف ببعض الطوائف والفرق .

ثامناً : التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم .

تاسعاً : شرح الألفاظ الغريبة .

عاشراً : عرفت بالمصدر تعريفاً كاملاً في أول وروده في الحاشية ، ثم اختصره بعد ، فإن كان المصدر المستفاد منه له أكثر من طبعة ، أشير في الهامش إلى الطبعة المستفاد منها .

حادي عشر : كثيراً ما أكتفي عن ذكر اسم شيخ الإسلام أحمد بن تيمية بإطلاق لقب : « شيخ الإسلام » فقط .

ثاني عشر : ذيل البحث بعدة فهارس ، وهي :

- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس ا الأعلام .
- فهرس المراجع .
- فهرس الموضوعات .

خطة البحث :

تشتمل خطة البحث لموضوع « الآمدي وآراؤه الاعتقادية في النبوة والرسالة عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة » .

على مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة :

أما المقدمة فتشتمل على الآتي :

أ - أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

ب- خطة البحث .

جـ- منهجي في البحث .

وأما التمهيد : فقد تكلمت فيه عن الإيمان بالأنبياء والرسل في الكتاب والسنة ، وإنه ركن من أركان الإيمان الستة .

وبالنسبة للباب الأول : فهو في بيان عصر الآمدي ، وحياته ، ومنهجه في دراسة النبوة والرسالة ، ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عصر سيف الدين الآمدي ، وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : الجانب السياسي .

المبحث الثاني : الجانب الإجتماعي .

المبحث الثالث : الجانب الثقافي .

الفصل الثاني : عن حياة الآمدي ، وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : نشأة سيف الدين الآمدي .

المبحث الثاني : صفاته وأخلاقه .

المبحث الثالث : شيوخه وأقرانه وتلاميذه .

المبحث الرابع : طلبه للعلم ورحلاته .

المبحث الخامس : ثقافته ومؤلفاته .

المبحث السادس : أقوال العلماء فيه .

وأما الفصل الثالث : فعن منهجه في دراسة النبوة والرسالة .

ثم كان الباب الثاني : وهو حقيقة النبوة والرسالة عند الآمدي ، ويشتمل على ستة فصول :

الفصل الأول : النبوة والرسالة والعلاقة بينهما ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : النبي والرسول في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثاني : مفهوم النبوة .

أما الفصل الثاني : فهو عن حكم إرسال الرسل ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : رأي الآمدي .

المبحث الثاني : موقف أهل السنة والجماعة .

وأما الفصل الثالث : فعن الوحي ، إمكانه وطرقه ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الوحي في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثاني : إمكان الوحي ووقوعه :

- عند الآمدي .
- عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثالث : طرق الوحي .

المبحث الرابع : موقف أهل السنة والجماعة .

وأما الفصل الرابع : فعن إثبات النبوة والرسالة ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : طرق إثبات النبوة والرسالة عند المعتزلة .

المبحث الثاني : طرق إثبات النبوة والرسالة عند الآمدي .

المبحث الثالث : موقف أهل السنة والجماعة .

وأما الفصل الخامس : فعن ختم النبوة وعمومها ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ختم النبوة وعمومها عند الآمدي .

المبحث الثاني : ختم النبوة وعمومها عند أهل السنة والجماعة .

وأما الفصل السادس : فعن عصمة الأنبياء ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : عصمة الأنبياء عند الآمدي .

المبحث الثاني : عصمة الأنبياء عند أهل السنة والجماعة .

وأما الفصل السابع : فعن التفاضل بين الأنبياء والملائكة ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التفاضل بين الأنبياء والملائكة عند الآمدي .

المبحث الثاني : التفاضل بين الأنبياء والملائكة عند أهل السنة والجماعة .

ثم خاتمة البحث والفهارس العلمية ، وقد اشتملت الخاتمة على أهم النتائج التي توصلت إليها .

وفي الختام أحمد الله سبحانه على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة ، وأشكره تعالى على تيسيره وتوفيقه ، اللهم لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

ثم أقدم جزيل شكري وعظيم امتناني لوالدي الكريمين اللذين كان لعطفهم علي وحسن تربيتهم لي أبلغ الأثر وأحسنه ، وللجامعة أم القرى حرسها الله ، ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، على منحي هذه الفرصة لإعداد رسالتي هذه .

وأخص بالشكر منهم فضيلة عميد كلية الدعوة وأصول الدين السابق الأستاذ الدكتور / عبد الله بن عمر الدميجي ، والعميد الحالي فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد سعيد بخاري ، ولصاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمدعطية الزهراني رئيس قسم العقيدة ، على بذلهم جل وقتهم في القيام بكل ما من شأنه تذليل العقبات أمام طلبة العلم .

كما أتوجه بجزيل الشكر والعرفان لشيخي الأستاذ الدكتور / محمود أحمد خفاجي ، الذي كان لي أباً وموجهاً قبل أن يكون أستاذاً ومشرفاً فلأستاذي ولكل هؤلاء الأفاضل :

أرفع أكف الدعاء أن يجزيهم الله خير الجزاء ، وأن يجعلهم ذخراً للإسلام والمسلمين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

هذا جهد ... فإن يكن صواباً فمن توفيق الله ، وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان ، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه ، اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك ، وارزقني به الأجر والثواب .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

تمهيد :

الإيمان بالأنبياء والرسل
ركن من أركان الإيمان

الإيمان بالأنبياء والرسل أحد أركان الإيمان :

من أركان الإيمان ، الإيمان بالأنبياء والرسل ، فقد أوجب الله عز وجل الإيمان بهم ، لأنهم الطريق الموصل إلى هدايته ومرضاته ، وفي إتباعهم الفوز والسعادة للبشرية في الدنيا والآخرة ، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على ذلك ، قال تعالى :

﴿ ءامن الرسول بمآ أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل ءامن با لله وملـئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله . وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانـك ربنا وإليك المصير ﴾ [1].

وقال تعالى :

﴿ قولوا ءامنا با لله ومآ أنزل إلينا ومآ أنزل إلى إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط ومآ أوتىَ موسى وعيسى ومآ أوتـىَ النبيـون مـن ربهـم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ [2].

وقال تعالى :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من ءامن با لله واليوم الأخر والملئكة والكتـٰب والنبيين وآتى المال على حبه ... ﴾ [3].

وفي السنة الكثير من الأحاديث الدالة على عظم منزلة الإيمان بالأنبياء والرسل منها أن النبي عليه الصلاة والسلام « يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله ما الإيمان قال : أن تؤمن با لله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر ... » [4].

فهذه الأصول الستة هي أركان الإيمان ، فلا يتم إيمـان أحـد إلا إذا آمـن بها جميعاً على الوجه الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة .

قال تعالى :

﴿ومن يكفر با لله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الأخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾[5].

(١) سورة البقرة – آية : ٢٨٥ .
(٢) سورة البقرة – آية : ١٣٦ .
(٣) سورة البقرة – آية : ١٧٧ .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب الإيمان ماهو وبيان خصاله – (٣٠/١) .
(٥) سورة النساء – آية : ١٣٦ .

فالذي يزعم أنه مؤمن با لله ولكنه يكفر بالرسل والكتب ، فهذا وأمثاله لا يقدر ا لله حق قدره .

قال تعالى :

﴿ وما قدروا ا لله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ [(١)].

فالذي يقدر ا لله حق قدره ، ويعلم صفاته التي اتصف بها من العلم والحكمة والرحمة لا بد أن يوقن بأنه أرسل الرسل وأنزل الكتب لأن هذا مقتضى صفاته ، فهو لم يخلق الخلق عبثاً .

قال تعالى :

﴿ أيحسب الإنسٰن أن يترك سدى ﴾ [(٢)].

ومن كمال الإسلام ودلائل صدقه أنه يدعوا إلى الإيمان بالرسل جميعاً ، لا فرق بين متقدم ومتأخر ، ولا بين عربي وغير عربي ، لأن رسالات ا لله سبحانه إلى الأنبياء واحدة في جوهرها وأصلها ، وإن اختلفت من جهة الشرائع والأحكام .

فلا يصح إيمان من يؤمن ببعض الأنبياء ، ويكفر ببعض ، فهذا تناقض يودي إلى الكفر والضلال .

قال تعالى :

﴿ إن الذين يكفرون با لله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين ا لله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكٰفرون حقاً وأعتدنا للكٰفرين عذاباً مهيناً والذين ءامنوا با لله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يوتيهم أجورهم وكان ا لله غفوراً رحيماً ﴾ [(٣)].

فقد نصت الآية على كفر من زعم الإيمان ببعض الرسل دون بعض :

﴿ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾ [(٤)].

---

(١) سورة الأنعام – آية : ٩١ .
(٢) سورة القيامة – آية : ٣٦ .
(٣) سورة النساء – آية : ١٥٠ – ١٥٢ .
(٤) سورة النساء – آية : ١٦٥ .

ومعنى الإيمان بالرسل التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والكفر بما يعبد من دونه ، وأن جميعهم صادقون مصدقون ، أمناء مهتدون وأنهم قد بينوا الدين والرسالة أبلغ بيان ، وبلغوا جميع ما أمرهم الله به لم يكتموا منه شيئاً .

قال تعالى :

﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (1).

وقال تعالى :

﴿ وجعلنٰهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلوٰة وإيتاء الزكوٰة وكانوا لنا عابدين ﴾ (2).

وقال تعالى :

﴿ ولو تقوّلَ علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ (3).

---

(1) سورة النساء – آية : ١٦٥ .

(2) سورة الأنبياء – آية : ٧٣ .

(3) سورة الحاقة – آية : ٤٤ – ٤٥ – ٤٦ .

الباب الأول

عصر الآمدي وحياته ومنهجه

الفصل الأول :

عصر سيف الدين الآمدي

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : الجانب السياسي

المبحث الثاني : الجانب الثقافي

المبحث الثالث : الجانب الإجتماعي

المبحث الأول :

الجانب السياسي

المبحث الأول : الجانب السياسي

يعتبر عصر الآمدي من الناحية السياسية امتداداً للعصر الذي سبقه بما فيه من تفكك واضطراب وصراع حول المصالح ومناطق النفوذ ، ففي تلك الفترة كانت الخلافة العباسية خاضعة لسلطة السلاجقة[1] الذين دبّ الوهن في دولتهم فضعفت وتقلص نفوذها ، وتفككت وحدتها بوفاة السلطان ملكشاه[2] بن ألب أرسلان (٤٨٥هـ) فتنازع أولاده السلطة من بعده حتى انتشرت في بغداد حاضرة الخلافة العباسية الاضطرابات والفتن والدسائس التي ما أن تنتشر في دولة إلاّ وقضت عليها وقد كان آل سلجوق مستبدين بالسلطة الحقيقية دون الخليفة العباسي الذي كان لا يتمتع إلاّ بالقليل من مقومات السلطة على أجزاء خلافته حتى أصبح ليس له من الخلافة إلا إسمها [3].

وقد وفر هذا الجو المتسم بالاضطراب والفوضى لأصحاب الشوكة من الأمراء والسلاطين أن يستقلوا بإماراتهم ، التي تميزت بأن ليس لها حدود ثابتة ،

---

(١) السلاجقة : قوم يسكنون فيما وراء النهر ، ينسبون إلى سلجوق بن دقاق ، وأول ملوكهم هو طغر لبك بن ميكائيل بن سلجوق الذي قبض على آخر سلاطين بني بوية وبدأت بذلك دولة السلاجقة وذلك سنة ٤٤٨هـ .

انظر : ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) – وفيات الأعيان وأنباء الزمان – تحقيق الدكتور إحسان عباس – دار صادر بيروت – (٦٣/٥) ومحمد الخضري – محاضرات الأمم الإسلامية (٤١٧/٢) دار الفكر العربي .

(٢) هو جلال الدين والدولة أبو الفتح ملكشاه ابن أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق التركي ، ملك بعد أبيه وأمتدت مملكته من أقصى بلاد الترك إلى أقصى اليمن ، أراد إخراج الخليفة من بغداد واستنظره عشرة أيام فمرض السلطان ومات قبل ذلك توفي سنة خمس وثمانين وأربعمائة عن سبع وثلاثين سنة وخمسة أشهر ، وكانت مدة ملكه تسع عشرة سنة .

انظر ابن كثير ت٧٤٧هـ – البداية والنهاية تحقيق الدكتور أحمد أبو ملحم وجماعة – الطبعة الثالثة –١٤٠٧هـ ١٩٨٧م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – (١٥١/١٢-١٥٣) ، وانظر الإمام الذهبي ت ٧٤٨هـ – سير أعلام النبلاء (٥٤/١٩) تخريج وتعليق وتحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى– ١٤٠٥ هـ –١٩٨٤م – بيروت – لبنان .

(٣) انظر عز الدين بن الأثير ت ٦٣٠هـ – التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية – تحقيق عبد القادر طليمات ، دار الكتب الحديثة – القاهرة – ١٩٦٣م (ص ١٢) ، والكامل في التاريخ – دار صادر بيروت – ١٩٧٩/١٣٩٩ مصورة عن طبعة بريل ١٨٦٧ تحقيق كارلوس تورنبيرغ (٢١٤/١٠-٢١٦) .

وإنما كانت تتسع وتضيق بحسب طموح صاحب الشوكة وإمكاناته المادية والعسكرية ، وكثر التناطح بين السلاطين والأمراء والخلفاء .

وهكذا كان العالم الإسلامي على حالة من التفكك والاختلاف والضعف ، تُغري الأعداء بمهاجمته واكتساحه .

وقد استطاع الصليبيون الانقضاض على المشرق الإسلامي واستطاعوا في خضم هذه الأحداث أن يؤسسوا لهم مراكز ثابتة على أجزاء من بلاد الشام[1] التي كان أهلها هم الخاسر الأكبر حيث اكتووا بنار الصراع بين الأمراء والسلاطين من جهة ، وبنار الحروب الصليبية من جهة أخرى ، ولم تكن حال مصر ببعيدة عن حال الشام والعراق فقد كانت مسرحاً للمجاعات والثورات والانقلابات وعدم الاستقرار السياسي .

غير أن تلك الأحداث بكل ما فيها من مآسي ومحن وتلك الهجمة الشرسة من قبل عباد الصليب من جانب آخر كانت تعتبر سبباً في يقظة المسلمين وازدياد وعيهم ، وتحفزهم للدفاع عن حوزة الإسلام والمسلمين ، مما أدى إلى وحدة إسلامية قوية استطاعت رد الصليبية الحاقدة على أعقابها ، ومحت عار الهزيمة وذلها ، فربَّ ضارة نافعة.

والذي يعنينا ويهمنا دراسته في هذه الحقبة تلك الدويلات التي عاشت هذه الفترة في بغداد والشام ومصر لأن الآمدي قضى عمره متنقلاً في هذه البلاد .

أ- الخلافة العباسية في بغداد [2]:

---

(١) أسس الصليبيون بالمشرق الإسلامي أربع إمارات هي :

١- إمارة الرها سنة ٤٩٢هـ .

٢- إمارة انطاكية سنة ٤٩١هـ .

٣- إمارة بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ.

٤- إمارة طرابلس سنة ٤٩٦هـ .

انظر أحداث تلك السنين عند الحافظ ابن كثير - البداية والنهاية - وابن الأثير - الكامل في التاريخ .

(٢) انظر أحداث تلك السنين عند الحافظ ابن كثير(ت٧٧٤هـ) - البداية والنهاية - (٢٢٥/١٢) وما بعدها ، وإبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي المعروف بابن دقماق ٧٥٠-٨٠٩ هـ- الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين - تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ومراجعة الدكتور أحمد السيد دراج - نشر جامعة أم القرى - مركز البحث العلمي وإحياء التراث -

كان عصر المقتفي[1] لأمر الله الخليفة العباسي (٥٣٠-٥٥٥ هـ) بداية لانتقال الدولة العباسية من دور إلى دور ، من استبداد السلاجقة إلى استعادة الخلفاء العباسيين لشيء من سلطتهم ونفوذهم ، إذ كان آل سلجوق مستبدين بالسلطة الحقيقية رغم وجود الخليفة العباسي الذي كان وجوده شكلياً فقط ، ففي عصر الخليفة المقتفي لأمر الله تغيرت الأوضاع واستمر العباسيون من بعده على نفوذهم على العراق حتى جاء المغول والتتار[2] فأزالوا الخلافة العباسية نهائياً وسقطت حاضرة الخلافة بأيديهم ولم يكن تحت سلطان العباسيين إذ ذاك كما سبق إلاّ العراق .

ب- الدولة الأيوبية في مصر والشام [3]:

كانت وفاة السلطان السلجوقي سنجر بن

= مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م - (ص١٦٧-١٨٠) - الطبعة الأولى - ، والحافظ السيوطي (ت٩١١هـ) - تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (٤٣٧-٤٦٤) ، ومحمد الخضري - محاضرات الخضري - تاريخ الأمم الإسلامية - دار الفكر العربي (٤٨٦/٢) .

(١) هو أبوعبد الله محمد بن المستظهر با لله بن المقتدي بأمر الله بن القائم بأمر الله الخليفة العباسي ، ولد سنة ٤٨٩هـ وبويع بالخلافة ٥٣٠ هـ وقد عظم سلطانه واشتدت شوكته ، وكان حليماً شجاعاً ، عالما أديباً مات سنة ٥٥٥ هـ .

انظر ابن دقماق - الجوهر الثمين - (ص١٦٧) والسيوطي (ت٩١١هـ)- تاريخ الخلفاء (ص ٤٣٧) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

(٢) المغول والتتار : شعبان كبيران من الأمة التركية ، كانوا ببادية الصين ، وكانت بينهما حروب طويلة حتى لمّ شعثهم وتملك أمرهم جنكيزخان ووضع لهم قانوناً يسيرون عليه ، والمغول نسبة إلى مغل خان ، والتتار نسبة إلى تتارخان ، وهما ولدان توأمان لأحد ملوكهم نحو مضر وربيعة في العرب .

انظر ابن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ) - فوات الوفيات والذيل عليها - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار صادر - بيروت - لبنان - (٣٠١/١) ، ومحمد الخضري - محاضرات الخضري - (٤٦٧/٢) .

(٣) انظر شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة (ت٦٦٥هـ) - عيون الروضتين في أخبار الدولتين "النورية والصلاحية" - تحقيق أحمد البيسومي (١٨١/١) وما بعدها طبع وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية - دمشق ١٩٩١م - (إحياء التراث العربي ، ٨٨) ، وابن كثير - البداية والنهاية - (٢٨٤/١٢- ٧/١٣) ، وابن دقماق - الجوهر الثمين - (ص٢٢٠ -٢٥٤) ، والحافظ السيوطي (ت٩١١هـ) - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - الطبعة الأولى - دار إحياء الكتب العربية - ١٣٨٧هـ (٦٠٩/١) .

ملكشاه[1] (٥٥٢ هـ) أيذاناً بنهاية العصر السلجوقي وقيام الإمارات الأتابكية وتقاسمها ميراث السلاجقة ، وقد أسس الأتابكي الكبير عماد الدين زنكي[2] ومن بعده ابنه نور الدين[3] أعظم الإمارات الأتابكية وأشهرها ذكراً في التاريخ الإسلامي لما لهما من دور كبير في تاريخ بلاد الشام وإحساس سلاطينها بالحالة المزرية التي وصل إليها العالم الإسلامي آنذاك .

وعي السلطان عماد الدين أهمية توحيد الديار الإسلامية فسعى إلى ذلك ، ولكن المنية وافته قبل أن يحقق ذلك واستطاع ابنه نور الدين زنكي تحقيق ذلك الهدف العظيم بتوحيده الشام ومن ثَمَّ إسقاط الحكم الفاطمي في مصر

(١) هو ابن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق أبو الحارث واسمه أحمد ولقب بسنجر ، مولده في رجب سنة ٤٧٩هـ وأقام في الملك نيفاً وستين سنة وقد أسره الغز نحو من خمس سنين ثم هرب منهم وعاد إلى ملكه بمرو ، توفي في سنة ٥٥٢هـ .

انظر : الحافظ ابن كثير - البداية والنهاية - (٢٥٤/١٢) .

(٢) هو زنكي بن قسيم الدولة الحاجب آق سنقر كان من كبار الشجعان عرَّفه ابن الأثير (في الباهر) بالملك الشهيد ، ونوه بأن والده آق سنقر هو أول ملوك الدولة الأتابكية في الموصل وكان تركياً من أصحاب ملكشاه بن ألب أرسلان مات وابنه زنكي صغير وسلم إليه السلطان محمود ولده « فرخشاه » ليربيه ولهذا قيل أتابك ، وتملك حلب ودمشق وحماة بعد استفحال أمر الفرنج في الشام والعراق وتصديه لهم قتل غيلة على يد بعض مماليكه وهو نائم ودفن بصفين سنة ٥٤١هـ .

انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان (١) ، والإمام الذهبي ت ٧٤٨ هـ - العبر في خبر من غبر (٤٥٩/٢) تحقيق بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، وابن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩ هـ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - (١٢٨/٤) دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

(٣) هو محمود بن زنكي عماد الدين ابن آق سنقر ، أبو القاسم نور الدين الملقب بالملك الشهيد العادل : ملك الشام وديار الجزيرة ومصر وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم ، كان من المماليك (جده من موالي السلاجقة) ولد في حلب ، وانتقلت إليه إمارتها بعد وفاة أبيه ٥٤١هـ ، وكان ملحقاً بالسلاجقة فاستقل ، وامتدت سلطته حتى خُطب له بالحرمين وكان مداوماً للجهاد ، وكان موفقاً في حروبه مع الصليبيين ، محباً للعلم والعلماء وكان يتمنى أن يموت شهيداً فمات بعلة في قلعة دمشق فقيل له الشهيد سنة ٥٦٩ هـ .

انظر شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة ت ٦٦٥ هـ ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين "النورية والصلاحية" طبع بمصر ١٢٨٧ هـ - (٢٢٧/١، ٢٢٩) ، وابن خلكان - وفيات الأعيان - (٨٧/٢) .

وإرجاعها إلى الحظيرة السنّية ، حيث كانت مصر في أواخر عهد الفاطميين على غاية من الضعف والفوضى مما أغرى مملكة بيت المقدس الصليبية بالاستيلاء عليها فتصدى لهم نور الدين ودخل معهم في معارك انتصر فيها جيشه بقيادة أسد الدين شيركوه[1] ومعه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي[2] وبذلك أصبحت السيادة على مصر لنور الدين محمود بواسطة قائده أسد الدين شيركوه الذي تولى الوزارة للخليفة الفاطمي .

ثم تولى صلاح الدين الأيوبي وزارة مصر بعد عمه ، وفي أثناء ذلك توفي الخليفة بمصر وهو آخر الخلفاء الفاطميين ، وأصبح صلاح الدين سلطاناً على مصر سنة ٥٦٧ هـ وأمر بإقامة الخطبة لبني العباس في الديار المصرية .

وبعد وفاة السلطان نور الدين سنة ٥٦٩ هـ سار السلطان صلاح الدين من مصر فملك دمشق وغيرها من بلاد الشام ، وكان ذلك إعلاناً لقيام الدولة الأيوبية التي تأسست على أنقاض الدولة النورية ، وتكونت لصلاح الدين

---

(١) هو شيركوه بن شادي بن مهران ، أبو الحارث أسد الدين الملقب بالملك المنصور أول من ولي مصر من الأكراد وهو عم السلطان صلاح الدين ، من كبار قواد جيش نور الدين زنكي بدمشق طرد الفرنجة من مصر بعد استنجاد أهلها به ولاه العاضد الفاطمي الوزارة وتوفي بعد ذلك و لم يقم غير شهرين وخمسة أيام ودفن بالقاهرة سنة ٥٦٤هـ ، وكان عاقلاً شجاعاً مدبراً وقوراً .

انظر جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٨١٣-٨٧٤ هـ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - طبع سنة ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م - (٣٨١/٥-٣٨٢) ، وابن خلكان - وفيات الأعيان (٢٢٧/١) .

(٢) هو الملك الناصر يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان الحميدي الرويني تولى وزارة العاضد آخر الحكام العبيديين من سنة ٥٦٤ هـ إلى سنة ٥٦٧ هـ ، ثم ملك مصر ، كان كريماً حليماً ، حسن الأخلاق افتتح بسيفه من اليمن إلى الموصل ، ومن طرابلس الغرب إلى النوبة ، هزم الأفرنج في حطين وفتح بيت المقدس توفي سنة ٥٨٩ هـ .

انظر الحافظ الذهبي - سير أعلام النبلاء - تحقيق بشار عواد وشعيب الأرناؤوط - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - بيروت - لبنان (٢٧٨/٢١) ، وابن دقماق - الجوهر الثمين - (١٣/٢) ، وزكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ٥٨١هـ - ٦٥٦هـ - التكملة لوفيات النقلة - تحقيق الدكتور بشار عواد معروف - (١٨٣/١) - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

مملكة عظيمة تشمل مصر والشام والحجاز واليمن ، وقد قام صلاح الدين بتوزيع إدارة هذه الأقاليم على أبنائه ورجال بيته ، ليتفرغ لهدفه الأسمى ، ألاَ وهو محاربة الصليبيين وأخراجهم من الأراضي المقدسة ، واستمرت حروبه معهم أكثر من عشر سنوات فتوجت أعماله العظيمة بانتصاره الساحق على الصليبيين في حطين واستيلائه على بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ .

وقبل أن يتوفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ في دمشق ، قسم ملكه بين أولاده فأعطى العزيز[1] الديار المصرية ، وأعطى دمشق وما حولها للأفضل[2] ، وحلب للظاهر[3] ، وأعطى حماة لابن أخيه المظفر[4] ،

---

(١) هو الملك العزيز بن صلاح الدين ، أبوالفتح عثمان الملقب بعماد الدين ، سلطان الديار المصرية وابن سلطانها ولي سلطنة مصر في حياة أبيه صورة ، ثم تسلطن بعد وفاته استقلالاً باتفاق الأمراء والأعيان ولد بالقاهرة سنة ٥٦٧ هـ وتوفي بها سنة ٥٩٥ هـ ، عُرف بالشجاعة والعدل وشارك في حرب الصليبيين .

انظر سبط ابن الجوزي - مرآة الزمان في تاريخ الأعيان - الطبعة الأولى - مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - ١٣٣٩هـ (٤٦٠/٢) ، وابن كثير - البداية والنهاية (٢٠/١٣-٢١) .

(٢) هو أبو الحسن علي بن يوسف ، ولاه أبوه دمشق بعد وفاته سنة ٥٨٩ هـ ثم أخذها منه عمه العادل وذلك سنة ٥٩١ هـ ثم اقتصر على ملك صرخد فأخذها منه عمه العادل أيضاً ثم قنع بملك سميساط وتوفي بها سنة ٦٢٢ هـ .

انظر ابن كثير - البداية والنهاية - (١١٦/١٣) ، والذهبي - سير أعلام النبلاء (٢٩٤/٢١) .

(٣) هو أبو منصور غياث الدين سلطان حلب غازي ابن السلطان صلاح الدين ، ملك حلب ثلاثين سنة ، كريماً معطاً ، دولته معمورة بالعلماء شهد معظم غزوات والده توفي سنة ٦١٣ هـ .

انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٦/٤) ، والذهبي - سير أعلام النبلاء (٢٩٦/٢١) ، وابن تغري بردي ت٨٧٤ هـ- الدليل الشافي على المنهل الصافي (٥١٨/٢) تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت - جامعة أم القرى - مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية .

(٤) هو تقي الدين عمر بن أيوب ، صاحب حماة وأبو أصحابها كان بطلاً شجاعاً له مواقف مع عمه صلاح الدين ، وكان قد استنابه على مصر ثم أعطاه حماة وله فيها المدرسة التقوية توفي سنة ٥٨٧ هـ .

انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٤٥٦/٣) ، والذهبي - سير أعلام النبلاء -(٢٠٢/٢١) ، وابن كثير - البداية والنهاية - (٣٦٩/١٢) .

وللعادل[1] الكرك[2] وغيرها .

إلا أنه من بعد وفاة السلطان صلاح الدين عاد الخصام والنفور بين أولاده واضطربت الأمور واختلفت الأحوال في شتى الممالك ووقع بين بني أيوب كثير من الوقائع والمنازعات التي ما كانت يجب أن تقع بين أخوة الدم والمصير ، وآل الأمر من بعد ذلك إلى العادل واجتمعت الكلمة عليه .

وقبل أن يتوفى العادل سنة ٦١٥ هـ في دمشق قسم ملكه بين أولاده فأعطى الكامل[3] الديار المصرية ، والمعظم[4] دمشق وبيت المقدس ،

---

(١) هو سيف الدين أبو بكر محمد العادل بن أيوب ، أخو صلاح الدين استنابه مصر مدة ثم ملكه حلب ثم عوضه عنها بالكرك وحران ، وكان ذا عقل وشجاعة وحسن تدبير استولى على دمشق ومصر ثم قسم الملك من بعده بين أولاده توفي سنة ٦١٥ هـ .

انظر شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة ت ٦٦٥ هـ ، - الذيل على الروضتين - عنى بنشره السيد عزت العطار الحسيني - الطبعة الثانية - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٤م (ص ١١١) ، وانظر عيون الروضتين (٢٩١/١) ، والذهبي - سير أعلام النبلاء - (١١٥/٢٢) ، وابن دقماق - الجوهر الثمين - (٢٣/٢).

(٢) الكرك : بفتح أوله وثانيه كلمة أعجمية ، اسم لمدينة وقلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقا في جنوبي الأردن على بعد عشرة أميال تقريباً إلى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت ، وهي على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الربض .

انظر ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٦هـ - معجم البلدان (٤٥٣/٤) ، دار إحياء التراث العربي ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م بيروت لبنان .

(٣) هو أبو المعالي محمد بن الملك العادل بن أيوب تملك مصر أربعين سنة شطرها في أيام والده وكان عاقلاً مهيباً كبير القدر توفي سنة ٦٣٥ هـ .

انظر أبو شامة - الذيل على الروضتين - (ص ١٦٦) ، والذهبي - سير أعلام النبلاء - (١٢٧/٢٢) .

(٤) هو عيسى بن أبي بكر بن أيوب بن شادي (الملك المعظم) فقيه ، أديب نحوي لغوي شاعر ، وعرضي ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦ هـ ، كان من أهل السنة والجماعة ، سلفي العقيدة حنفي المذهب على غير عادة الأيوبيين الذين يغلب عليهم المذهب الشافعي والعقيدة الأشعرية ، جمع الله له كما يقول ابن كثير « بين الشجاعة والبلاغة والعلم ومحبة أهله ومن شجاعته أنه كثيراً ما كان يركب وحده لقتال الفرنج ، ثم تتلاحق به المماليك والجنود ، تولى ملك الشام نيابة عن أبيه ، وبعد موته أصبح سلطاناً ، وكان محباً للعلماء ومقرباً لهم ، توفي سنة ٦٢٤ هـ » .

انظر ابن كثير - البداية والنهاية - (١٢١/١٣) ، وابن واصل الحموي - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - تحقيق جمال الدين الشيال - القاهرة - مصر - ١٩٥٩م (٢٠٨/٤-٢٢٤) ، وابن خلكان - وفيات الأعيان (٤٩٤/٣-٤٩٦) ، وعمر كحالة - معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية - (٥٩٢/٢) طبع مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م - بيروت - لبنان .

والأشرف[1] ديار بكر[2] ، فاتفقوا اتفاقاً حسناً وكانوا كنفس واحدة ، وحدثت بينهم بعض التنقلات والتنازلات .

وقد حدثت بعد ذلك حوادث كثيرة يهمنا منها الآتي :-

١- في سنة ٦١٧ هـ توفي الملك المنصور[3] صاحب حماة .

٢- في سنة ٦٢٤ هـ توفي المعظم صاحب دمشق وخلفه ابنه الناصر[4] وفي سنة ٦٢٦ هـ أخذ الأشرف دمشق من الناصر ابن المعظم .

٣- في سنة ٦٣٠ هـ استولى الكامل على آمد من الملك المسعود الأرتقي[5].

---

(١) هو موسى الأشرف بن محمد العادل بن أبي بكر محمد بن أيوب ، مظفر الدين ، أبو الفتح من ملوك الدولة الأيوبية بمصر والشام ، كان أول ما ملكه مدينة الرها في عهد والده الملك العادل واتسع ملكه بعد موت أخيه فملك حران ونصيبين الشرق وسنجار والخابور وخلاط وميافارقين وما حولهما ، جرت له مع ملك الروم وابن عمه الملك الأفضل وقائع ولد بالقاهرة سنة ٥٧٨هـ وتوفي بدمشق سنة ٦٣٥هـ وكان شجاعاً حازماً كريماً موفقاً في حروبه وسياسته من آثاره دار الحديث الأشرفية بسفح قاسيون .

انظر ابن خالكان – وفيات الأعيان (١٣٨/٢) والمنذري – التكملة لوفيات النقلة (٤٦٥/٣) وابن تغري بردي – النجوم الزاهرة – (٣٠٠/٦) .

(٢) هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل وحدُّها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة وفيها حصن كيفا وآمد وهي الآن داخلة في حدود الجمهورية التركية .

انظر ياقوت الحموي – معجم البلدان (٤٩٤/٢) وانظر زكريا بن محمد القزويني – آثار البلاد وأخبار العباد (ص ٣٦٨) دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت – لبنان ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

(٣) أبو المعالي ناصر الدين الملك المنصور محمد بن عمر بن أيوب من العلماء المشاركين في كثير من الفنون ، فقد كان مؤرخاً ، أديباً ، شاعراً ، وسمع الحديث بالإسكندرية وورث ملك حماة من أبيه ولد سنة ٥٨٧ هـ وتوفي سنة ٦١٧ هـ .

انظر ابن شاكر الكتبي ت ٧٦٤هـ – فوات الوفيات والذيل عليها – تحقيق د/ إحسان عباس ، دار صادر – بيروت – – (٤٩٨/٢) ، وكحالة – معجم المؤلفين – (٥٦١/٢) .

(٤) هو أبو المفاخر داود بن الملك المعظم بن العادل بن أيوب ، ولي دمشق سنة ٦٢٤ هـ بعد وفاة أبيه ، فأخذت منه وأُعطي الكرك وأعمال القدس ، كان عالماً فاضلاً شاعراً أديباً ، توفي سنة ٦٥٦ هـ .

انظر ابن شاكر فوات الوفيات – (٤١٩/١) ، وابن تغري بردي – النجوم الزاهرة – (٦١،٣٤/٧) .

(٥) هو الملك المسعود بن مودود الأرتقي صاحب آمد ، عرف بالفسق والفجور ، بعد حصار الكامل لبلاده وفتحها وجد عنده داخل القلعة خمسمائة حرة من بنات الناس للفراش ، وقد عذبه الأشرف أخو الكامل عذاباً عظيماً .

انظر ابن كثير – البداية والنهاية – (١٤٦/١٣) وابن تغري بردي – النجوم الزاهرة (٢٨٠/٦) .

وسيأتي - إن شاء الله تعالى - بيان تأثير هذه الحوادث في حياة الآمدي .

أما أهم الأحداث والوقائع في هذه الفترة فهي كما يلي : -

أولاً : فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي ، بعد أن استحوذ عليه النصارى اثنتين وتسعين سنة ، وكان ذلك بعد وقعة حطين[(1)] التي كانت إشارة وتقدمة لفتح بيت المقدس ، وهكذا عادت أولى القبلتين إلى المسلمين بعد أن دنسها عباد الصليب الذين انحسر مدهم وتركز في منطقة ساحلية ضيقة انتقلت إليها مملكة بيت المقدس وجعلت عكا عاصمة لها [(2)].

ثانياً : خروج التتار إلى بلاد الإسلام : -

وذلك في سنة ٦١٧ هـ بقيادة جنكيزخان[(3)] ويعتبر هذا الحدث من أعظم الحوادث التي أصابت المسلمين ، إذ هاجمت جحافل المغول العالم الإسلامي ، فعم المشرق الإسلامي الخراب والدمار وعدم الأمن مما ليس له نظير في التاريخ .

فقد خرج هؤلاء من أطراف الصين فقصدوا تركستان ثم إلى بلاد ما وراء النهر ثم عبرت طائفة منهم إلى خرسان ثم إلى الري وهمذان ثم إلى أذربيجان ، وهم في كل مكان يفعلون القتل والنهب والتخريب ، في الأموال والأملاك وفي الذريَّة والنساء ولم ينج منهم إلا النادر وكان ذلك في أقل من سنة ، فتم بذلك لجنكيزخان مملكة عظيمة واسعة مترامية الأطراف تمتد شرقاً من بلاد الصين إلى بلاد العراق وبلاد الروس غرباً ، ومن بلاد الهند جنوباً إلى البحر الشمالي شمالاً .

---

(1) حطِّينُ : بكسر أوله وثانيه وياء ساكنة ونون مضمومة ، قرية بين أرسوف وقيسارية .

انظر ياقوت الحموي - معجم البلدان (٢٧٣/٢) .

(2) انظر الحافظ ابن كثير - البداية والنهاية - (٣٤١/١٢-٣٤٦) .

(3) هو طاغية التتار وملكهم الأول الذي خرب البلاد ، وقتل العباد ولم يكن للتتار قبله ذكر ، بدأ ملكه سنة ٥٩٩ هـ ، واستولى على بخارى وسمرقند سنة ٦١٦ هـ ، ومازال في حرب المسلمين حتى مات سنة ٦٢٤ هـ ، وقسم مملكته بين أولاده من بعده .

انظر ابن شاكر الكتبي - فوات الوفيات (٣٠١/١) ، وابن كثير - البداية والنهاية (١٢٧/١٣) .

وقد قسم جنكيزخان مملكته بين أبنائه ، وفي سنة ٦٢٤ هـ أدركته المنية ، فواصل أبناؤه الزحف والامتداد ، حتى جاء حفيد جنكيزخان "هولاكو"[1] فاستولى على بغداد وذلك سنة ٦٥٦ هـ ، ولو لم يقدّر الله للمماليك فيما بعد أن يوقفوا هذا الزحف ويصدوه عن بقية العالم الإسلامي لتحقق ما كان يرجوه الصليبيون من القضاء على الإسلام ، فقد وثقوا صلتهم مع هؤلاء الوثنيين ، وعقدوا معهم المحالفات حتى يجعلوا العالم الإسلامي بين شقي الرحا ، فيقضى عليه قضاءً مبرماً .

ولكن الله سبحانه وتعالى حفظ العالم الإسلامي من كيدهم ومكرهم .

فصمد أمام هذه الأخطار وقضى على الصليبيين وأخرجهم من بلاد المسلمين ، وامتص المغول وصهرهم في بوتقته ، وأدخلهم في حظيرته ، فاعتنقوا الإسلام وتكونت منهم دول إسلامية كبيرة كانت لها أبعد الآثار في التاريخ الإسلامي [2].

ثالثاً : خروج الإفرنج من الغرب إلى الشام فنزلوا عكا[3] وصور[4]

---

(١) هو هولاكو بن تولي قان بن جنكيزخان ، كان طاغية من أعظم ملوك التتار ، قتل الخليفة المستعصم وأمراء العراق ، وصاحب الشام ، واستولى على العراق والشام والجزيرة والروم وفارس ، توفي سنة ٦٦٤ هـ .

انظر ابن شاكر الكتبي – فوات الوفيات – (٢٤٠/٤) ، وابن كثير – البداية والنهاية – (١٣٢/١٣-١٣٣) .

(٢) انظر ابن الأثير – الكامل في التاريخ – (٣٥٨/١٢) وما بعدها ، وابن كثير – البداية والنهاية – (٩٤/١٣) وما بعدها ، والخضري – محاضرات الخضري – (٤٦٧/٢) وما بعدها .

(٣) مدينة على ساحل بحر الشام من عمل الأردن ، من أحسن بلاد الساحل ، وهي مدينة حصينة على البحر المتوسط ، وهي الآن تحت ظل الاحتلال اليهودي في فلسطين المسلمة أعادها الله للمسلمين .

انظر زكريا القزويني – آثار البلاد وأخبار العباد (ص ٢٢٣) ، والأطلس المدرسي – لجنة تطوير المواد الاجتماعية بوزارة التربية بدولة الكويت (ص ٧٨) مؤسسة فهد المرزوق الصحفية للطباعة والنشر – الطبعة الخامسة –١٩٩٤م .

(٤) مدينة مشهورة على طرف البحر الأبيض المتوسط ، استدار حائطها على مبناها استدارة عجيبة ، تقع الآن في الجمهورية اللبنانية .

انظر ياقوت الحموي معجم البلدان (٤٣٣/٣) ، وزكريا القزويني آثار البلاد والعباد (ص ٢١٧) ولجنة تطوير المواد الإجتماعية – الأطلس المدرسي (ص ٢١٧) .

واستولوا على صيدا[1] ، وصالحهم المسلمون على أن يبقى القدس الشريف تحت يد الإفرنج ، وبقية البلاد بيد المسلمين ، وذلك سنة ٦٢٦ هـ .[2]

وفي سنة ٦١٤ هـ استولى الإفرنج على دمياط من الديار المصرية ، وأقاموا فيها وكانت باقي الديار المصرية على خطر .[3]

والخلاصة :

أن هذه الفترة تعتبر فترة اضطراب سياسي واقتصادي وعسكري ، مليئة بالأحداث معروفة بالويلات والمحن فقد تلاحقت الفتن الخارجية والداخلية على المسلمين ، فمن الخارج الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين من الزمان ، وكذلك الزحف المغولي على البلاد الإسلامية من جهة الشرق ، ومن الداخل الحروب الداخلية بين السلاطين والمنازعات الشديدة بين المماليك .

---

(١) مدينة على ساحل بحر الشام وهو ما يسمى في عصرنا بالبحر الأبيض المتوسط ، من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ستة فراسخ قالوا سميت بهذا الاسم نسبة إلى صيدون بن صدقاء بن كنعان بن حسان بن نوح عليه السلام ، وتقع الآن من ضمن مدن الجمهورية اللبنانية .

انظر ياقوت الحموي – معجم البلدان (٤٣٧/٣) ، ولجنة تطوير المواد الإجتماعية بوزارة التربية الكويتية – الأطلس المدرسي (ص٧٢) .

(٢) انظر ابن الأثير – الكامل في التاريخ – (٣٥٨/١٢) وما بعدها ، وابن كثير – البداية والنهاية – (٩٤/١٣) وما بعدها ، والخضري – محاضرات الخضري – (٤٦٧/٢) وما بعدها .

(٣) انظر ابن الأثير – الكامل في التاريخ – (٣٢٣/١٢-٣٢٦-٣٧٦) .

المبحث الثاني :

الجانب الإجتماعي

المبحث الثاني : الجانب الاجتماعي .

كان النظام السائد لحكم البلاد الإسلامية في تلك الفترة أقرب ما يكون للنظام الفردي ((الإقطاعي)) فقد كانت الولايات التابعة للسلطان صلاح الدين الأيوبي محكومة من قبل أبنائه وأفراد أسرته وبعض من أقرهم من حكام البلاد القدماء الذين دانوا للسلطان بالولاء ، فصارت تلك الولايات كأنها إقطاعيات منه لأمرائهم متى ما خضعوا له وأطاعوه ، وقد كان صلاح الدين مضطراً لذلك حتى يتفرغ لهدفه الأسمى ألا وهو الدفاع عن الدين وحماية مقدساته[1] ، ولم يدخر صلاح الدين في سبيل تحقيق هذه الغاية النبيلة شيئاً ، بل ضحى من أجلها بكل غال ورخيص ، حتى أتهم بالإسراف في أموال الدولة[2] ، فبجانب إنفاقه على النواحي العسكرية ، فقد كان يضرب به المثل في كثرة العطاء ، وكان هدفه تأليف الناس وتحبيبهم في الجهاد ، وقد كان بذله في بعض الأحيان سبباً في إسلام بعض الفرنجة ، وكان ذلك بلا شك من فضائله وشمائله الكريمة عليه رحمة الله[3] .

وإذا كان السلطان صلاح الدين الأيوبي قد اشتهر بكثرة العطاء والإنفاق على الناس من أجل تحقيق أهدافه السامية الخيرة ، فقد كان بنو أيوب كما يذكر بعض الباحثين مبالغين في انفاقهم إلى حد السرف على متعهم وملذاتهم المباحة[4] فقد حيكت حول بعضهم

(١) انظر عبد العزيز سيد الأهل – أيام صلاح الدين – طبع المكتب التجاري للطباعة – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٦١ (ص١٠٩) .

(٢) انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان– (٣٧٦/٢) والدكتور أحمد المهدي – أبكار الأفكار في أصول الدين للآمدي تحقيق ودراسة – رسالة دكتوراة مقدمة لجامعة الأزهر كلية أصول الدين ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م (١١/١) .

(٣) انظر ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة – (٣/٦) ، وابن العماد – شذرات الذهب – (٢٩٨/٤) ، وابن السبكي ت ٧٧١ هـ – طبقات الشافعية الكبرى – (٣٣٩/٧-٣٦٩) تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو – الطبعة الأولى – دار إحياء الكتب العربية – فيصل البابي الحلبي – مصر .

(٤) انظر سيف الدين الآمدي ٦٣١ هـ – أبكار الأفكار في أصول الدين – تحقيق الدكتور أحمد المهدي – (١١/١ قسم الدراسة) .

الأساطير [1] ، وكذلك كان أبناؤهم ، وأحفادهم من بعدهم ، وكذلك كان رجال الدولة في ذلك العصر .

ومن الأمور التي تحسب من محاسن دولة بني أيوب أنها كانت تنفق بلا حدود على بناء المساجد الضخمة ، والمدارس العظيمة ، فقد بُنيت في تلك الحقبة مئات المساجد والمدارس في أرجاء البلاد التي كانت تحت حكمهم [2] .

وأغدقت الأموال على العلماء وطلبة العلم ، التي أغنتهم وزادت عن حاجتهم ، فتفرغوا للعلم ، وتنافسوا فيه ، مما أدى إلى إزدهار الجانب العلمي في ذلك العصر كما سيأتي في المبحث التالي [3] .

وقد كان لهذه الأسباب مجتمعه ، أعني الإقطاع ، والحروب المتواصلة بين المسلمين والصليبيين ، أو بين أمراء الدولة أنفسهم ، وإسراف الحكام ورجال الدولة - كان لها نتائج إقتصادية خطيرة عانى منها الشعب الشيء الكثير .

فقد منيت الدولة بكثير من المجاعات وخصوصاً البلاد المصرية ، حيث اشتدَّ فيها الغلاء فهلك خلق كثير من الفقراء والأغنياء ثم أعقبه فناء عظيم حتى حكي أن الملك العادل كفن من ماله في مدة شهر نحواً من مائتي ألف وعشرين ألف ميت ، واضطر الناس فيها إلى أكل القطط والكلاب ، ثُمَّ تزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ، وقد صور الحافظ ابن كثير في كتابه - البداية والنهاية - هول تلك الحوادث أبلغ تصوير [4] .

---

(١) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (١٦٩/٤) ، والذهبي - سير أعلام النبلاء (١١٨/٢٢) .

(٢) انظر عبد القادر النعيمي ت ٩٢٧هـ - الدارس في تاريخ المدارس - الدكتور صلاح الدين المنجد دار الكتاب الجديد - الطبعة الأولى - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م - بيروت - لبنان .

(٣) انظر المبحث الثالث : الجانب الثقافي ص (٢٥) .

(٤) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - (٢٣/١٣) طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٩٩٤ م - أحداث سنة ٥٩٧ هـ .

كما أدت تلك الأسباب إلى وجود طبقات متباينة ، ففي الطبقة الأولى السلطان ومن حوله من الحاشية من وزراء وأمراء ثم تلي هذه الطبقة الموظفين في ديوان الإنشاء والجيش والقضاء والحسبة ، ثم يأتي بعد ذلك طبقة التجار ، وطلبة العلم ، وأخيراً طبقة العامة من تجار وزرّاع وصنّاع[1] .

وقد وُجد بجانب طبقة الأمراء ، طبقة العلماء والفقهاء ، فقد كان للعلماء مكانة مرموقة في ذلك العصر ، فهم موضع الإحترام لدى الجميع حكام ومحكومين ، وقد كان نفوذهم في بعض الأحيان يقوى على نفوذ السلاطين والأمراء ، وخصوصاً في النواحي الشرعية فقد كان لسلطان العلماء العز بن عبد السلام[2] مواقف قوية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمام الملك المظفر[3] ، وللإمام محي الدين النووي[4] مع الظاهر

(١) انظر الدكتور المهدي - أبكار الأفكار ، تحقيق ودراسة - (١٣/١) .

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب ، والشيخ يلقب بعز الدين أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي شيخ المذهب ، له مصنفات حسان ، منها التفسير واختصار النهاية والقواعد الكبرى والصغرى ، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة ، رحل من دمشق إلى مصر فأكرمه نجم الدين أيوب وولاه القضاء بها ، لقبه ابن دقيق العيد بسلطان العلماء ، توفي بمصر سنة ٦٦٠هـ ولما بلغ السلطان خبر موته قال :

« لم يستقر ملكي إلا الساعة لأنه لو أمر الناس في بما أراد لبادروا إلى امتثال أمره » .

انظر ابن كثير - البداية والنهاية - (٢٣٥/١٣) ، وابن العماد - شذرات الذهب (٣٠٠/٥) ، وعبد الرحيم جمال الدين الأسنوي ت ٧٧٢ هـ - طبقات الشافعية - تحقيق كمال يوسف الحوت- (٨٤/٢) الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - ملتزم الطبع والنشر دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(٣) هو السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز الثالث من ملوك الترك المماليك بمصر قاد الجيوش الإسلامية في عين جالوت ضد التتار وكان نصر الله على يديه .

انظر ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - (٧٢/٧) .

(٤) هو يحي بن شرف محي الدين أبو زكريا النووي الدمشقي الشافعي ، كبير الفقهاء في زمانه ، ولد عام ٦٣١هـ بنوى وقدم دمشق ، صاحب المصنفات المشهورة شرح صحيح مسلم ورياض الصالحين والمجموع وغيرها كثير ، ولي مشيخة دار الحديث بالأشرافية ودرس بالمدرسة الإقبالية ، توفي عام ٦٧٦هـ .

انظر ابن كثير البداية والنهاية - (٢٧٨/١٣) ، والحافظ الذهبي ت ٧٤٨ - تذكرة الحفاظ - الطبعة الثانية - حيدر آباد الداكن . دائرة المعارف العثمانية - الهند - ١٣٣٣هـ - (١٤٧٠/٤) .

بيبرس[1] مواقف عظيمة ، عن طريق رسائله التي طالبه فيها بالعدل في الرعية[2] ، ورفع المكوس[3] الظالمة عن المسلمين[4] .

وقد كان للعلماء دور بارز في إذكاء روح الجهاد في قلوب المسلمين عن طريق دعوتهم للجهاد وحضهم على التضحية في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، وقد كان كثير منهم في مقدمة الجيوش الإسلامية المتصدية لأعداء الإسلام والمسلمين من التتار والصليبيين .

---

(١) أحد ملوك المماليك البحرية على مصر ، تركي الأصل من بلاد القوقاز ، باعه التتار رقيقاً بعد أسره ، اشتراه بحماة علاء الدين البندقداري ، ثم وفد مصر وأصبح بيبرس من خواص الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وبعد وفاة نجم الدين أغار لويس التاسع ملك فرنسا على مصر فقام المماليك البحرية بصد العدوان بقيادة الظاهر بيبرس ومن يومها قوى نفوذه واتصل بسيف الدين قطز وتعاون معه في قتال التتار في موقعة عين جالوت ٦٥٥هـ وفي عودتهما إلى القاهرة غدر بيبرس بقطز فقتله ونصب نفسه ملكا على مصر في نفس العام ٦٥٥هـ واستمر في الحكم سبعة عشر عاماً ، توفى عام ٦٧٦هـ .

انظر ابن شاكر الكتبي - فوات الوفيات - (٨٥/١) ، وابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - (٩٤/٧) .

(٢) انظر الحافظ الذهبي - تذكرة الحفاظ - (١٤٧٣/٤) .

(٣) المكوس جمع مكس : وهو النقص والظلم ، وهي في الأصل دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية ، وهي أشبه ما تكون في زماننا بالضرائب والجمارك .

انظر أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت ٧١١ هـ - لسان العرب - (٢٢٠/٦) ، دار صادر - بيروت - لبنان .

(٤) انظر الحافظ السيوطي ت ٩١١هـ - حسن المحاضرة - (٨٧/٢-٩٨) مطبعة إدارة الوطن بمصر ١٣٩٩هـ .

المبحث الثالث :

الجانب الثقافي

المبحث الثالث : الجانب الثقافي .

كان للجانب السياسي أثر واضح على مسار الحركة العلمية في هذا العصر ، فالعالم الإسلامي منقسم كما تقدم إلى إمارة ودويلات صغيرة متناحرة ، والأخطار تهدد المسلمين من كل جانب فمن الشرق التتار ، ومن الغرب الفرنجة وحروبهم الصليبية التي امتدت لأكثر من قرنين من الزمان .

الدولة في ذلك العصر كانت تخضع النشاطات العلمية لسلطتها المباشرة ، فالحاكم هو الذي يعين القضاة والعلماء والمدرسين وهو أيضاً الذي يعزلهم من التدريس أو إقامة الحلقات العلمية في المساجد أو دور العلم ، ولعل من الجوانب الإيجابية في ذلك العصر استعانة الحكام بحاشية من العلماء فيما يتعلق بالجوانب العلمية وخصوصاً تعيين العلماء إلاّ أنه نتج عن ذلك وللأسف وجود التناحر بين العلماء ، فالمقربون من السلطة ، عملوا في الغالب ضد المخالفين لهم من أهل العلم ، كما كان لكثير من الحكام في ذلك العصر اهتمامات علمية ، بل إن بعضهم كان يعد من العلماء ، كالملك المعظم[1] صاحب دمشق والملك المنصور[2] صاحب حماه .

وقد سمع السلطان صلاح الدين الأيوبي من رجال الحديث وأجلس أولاده ومماليكه في مجالسهم ، وقرأ بنفسه كتب الحديث ، وطلب الإسناد[3] .

فكان لذلك أثر عظيم في إكرام العلم وأهله أو إهانتهم حسبما يقتضيه الحال ، والمستعرض لأحداث ذلك العصر يجد فيه الكثير من الأمثلة ولا مانع من ضرب بعضها :

---

(١) انظر ابن خلكان- وفيات الاعيان (٤٩٤/٣-٤٩٦) ، وابن واصل الحموي ت ٦٩٧هـ - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - تحقيق حسين محمد ربيع ، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور - القاهرة - دار الكتب المصرية ١٩٧٢م(٢٠٨/٤) .

(٢) انظر ابن شاكر - فوات الوفيات (٤٩٨/٢)، وعمر كحالة- معجم المؤلفين- (٥٦١/٣) ، وصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ت ٧٦٤هـ- الوافي بالوفيات - (٢٥٩/٤-٢٦٠) طبع بإعتناء س . ديدرينغ- الطبعة الثانية -١٣٩٤هـ-١٩٧٤م- يطلب من دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن .

(٣) انظر ابن تغربردي- النجوم الزاهرة - (٩/٦) وما بعدها .

أ- في سنة ٥٩٠هـ نقم الخليفة العباسي الناصر[1] على الشيخ أبي الفرج[2] ابن الجوزي وغضب عليه ونفاه إلى واسط فأقام بها خمسة أعوام يخدم نفسه بنفسه وكان قد بلغ ثمانين سنة ، إلى أن رضي عنه الخليفة فأمر بإعادة الشيخ إلى بغداد وكان سبب محنة ابن الجوزي وزيراً شيعياً[3] إذ كان للناصر ميل إلى الشيعة[4] ، فتعرض للشيخ ابن الجوزي بالشتم وتشتيت العيال بأيدي

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن المستضي بأمر الله ، الهاشمي العباسي أمير المؤمنين ، ولد ببغداد سنة ٥٥٣ هـ ، وبويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة ٥٧٥ هـ وتوفي سنة ٦٢٢هـ وله من العمر ٦٩ سنة ، وكانت مدة خلافته ٤٧ سنة ، ولم يقم أحد من الخلفاء العباسيين قبله في الخلافة هذه المدة الطويلة ، وكان قبيح السيرة مع رعيته ظالماً لهم وقد أخذ أموال وأملاك كثير منهم ، وقد ذكر عنه أشياء غريبة من فعل الشيء وضده ، والتضاهر بعلم الغيب حتى ظن بعض الناس أو أكثرهم أنه يتعامل مع الجن .

انظر ابن كثير - البداية والنهاية - (١١٤/١٣) وابن دقمان - الجوهر الثمين- (ص١٧١).

(٢) هو عبد الرحمن بن علي الجوزي نسبة إلى فرضة نهر البصرة بتمد نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يلقب بابن الجوزي أبو الفرج القرشي التيمي البغدادي الحنبلي برز في علوم كثيرة ، وتفرد بفن الوعظ ، له مصنفات كثيرة منها زاد المسير وجامع المسانيد والمنتظم وغيرها ، ولد سنة ٥١٠هـ وتوفي سنة ٥٩٨هـ في شهر رمضان وله من العمر ٨٧ سنة وكانت جنازته مشهودة .

انظر الإمام الذهبي ت ٧٤٨هـ - المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد ابن الدبيثي- ذيل تاريخ بغداد - (٢٣٨/١٥) الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م بدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ابن كثير - البداية والنهاية- (٣١/١٣) .

(٣) هو ابن القصاب الرافضي .

انظر الحافظ عبد الرحمن بن شهاب المعروف بابن رجب الحنبلي ت ٧٩٥هـ - كتاب الذيل على طبقات الحنابلة- (٤٢٦/١) الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت- لبنان .

(٤) الشيعة من حيث مدلولها اللغوي تعني القوم والصحب والأتباع والأعوان ومنها قوله تعالى ﴿ فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ [سورة القصص: آية ١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وإن من شيعته لإبراهيم ﴾ [سورة الصافات : آية ٨٣] .

فالشيعة في الآية الأولى تعني القوم ، وفي الثانية تشير إلى الأتباع الذين يتوافقون في الرأي والمنهج ، ولكن كلمة ((شيعة)) اتخذت معنى اصطلاحياً مغايراً للمعنى اللغوي وهو بأنهم هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته ، نصاً ووصية إما جلياً وإما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو تقية من عنده ، وهم فرق وطوائف شتى يلعن بعضهم بعضاً .

الشيعة[1] .

ب- في سنة ٥٩٥ هـ عزم صاحب مصر العزيز على اخراج الحنابلة من بلده ، والكتابة بذلك إلى بقية أخوته في الشام ، وشاع ذلك وانتشر وسمع ذلك منه وصرح به ، وكان سبب ذلك من خلطائه وعشرائه من الجهمية[2] وقد أهلكه الله في هذه السنة فارتفع شأن الحنابلة بين الخلق في مصر والشام عند الخاص والعام[3] .

جـ- في سنة ٥٩٥ وقعت فتنة بدمشق بسبب الحافظ عبد الغني المقدسي[4] ، وذلك أنه تكلم في الجامع الأموي فذكر يوماً شيئاً من العقائد فاجتمع بعض العلماء بالسلطان المعظم ، وعقدوا مجلساً فيما يتعلق بمسألة

= انظر : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ت ٥٤٨ هـ - الملل والنحل - تحقيق محمد سيد كيلاني - مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م ، وعبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون ت ٨٠٨هـ- المقدمة - (٢٥٠/١) تقديم د/جمعة شيخة - مكتبة ودار المدينة المنورة للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤م ، والدكتور أحمد محمد أحمد جلي - دارسة عن الفرق في تاريخ المسلمين « الخوارج والشيعة » (ص١٥١،١٥٢) الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض - المملكة العربية السعودية .

(١) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - (١٢،١١/١٣) وابن رجب - ذيل طبقات الحنابلة (٤٢٦/١) .

(٢) الجهمية هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل ومما انفرد به أن الجنة والنار تفنيان .

انظر ابن أبي العز الحنفي - شرح العقيدة الطحاوية- تحقيق الالباني - الطبعة الخامسة - المكتب الإسلامي بيروت (٥٩٠-٥٩٢) .

(٣) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - (٢٠/١٣) .

(٤) هو الإمام الحافظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، سمع مع الموفق ابن قدامة ، وكان جامعاً بين العلم والعمل ، وينكر المنكر ، ابتلى بأذى أهل البدعة وعداوتهم ، له تصانيف كثيرة منها : الأحكام الكبرى والصغرى ، توفى في مصر سنة ٦٠٠هـ .

انظر الذهبي - سير أعلام النبلاء - (٤٤٣/٢١) وابن رجب - ذيل طبقات الحنابلة- دار المعرفة - بيروت (٥/٢) ومحمد بن محمود ابن البخار ت ٦٤٣هـ- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد - تحقيق وتعليق د/قيصر أبو فرح دي-فل- برنستن (ص١٦٨) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد الدكن الهند- الطبعة الأولى - ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

الإستواء والنزول والحرف والصوت ، فارتحل الحافظ المقدسي إلى بعلبك ثم سار إلى مصر فآواه المحدثون وحنوا عليه وأكرموه[1] .

تميز هذا العصر بحركة ثقافية واسعة ، فقد اهتم العلماء في هذا العصر بالتأليف والإجتهاد في حدود المذهب المتبع ، فالتقليد لكلام السابقين يعتبر سمة واضحة للتوجيه العلمي في ذلك العصر « فكان طالب الفقه يدرسه على إمام معين ويتعلم طريقته في استنباط الأحكام ، فإذا وصل إلى مرتبة الإجتهاد لجأ إلى دراسة الكتب المؤلفة في مذهبه فإما يختصرها أو يشرحها أو يجمع الآراء المتناثرة لأعيان المذهب في كتاب معين »[2] غير أن هذه الحركة العلمية الواسعة شابها التعصب الأعمى والدعوة للجمود على المذاهب الأربعة دون سواها من المذاهب ، والقول بوجوب تقليد أحدها ، مما نتج عنه إغلاق باب الإجتهاد ، و لم تكن تلك الآراء وليدة هذا العصر بل كانت أثراً من آثار علماء القرن الرابع[3] .

ومما يؤكد هذا ما حكاه ابن خلدون[4] في مقدمته حيث يرى أن باب الإجتهاد قد سد أمام الناس حتى أصبح العلماء مقلدين تماماً للأئمة الأربعة

---

(1) انظر الحافظ ابن كثير – البداية والنهاية – (٢٣/١٣) .

(2) محمد الخضري- تاريخ التشريع الإسلامي – (ص٣٢٤) الطبعة الثالثة – دار الأندلس بيروت – لبنان- ١٩٧٩م .

(3) د/محمد يوسف موسى – ابن تيمية (سلسلة أعلام العرب) – (ص٤٦) طبع مكتبة مصر – ١٣٨١هـ-١٩٦٢م مصر القاهرة – والاستاذ بدران أبو العينين بدران- تاريخ الفقه الإسلامي ونظرية الملكية والعقود – (ص ٢٧) دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت – لبنان .

(4) هو عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي فيلسوف مؤرخ متكلم ، أصله من إشبيلية ومولده ومنشأه بتونس عام ٧٣٢هـ له مؤلفات عديدة منها العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر في سبعة مجلدات أولها المقدمة المشهورة في علم الإجتماع ، كان فصيحاً ، جميل الصورة ، عاقلاً ، صادق اللهجة ، عزوفاً عن الضيم ، طامحاً للمراتب العالية ، انتهت به رحلاته إلى القاهرة حيث تولى فيها قضاء المالكية وبها توفي فجاءة عام ٨٠٨ هـ .

انظر د/جمعة شيخة – مقدمته لكتاب ابن خلدون المقدمة – (ص٥-٢٨) ومحمد بن عبد الرحمن السخاوي – ت ٩٠٢هـ – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – (١٤٥/٤) دار الجيل – بيروت – لبنان – بدون تاريخ ، وخير الدين الزركلي – الأعلام- (٣٣٠/٣) دار العلم للملايين – الطبعة السابعة ١٩٨٦م – بيروت – لبنان .

منذ ذلك الوقت إلى عصره الذي يتحدث عنه فيقول : « ووقف التقليد في الأمصار عند هؤلاء الأربعة ، ودرس المقلدون لمن سواهم ، وسد الناس باب الخلاف وطرقه...وردُّوا الناس إلى تقليد هؤلاء...ولم يبق إلا نقل مذاهبهم وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الأصول وإتصال سندها بالرواية ، لا محصول اليوم للفقه غير هذا ، ومدعي الإجتهاد لهذا العهد مردود على عقبه ، مهجور تقليده ، وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة »[1] .

وقد انعكس هذا الأمر على النتاج العلمي الذي تميز في هذا العصر بنشاط تأليفي واضح إلا أنه افتقد الجدة والإبتكار حيث « عمد العلماء إلى جمع المعلومات المتعلقة بكل فن ، فنظموها في سلك واحد وألفوا فيها كتباً مطولة أحياناً ومختصرة أحياناً ، وسلكوا منهجاً حسناً في التأليف ، ولكن لا أثر فيه للإبتكار والتجديد »[2] .

ومن النتائج الخطيرة التي أثمرتها مثل هذه الآراء ، تعصب أصحاب كل مذهب لرجال وأئمة مذهبهم ، حتى وإن كان الكتاب والسنة على خلاف ما يقولون ، ولا شك أن ذلك يفضي إلى القضاء على روح التسامح والمودة بين العلماء إذ ليس هناك مجال في ظل هذا التعصب لإحترام آراء الآخرين حتى وإن كانت صوابا ، هذا بالنسبة للفروع أما بالنسبة للعقائد فالجمهرة الغالبة من العلماء في ذلك العصر يدينون بعقيدة الأشاعرة[3] ، التي كانت تدعم من

(١) عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي ت ٨٠٨ هـ – مقدمة ابن خلدون – (١/٤٥) ، تصحيح وفهرست أبو عبد الله السعيد المندوه – مؤسسة الكتب الثقافية – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م بيروت– لبنان .

(٢) د/محمد خليل هراس – باعث النهضة الإسلامية – ابن تيمية السلفي دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى– ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م (ص١٩) .

(٣) أحد كبرى الفرق الكلامية ينسب أصحاب هذا المذهب إلى الإمام الأشعري عليه رحمة الله ، الذي كان في بداية حياته على مذهب المعتزلة إلى أن بلغ الأربعين من عمره ثم رجع عن مذهب المعتزلة وأثبت الصفات العقلية السبعة ، وذهب إلى تأويل الصفات الخبرية ، ثم شرح الله صدره ورجع عن ذلك كله إلى معتقد أهل السنة والجماعة وأثبت الصفات جرياً على طريقة سلف الأمة رضي الله عنهم أجمعين ، وقد اختلف أصحاب الأشعري من بعده فمن قائل بقوله الذي مات عليه ومن مشكك في صحة ذلك عنه عليه رحمة الله . =

ملوك وسلاطين ذلك العصر بداية بصلاح[1] الدين وأولاده من بعده في مصر والشام ، ثم في أيام مواليهم الملوك الأتراك[2] .

يقول المقريزي[3] بعد شرحه لعقيدة الأشعري[4] : « فهذه جملة من أصول عقيدته التي عليها الآن جماهير أهل الأمصار الإسلامية والتي من جهر بخلافه أريق دمه »[5] .

وقد احتدم الصراع بسبب التعصب المذهبي في ذلك العصر بين الحنابلة والمحدثين من جهة حيث كانوا يمثلون عقيدة أهل السنة والجماعة ،

- انظر الإمام أبو الحسن الأشعري - الإبانة - تحقيق بشير عيون - مكتبة المؤيد - الطائف - الطبعة الثالثة ، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - (٣٤٥/١-٣٥٠) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مكتبة النهضة - الطبعة الثانية - ١٩٦٩ م ، و الشهرستاني - الملل والنحل - (٩٤/١) ، والدكتور عبد الرحمن المحمود - موقف ابن تيمية من الأشاعرة - الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ - مكتبة الرشد - (٣٧٧/١-٤٠٩) .

(١) مضت ترجمته .

(٢) انظر تقي الدين أحمد بن علي بن محمد المقريزي - الخطط - دار التحرير للطبع والنشر - ١٢٧٠هـ - (٣٥٨/١) .

(٣) هو أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي ، تقي الدين المقريزي مؤرخ الديار المصرية ، أصله من بعلبك ، نسبته إلى حارة المقارزة من حارات بعلبك في أيامه ، ولد عام ٧٦٦هـ وبها نشأ وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة ، من مؤلفاته كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ويعرف بخطط المقريزي والبيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب وغيرها ، توفي بالقاهرة عام ٨٤٥هـ .

انظر محمد بن علي الشوكاني ت١٢٥٠هـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٧٩/١) نشر دار الكتاب الإسلامي -مصر - القاهرة - بدون تاريخ ، وخير الدين الزركلي - الأعلام- (١٧٧/١) .

(٤) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق من ولد أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل ، أبو الحسن ، إليه تنسب الطائفة الأشعرية ، وكان في أول أمره معتزلياً ثم رجع عن قول المعتزلة توفي عليه رحمة الله سنة ٣٢٤ هـ ، وانظر التعليق السابق حول فرقة الأشاعرة .

انظر ابن عساكر - ت ٥٧١ هـ - تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري - (ص ٣٤) - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ١٣٩٩ هـ ، وابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٨٤/٣) .

(٥) انظر المقريزي - الخطط- (٣٥٨/٢-٣٦٠) - دار التحرير للطبع والنشر- ١٢٧٠هـ .

وبين الأشاعرة والمتكلمين من جهة أخرى ، إذ وقعت في دمشق الفتنة المذكورة بسبب الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي[1] ، فكسر منبر الحنابلة في الجامع الأموي بدمشق ، وتعطلت يومئذ صلاة الظهر في محراب الحنابلة وذلك سنة ٥٩٥هـ[2] ، وفي سنة ٦١٧ هـ نصب محراب الحنابلة بعد ممانعة من بعض الناس لهم ولكن ساعدهم بعض الأمراء في نصبه لهم[3] .

وفي مصر كانت الشتائم والسباب على المنابر بين الأشاعرة على يد الشهاب[4] الطوسي ، وبين الحنابلة على يد ابن نجية الحنبلي[5] وحدثت الفتن والمحن بسبب ذلك بين المسلمين .

وتألب جماعة من العلماء على السيف الآمدي وكتبوا به محضراً ونسبوه فيه إلى انحلال العقيدة ، وكتبت جماعة أخرى في الحافظ عبد الغني واتهمته بإفساد عقائد الناس[6] .

لقد ساعدت الظروف السياسية بما فيها من فوضى واضطراب على علو شأن العلماء ونفاذ كلمتهم عند السلاطين الذين كانوا في ذلك الوقت بأمس

---

(١) مضت ترجمته .

(٢) انظر ابن كثير – البداية والنهاية – (٢٣/١٣) .

(٣) انظر المصدر السابق – (٩٨/١٣) .

(٤) هو أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد الخرساني الطوسي شيخ الشافعية في زمانه ولد سنة ٥٢٢ هـ ، كان طوالاً مهيباً مقداماً ، قوالاً للحق جري لـه مع العادل وابن شكر قضايا عجيبة لما تعرضوا لأوقاف المدارس مات بمصر عام ٥٩٦ هـ .

انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء (٣٨٧/٢١) ، وابن تغري بردي – النجوم الزاهرة – (١٥٩/٦) وابن كثير – البداية والنهاية (٢٤/١٣) .

(٥) هو علي بن إبراهيم بن نجا الأنصاري الدمشقي الفقيه الواعظ المفسر ، زين الدين المعروف بابن نجيه ، ولد سنة ٥٠٨ هـ ، كان كبير القدر معظماً عند صلاح الدين ، من تلاميذه الشيخ عبد الغني المقدسي ، توفي سنة ٥٩٩ هـ .

انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٣٩٣/٢١) ، وابن رجب – ذيل طبقات الحنابلة – (٤٣٦/١) .

(٦) انظر الحافظ الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٤٦٣/٢١) .

الحاجة لجهودهم في محاربة الإتجاه الباطني[1] المتمثل في الدولة الفاطمية الإسماعيلية[2] في مصر ، كما أنهم بحاجة لهم أيضاً لتكوين جبهة داخلية متماسكة

---

(١) الباطنية لقب عام تنطوي تحته طوائف عديدة تلتقي جميعها في تأويل النصوص الظاهرة وإثبات معان باطنة لها ، وتلجأ إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص وإخراجها عن معانيها الظاهرة مستهدفين بذلك هدم الدين وإبطال شعائره وأحكامه العملية ، ويقول الغزالي في ذلك : « وأما الباطنية فإنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري مجرى اللب من القشر وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية ، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة وأن من تقاعد عن الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار ، واقتنع بظواهرها مسارعاً إلى الاغترار كان تحت الأواصر والأغلال مُعَنّى بالأوزار والأثقال . وأرادوا بالأغلال التكليفات الشرعية ، فإن من ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه ...الخ . وغرضهم الأقصى إبطال الشرائع ، فإنهم إذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى الباطن على حسب ما يوجب الإنسلاخ عن قواعد الدين ، وإذا سقطت الثقة بموجب الألفاظ الصريحة فلا يبقى للشرع عصام يرجع إليه ويعول عليه » ، وقد ذكر مؤرخو الفرق الإسلامية عدة ألقاب للباطنية ظهرت خلال التاريخ منها الإسماعيلية ، والقرامطة ، والخرمية ، والبابكية ، والمحمِّرة ، والسبعية ، والتعليمية ، والخرمدينية والزدكية ، والأغاخانية والدروز والبهرة ، والبامية ، والميمونية فهذه الحركات ترتبط فكريّاً وحركيّاً مع بعضها البعض ، وهي في النهاية واجهات مختلفة لمذهب واحد .

انظر أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني - ت ٥٤٨ هـ - الملل والنحل - (٢٢٨/١) وما بعدها - تحقيق عبد الأمير علي مهنا وعلي حسن فاعود - دار المعرفة - الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ -١٩٩٣م- بيروت - لبنان ، وعبد الرحمن بن الجوزي - ت ٥٩٨ هـ - القرامطة - (ص٣٥) تحقيق محمد الصباغ - منشورات المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية - ١٣٨٨ هـ -١٩٦٨ م ، وأبو حامد الغزالي ت ٥٠٥ هـ - فضائح الباطنية - (ص١١،١٢) - تحقيق وتقديم د/عبد الرحمن بدوي- مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت ، والدكتور صابر طعيمة - العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها - توزيع المكتبة الثقافية - الطبعة الثانية -١٤١١ هـ -١٩٩١م - بيروت - لبنان ، وأبو الهيثم- الإسلام في مواجهة الباطنية - دار الصحوة للنشر - الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م - القاهرة - مصر .

(٢) أحد فرق الباطنية كما تقدم وينتسب الإسماعيلية إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، ويعرف بإسماعيل الأعرج وهو أكبر أبناء جعفر الصادق رضي الله عنه ، وقد تفرعت هذه الطائفة من الشيعة الإمامية بعد موت جعفر الصادق عام ١٤٨هـ ، إذ أن من تسموا بالإسماعيلية لم يعترفوا بإمامة موسى الكاظم ، الإمام السابع للأثني عشرية ، وساقوا الإمامة بدلاً عنه إلى إسماعيل بن جعفر أو ابنه محمد وقد اتخذت هذه الحركة من التشيع ستاراً جمعت من خلفه قواها للهجوم -

تكون سنداً وعوناً لهم في منازلة الخطر الخارجي المتمثل بالغزو الصليبي .

فقد أثبتت التجارب أن الجهود السياسية والعسكرية للقضاء على الحركات الهدامة لـن تصل إلى غايتها المنشودة إلا إذا واكبتها حركة فكرية مضادة ، فالفكر لايحارب بأي حال من الأحوال إلا بفكر مثله ، لذلك حرص سلاطين ذلك الزمان على بناء المدارس في الأقاليم المختلفة ، وجلبُ الكتب إليها وتعيين العلماء فيها ، ففي عصر الوزير نظام[1] الملك بنيت عدة مدارس عن أمره في أغلب المدن الإسلامية التي تقع تحت سلطان الدولة السلجوقية .

وسميت هذه المدارس فيما بعد بالمدارس النظامية نسبة إليه[2] وأمتد أثر هذه المدارس إلى زمن الدولة النورية والأيوبية ، حيث تولى الكثير من خريجي هذه المدارس مناصب الفقهاء والإدارة والتدريس في ذلك العصر[3] .

= على الإسلام ثم ظهرت على حقيقتها عند قيام دولتهم الفاطمية أو العبيدية على يد أئمة فرقتهم الذين اثيرت حول نسبهم شكوك كثيرة ، حيث يرى بعض المؤرخين أن محمد بن إسماعيل لم يعقب ، وعليه فإن دعوى عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية أنه من نسل إسماعيل دعوى زائفة . وتهدف هذه الحركة إلى إبطال العقيدة الإسلامية وهدم أحكام الشرع الحنيف ، وتقوم عقائد هذه الطائفة على خليط من الفلسفة اليونانية ومن بعض المذاهب والنحل الشرقية كالثنوية والمجوس ، وحاولت مزج هذه الآراء ببعض التصورات الإسلامية للوجود والإلهية وربطت هذا كله بنظرية الإمامة عند الشيعة .

انظر الشهرستاني– الملل والنحل– (ص٢٢٦ وما بعدها) ، وعبد القادر بن طاهر البغدادي ت ٤٢٩هـ– الفرق بين الفرق – (ص٢٨٢–٢٨٥) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – طبع محمد علي صبيح – القاهرة – مصر ، أو حامد محمد الغزالي ت ٥٠٥ هـ – فضائح الباطنية – (ص٤٠–٤٢–٤٦) ، والإستاذ محمد كامل حسين – طائفة الإسماعيلية تاريخها نضمها وعقائدها – (ص١١–١٣) الطبعة الأولى ١٩٥٩م ، وحسن إبراهيم حسن – تاريخ الدولة الفاطمية– مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الثالثة – ١٩٦٤م – مصر ، وبرنارد لويس – أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرامطة – (ص٧٠–٧٨) ترجمة حكمت تلحوت – دار الحداثة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

(١) هو الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي عمل وزيراً في عهد السلطان ألب أرسلان وابنه ملكشاة ، وأحب العلم والعلماء فأنشأ المدارس العديدة في حواضر الدولة السلجوقية لإحياء الفكر السني وعرفت بالمدارس النظامية ، نفع الله بها نفعاً عظيماً .

انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان –(١٢٨/٢) وابن العماد – شذرات الذهب –(٣٧٣/٣) .

(٢) انظر ابن خلكان –وفيات الأعيان–(١٢٨/٢) وابن العماد– شذرات الذهب (٣٧٣/٣) .

(٣) انظر محمد بن الحسن الحجوي– الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي – تحقيق عبد العزيز القاري– الطبعة الأولى – المكتبة العلمية – المدينة المنورة ١٣٩٦هـ (ج٣،ق٣،ص٦٦) .

وفي عصر نور الدين زنكي لما اصطدمت جهوده التوحيدية بمناطق للنفوذ الشيعي في حلب ومصر ، قرر الركون إلى جهود العلماء مستفيداً من تجارب المدارس النظامية وقضائها على الفكر الشيعي الباطني فعندما استولى على حلب التي كانت معقلاً للشيعة الإمامية[1] وقلة من الإسماعيلية[2] ، بنى للشافعية ثلاث مدارس هي النفرية والعصرونية

---

(1) الشيعة الإمامية تطلق ويراد بها عدة فرق تتفق جميعها على جعل الإمامة القضية الأساسية والتي تدور معظم عقائدهم حولها وقد أجمعت الإمامية على القول بأن المستحق للخلافة بعد المصطفى عليه الصلاة والسلام هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولكنهم اختلفوا بعد ذلك إلى عدة فرق فمنهم من قال إن علياً رضي الله عنه استحق ذلك عن طريق ما ورد من الأوصاف في بعض الأحاديث والتي لا تنطبق إلا عليه ، وهم الزيدية ومنهم من قال باستحقاقه ذلك بالنص والتعيين بالإسم عن طريق الوصية وهم الرافضة ، وهؤلاء اتفقوا إلى إمامهم السادس جعفر الصادق ثم اختلفوا بعد ذلك فذهبت الإسماعيلية إلى القول بإمامة إسماعيل بن جعفر دون سواه وذهبت الإثنا عشرية إلى إمامة موسى الكاظم ابن جعفر ومن بعده إلى إمامهم الثاني عشر فسموا الإثنا عشرية الإمامية وفي الغالب إذا أطلقت الإمامية فالمقصود بها الإثنا عشرية ويسمون بالجعفرية نسبة إلى جعفر الصادق ، وتدور معظم عقائدهم حول الإمامة وما يتصل بها من عقائد أخرى كالعصمة لأئمتهم والقول برجعتهم بعد الغيبة والقول بمهدية محمد بن الحسن العسكري والتقيه ، وقد أدى بهم الأمر إلى سبيل إثبات هذه العقائد الزائفة إلى الطعن في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتجريح الصحابة رضوان الله عليهم والقول بردتهم وكفرهم .

انظر أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ت٣٢٤ هـ – مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين – (ص٦٥) تحقيق هلموت ريتر – الطبعة الثالثة –١٤٠٠هـ–١٩٨٠م . الشهرستاني – الملل والنحل – (١٨٩/١) ، وأبو المظفر الأسفراييني ت٣٧١هـ– التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الهالكين – (ص٢٩–٣٠) ، تحقيق كمال يوسف الحوت – عالم الكتب– الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣ م ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ – منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية –وشاه عبد العزيز الدهلوي – مختصر التحفة الإثني عشرية – ترجمه واختصره السيد محمود شكري الألوسي – تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب – الطبعة الثانية– ١٣٧٨هـ ، وإحسان إلهي ظهير– السنة والشيعة – إدارة ترجمان السنة – لاهور – باكستان – الطبعة الثانية –١٣٩٦هـ–١٩٧٦م .

(2) انظر ابن كثير – البداية والنهاية –(٢٧٨/١٢) وكمال الدين بن العديم – زبدة الحلب من تاريخ حلب – تحقيق سامي الدهان – المعهد الفرنسي للدراسات العربية – دمشق ١٩٥١م (٢٩٣/٢–٢٩٤) .

والشعيبية[1] وللأحناف المدرسة الحلاوية[2] ، وفي دمشق بنى لهم المدرسة النورية الكبرى وكذلك الصغرى وبنى للشافعية الصلاحية والعمادية والكلاسة[3].

وفي سنة ٥٧٢هـ أمر صلاح الدين الأيوبي ببناء مدرسة للشافعية عرفت باسم المدرسة الناصرية أو الصلاحية أو الشافعية ، وقد ولى التدريس بها جماعة من أكابر الأعيان[4].

وفي سنة ٦١٢ هـ شرع في بناء المدرسة العادلية في دمشق[5] ، وفي حماة كانت هناك المدرسة التقوية نسبة إلى الملك المظفر تقي الدين الذي بنى أيضاً المدرسة المعروفة بمنازل العز بمصر[6]، وهناك المدرسة العزيزية بدمشق[7]، وفي سنة ٦٣٠هـ افتتح الملك الأشرف دار الحديث الأشرفية[8]، وفوض أمر التدريس فيها إلى الشيخ ابن الصلاح .

وفي سنة ٥٨٩ هـ نقلت آلاف الكتب الحسنة إلى خزانة كتب المدرسة النظامية ببغداد وكان قد تم تجديدها في هذا العام[9] وقد أكثر خلفاء السلطان صلاح الدين الأيوبي من بناء المدارس في مصر والشام حتى بلغت زهاء تسعين مدرسة[10] ، ومن اللافت للنظر أن السلاطين والحكام في ذلك العصر يتولون الإشراف المباشر على المدارس التي يتم بناءها في عهودهم فلهم السلطة في تعيين المدرسين أو عزلهم ، وفي تحديد المدة العلمية التي سوف تدرس بتلك المدارس .

---

(١) انظر عبد القادر النعيمي – الدارس في تاريخ المدارس – (٣٩٨/١) .

(٢) انظر ابن العديم – زبدة الحلب من تاريخ حلب – (٦٥٧/٢) .

(٣) انظر النعيمي – الدارس في تاريخ المدارس– (٦٠٦/١–٦٤٨–٣٣١–٤٠٦–٤٤٧) .

(٤) انظر السيوطي – حسن المحاضرة – (٢٥٧/٢) .

(٥) انظر ابن كثير – البداية والنهاية – (٧٥/١٣) .

(٦) انظر عبد القادر النعيمي – الدارس في تاريخ المدارس – (٢١٦/١) وابن خلكان – وفيات الأعيان (٤٥٦/٣) .

(٧) انظر النعيمي – الدارس في تاريخ المدارس– (٣٨٢/١) .

(٨) انظر المصدر السابق (١٩/١) .

(٩) انظر ابن كثير – البداية والنهاية– (٧/١٣) .

(١٠) انظر – محمد الزبيدي – الإمامة للآمدي دراسة وتحقيق– (ص٣٩) .

الفصل الثاني :

حياة سيف الدين الآمدي

وفيه مباحث

المبحث الأول : نشأة سيف الدين الآمدي

المبحث الثاني : صفاته وأخلاقه

المبحث الثالث : شيوخه وأقرانه وتلاميذه

المبحث الرابع : طلبه للعلم ورحلاته

المبحث الخامس : ثقافته ومؤلفاته

المبحث السادس : أقوال العلماء فيه

المبحث الأول :
نشأة سيف الدين الآمدي

اسمه ولقبه وكنيته :

١ – اسمه :

علي بن أبي علي بن محمد بن سالم طبقاً لما ذكره أكثر من ترجموا له وخاصة من عاصروه أو تتلمذوا عليه .

ولما دون على كتبه التي نسخت في حياته كغاية المرام وأبكار الأفكار [١].

وقد أخطأ بعض أصحاب التراجم في اسمه : كالقفطي[٢] الذي سماه علي بن علي بن أبي علي[٣] ، وتبعاً لذلك أخطأ بعض المحدثين[٤].

---

(١) انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان (٢٩٣/٣) ، وابن أبي أصيبعة موفق الدين أحمد ابن القاسم ت ٦٦٨ هـ – عيون الأنباء في طبقات الأطباء شرح وتحقيق د/ نزار رضا – دار مكتبة الحياة – بيروت لبنان – ١٩٦٥م (ص ٦٥٠) ، والسيوطي حسن المحاضرة (٢٣٣/١) .

(٢) علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي أبو الحسن جمال الدين وزير مؤرخ من الكتاب ، ولد بقفط من الصعيد الأعلى بمصر سنة ٥٦٨ هـ ، وسكن حلب فولى بها القضاء في أيام الملك الظاهر ثم الوزارة في أيام الملك العزيز سنة ٦٣٣ هـ ، وأطلق عليه لقب «الوزير الأكرم» جماعاً للكتب محباً لها ، تساوي مكتبته خمسين ألف دينار في ذلك الزمان من تصانيفه إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، وإنباه الرواه على أنباة النحاة وغيرها ، لم يكن له دار ولا زوجة ، توفي بحلب سنة ٦٤٦ هـ .

انظر ياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ ، وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب والمعروف بمعجم الأدباء (٢٠٢٢/٥) تحقيق د/ إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى – ١٩٩٣ م – بيروت – لبنان ، ومحمد راغب الطباخ الحلبي ت ١٣٧٠هـ ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء – (٣٨٧/٤) صححه وعلق عليه محمد كمال – دار القلم – الطبعة الثانية – ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م – حلب سوريا – وابن العماد – شذرات الذهب – (٢٣٦/٥) .

(٣) انظر القفطي ت ٦٤٦ هـ – إخبار العلماء بأخبار الحكماء – (ص ١٦١) طبع في القاهرة ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م .

(٤) انظر مجلة المشرق – بيروت ١٩٥٤م – عدد ٢ – مجلد ٨٤ – (ص ١٦٩) صورة ملحقه في آخر كتاب المبين تحقيق الدكتور الأعسم – نشر فيها كوتش وأغناطيوس عبده خليفة اليسوعيان مخطوطة مبتورة الآخر لكتاب الآمدي المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين ، وقد أثبتا اسم الآمدي غلطاً تبعاً للقفطي وغيره .

٢- كنيته :

ويكنى (أبا الحسن) وقد أجمعت المصادر التي اطلعت عليها[١] على نسبة هذه الكنية للآمدي ، غير أن تلميذه سبط ابن الجوزي انفرد بذكر كنية أبي القاسم لشيخه ، وخالف بذلك من ترجموا[٢] له .

٣- لقبه :

وقد اشتهر بلقب سيف الدين أو السيف اختصاراً[٣] ، قال فخر القضاة ابن بصاقة[٤] وكان نديماً للآمدي في مدحه :

ولا تكله إلى كتب تنبئه

فالسيف أصدق أنباءً من الكتب[٥]

نسبته :

يقال الآمدي نسبة إلى موطنه الأصلي ، وبالشافعي ، وبالحنبلي ثم الشافعي نسبة إلى مذهبه الفقهي[٦] .

وينسب أيضاً بالتغلبي ، أو بالثعلبي نسبة إلى قبيلته ، وقد اضطربت

---

(١) منها طبقات الشافعية للسبكي - (٣٠٦/٨) ، وابن العماد - شذرات الذهب (١٤٤/٥) ، والحافظ الذهبي - العبر في خبر من غبر - (٢١٠/٣) ، وابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٩٣/٣) .

(٢) انظر سبط ابن الجوزي - مرآة الزمان (٤٥٧/٨) .

(٣) انظر الذهبي - العبر - (٢١٠/٣) ، وسبط ابن الجوزي - مرآة الزمان (٤٥٧/٨) ، والقفطي - إخبار العلماء - (ص ١٦١) .

(٤) انظر ترجمته في المبحث الثالث - أقرانه (ص ٦١) .

(٥) انظر ابن أبي أصيبعة - عيون الإنباء - (ص ٦٥١) ، وقد علق المصنف على هذا البيت بقوله : ((وقد جاء هذا البيت أحسن ما يكون من تضمين قول أبي تمام لاشتراك لفظة السيف)) المصدر السابق .

(٦) انظر الذهبي - العبر - (٢١٠/٣) ، وصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤ هـ الوافي بالوفيات - (٣٤٠/٢١) باعتناء محمد الحجيري - الطبعة الثانية - ١٤١١ هـ - ١٩٩١م يطلب من دار النشر فرانز شتاين شتوتغارت - طبع بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت - نشر دار صادر - بيروت - لبنان .

المراجع وانقسمت في نسبته إلى قبيلته فبعضها نسبه إلى قبيلة تغلب[1] بالتاء المثناة ثم الغين فقال : « التغلبي »[2]، وبعضها الآخر نسبة إلى قبيلة ثعلب بالثاء المثلثة ثم العين المهملة فقال : « الثعلبي »[3].

وتبعاً لذلك ترددت المراجع الحديثة في أمر هذه النسبة ، فبعضهم نسبه إلى بني تغلب[4] ، والبعض إلى بني ثعلبة[5] ، والبعض الآخر جوز أن تصح النسبتان[6] ، حيث أن بني ثعلبة يرجع نسبهم إلى تغلب وهم : بنو ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم من تغلب[7] ، فتكون نسبته إلى تغلب من باب النسبة إلى القبيلة الأم ، وإلى ثعلب من باب النسبة إلى البطن المتفرع من القبيلة الأم ، لذا فالأظهر أن تصح النسبتان ، ويقال في نسبته البغدادي ثم المصري ثم الحموي ثم الدمشقي نسبة إلى سكناه وتوطنه لهذه البلاد إلاّ أنّه اشتهر بالنسبة إلى آمد فيقال الآمدي .

---

(١) تغلب أبو القبيلة المعروفة وهو تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى من بني عدنان .
انظر ابن منظور – لسان العرب – (٦٥٢/١) ، وأحمد بن محمد القرطبي ت في حدود ٥٠٥ هـ – التعريف بالأنساب والتنويه لذوي الأحساب (ص ١١٥-١١٦) تحقيق وتعليق د/ سعد عبد المقصود ظلام – طبع بمطابع شركة الأمل للطباعة والنشر – دار المنار .

(٢) انظر ابن أبي أصيبعة ت ٦٦٨ هـ – عيون الانباء في طبقات الأطباء – شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا – (ص ٦٥٠) دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – ١٩٦٥ م ، وابن خلكان – وفيات الأعيان – (٢٩٣/٣) ، وصلاح الدين الصفدي – الوافي بالوفيات – (٣٤٠/٢١) .

(٣) الحافظ ابن كثير – البداية والنهاية – (١٥١/١٣) والسبكي – طبقات الشافعية (٣٠٦/٨) ١٩٦٥م – وعبد الله بن أسعد اليافعي ت ٧٦٨ هـ – مرآة الجنان وعبرة اليقظان (٧٣/٤) الطبعة الأولى ١٣٣٧ هـ – دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد الدكن – الهند .

(٤) انظر د/ أحمد المهدي محمد المهدي – أبكار الأفكار للآمدي تحقيق ودراسة – (ص ٤٥) ، و د/ عبدالأمير الأعسم – الفيلسوف الآمدي – (ص ١٥) دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى – بيروت – لبنان – ١٩٨٧م – ١٤٠٧ هـ .

(٥) انظر د/ حسن محمود عبد اللطيف – غاية المرام للآمدي – تحقيق ودراسة – طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة – مصر – ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م (ص ٨) .

(٦) انظر الأستاذ / محمد الزبيدي – الإمامة من أبكار الأفكار للآمدي – تحقيق ودراسة الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م – دار الكتاب العربي – بيروت لبنان (ص ١٦) .

(٧) انظر ابن حزم الأندلسي – جمهرة أنساب العرب – (ص ٣٠٤) – تحقيق محمد عبد السلام هارون – دار المعارف – مصر – ١٣٨٢ هـ – الطبعة الخامسة .

مولده وموطنه :

ولد سيف الدين الآمدي سنة ٥٥١ هـ كما ينص على ذلك كثير من تلاميذه وممن ترجموا له[1]، وتابعهم في ذلك كثير من أصحاب المراجع الحديثة[2] ، التي حددت ميلاده على وجه التحديد بسنة ٥٥١ هـ ، في حين نجد أن هناك بعض المصادر لم تذكر تاريخ ميلاده على وجه الدقة ، وإنما ذكرت أنه ولد بعد سنة ٥٥٠ هـ [3].

والأرجح أنه ولد في سنة ٥٥١ هـ حيث تذكر تراجم تلاميذه والمقربين إليه ذلك ، أما عن مسقط رأسه ففي مدينة آمد ، وتقع هذه المدينة في أعالي منطقة الجزيرة شمالي العراق ويحيط بها نهر دجلة وتعرف مع ما يحيط بها بمنطقة ديار بكر ، وهي الآن جزءٌ من تركيا حيث يسميها الأتراك اميده ، وقرة آمد[4] ، وهي من أعظم ديار بكر وأجلها قدراً ، وأشهرها ذكراً ، حيث كان لهذه المدينة شأن في التاريخ ، تعاقب على حكمها الفرس والروم ، وبقيت تحت النفوذ الروماني إلى أن فتحها المسلمون في سنة عشرين من الهجرة ، في زمن خلافة أمير المؤمنين

---

(١) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان (٢٩٤/٣) ، والأسنوي - طبقات الشافعية - (١٣٧/١) تحقيق عبدالله الجبوري - دار العلوم ١٤٠١ هـ - وابن كثير - البداية والنهاية - (١٥١/١٣) ، وصلاح الدين الصفدي - الوافي في الوفيات - (٣٤٠/٢١) .

(٢) انظر خير الدين الزركلي - الأعلام - (٥٣/٥) الطبعة السابعة ١٩٨٦م - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ، ومحمد فريد وجدي - دائرة معارف القرن العشرين - (٥٦٨/١) - دار المعرفة - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة ، بروكلمان - تاريخ الأدب العربي - (٣٩٣/٢) ترجمة النجار - دار المعارف ، وإسماعيل باشا البغدادي - هدية العارفين - (٧٠٧/١) طبع استانبول - تركيا -١٩٥٥ م ، وعمر كحالة - معجم المؤلفين (٤٧٩/٢) ، ودائرة المعارف الإسلامية - (١٠٢/١) - عمل جماعة من المستشرقين - أعد النسخة العربية إبراهيم خورشيد وآخرين - طبعة الشعب - مصر .

(٣) انظر القفطي - إخبار العلماء - (ص ١٦١) ، ومختصره لابن الزوزني المعروف بتاريخ الحكماء (ص ٢٤٠) الناشر مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر ، والإمام الذهبي - العبر في خبر من غبر - (٢١٠/٣) ، وابن العماد ، شذرات الذهب - (١٤٤/٥) .

(٤) انظر بطرس البستاني - دائرة المعارف - (١٧٦/٨) دار المعرفة - بيروت - لبنان .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه [(1)]، بقيادة خالد بن الوليد [(2)]، وعياض بن غنم [(3)]، رضي الله عنهم أجمعين ، صلحاً [(4)]، ويقال أنها سميت بآمد نسبة

---

(1) هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، أبو حفص ، ثاني الخلفاء الراشدين وأول من لقب بأمير المؤمنين ، الصحابي الجليل ، الشجاع الحازم ، ضرب بعدله الأمثال ، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين ، وأعز الله به الإسلام ، ولد سنة ٤٠ ق هـ ، وتوفي عليه رحمة الله بعد أن طعنه عدو الله أبو لؤلؤة المجوسي عليه لعنة الله ، غيلة سنة ٢٣ هـ .

انظر أبونعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ - معرفة الصحابة - (١٨٩/١ وما بعدها) تحقيق ودراسة الدكتور محمد راضي - مكتبة الدار المدينة النبوية - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، وابن الجوزي ت ٥٩٨ هـ - عمر بن الخطاب - تحقيق د/ زينب القاروط - الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ووكيع بن خلف ت ٣٠٦ هـ - أخبار القضاة - (١٠٥/١) عالم الكتب - بيروت لبنان ، وعبد الرحمن الشرقاوي - الفاروق عمر - دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ ١٩٨٨ م بيروت لبنان .

(2) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي ، سيف الله المسلول ، صحابي جليل ، أسلم قبل الفتح ، وولاه عليه الصلاة والسلام الخيل ، وفي عهد الصديق رضي الله عنه تولى قيادة جيوش الردة وفتح العراق والشام ، وكان مظفراً خطيباً فصيحاً ، توفي عليه رحمة الله بحمص وقيل بالمدينة سنة ٢١ هـ .

انظر الحافظ ابن حجر ت ٨٥٢ هـ - الإصابة في معرفة الصحابة - (٧٠/١ وما بعدها) تحقيق د/ طه الزيني - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - مصر - ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م ، وابن عبد البر ت ٤٦٣ هـ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب - (١١٤٤/٣ وما بعدها) تحقيق علي محمد البيجاوي - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ -١٩٩٣ م - دار الجيل بيروت لبنان .

(3) هو عياض بن غنم بن زهير الفهري ، صحابي جليل ، قائد شجاع ، أسلم قبل الحديبية وشهد بدراً ، وغيرها من الغزوات ، فتح بلاد الجزيرة ، وفاته بالشام أو المدينة وله ستون سنة عام ٢٠ هـ .

انظر أبو الحسن عز الدين بن الأثير ت ٦٣٠ هـ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - (١٠٩/٢-١١٢) تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرون - طبع دار الشعب ١٣٩٠ هـ ، وابن زبر الربعي ت ٣٧٩ هـ - تاريخ مولد العلماء ووفاتهم (١٠٧/١) تحقيق د/ عبد الله الحمد - دار العاصمة - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ ، وخليفة بن خياط ت ٢٤٠ هـ - تاريخ خليفة بن خياط - (ص ١٤٧) تحقيق د/ أكرم العمري - دار طيبة - الرياض - الطبعة الثانية - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

(4) انظر أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري - فتوح البلدان - (ص ٢٤٢) - تحقيق عبد الله وعمر أنيس الطباع - مؤسسة المعارف - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م بيروت - لبنان .

إلى من اختطها وهو آمد بن البلندي بن ذكر [1]، وكانت المدينة عند مولد الآمدي تحت حكم الأسرة الأرتقية [2]- وهي أحد فروع السلاجقة التي ظلت تحكم آمد وما حولها ، إلى أن قضى الملك الأيوبي الكامل على حكمهم سنة ٦٣١ هـ أي قبل وفاة الآمدي بأشهر قليلة .

وإلى آمد ينسب كثير من أهل العلم في كثير من الفنون قبل الآمدي وبعده [3]، أشهرهم :

١- أبوالقاسم الحسن بن بشر الآمدي الأديب ، من تصانيفه المؤتلف والمختلف ، توفي سنة ٣٧٠ هـ [4].

٢- أبو الحسن علي بن محمد البغدادي الآمدي الحنبلي ، من تصانيفه عمدة الحاضر وكفاية المسافر ، في الفقه ، توفي سنة ٤٦٧ هـ [5].

---

(١) انظر ياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ - معجم البلدان - (٧٦/١ هامش ١) - تحقيق فريد عبد العزيز الجندي - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(٢) سميت الأسرة التي حكمت آمد زمن الآمدي بالأسرة الأرتقية نسبة إلى أرتق بن أكسب الذي أسس ما سميَّ فيما بعد بأتابكية ديار بكر ، وضمت آمد إلى سلطة هذه الأسرة ، مكافأة من السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله ، وذلك على حسن طاعتهم ، انتهى ملك هذه الأسرة على يد الملك الكامل ، وآخر ملوكها هو الملك مسعود بن محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق بن أكسب .

انظر ياقوت الحموي - معجم البلدان - (٥٧/١) ، ومحمد بن علي طباطبا - الفخري في الآداب السلطانية - (ص ٢٩٢) - بيروت - لبنان - ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ، وابن الأثير - الكامل في التاريخ - (٤٧٣/١-٤٧٤) .

(٥) انظر عبد الكريم بن محمد التميمي المشهور بالسمعاني ٥٦٢ هـ - الأنساب - (٦٦/١) تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي - دار الجنان - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - بيروت - لبنان ، وياقوت الحموي - معجم البلدان (٥٧/١) ، وعمر كحالة - معجم المؤلفين (٥٤١/١ ، ٤٧٩/٢) .

(٦) انظر ياقوت الحموي - معجم الأدباء - (٧٥/٨) - ومعجم البلدان - (٥٧/١) ، وجمال الدين القفطي - إنباه الرواة على أنباء النحاة - (٢٨٥/١) ، وعمر كحالة - معجم مصنفي الكتب العربية - (١٤٦) مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - بيروت - لبنان .

(٧) انظر ابن رجب ذيل طبقات الحنابلة - (٨/١) ، حاجي خليفة - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - مكتبة المثنى - بغداد (١١٦٦) .

أسرته :

أما عن أسرته ومكانتها الاجتماعية ، فالراجح أنها كانت أسرة متواضعة لا تتميز بتفوق خاص من الناحية العلمية أو السياسية .

والدليل على ذلك أن المصادر التي ترجمت للآمدي لم تذكر شيئاً عن أسرته ألبته ، فلو كانت ذات مكانة عالية مرموقة لنسب إليها والحاصل أنه نسب إلى بلده ولم ينسب إلى أسرته [1].

أما عن حياته الخاصة فلا نكاد نعرف عنه إلاّ ما أشار إليه ابن أبي أصيبعة وهو أحد تلاميذه الذين كانوا يترددون عليه في بيته بدمشق من أنه تزوج وأنجب ولداً يدعى « محمد » ويلقب « جمال الدين » .

حيث ذكر أنه التقى به وأنشده جمال الدين شعراً لأبيه سيف الدين الآمدي في مدح صديقه أمير حماة المنصور بن تقي الدين [2].

والذي يظهر أن جمال الدين بن سيف الدين الآمدي لم يكن من طبقة العلماء وإلاّ لاشتهر اسمه وذاع صيته خاصة وأن أباه من كبار العلماء .

وفاته عليه رحمة الله .

اختلف المورخون في تاريخ وفاته ، هل هو في سنة ٦٣٢ هـ ، أو في سنة ٦٣١ هـ؟ فقد ذهب الإمام الذهبي [3] إلى أن سنة وفاة الآمدي كانت في

---

(١) انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان – (٢٩٣/٣) ، وابن حجر – لسان الميزان – (١٣٤/٣) ، والذهبي – سير أعلام النبلاء – (٣٦٤/٢٢) .

(٢) انظر ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء – (ص ٦٥١) .

(٣) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي ، المحدث الحافظ ، مؤرخ الإسلام ، له مؤلفات عظيمة ، منها سير أعلام النبلاء ، وتاريخ الإسلام ، والعلو للعلي الغفار ، وغيرها كثير ، توفي عليه رحمة الله سنة ٧٤٨ هـ .

انظر أبو العباس المكناسي بن القاضي ت ١٠٢٥ هـ – ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال – (٢٥٦/٢-٢٥٨) تحقيق د/ الأحمدي أبو النور – دار التراث – الطبعة الأولى – ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م – مصر – القاهرة – ، والحافظ ابن حجر ت ٨٥٢ هـ – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة – (٣٣٦/٣-٣٣٨) دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – بدون تاريخ ، ومحمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ – البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع – (١١٠/٢-١١٢) دار الكتاب الإسلامي – القاهرة – مصر – بدون تاريخ .

عام ٦٣٢ هـ [١]، وتابعه في ذلك صاحب لسان الميزان الذي نقل نص كلام الذهبي في الميزان [٢]، إلاَّ أن الذهبي عدل عن ذلك في سير أعلام النبلاء وأرخ وفاة الآمدي في سنة ٦٣١ هـ [٣]، وهو الصواب بإذن الله ، لأن من عاصروا الآمدي ومنهم تلاميذه قد أجمعوا على أن وفاته كانت في سنة ٦٣١ هـ [٤].

وقد اتفق جميع من ترجموا للآمدي أن وفاته كانت في شهر صفر ، ولكنهم اختلفوا في يوم وفاته ، فالأكثر على أن يوم وفاته هو الرابع من شهر صفر من سنة ٦٣١ هـ[٥]، بينما البعض الآخر ذهب إلى أن ذلك حدث في الثالث من صفر[٦].

وقد جمع بين القولين صاحب التكملة لوفيات النقلة ، بأن وفاته كانت في الثالث من شهر صفر وقت صلاة المغرب ، ودفن من الغد في اليوم الرابع من صفر [٧].

ولما مات عليه رحمة الله توقف الأكابر والعلماء بدمشق عن حضور جنازته خوفاً من الملك الأشرف [٨]، إذ كان متغيراً عليه ، فخرج الإمام العز بن عبد السلام [٩]- وهو من أخص تلاميذه - في جنازته ، وجلس تحت قبة النسر حتى صلى عليه ، فلما رأى الناس ذلك بادروا بالصلاة عليه [١٠].

---

(١) انظر الذهبي - ميزان الاعتدال - (٢/٢٥٩) تحقيق علي محمد البجاوي - دارة المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

(٢) انظر ابن حجر - لسان الميزان - (٣/١٣٤) .

(٣) أنظر الذهبي - سير أعلام النبلاء - (٢٢/٣٦٥) .

(٤) انظر ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء - (ص ٦٥١) ، وابن خلكان - وفيات الأعيان - (٣/٢٩٤) .

(٥) انظر ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء - (ص ٦٥١) ، والذهبي - سير أعلام النبلاء - (٢٢/٣٦٥) . وابن خلكان - وفيات الأعيان - (٣/٢٩٤) .

(٦) انظر الأسنوي - طبقات الشافعية - (١/١٣٨) .

(٧) انظر عبد العظيم المنذري ت ٦٥٦ هـ - التكملة لوفيات النقلة - (٣/٣٥٩) تحقيق د/ بشار عواد معروف - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية - ١٤٠١هـ ١٩٨١م - بيروت - لبنان .

(٨) مضت ترجمته .

(٩) انظر ترجمته في المبحث الثالث - تلاميذه (ص ٦٢) .

(١٠) انظر صلاح الدين الصفدي - الوافي بالوفيات - (٢١/٣٤٥) .

ثم دفن بعد ذلك بسفح جبل قاسيون [1].

وقد بكاه محبوه وتلاميذه ، وعارفوا فضله ، وقيل فيه المراثي .

وكانت السماء عند دفنه عليه رحمة الله قد جادت بمطر عظيم ، فقال في ذلك أحد محبيه وهو نجم الدين بن إسرائيل [2]:

بكت السماء عليه عند وفاته ... بمدامع كاللؤلؤ المنثور

وأظنها فرحت بمصعد روحه ... لما سمت وتعلّقت بالنور

أَوَليس دمع الغيث يهمي بارداً ... وكذا تكون مدامع المسرور[3]

ويقول ابن خلكان[4] - أحد تلاميذه - حضرنا في بستان للشيخ سيف الدين بأرض المزة بدمشق بعد موته مع جماعة من أصحابه ، وفينا نجم الدين ابن إسرائيل ، فكتب على سارية تحت عريش ، كان كثيراً ما يجلس الشيخ سيف الدين رحمه الله إليها حين يُقرأ عليه العلم : [من السريع]

يامربعاً قلبي له مربع ... جاءك غيث أبداً يهمَعُ

عهدي بمغناك وفي أفقه ... شمس المعالي والحجى تطلع

وكنت غِمد السيف حتى قضى ... والغِمد بعد السيف لا يقطع[5]

وكان عمره عند وفاته ثمانين عاماً ، وبذلك طوى الثرى جسد هذا العالم الذي لا ظالما ، انتفع بعلمه الكثير من الناس في حياته وبعد مماته ، اللهم ارحم الآمدي رحمة واسعة ، وتجاوز عنا وعنه يوم العرض عليك إنك جواد كريم وبالإجابة قدير .

---

(١) قاسيون جبل يشرف على مدينة دمشق ، فيه عدة مغارات ، وفيها آثار الأنبياء وكهوف ، يقال أن قابيل قتل أخاه هابيل في إحدى مغاراته تسمى مغارة الدم .

انظر ياقوت الحموي - معجم البلدان - (٤/٢٩٥-٢٩٦) .

(٢) انظر ترجمته في المبحث الثالث - (ص ٦٦) .

(٣) انظر صلاح الدين الصفدي - الوافي بالوفيات - (٢١/٣٤٥) .

(٤) انظر ترجمته في المبحث الثالث - (ص ٦٥) .

(٥) انظر الصفدي - الوافي بالوفيات - (٢١/٣٤٤-٣٤٥) .

المبحث الثاني :

صفاته وأخلاقه

المبحث الثاني : صفاته وأخلاقه :

وهب الله الآمديَّ صفات فذة امتاز بها عن أقرانه من العلماء حتى عد واحداً من أذكياء العالم ، فعند مراجعة كتب التراجم نستطيع إجمال صفات الآمدي في النقاط التالية :

١- رقة القلب : فقد كان رقيق القلب سريع الدمعة ، كثير البكاء [1].

٢- سلامة الصدر وقلة التعصب : فقد كان الآمدي خير الطباع حسن الأخلاق ، ابتلي فصبر ، وأوذي فغفر [2]، حسده جماعة من الفقهاء ورموه بالانحلال وسوء الإعتقاد ، لَّما رأوه قد فاقهم في العلوم العقلية فخرج مستخفياً من مصر إلى الشام .

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغياً إنه لدميم[3]

ولما نادى الأشرف في المدارس : من ذكر غير التفسير والفقه والحديث نفي من البلد ، رضي بالعزلة ولازم بيته حتى توفي على تلك الحال [4]، عليه رحمة الله .

وقد كان لين الجانب ، متواضعاً لتلاميذه ، مكرماً لهم ، وقد اشتغل عليه جماعة من شتى المذاهب ولم يجعله كونه شافعياً أن يتعصب إلى الشافعية ، بل

---

(١) انظر الذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٦٥/٢٢) ، وابن كثير - البداية والنهاية - (١٥١/١٣) ، والخوانساري - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات (ص ٤٦٨) - صححه وفهرسة السيد محمد علي ، وسعى في طبعه الحاج سيد سعيد الطباطبائي - الطبعة الثانية - ١٣٤٧ هـ .

(٢) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - (١٥١/١٣) ، والخوانساري - روضات الجنات (٤٦٨) ، وعبد الله المراغي - الفتح المبين في طبقات الأصوليين - (٥٧/٢) - الطبعة الثانية - الناشر محمد أمين دمج وشركاه - ١٣٩٤ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(٣) انظر المصادر السابقة، وقد أورد صاحب لسان العرب هذه الأبيات في كتابه (٢٠٨/١٢) .

(٤) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٩٤/٣) ، وابن كثير - البداية والنهاية (١٥١/١٣) ، وابن القفطي - تاريخ الحكماء - وهو المسمى مختصر الزوزني - (ص ٢٤١) - الناشر مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر .

وقد كان لين الجانب ، متواضعاً لتلاميذه ، مكرماً لهم ، وقد اشتغل عليه جماعة من شتى المذاهب ولم يجعله كونه شافعياً أن يتعصب إلى الشافعية ، بل كان على العكس من ذلك ، حتى قيل له : يا مولانا نراك تؤثر الحنابلة وتزيد من الإحسان إليهم ، فقال على سبيل المزاح :

« المرتد لا يحب كسر المسلمين » [(١)]، يعني أنه كان على مذهب الإمام أحمد بن حنبل [(٢)].

ويذكر أن بعض الفضلاء حضر درسه ، وجعل دأبه الاستماع والانتفاع ، وترك الجدل والقيل والقال ، فقال له سيف الدين الآمدي : لم لا تشرفنا وتشنّف أسماعنا بفوائدك وفرائدك فأنشد مجيباً :

وفي حينا نحن الموالي لأهله ... وفي حيٍّ ليلى نحن بعض عبيدها

فدعا له سيف الدين وبجله وكرّمه [(٣)].

هكذا كان سيف الدين الآمدي يتعامل مع تلاميذه ومع أقرانه من العلماء يتحبب إلى الطلاب بكل تواضع ويحسن معاملتهم ويبالغ في إكرامهم ويحترم أهل العلم والفضل ، ويعرف لهم مكانتهم متغاضياً عن زلات بعضهم ،

---

(١) انظر الخوانساري – روضات الجنات – (ص ٤٦٨) .

(٢) أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني ، إمام أهل السنة والجماعة ، وأحد الأئمة الأربعة وإليه ينسب المذهب الحنبلي ، أصله من مرو ، ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ ، ثبت للناس في فتنة خلق القرآن فعُذب لأجل إمتناعه عن القول بخلق القرآن ، فكان الصديق الثاني ، توفي عليه رحمة الله سنة ٢٤١ هـ .

انظر ابن الجوزي ت ٥٩٨ هـ – مناقب الإمام أحمد – والحافظ ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ – تهذيب التهذيب – (٧٢/١-٧٦) الطبعة الأولى – مطبعة دائرة المعارف النظامية – حيدر آباد الدكن – الهند – ١٣٢٥ هـ ، وجمال الدين المزي ت ٧٤٢ هـ – تهذيب الكمال في أسماء الرجال – (٢٢٦/١) مراجعة وتحقيق د/ سهيل زكار ، وأحمد علي عبيد ، وحسن أحمد آغا – دار الفكر للنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ، والإمام الذهبي ت ٧٤٨ هـ – تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام – حوادث ووفيات سنة ٢٤١ – ٢٥٠ هـ (ص ٥) تحقيق د / عمر عبد السلام تدمري – الطبعة الأولى ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م ، دار الكتاب العربي – بيروت لبنان .

(٣) انظر الخوانساري – روضات الجنات – (ص ٤٦٨) .

٣- قوة الذاكرة وسرعة الحفظ :

حفظ كتاب المستصفى للغزالي[(١)] في أيام يسيرة ، وذلك بعد أن رأى في منامه الغزالي في تابوت فكشف عن وجهه وقبّله فلما انتبه أراد أن يحفظ شيئاً من كلامه ، فحفظ المستصفى في أيام يسيرة ، وكان يحفظ الوسيط للغزالي ، وإذا غيَّر منه لفظ كان لفظه أمسَّ بالمعنى من لفظ مولفه ، لذلك كان حقاً في عداد أذكياء العالم المعدودين [(٢)].

٤- الصبر :

تعرض الآمدي للأذى والإبتلاء طوال سني حياته ومنع من التدريس وقُطع عليه أجره وأُتهم في دينه وعقيدته ، فقابل تلك الأمور بالصبر والتحمل .

وفي سبيل العلم والتعليم استسهل مشاق السفر وصعابه وتنقل من آمد إلى بغداد ، ومن بغداد إلى الشام [(٣)]، ثم إلى مصر ومنها إلى الشام ، ولا شك أن من تحمل مثل هذه المصاعب لا يكون إلاّ على درجة عالية من الصبر والجلد والمثابرة .

٥- العقلية الفذة والذكاء المتوقد :

جمع سيف الدين الآمدي بين قوة الحفظ وقوة الفهم ، وهذا فيه دلالة على كمال ذهنه ، وقد ساعد ذلك الآمدي في توجهه نحو العلوم العقلية ، فتميز في علم المعقولات والمنطق والكلام .

قال الحافظ الذهبي :

« وهذا يدل على كمال ذهنه ... وبكلٍّ فقد كان السيف غاية ،

---

(١) أبوحامد الغزالي الطوسي ، فيلسوف متكلم متصوف ، ولد في الطابران سنة ٤٥٠ هـ ، له نحو مئتي مصنف منها إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة ، توفي سنة ٥٠٥ هـ .

انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٤٦٣/١) ، وابن العماد - شذرات الذهب - (١٠/٤) .

(٢) انظر السبكي - طبقات الشافعية الكبرى - (٣٠٦/٨) ، والخوانساري - روضات الجنات - (٤٦٨) ، وابن قاضي شهبة - طبقات الشافعية - (٧٩/٢) - عناية الدكتور الحافظ عبد العليم خان - ورتب الفهارس الدكتور عبد الله أنيس الطباع - الطبعة الأولى - عالم الكتب - بيروت - لبنان .

(٣) انظر رحلاته العلمية - (ص ٧٥) .

قال الحافظ الذهبي :

« وهذا يدل على كمال ذهنه ... وبكلٍّ فقد كان السيف غاية ، ومعرفته بالمعقول نهاية » [1].

وقد انخدع الكثير ممن التقوا بالحكيم السهروردي [2]، بقوة حجته وفصاحة لسانه ، ولما اتصل به الآمدي سُئل عنه فقال :

« وجدته كثير العلم قليل العقل » [3].

وفي هذا دلالة واضحة على أن الآمدي كان ذا عقل ورجاحة مع ذكاء حاد ومعرفة ثاقبة بالرجال .

قال عنه تلميذه ابن أبي أصيبعة [4]:

« كان أذكى أهل زمانه لذلك حسده أقرانه وتألبوا عليه » [5].

٦- الميل إلى الراحة وحب السعة [6]:

ولعل هذا هو السبب في تزلفه للحكام وتقربه إليهم ، فقد ألف للملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين الأيوبي ، أول كتاب ألفه الآمدي في مصر وهو « خلاصة الإبريز تذكرة الملك العزيز » في العقائد [7]، ولتلميذه الملك المنصور صاحب حماة [8]، ألف كتاب كشف التمويهات في شرح التنبيهات [9]، وفي دمشق ألف كتابه الكبير في أصول الأحكام وأهداه للملك عيسى بن الملك العادل بن أيوب .

---

(١) الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٣٦٦/٢٢) .

(٢) انظر ترجمته في المبحث الثالث – شيوخ الآمدي (ص ٥٦) .

(٣) الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٢١١/٢١) .

(٤) انظر ترجمته في المبحث الثالث – تلاميذه – (ص ٦٥) .

(٥) ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء (ص ٦٥٠) .

(٦) انظر الخوانساري – روضات الجنات – (ص ٤٦٨) ، وخليل الدين الصفدي – الوافي بالوفيات – (٣٤٤/٢١) .

(٧) انظر المبحث الخامس : ثقافته ومؤلفاته : (ص ٩٨) .

(٨) انظر ترجمته في المبحث الثالث – تلاميذه (ص ٦٢) .

(٩) انظر المبحث الخامس ثقافته ومؤلفاته : (ص ١٠٧) .

علمائها في علم القراءات ، والفقه الحنبلي [1].

ولما كانت بغداد قبلة العلم والعلماء وحاضرة الخلافة العباسية في ذلك الوقت ، ارتحل إليها الآمدي ، وتعلم بها علوم القراءات ، والخلاف والفقه الشافعي [2]، بعد أن ترك المذهب الحنبلي .

وفي سنة ٥٨٢ هـ انتقل إلى بلاد الشام ، وتعلم بها العلوم العقلية وعمره إذ ذاك إحدى وثلاثون سنة ، ومكث بها عشر سنوات [3]، ثم انتقل إلى مصر سنة ٥٩٢ هـ ، ودرَّس بها ، فاجتمع عليه بعض العلماء وكتبوا به محضراً ونسبوه إلى فساد العقيدة فخرج من مصر مستخفياً إلى حماة [4].

وأقام في حماة حتى سنة ٦١٧ هـ ، ومنها انتقل إلى دمشق[5] حيث تولى التدريس بها ، ومكث بها حتى وافته المنيـة بعد عزله عن التدريس عليه رحمة الله [6].

والملاحظ أن بعض تنقلاته وأسفاره كانت في طلب العلم وبعضها كان خوفاً من الفتنة ، وبعضها كان طمعاً في منصب وسوف يتضح لنا ذلك كما سيأتي [7].

٨- من صفاته الخلقية :

أنه كان بهي الصورة ، جميل الهيئة فصيح اللسان ، بارع البيان [8].

---

(١) انظر الإمام الذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٦٤/٢٢) ، والأسنوي - طبقات الشافعية - (١٣٧/١) .

(٢) انظر الخوانساري - روضات الجنات - (ص ٤٦٨) ، والذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٦٤/٢٢) ، والأسنوي - طبقات الشافعية - (١٣٧/١) .

(٣) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٩٣/٣) ، وابن كثير - البداية والنهاية - (١٥١/١٣) ، والخوانساري - روضات الجنات - (ص ٤٦٨) .

(٤) انظر القفطي - تاريخ الحكماء - (ص ٢٤١) ، ودائرة المعارف الإسلامية (٦١٨/٢) .

(٥) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٩٤/٣) ، والأسنوي - طبقات الشافعية - (١٣٨/١) .

(٦) انظر المصدرين السابقين .

(٧) انظر رحلاته العلمية (ص ٧٥) .

(٨) انظر ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء - (ص ٦٥٠) ، وعبد الله المراغي - الفتح المبين - (٥٧/٢) .

المبحث الثالث:

شيوخه وأقرانه وتلاميذه

شيوخه :

تلقى الآمدي دراساته الأولى في بلده آمد ، حيث حفظ القرآن وتعلم شيئاً من الفقه على مذهب الإمام أحمد ، وشيئاً من علم القراءات ، غير أن المراجع لم تشر إلى شيوخه في هذه الفترة ، وأن كانت قد حددت بعض العلوم التي تلقاها فيها كما سبق .

ثم قاده طموحه إلى بغداد التي كانت في ذلك الوقت مركزاً للعلم والعلماء ، وإلى بلاد الشام ، حيث استكمل دراساته العلمية فيها .

وأذكر فيما يلي أهم شيوخه وأبعدهم أثراً في حياته العلمية والعلوم التي أخذها عنهم :

١- ابن المني :

هو أبو الفتح نصر بن فتيان بن مطر النهراواني ثم البغدادي المعروف بابن المني ، شيخ الحنابلة ، وناصح الإسلام ، الفقيه الزاهد ، كان من العباد الأتقياء ، عالماً بالفقه ، والحديث ، والخلاف ، وأصول الفقه ، وقد كف بصره بعد بلوغه سن الأربعين .

وقد اتصل به الآمدي في أول طلبه للعلم في بغداد وتتلمذ عليه في الفقه على مذهب الحنابلة ، وانتفع به هو وغيره من مشاهير ذلك الزمان من أمثال الشيخ الموفق ابن قدامة ، وابن الجوزي ، وغيرهم .

ولد ابن المني سنة ٥٠١ هـ وتوفي سنة ٥٨٣ هـ عن اثنتين وثمانين سنة [1].

٢- ابن فضلان :

هو يحيى بن علي بن الفضل بن هبة الله جمال الدين أبو القاسم البغدادي المعروف بابن فضلان ،كان شيخ الشافعية في بغداد .

(١) انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (١٣٧/٢١) ، والعبر في تاريخ من غبر – (٨٧/٣) ، وابن كثير – البداية والنهاية – (٣٥١/١٢) ، وابن رجب – ذيل طبقات الحنابلة – (٣٥٨/١) .

ولد في بغداد سنة ٥١٧ هـ ودرس بها فترة ، ثم رحل إلى خرسان فسمع من مشايخها ، ثم عاد إلى بغداد ، وساد أهل زمانه ، كان إمام في الفقه والأصول والخلاف ، وكان ذكياً ، يقظاً لبيباً كثير التلاميذ ، وانتفع به الطلبة والفقهاء ، وإلى جانب تلك العلوم كان يجمع الظرف والأدب ومن شعره :

وإذا أردتَ منازلَ الأشرافِ فعليك بالإسعاف والإنصافِ

وإذا بغى باغٍ عليك فخلّهِ والدهرُ فهوَ له مكافٍ كافِ

وكان من أبعد شيوخ الآمدي أثراً في حياته العلمية ، حيث لازمه ودرس عليه المذهب الشافعي ، وعلم الكلام ، والأصول ، والجدل والخلاف .

توفي ابن فضلان ببغداد سنة ٥٩٥ هـ[1].

٣- ابن شاتيل :

هو الشيخ الجليل المسند أبو الفتح عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن نجا ابن شاتيل البغدادي الدباس ، مسند بغداد .

ويعد ابن شاتيل من ثقات المحدثين ، ولد سنة ٤٩١ هـ ، ومات في رجب سنة ٥٨١ هـ ، عن تسعين سنة .

وقد درس عليه الآمدي الحديث ، وقرأ عليه كتاب أبي عبيد القاسم[2]

---

(١) انظر ابن السبكي - طبقات الشافعية الكبرى - (٣٠٦/٨) ، والحافظ ابن حجر العسقلاني - لسان الميزان - الطبعة الأولى - مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٣٣٠ هـ - (١٣٤/٣) ، وابن العماد - شذرات الذهب - (١٤٤/٥) ، والذهبي - العبر في تاريخ من غبر - (١١٣/٣) ، وابن كثير - البداية والنهاية - (٢٤/١٣) .

(٢) هو أبوعبيد القاسم بن سلام ، اشتغل بالحديث والأدب والفقه ، وكان ذا دين وسيرة جميلة ومذهب حسن ، ويقال أنه أول من صنف في غريب الحديث ، ومن تصانيفه الأموال وأدب القاضي ، ولد سنة ١٥٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٢٤ هـ .

انظر الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - الطبعة الأولى - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٣٤٩ هـ ١٩٣١ م - (٤٠٣/١٢) ، وابن خلكان - الوفيات - (٦٠/٤) ، وأبو الفرج محمد ابن أبي يعقوب المعروف بالوراق أو النديم ت ٣٨٠ هـ - الفهرست - (ص ٩٦) - تحقيق رضا تجدد ابن زين العابدين - طهران - إيران - ١٩٧١ م - نشر دار المسيرة - بيروت - لبنان .

ابن سلام في غريب الحديث [1].

٤- السهروردي الحكيم :

هو يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي ، شهاب الدين ، الفيلسوف المنطقي ، كان من أذكياء زمانه ، إليه المنتهى في الفلسفة والمنطق وحكمة الأوائل ، برع في أصول الفقه ، وناظر علماء حلب فلم يجاره أحد فقربه الملك الظاهر صاحب حلب ثم أرسل صلاح الدين الأيوبي إلى ولده الظاهر يأمره بقتله ففعل ذلك سنة ٥٨٧ هـ ، وقد درس عليه الآمدي العلوم الحكمية[2].

٥- المجير البغدادي :

هو محمود بن المبارك بن علي بن المبارك الواسطي ، ثم البغدادي أبو القاسم مجير الدين ، أعاد بالنظامية في بغداد وهو شاب ، ثم سافر إلى دمشق ودرَّس بها وناظر ، ونشر بها علم الطب ، إمام في الأصول والفروع والخلاف والجدل وعلم الكلام والمنطق .

قصده الطلاب من البلاد البعيدة ، كما أنه يعد من أئمة الشافعية في وقته ، كانت بينه وبين معاصره ابن فضلان منافسة ، ووقعت بينهما مناظرات فكان المجير يقطعه كثيراً .

ولد سنة ٥١٧ هـ ، ومات سنة ٥٩٢ هـ ، واستفاد منه الآمدي كثيراً في علوم الخلاف والطب [3].

٦- ابن عبيدة :

ذكره الحافظ الذهبي من جملة شيوخ الآمدي الذين درس عليهم في بغداد ولم أقف له على ترجمة [4].

---

(١) انظر الذهبي - المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الديثي أو ذيل تاريخ بغداد - (٢٢٩/١٥) - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ نشر دار الباز ، وسير أعلام النبلاء - (١١٧/٢١) .

(٢) انظر الذهبي - سير أعلام النبلاء - (٢٠٧/٢١) .

(٣) انظر الحافظ الذهبي - سير أعلام النبلاء (٢١/٢٥٥-٢٢/٣٦٤) ، والسبكي - طبقات الشافعية الكبرى - (٢٨٧/٧) ، وابن العماد - شذرات الذهب - (٣١١/٤) ، وابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - (١٤٠/٦) .

(٤) انظر الذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٦٤/٢٢) .

٧- عمار الآمدي :

ذكره أيضاً الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء من جملة شيوخ الآمدي الذين تلقى العلم عليهم بآمد ، ولم أقف له على ترجمة [١].

٨- محمد الصفار :

ذكر من جملة شيوخ الآمدي ، ولم أقف له على ترجمة أيضاً [٢].

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

أقرانه :

١- الموفق ابن قدامة :

هو عبد الله بن أحمد بن قدامة بن مقدام المقدسي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي ، موفق الدين ، أبو محمد .

له كتب متعددة في الفقه الحنبلي وغيره من العلوم ، ومن أعظم مؤلفاته المغني في الفقه ، وله كتاب لطيف في عقيدة السلف اسمه لمعة الاعتقاد ، وله في أصول الفقه روضة الناظر وجنة المناظر .

وقد شارك الآمدي في الطلب ، حيث تتلمذا على ابن المني الحنبلي في بغداد ، وابن شاتيل المحدث ، ويشارك الآمدي في التدريس أيضاً بجامع دمشق ، ولد سنة ٥٤١ هـ ، وتوفي سنة ٦٢٠ هـ [١].

٢- الشهاب الطوسي :

هو محمد بن محمود بن محمد ، شهاب الدين أبو الفتح الطوسي نزيل مصر درس بنيسابور ودخل بغداد ووعظ بها ، وبنى له الملك المظفر نائب مصر حينما دخلها في تلك الفترة المدرسة المعروفة بمنازل العز ، وقد أثار مقدمه الحنابلة لإظهاره المذهب الأشعري بمصر ، وكانت تجري بينه وبين ابن نجيه الحنبلي العجائب والسباب .

تصدر الفتوى ومشيخة الشافعية بمصر ، وكان الأمراء يحترمونه وقد نزل في مدرسته الآمدي لما قدم مصر ، ولد الشهاب الطوسي سنة ٥٢٢ هـ وتوفي سنة ٥٩٦ هـ [٢].

---

(١) انظر ابن رجب - ذيل طبقات الحنابلة - (١٣٣/٢) ، وعبد الرحمن العُليمي ت ٩٢٨ هـ - الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد - (٣٤٦/١) تحقيق د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م - مكتبة التوبة - المملكة العربية والسعودية ، وإبراهيم بن محمد بن مفلح ت ٨٨٤ هـ - المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد - (١٥/٢) تحقيق د/ عبد الرحمن العيثمين - الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م - مكتبة الرشد الرياض - المملكة العربية السعودية ، والمجير العليمي ت ٩٢٨ هـ - المنهج الأحمد - (٣٥٠/٢) راجعه عادل نويهض - عالم الكتب - بيروت - لبنان - ١٤٠٣ هـ .

(٢) انظر الذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٨٧/٢١) ، والسبكي - طبقات الشافعية الكبرى - (٣٩٦/٦) ، وابن قاضي شهبة - طبقات الشافعية - (٤٣/٢) ، وابن كثير البداية والنهاية - (٢٧/١٣) ، وابن العماد - شذرات الذهب - (٢٢٧/٤) ، واليافعي - مرآة الجنان - (٤٨٧/٣) .

٣- ابن الجوزي :

هو أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، الواعظ المشهور من أعيان المذهب الحنبلي ، ألف كثيراً من المؤلفات في الوعظ وغيره من العلوم ، آتاه الله حلاوة الأسلوب ورصانة الكلمة ، وقد شارك سيف الدين الآمدي في الطلب في بغداد ، حيث تتلمذا على ابن المني الحنبلي وابن شاتيل المحدث .

ولد سنة ٥١٠ هـ وتوفي سنة ٥٩٧ هـ [(١)].

٤- الفخر الرازي :

هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي ، أبو عبد الله فخر الدين المعروف بابن الخطيب الري ، من أئمة الشافعية ، فقيه ، مفسر ، أصولي ، متكلم ، من مؤلفاته مفاتيح الغيب ، وهو من أكبر كتب التفسير بالرأي وتأسيس التقديس ، والمعالم في أصول الدين والمحصول في أصول الفقه وهو من أهم الكتب الأصولية على طريقة المتكلمين ، وقد ولد الرازي في سنة ٥٤٤ هـ وتوفي في سنة ٦٠٦ هـ [(٢)].

٥- ابن الصلاح :

هو عثمان بن عبد الرحمن بن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي تقي الدين أبو عمرو بن الصلاح ، من أئمة الفقه والحديث ، درس في المدرسة الصلاحية بالقدس ، عند مقدمه لدمشق بنى له الملك الأشرف دار الحديث الأشرفية ، سعى عند الأشرف لعزل الآمدي من المدرسة العزيزية لإشتغاله بعلم الأوائل ، وكان ممن يرى حرمة الإشتغال بالمنطق ، من مؤلفاته كتاب علوم الحديث المشهور بمقدمة ابن الصلاح ، وهو من أهم الكتب في مصطلح الحديث ،

(١) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - (٣١/١٣) ، وابن رجب - ذيل طبقات الحنابلة - (٣٩٩/١) ، والذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٦٥/٢١) ، وابن مفلح - المقصد الأرشد - (ترجمة رقم ٥٧٩) ، والعليمي - المنهج الأحمد - (ترجمة رقم ٣١١) ، والدرر المنضد - (ترجمة رقم ٩٠٤) .

(٢) انظر السبكي - طبقات الشافعية - (٨١/٨) ، وابن العماد - شذرات الذهب - (٢١/٥) ، وابن كثير - البداية والنهاية - (٦٠/١٣) ، وعبد الله المراغي - الفتح المبين - (٤٧/٢) .

إذ اعتنى بـه العلمـاء مـن بعـده بالشـرح والإختصـار والنظـم والاسـتدراك ، وأدب المفتي والمستفتي ، ولد سنة ٥٧٧ هـ ، وتوفي سنة ٦٤٣ هـ [(١)].

٦- ابن الحاجب :

هو عثمان بـن عمـر بـن أبي بكـر بـن يونـس ، المصـري شـيخ المالكيـة أبو عمرو ، فقيه ، أصولي ، لغوي ، قـدم دمشـق وأقـام بهـا سـنة ٦١٧ هـ ، ثم تولى مشيخة المالكية فيها ، وقام بتدريس القراءات والعربية ، ثـم رجـع إلى مصر سنة ٦٢٨ هـ ، برفقة الشيخ عز الديـن بـن عبـد السـلام ، مـن مؤلفاتـه الكافية في النحو ، ومنتهى السول والأمل في علم الأصول والجـدل ، ومختصـر المنتهى ، وقد أخذ كتابه المنتهى من كتاب الإحكـام للآمـدي ، وقـد كـثرت الشروح على كتابه مختصر المنتهى .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام :

« سمعت ابن الحاجب يقول ما صنف في أصول الفقه مثلُ كتـاب سـيف الدين الآمدي الإحكام في أصول الأحكام ومن محبته له اختصره » .

ولد ابن الحاجب في سنة ٥٧٠ هـ ، وتوفي في سنة ٦٤٦ هـ [(٢)].

٧- سبط ابن الجوزي :

هو يوسف بن قِزْغُلي بـن عبـد الله الـتركي البغـدادي الحنفـي ، سبط الإمـام ابن الجوزي ، كان حسن التذكير والوعـظ عـارف بالتـاريخ انتهـت إليـه الرئاسـة في ذلك ، وكان له قبول زائد ، وسوق نافق بدمشق ، أحبه أولاد الملك العـادل وأقبلـوا عليه ، تربطه علاقة الصداقة والمودة بالآمدي ، حيث كانا في خاصة المعظم .

---

(١) انظر ابن خلكان - الوفيات - (٢٤٣/٣) ، والذهبي - سير أعلام النبلاء - (١٤٠/٢٣) ، والسبكي - طبقات الشافعية - (١٣٧/٥) .

(٢) انظر أبو شامة - الذيل على الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع - (ص١٨٢) ، عرف بالكتاب وترجم لمؤلفه محمد زاهد الكوثري وعني بنشره السيد عزت العطار الحسيني - الطبعة الثانية - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٤ م ، وابن فرحون - الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ومعه الابتهاج بتطريز الديباج - (ص ١٨٩) - دار الكتب العلمية - بيروت ، والشيخ محمد بن محمد مخلوف - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية - (١٦٧) - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بدون تاريخ .

قال الذهبي :

« رأيت له مصنفاً يدل على تشيعه »[1]، وقد ترجم للآمدي في كتابه مرآة الزمان ، ولد سنة ٥٨١ هـ ، وتوفي سنة ٦٥٤ هـ[2].

٨- فخر القضاة بن بصاقه :

هو نصر الله بن هبة الله الغفاري الحنفي أبو الفتح المشهور بابن بصاقه ، قرأ الأدب بالشام ومصر ، كان أكتب أهل زمانه وأجودهم ترسلاً ، وأطولهم باعاً في الأدب والشعر ، وله ديوان شعر جميل ورسائل ، لمكانته الأدبية ولي كتابة الإنشاء في الديار المصرية ، وكان من خاصة الملك المعظم ثم من خاصة ابنه الناصر ، كان من أصدقاء الآمدي ومحبيه ، ولمكانته عند الآمدي تشفع به أحد تلاميذ الآمدي إلى الآمدي بأن يشتغل عليه ، فأنشد ابن بصاقة لنفسه شعراً :

ياسيدًا جمَّل الله الزمان به	وأهله من جميع العجم والعرب
العبد يذكر مولاه بما سبقت	وعوده لعماد الدين عن كثب
ومثل مولاي من جاءت مواهبه	عن غير وعد وجدواه بلا طلب
فأصف من بحرك الفياض مورده	وأغْنِه من كنوز العلم لا الذهب
واجعل له نسباً يُدلي إليك به	فلحمة العلم تعلو لحمة النسب
ولا تكله إلى كتب تنبئه	فالسيف أصدق أنباء من الكتب

ولد ابن بصاقه سنة ٥٧٩ هـ ، وتوفي سنة ٦٤٦ هـ[3].

---

(١) انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٢٩٧/٢٣) .

(٢) انظر أبو شامة – الذيل على الروضتين – (ص ١٩٥) ، والقرشي – الجواهر المضية في طبقات الحنفية – تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو – مطبعة عيسى البابي الحلبي – دار العلوم – الرياض – (٦٣٣/٣) ، وأبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ت ١٣٠٤ هـ – الفوائد البهية في تراجم الحنفية – (ص ٢٣٠) – الناشر مكتبة خير الكثير – باكستان ، وقطب الدين موسى بن محمد اليونيني ت ٧٢٦ هـ – ذيل مرآة الزمان – (٣٦/١-٤٠) بعناية وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية – الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠ م – حيدر أباد – الهند .

(٣) ابن شاكر الكتبي – فوات الوفيات – (١٨٧/٤) ، والقرشي – الجواهر المضية – (٥٥٤/٣) ، والسيوطي – حسن المحاضرة (٥٦٧/١) ، وابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء – (٦٥١-٦٥١) .

تلاميذه :

قضى سيف الدين الآمدي فترة من عمره في التدريس زادت على الأربعين عاماً ، وكانت مجالسه العلمية عامرة بالعلماء والوجهاء ، وقد تخرج على يديه الكثير من الأعلام الذين نبغوا في كثير من العلوم ، ففيهم الفقيه ، والأصولي ، والقاضي ، والشاعر ، والأديب ، والطبيب ، بل والقائد ، والوزير ، والملك .

وكانوا بحق أئمة عصرهم ، وسوف أذكر هنا ما عينته كتب التراجم من تلاميذ الآمدي .

١- الملك المنصور :

هو محمد ناصر الدين بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه[1]

---

(١) لفظة فارسية معناها بالعربية ملك الأملاك ، وقد نهى الشارع عن التسمي بهذا الاسم فلا مالك إلاّ الله ، روى الإمام البخاري في كتاب الأدب - باب أبغض الأسماء إلى الله تعالى (١٢٩/٤) ، والإمام مسلم في كتاب الآداب - باب تحريم التسمي بملك الأملاك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك إلاّ الله » قال سفيان : مثل شاهان شاه ، وفي رواية لمسلم في كتاب الآداب - باب تحريم التسمي بملك الأملاك (١٦٨٨/٣) : « أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه » والمراد بقوله « إن أخنع اسم » أي أوضع اسم عند الله رجل تسمى بملك الأملاك ، لأنه جعل نفسه في مرتبة تعلو أعلى طبقات البشر من حيث السلطة وهم الملوك ، وهذا لا يكون إلا لله عز وجل ، ولهذا عوقب بنقيض قصده ، إذ قصده أن يتعاظم حتى على الملوك ، ولهذا أحب الأسماء عند الله ما دل على التذلل والخضوع مثل عبد الله وعبد الرحمن وأبغض الأسماء عند الله ما دل على الجبروت والسلطة والتعظيم ، ويلحق بذلك كما قال سفيان رحمه الله ما في معناه من الأسماء مثل قاضي القضاة وحاكم الحكام وما في معناها .

انظر : شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي ت ١٢٠٦ هـ - كتاب التوحيد - ص (٦٩-٧٠) تحقيق أحمد محمد شاكر - عالم الكتب - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م ، والشيخ سليمان بن عبد الله ت ١٢٣٣ هـ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - (٦١١-٦١٤) المكتب الإسلامي - الطبعة السابعة - ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م - بيروت - لبنان ، والشيخ عبد الرحمن بن محمد العاصمي ت ١٣٩٢ هـ - حاشية كتاب التوحيد - (ص ٣١٤-٣١٥) - الطبعة الثالثة - ١٤٠٨ هـ .

ابن أيوب بن شادي، صاحب حماة، تولى الملك بعد أبيه سنة ٥٨٧ هـ، أحد العلماء بالتاريخ، والأدب، سمع الحديث في الأسكندرية، كان شجاعاً مقداماً محباً للعلماء، وكان عنده ما يقرب من مائتي عالم يجري عليهم الرواتب، له عدة تصانيف منها: كتاب طبقات الشعراء ومضمار الحقائق وسر الخلائق في التاريخ، ولما ورد الآمدي حماه بالغ في إكرامه وبنى له مدرسته المعروفة به، وواظب حضور مجلسه والاشتغال عليه بجميع فنونه، توفي سنة ٦١٧ هـ [(١)].

٢- الدخوار الطبيب :

هو عبد الرحيم بن علي بن حامد، الشيخ مهذب الدين الطبيب، رئيس الأطباء بدمشق وشيخهم، كان يعالج الخلفاء ويمرضهم، تخرج على يديه الكثير من الأطباء، صنف كتباً منها: اختصار الحاوي ومقالة في الاستفراغ، وكان قد لازم الآمدي واستفاد منه وحَصَّلَ معظم مصنفاته، ولد سنة ٥٦٥ هـ، وتوفي سنة ٦٢٨ هـ [(٢)].

٣- ابن سني الدولة :

هو أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسين، صدر الدين أبو العباس قاضي القضاة [(٣)]، المعروف بابن سني الدولة، التغلبي، الدمشقي، الشافعي، كان الملك الناصر يثني عليه، توفي ببعلبك سنة ٦٥٨ هـ عن ثمان وستين سنة [(٤)].

---

(١) انظر أبو شامة - الذيل على الروضتين - (ص ١٢٤)، والذهبي - سير أعلام النبلاء (٣١٦/٢٢)، وابن كثير - البداية والنهاية - (١٠٠/١٣)، وابن واصل جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧ هـ - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - (٧٨/٤) تحقيق د/ حسنين محمد ربيع - طبع وزارة الثقافة المصرية - ١٩٧٢م - القاهرة - مصر.

(٢) انظر أبو شامة - الذيل على الروضتين - (ص ١٥٩)، والذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣١٦/٢٢)، وابن شاكر الكتبي - فوات الوفيات - (٣١٥/٢).

(٣) انظر التعليق السابق حول التسمي بشاهنشاه أو قاضي القضاة (ص ٦٠).

(٤) انظر أبو شامة - الذيل على الروضتين - (ص ٢٠٦)، والذهبي - سير أعلام النبلاء (٣٦٦/٢٢)، وابن كثير - البداية والنهاية - (٢٣٧/١٣).

٤- العز بن عبد السلام :

هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الشافعي ، المعروف بابن عبد السلام عز الدين أبو محمد الملقب بسلطان العلماء ، فقيه ، أصولي ، مفسر ، ولد ونشأ بدمشق ، وهو من أكبر تلاميذ الآمدي ، وأكثرهم تأثراً به ، له مؤلفات كثيرة منها : القواعد الكبرى المسمى بقواعد الأحكام في مصالح الأنام ، وكتاب الإمام في أدلة الأحكام ، كتاب الفرق بين الإيمان والإسلام ، لما سلم الصالح[(١)] إسماعيل بن العادل قلعة صفد للصليبيين اختياراً أنكر عليه ، ولم يدع له في الخطبة ، حيث كان خطيباً للجامع الأموي بدمشق ، فغضب الصالح وحبسه ثم أطلق سراحه فخرج إلى مصر فأكرمه صاحبها ، ومكّنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولد سنة ٥٥٧ هـ وتوفي سنة ٦٦٠ هـ[(٢)].

٥- نجم الدين الخضراوي :

هو الفتح بن موسى بن حماد المغربي الخضراوي ، نجم الدين أبو النصر من العلماء الأفاضل في فنون كثيرة ، تولى التدريس بأسيوط وعمل قاضياً بها ولد سنة ٥٨٨ هـ وتوفي سنة ٦٦٣ هـ[(٣)].

---

(١) هو إسماعيل الصالح ، عماد الدين ، أبو الخيش بن محمد أبي بكر (العادل) ابن أيوب من ملوك الدولة الأيوبية ،كان ملكاً شهماً محسناً لحاشيته ،كثير التجمل تسلطن بدمشق بعد وفاة صاحبها (أخيه الأشرف) وجاءه الملك الكامل فأخذها منه بعد حصار ، ثم استردها بعد قتال . وأجرم بتسليمه قلعة الشقيف للإفرنج ، انتهى أمره بالخروج لاجئاً إلى حلب وفي عودته لدمشق أسره بعض رجال صاحب مصر وقتلوه سنة ٦٤٨ هـ .

انظر ابن العماد – شذرات الذهب – (٢٤١/٥) ، والذهبي – سير أعلام النبلاء – (١٣٤/٢٢) ، والحافظ ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ – تبصير المنتبه بتحرير المشتبه – (٢٨٣/١) – تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد علي النجار – المكتبة العلمية – بيروت – لبنان – ١٩٦٤ م .

(٢) انظر السبكي – طبقات الشافعية – (٢٠٩/٨-٢٥٥) ، وابن كثير – البداية والنهاية (٢٤٨/١٣) ، والمراغي – الفتح المبين – (٧٣/٢) .

(٣) انظر السيوطي – حسن المحاضرة – (٤١٥/١) ، وجلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – (٢٤٢/٢) – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – بيروت – لبنان .

٦ – أبو شامة المقدسي :

هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي ، عرف بأبي شامة لأن به شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر .

وولد بدمشق سنة ٥٩٩ هـ ، وبها تلقى علومه بالمدرسة العزيزية في الفترة التي كان الآمدي يتصدر التدريس فيها ، له مؤلفات كثيرة منها كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، والذيل عليه ، تولى التدريس بدار الحديث الأشرفية ، توفي سنة ٦٦٥ هـ بدمشق [1].

٧– ابن أبي أصيبعة :

هو أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي ، المعروف بابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس كان طبيباً ، ومؤرخاً ، وأديباً ، له مؤلفات كثيرة منها عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، وهذا كتاب يعتبر من أهم الكتب التي ترجمت للآمدي ، إذ إن مؤلفه ابن أبي أصيبعة من أخص تلاميذ الآمدي وألصقهم به قال عن شيخه :

« هو الإمام الصدر العالم الكامل سيف الدين ... وكنت قد اجتمعت به واشتغلت عليه في كتاب رموز الكنوز من تصنيفه ، وذلك لمودة أكيده كانت بينه وبين أبي ، وأول اجتماعي به دخلت أنا وأبي إليه في داره فلما جلسنا عنده بعد السلام وتفضل بحسن التودد والكلام ، نظر وقال بهذا اللفظ :

« ما رأيت ولداً أشبه بوالد منكما » .

وله أيضاً كتاب التجارب والفوائد ، وكتاب حكايات الأطباء في علاج الأدواء ومعالم الأمم وله شعر كثير .

وولد في دمشق سنة ٥٩٦ هـ وبها تلقى تعليمه ، وبعد وفاة شيخه ذهب إلى مصر سنة ٦٣٤ هـ ، وأقام بها طبيباً في البيمارستان الناصري بالقاهرة ،

---

(١) انظر ابن شاكر الكتبي – فوات الوفيات – (٤٣٥/٣) ، وابن كثير – البداية والنهاية (٢٦٤/١٣) ، وابن العماد – شذرات الذهب – (٣١٨/٥) ، وابن القاضي شهبة – طبقات الشافعية (١٣٣/٢) ، والسيوطي – بغية الوعاة – (٧٧/٢) .

ثم انتقل إلى الشام وتوفي بصرخد سنة ٦٦٨ هـ ، وقد نيف على سبعين سنة ، وكان فاضلاً عالماً في الطب والأدب والتاريخ وله شعر كثير ، من ذلك ما مدح به الصاحب أمين الدولة ، وهي قصيدة طنانة أولها :

فؤادي في محبتهم أسيرُ	وأنّى سار ركبهُمُ يسيرُ
يحن إلى العذيب وساكنيه	حنيناً قد تضمّنه سعيرُ
ويهوى نسمةً هبت سُحيراً	بها من طيب نشرهم عبيرُ
وإنّي قانعٌ بعد التداني	بطيفٍ من خيالهم يزورُ
ومعسول اللمى مرُّ التجنى	يجورُ على المحبّ ولا يجيرُ
تصدى للصدود ففي فؤادي	بوافر هجره أبداً هجيرُ
وقد وصلت جفوني فيه سُهدي	فما هذي القطيعةُ والنفورُ

وهي طويلة عدد أبياتها اثنان وثلاثون بيتاً كلها على هذا النمط [1].

٨- ابن أبي عمر :

هو شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد وأبو فرج سمع من أبيه ومن عمه الشيخ موفق الدين بن قدامة ، انتهت إليه رئاسة العلم في زمانه ، وكان معظماً عند الخاص والعام ، فضائله كثيرة ومحاسنه عديدة ، أكره على القضاء مدة تزيد على اثنتي عشرة سنة ، ثم عزل نفسه ، إليه تنسب قصة وضع الحبر على رحل الآمدي [2]، ولد سنة ٥٩٧ هـ وتوفي سنة ٦٨٢ هـ [3].

٩- القاضي ابن الزكي :

هو محي الدين أبو الفضل يحيى بن بهاء الدين أبي المعالي محمد بن علي ابن محمد بن يحيى القرشي ، المعروف بابن الزكي ، من بيت علم وفضل ،

---

(١) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - (٢٧٢/١٣) ، والنعيمي - الدارس في تاريخ المدارس - (١٣٧/٢) ، وابن العماد - شذرات الذهب - (٣٢٧/٥) ، وابن أبي أصيبعة - عيون الانباء في طبقات الأطباء - (ص ٦٥٠) .

(٢) انظر تفصيل هذه القصة في (ص ١١١) وما بعدها .

(٣) انظر ابن رجب - ذيل طبقات الحنابلة - (٣٠٤/٢) ، وابن العماد - شذرات الذهب - (٣٧٦/٥) ، والذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٦٦/٢٢) .

تولى قضاء دمشق غير مرة ، وكذلك أباؤه من قبله ، وكان غفر الله له سبباً في فتنة الحافظ عبد الغني المقدسي في دمشق إذ إجتمع مع جماعة ضد الحافظ المقدسي واتهموه بالتشبيه ، توفي سنة ٦٦٨ هـ بالقاهرة عن اثنتين وسبعين سنة [(١)].

١٠- صفي الدين المراغي :

هو خليل بن أبي بكر بن صديق المراغي ، أبو الصفاء ، قدم دمشق وله نحو عشرين سنة فقرأ بها القرآن ، ولازم ابن قدامة ودرس عليه الفقه ، ولازم الآمدي أيضاً ودرس عليه أصول الفقه ، ثم رحل إلى مصر ومات بها ، كان كثير المناقب ، متين الديانة ، عالماً بالخلاف والطب ، توفي سنة ٦٨٥ هـ [(٢)].

١١- العماد بن السلماس :

هو عماد الدين أبو بكر محمد بن عثمان بن سعيد السلماس الكاتب ، وتذكر المصادر أن عماد الدين تشفع بالوزير ابن بصاقة ، وكانت بينه وبين الآمدي مودة وألفة ، عندما أراد أن يشتغل عليه ، فأرسل ابن بصاقة قصيدة إلى الآمدي كما سلف[(٣)]، فوقعت تلك القصيدة من نفس الآمدي أحسن موقع ، وأقبل على العماد وأحسن إليه [(٤)].

١٢- ابن خلكان :

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان البرمكي الأربلي ، شمس الدين أبو العباس المؤرخ المشهور صاحب وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، وهو من أشهر كتب التراجم ، ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً ، ولد في أربيل سنة ٦٠٨ هـ ، ثم درس في دمشق ، وأقام بها مدة ، حتى صار فقيهاً ، أديباً مؤرخاً ، وفي سنة ٦٣٦ هـ عين نائباً لقاضي قضاة مصر ، ثم تولى منصب

(١) انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٤٦٦/٢١) ، وابن شاكر الكتبي – فوات الوفيات – (٤٣٥/٣)، وابن كثير – البداية والنهاية – (٢٧٢/١٣) ، والصفدي – الوافي – (٣٤٦/٢١) .

(٢) انظر ابن رجب – ذيل طبقات الحنابلة – (٣١٦/٢)، وابن العماد – شذرات الذهب – (٣٩٠/٥) .

(٣) انظر (ص ٦١) .

(٤) انظر ابن أبي أصيبعة – عيون الانباء – (ص ٦٥٠) ، والصفدي – الوافي بالوفيات –(٣٤٢/٢١) .

قاضي قضاة[1] الشام ، ثم عاد إلى مصر واشتغل بها ، بالتدريس مدة ، عاد بعدها إلى منصبه الأول بالشام ، وتوفي بدمشق سنة ٦٨١ هـ [2].

١٣- الأديب نجم الدين بن إسرائيل :

نجم الدين أبو المعالي محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل الشيباني الدمشقي الأديب ، ولد بدمشق سنة ٦٠٣ هـ ، ونشأ بها وفيها تلقى تعليمه على الآمدي وغيره ، من شيوخ عصره ، وكان شاعراً من آثاره ديوان شعر ، وله قصائد جميلة في مدح ورثاء شيخه ، وقد ذكرت نماذج من شعره فيما سبق ، توفي بدمشق سنة ٦٧٧ هـ عن أربع وسبعين سنة [3].

---

(١) قاضي قضاة بمعنى حاكم الحكام لأن قاضي معناها حاكم و« أل » في القضاة للعموم وهو من المسميات التي منعها الشارع كما في حديث أبي هريرة الآنف الذكر (ص ٦٢) ، لأن من تسمى بهذا الاسم فقد جعل نفسه شريكاً مع الله فيما لا يستحقه إلاّ الله لأنه لا أحد يستحق أن يكون قاضي قضاة ، أو حاكم الحكام أو ملك الأملاك إلاّ الله سبحانه وتعالى فالله هو القاضي فوق كل قاضٍ ، وهو الذي له الحكم ويرجع إليه الأمر كله سبحانه ، ويرى الشيخ ابن عثيمين حفظه الله أن حصر القضاء بطائفة معينة أو ببلد معين مثل قاضي قضاة الشافعية أو المالكية أو مصر أو الشام أو ما أشبه ذلك من قبيل الجائز لأنه قيد ومعلوم أن قضاء الله لا يتقيد فحينئذٍ لا يكون فيه مشاركة لله عز وجل على أنه لا ينبغي أيضاً أن يسمي الإنسان أو يسمى بذلك وإن كان جائزاً ، لأن النفس قد تصعب السيطرة عليها ، فقد يأخذه الإعجاب بالنفس والغرور حتى لا يقبل الحق إذا خالف قوله .

انظر : الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ت ١٢٨٥ هـ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - (ص ٥١٣- ٥١٦) تحقيق وتخريج عبد القادر الأرناؤوط - مكتبة المؤيد - الطبعة الثانية - ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م - دمشق ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين - القول المفيد على كتاب التوحيد - (٣/٣) وما بعدها - دار العاصمة - الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ - الرياض - المملكة العربية السعودية ، وانظر التعليق في لفظة شهانشاه في (ص ٦٢) في الهامش .

(٢) انظر ابن قاضي شهبة - طبقات الشافعية - (١٦٦/٢) ، والسبكي - طبقات الشافعية الكبرى - (٣٨/٨) ، وابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - (٣٥٣/٧) .

(٣) انظر ابن شاكر - فوات الوفيات - (٤٣١/٢) ، وابن العماد - شذرات الذهب - (٣٥٩/٥) ، وابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - (٢٨٢/٧) ، وابن كثير - البداية والنهاية - (٢٩٩/١٣) .

المبحث الرابع :

طلبه للعلم

مراحل طلبه :

قضى الآمدي حياته الأولى في طلب العلم ، والوقوف على أبواب العلماء في شتى أنحاء المعمورة ، وقد مرت حياته العلمية بثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى : التفقه على مذهب الإمام أحمد في آمد ثم بغداد .

المرحلة الثانية : الانتقال إلى المذهب الشافعي وذلك في بغداد .

المرحلة الثالثة : الاشتغال بفنون المعقول في بغداد ثم الشام .

ويمكن تفصيل هذه المراحل فيما يلي :

المرحلة الأولى :

في مسقط رأس الآمدي مدينة آمد تلقى أبو الحسن علم القراءات على يد عمار الآمدي ، وعلى يد محمد الصفار ، وحفظ كتاب الهداية لأبي الخطاب[1] في الفقه الحنبلي .

كان ذلك في بدايات طلبه ، ولما حفظ القرآن وأحاط بما عند علماء بلده من علوم القراءات ، والفقه ، حمله طموحه للرحلة في طلب العلم ، وله من العمر أربعة عشر عاماً ، فعزم على السفر[2] .

رحلته إلى بغداد :

كانت وجهة رحلة الآمدي وهي الأولى في حياته العلمية [٥٦٥-٥٨٢ هـ] ،

---

(١) هو محفوظ بن أحمد الكلوذاني ، أبو الخطاب البغدادي ، الفقيه الحنبلي ، من تلاميذ القاضي أبي يعلى البارعين ، إمام وقته في الفقه الحنبلي ، قصده الطلبة ، صنف كتباً حساناً منها : الهداية والخلاف الكبير ، والخلاف الصغير ، ولد سنة ٤٣٢ هـ ، وتوفي سنة ٥١٠ هـ .

انظر ابن رجب الحنبلي - الذيل على طبقات الحنابلة - (١١٦/١) ، وابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك - (١٥٢/١٧-١٥٥) ، تحقيق ودراسة محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ومراجعة نعيم زرزور - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م - بيروت - لبنان ، والذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٤٨/١٩) ، وابن مفلح - المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد - (٢٠/٣-٢٣) .

(٢) انظر القفطي ت ٦٤٦ هـ - تاريخ الحكماء - (ص ٢٤٠ - ٢٤١) ، وابن أبي أصيبعة ت ٦٦٨ هـ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء - (ص ٦٥٠) ، وابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٩٣/٣) ، والصفدي - الوافي بالوفيات - (٣٤٠/٢١) ، وابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ لسان الميزان - (١٣٤/٣) - مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان .

رغم حداثة سنه إلى مدينة بغداد دار العلم والعلماء حيث كانت مركزاً علمياً في ذلك العصر ، تتوفر فيها المدارس العلمية والحلقات ، وخزائن الكتب العامة ، ووفرة العلماء الذين يفدون إليها من شتى أنحاء البلدان .

كل ذلك كان دافعاً للآمدي لجعل بغداد وجهته الأولى في رحلاته العلمية ، ولا شك أن ذلك فيه دلالة واضحة على حرص الآمدي وشغفه بطلب العلم ومخالطة أهله منذ حداثة سنه .

وفي بغداد لازم الآمدي علماء مذهبه ، إذ كما تقدم أنه كان على مذهب الإمام أحمد .

وكان أول تتلمذه على يد الشيخ ابن المنيِّ شيخ الحنابلة ببغداد ، ودرس على يديه الفقه ، ثم التقى بابن عبيدة وقرأ عليه القراءات ، وفي علوم الحديث قرأ على الشيخ أبي الفتح بن شاتيل إذ قرأ عليه كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام .

وبذلك جمع الآمدي علوم القرآن والحديث والفقه [1].

المرحلة الثانية :

كان دخول الآمدي لحاضرة الخلافة العباسية في سنة ٥٦٥ هـ ، وذلك في خلافة المستضيء بأمر الله [2]، وفي عصره ضعف الرفض ببغداد وأمن الناس ، واستمرت الحال على ما هي عليه إلى أن مات سنة ٥٧٥ هـ ، ثم تولى الخلافة من بعده ابنه الناصر لدين الله ، وقد مال بالناس إلى الظلم والجور ، وقوى نفوذ الرافضة بسببه حيث كان يتشيع ويميل إلى الشيعة ، ومن حبه لهم اتخذ وزيراً شيعياً ، وساءت علاقته بالحنابلة فأنزل بهم على وجه الخصوص

---

(١) انظر المصادر السابقة .

(٢) هو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله بن المقتفي لأمر الله بويع بالخلافة بعد أبيه فعمَّ أكثر الناس جوده وفضله ، وهاجر الناس إلى بغداد لعدله وحسن سيرته ، وكان يفرق الخلع والثياب النفيسة على أكثر الناس ، وأغنى الفقير ، وفي أيامه عادت الخطبة بمصر للدولة العباسية بعد أن خطب فيها صلاح الدين الأيوبي للمستضيء ، توفي سنة ٥٧٥ هـ .

انظر ابن دقماق ت ٧٥٠ هـ - الجوهر الثمين - (٢١٢/١) ، والسيوطي ٩١١ هـ - تاريخ الخلفاء - (ص ٤٤٤) .

البلايا والمحن ، ومن ذلك ما حصل لابن الجوزي[1] ، وفي هذه الفترة العصيبة التي كان فيها الحنابلة تحت رقابة الخليفة والذي كان يضيق الخناق عليهم ، كان الآمدي لا يزال على مذهب الإمام أحمد يتردد على مشايخ المذهب ، ويتلقى العلوم على أيديهم ، ويشاركه في الطلب أعيان الحنابلة في زمانه كابن الجوزي ، وابن قدامة وغيرهما من الحنابلة ، الذين أحاط بهم الخطر والريبة ، وامتازوا بعداوة السلطة لهم ، وكانت النظرة لهم نظرة شذوذ وغرابة ، هذا بالنسبة لأوضاع تلك الفترة ، أما بالنسبة لأوضاع الآمدي فالظاهر أن تكوينه العقلي كان يميل إلى العلوم العقلية والجدل والمناظرة ، وهذا ما لم يجده عند هؤلاء القوم ، فلم يساعده هذا الأمر على الاستمرار مع الحنابلة ، فابن شاتيل إمام المحدثين ، وابن المني من أهل الإعتقاد السليم وهو أبعد ما يكون عن الكلام وأهله ، ويكره من يشتغل بغير الكتاب والسنة .

لذلك قرر أبو الحسن الآمدي الانتقال إلى المذهب الشافعي وترك مذهب الحنابلة ، ففي ذلك فيما يبدو ابتعاد عن مجتمع الحنابلة المهدد من قبل السلطة ، وفيه أيضاً اتقاء لشر الخليفة الناصر الذي كان يكن للحنابلة البغضاء على وجه الخصوص ولأهل السنة عموماً ، وفيه أيضاً مجال واسع لاشباع ميوله العقلية التي امتاز بها علماء الشافعية في ذلك العصر من علوم الجدل والمناظرة والكلام ، كل تلك الأمور كانت مغريات لسيف الدين الآمدي لأن يتحول إلى مرحلة أخرى من مراحل طلبه للعلم ، حيث اتجه فيها الآمدي بكل ثقله إلى العلوم العقلية من فلسفة ومنطق وجدل ومناظرة وأصول فقه وعلم الكلام .

اتجه الآمدي إلى شيخ الشافعية في بغداد أبي القاسم بن فضلان ودرس علي يديه الفقه الشافعي حتى أنه حفظ كتاب الوسيط للغزالي وكتاب المستصفى في أصول الفقه للغزالي ، وقد كان لأبي القاسم بن فضلان أثر بالغ في تكوين شخصية الآمدي العلمية حيث تأثر به الآمدي كثيراً .

ولابن فضلان أثران بارزان في حياة الآمدي الفكرية :

---

(1) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - (٢٣،٢٢،١١/١٣) ، وابن رجب الحنبلي - ذيل طبقات الحنابلة - (٤٢٦/١) ، والذهبي - سير أعلام النبلاء - (٤٤٣/٢١) .

الأول : اتجاهه إلى الاعتماد على العلوم العقلية في تثبيت آرائه ودحض آراء الخصوم فقد درس عليه علم الجدل والمنطق والكلام وأصول الفقه .

الثاني : تحوله من المذهب الحنبلي إلى المذهب الشافعي ، حيث درس عليه الفقه الشافعي وعلم الخلاف [(١)].

المرحلة الثالثة :

بعد أن أجاد الآمدي الفقه وأصوله ودرس علوم القراءات والحديث على مشايخ بغداد وآمد واتجه للاشتغال بعلم الكلام فدرس على شيخه ابن فضلان كتاب الشامل في أصول الدين للجويني[(٢)]، وهو من مصادر المذهب الأشعري ، كما أنه أخذ عن ابن فضلان علم الجدل وبرع فيه وحفظ أربعين جدلاً وحفظ طريقة الشريف [(٣)]، وزوائد طريقة الميهني[(٤)].[(٥)]

---

(١) انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان – (٢٩٣/٣) ، والصفدي – الوافي بالوفيات – (٣٤٠/٢٢) .

(٢) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي ركن الدين الملقب بإمام الحرمين أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، ولد في جوين بنيسابور في سنة ٤١٩ هـ ، ورحل إلى بغداد ثم إلى بلاد الحرمين ، وتولى الإمامة في مكة والمدينة ، فقيه أصولي متكلم توفي عليه رحمة الله في سنة ٤٧٨ هـ بنيسابور .

انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان – (١٦٧/٣) ، والسبكي – طبقات الشافعية الكبرى – (١٦٥/٥-٢٢٢) ، والدكتور عبد العظيم الديب – إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني حياته وعصره وآثاره وفكره – دار القلم – الكويت – الطبعة الأولى – ١٤٠١ هـ .

(٣) هو شرف شاه بن ملكداد ، الشريف العباسي المراغي ، تفقه بالنظامية حتى برع وصار من انظر الفقهاء ، وبرع في النظر ، وصنف طريقته المشهورة في الخلاف وصنف أيضاً في الجدل ولم يتمّه ، توفي سنة ٥٤٣ هـ .

انظر السبكي – طبقات الشافعية الكبرى – (٢٢٩/٤) ، وابن قاضي شهبة طبقات الشافعية – (٣١٦/١).

(٤) هو أسعد الميهني أبو الفتح بن أبي نصر بن أبي الفضل ، كان فقيهاً على مذهب الشافعي ، برع في الجدل والخلاف ، قدم بغداد ودرس بالمدرسة النظامية ، من آثاره تعليقه في الفقه والخلاف ولد سنة ٤٦١ هـ ، وتوفي سنة ٥٢٧ هـ .

انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان – (٢٠٧/١) ، والذهبي – سير أعلام النبلاء – (١٤٥/١٢) ، وحاجي خليفة – كشف الظنون – (١١١٣/٢) .

(٥) انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان – (٢٩٣/٣) ، والذهبي – سير أعلام النبلاء – (٣٦٤/٢٢) ، وابن العماد – شذرات الذهب – (١٤٤/٥) .

أما علوم الأوائل فقد ذكر أنه حذقها على يد جماعة من نصارى الكرخ ويهودها[1]، ولا يستبعد صحة ذلك خاصة وأن غالبية المصادر التي ترجمة للآمدي لم تذكر مصادر تلقيه لهذه العلوم ، ثم إن الأخذ عن هؤلاء لا يلزم منه أن يكون المتلقي معتنقاً لأفكارهم منسلخاً عن الإسلام ، فلعلَّ الآمدي في أثناء مجادلاته معهم ، والرد على باطلهم ، أراد معرفة ما لديهم من علوم الأوائل فتعلمها على أيدي جماعة منهم .

ولا يمنعنا ذلك من القول بخطورة التتلمذ على أيدي أعداء الإسلام من يهود ونصارى وملحدين ، وما أبتلي به المسلمون في عصرنا الحاضر من تنكر للإسلام وتعاليمه السمحة على أيدي كثير من أبناء المسلمين الذين ابتعثوا للخارج هو أبسط دليل على خطورة التعلم على أيدي غير المسلمين ، فلا بد من وضع ضوابط دقيقة واحتياطات لازمة قبل ابتعاث شباب المسلمين إلى البلدان الكافرة ، وأن يكون ذلك في الإختصاصات النادرة ، التي لا توجد في بلاد المسلمين .

ولا يمنعنا ذلك أيضاً من القول بأن تعلم الفلسفة والمنطق لذاتها قد يؤدي إلى مزالق ومهالك وإلى أمور لا تحمد عقباها ، ولذلك قيل عن الآمدي : «وتفنن في حكمة الأوائل فرقَّ دينه وأظْلَمَّ »[2].

في هذه البيئة العلمية الخصبة ألـمَّ الآمدي في بغداد بجوانب الثقافة الإسلامية المختلفة ، حيث قضى بها ما يقرب من سبع عشرة سنة نضجت فيها شخصيته العلمية ، وتحدد اتجاهه الفكري الذي كان سبباً في تأليب الكثير ضده من العلماء والحكام ، بسبب توسعه في النواحي العقلية وجد الآمدي في نفسه رغبة ملحة في التعمق والاستزاده من العلوم الحكمية فالدافع الداخلي لدى الآمدي في التوسع في مجال العقليات كان قويّاً وشديداً خاصة وأنه قد ألـمَّ بما عند شيوخه من العلوم ، فكان ذلك سبباً في الرحلة إلى بلاد الشام والأخذ عن حكمائها .

---

(١) انظر القفطي ت ٦٤٦ هـ – إخبار العلماء بأخبار الحكماء – (ص ١٦١) .

(٢) انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٣٦٤/٢٢) .

رحلاته :

رحلته إلى بلاد الشام : [٥٨٢ هـ - ٥٩٢ هـ]

ذهب الآمدي إلى الشام ليستكمل دراسته بها ، وذلك في سنة ٥٨٢ هـ ، واتصل بالمجير البغدادي ، ودرس عليه علم الخلاف مرة أخرى ، وأخذ عنه الطب وكان المجير أوحد زمانه في معرفة الأصول والكلام والجدل والمنطق ، وقد جرت له عدة مناظرات مع معاصره ابن فضلان ، وكان المجير يقطعه كثيراً ، حيث كان المجير في تلك الفترة يتنقل بين بغداد والشام ، وكان الآمدي قد إلتقى به في الشام ، حيث كان المجير مقيماً بها في الفترة من ٥٨٢ هـ - ٥٩٢ هـ ، ثم سافر بعدها إلى بغداد [1].

يقول ابن خلكان مبيِّناً أن رحلة الآمدي إلى بلاد الشام كانت لاستكمال دراسته التي بدأها في بغداد : « ثم انتقل إلى الشام ، واشتغل بفنون المعقول ، وحفظ منه الكثير وتمهر فيه ، وحصَّل منه شيئاً كثيراً ، ولم يكن في زمانه أحفظ منه لهذه العلوم ، ثم انتقل إلى الديار المصرية ، وتولى الإعادة بالمدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي[2] » [3].

---

(١) انظر السبكي - طبقات الشافعية - (٢٨٧/٧) ، والذهبي - سير الأعلام - (٣٦٤/٢٢) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أدريس بن العباس الشافعي القرشي هاشمي النسب ولد في غزة من بلاد فلسطين عام ١٥٠ هـ ، وليست موطن أبائه ، وإنما خرج أبوه إدريس إليها في حاجة ، فمات هناك ، وبعد سنتين من ولادته رجعت به والدته إلى مكة موطن أبائه ، نشأ يتيماً في حجر أمه ، حفظ القرآن في صباه ، والشعر واللغة في البادية ، وحفظ الموطأ ، وهو ابن عشر سنين وقرأه على يدي الإمام مالك ، أذن له بالفتوى وهو ابن عشرين أو خمس عشرة سنة ، واتفق العلماء قاطبة من أهل الفقه والأصول والحديث واللغة والنحو وغير ذلك على أمانته وعدالته وزهده وورعه وتقواه وإمامته ، والمسهب في مدحه مقتصد والمطنب مقصر ، توفي رحمه الله سنة ٢٠٤ هـ .

انظر الذهبي - تذكرة الحفاظ - (٣٢٩/١) ، والحافظ ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ - توالي التأسيس لمعالي محمد بن أدريس - تحقيق أبو الفدا عبد الله القاضي - الطبعة الأولى - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، وفخر الدين الرازي ت ٦٠٦ هـ - مناقب الإمام الشافعي - تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا - مكتبة الكليات الأزهرية - الطبعة الأولى - مصر ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦ م ، ومحمد أبو زهرة - الشافعي حياته وعصره - آراؤه وفقهه - دار الفكر العربي الطبعة الثانية - ١٣٦٧ هـ -١٩٤٨ م - القاهرة - مصر .

(٣) ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٩٣/٣) ، وقد وافق ابن خلكان من المتأخرين الزركلي الأعلام - (١٥٣/٥) ، ودائرة المعارف الإسلامية (ص ١٠٢) .

ثم انتقل الآمدي إلى حلب واجتمع بالشهاب السهروردي الحكيم المقتول وقد استفاد الآمدي من السهروردي في العلوم الحكمية والتي كان الأخير بارعاً فيها ، والحقيقة أن الآمدي أصيب بخيبة أمل كبيرة عندما اتصل بالشهاب السهروردي ، إذ يحكي عنه الآمدي أنه قال :

« لا بد لي أن أملك الدنيا ، قلت : من أين لك هذا ؟ قال : رأيت كأني شربت ماء البحر ، قلت : لعلّه يكون اشتهار علمك ، فلم يرجع عما في نفسه ووجدته كثير العلم ، قليل العقل » [(1)].

وكان صاحب حلب الملك الظاهر قد جمع العلماء في حلب لمناظرته ، فأعجب به وقربه إليه ، فكتب علماء حلب إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي وأفتوا بكفر السهروردي وقتله بسبب الانحلال والتعطيل ومذهب الأوائل ، فما كان من السلطان إلاّ أن كتب إلى ابنه بوجوب قتله ، وتم ذلك في سنة ٥٨٧ هـ [(2)].

ولعلَّ هذه الحادثة كانت مؤشراً للآمدي في مغادرة حلب إيثاراً للسلامة ولا يمكن الجزم بالسنة التي غادر بها الآمدي حلب ، إذ من المحتمل أنه تركها قبل موت السهروردي ، ومن المحتمل أيضاً أنه تركها بعد موته .

لكن الأمر الذي يمكننا الجزم به أن السلطان صلاح الدين الأيوبي قد ضيق في بلاد الشام على أهل العقليات ومنعهم من الصعود إلى المنابر ، وتولي التدريس ، والآمدي واحد منهم ، ووصل به الأمر إلى قتل بعضهم كما حصل مع السهروردي الحكيم .

وفي هذه الفترة لم يجد الآمدي في مجتمع بلاد الشام ضالته ، مع أنه بلغ من العمر أربعين سنة ، ووصل في العلم مرتبة عالية ومنزلة عظيمة فعقد العزم على مغادرة بلاد الشام ، خصوصاً وأن الأوضاع ليست بصالحه ، مما سبق يتضح أن الآمدي قد أقام بالشام مدة عشر سنوات في الفترة من سنة ٥٨٢ هـ تاريخ دخوله دمشق إلى سنة ٥٩٢ هـ تاريخ خروجه من الشام إلى مصر ، وأن هذه الفترة كانت لاستكمال دراسته التي بدأها بآمد وبغداد .

---

(١) انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٢١١/٢١) .

(٢) المصدر السابق – (٢٠٧/٢١ وما بعدها) .

رحلته إلى مصر : [٥٩٢ هـ - ٦١٣ هـ]

كانت وجهة الآمدي عند خروجه من بلاد الشام إلى البلاد المصرية والتي كان المجال فيها أرحب من بلاد الشام فيما يبدو خاصة وأن المحدثين والحنابلة يكثر وجودهم في الشام ، بخلاف مصر التي كان يحكمها في ذلك الوقت العزيز بن صلاح الدين والذي كان يخالط الجهمية ويعاشرهم ، وبعد وفاة أبيه عزم على إخراج الحنابلة من مصر والكتابة إلى بقية إخوته بإخراجهم من بلادهم ، ولكن الله أهلكه في تلك السنة التي عزم فيها على هذا الجرم العظيم [١].

وفي مصر يوجد الشهاب الطوسي الذي التقى به الآمدي في بغداد ، وله معه علاقة وطيدة حميمة تمكن الآمدي من العمل معه في مدرسته التي بناها له الملك المظفر صاحب حماة [٢].

وفي مصر أيضاً يتمكن الآمدي من التصدر للتدريس والإقراء وهذا ما لم يتيسر في الشام آنذاك ، هذه هي أهم الدوافع التي جعلت الآمدي يتوجه إلى مصر تاركاً بلاد الشام .

في ذي القعدة من سنة ٥٩٢ هـ دخل الآمدي البلاد المصرية ، وكان عمره آنذاك إحدى وأربعين سنة [٣]، وقضى فيها الفترة الذهبية من عمره المديد من الأربعين حتى الستين ، وكان أول نزوله على الشهاب الطوسي في المدرسة المعروفة بمنازل العز [٤]، وعلاقة الآمدي بالشهاب الطوسي لها دلالة وأثر في حياة الآمدي في البلاد المصرية ، فقد أظهر الطوسي بمصر المذهب الأشعري ، ونتيجة لذلك ثارت ثائرة الحنابلة ، ووقع السباب بين الطوسي وابن نجيه الحنبلي شيخ الحافظ المقدسي وإمام الحنابلة بالديار المصرية والواعظ

(١) انظر الحافظ ابن كثير - البداية والنهاية - (٢٠/١٣) .

(٢) انظر الذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٨٦/٢١) ، وابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - (١٥٩/٦) .

(٣) انظر القفطي - إخبار العلماء بأخبار الحكماء - (ص ١٦١) ، وطاش كبرى زاده - مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - (١٦٠/٢) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(٤) انظر القفطي - تاريخ الحكماء - (ص ٢٤١) .

بجامع القرافة ، وكانت المعارك الكلامية غالباً ما تقع على رؤوس المنابر بين الأشاعرة بقيادة الشهاب الطوسي ، وبين الحنابلة بقيادة ابن نجية الحنبلي [١]، ومن هنا يتضح أن الآمدي في تلك الفترة قد مال بثقله إلى الأشاعرة ، وسيأتي أن بعض العلماء في مصر اجتمعوا عليه ونسبوه إلى انحلال العقيدة [٢].

مكث الآمدي في مصر أكثر من عشرين عاماً قضاها في القاهرة والإسكندرية ، وتعتبر هذه الفترة من أهم وأخصب الفترات في حياة الآمدي ، حيث ألف في أثنائها الكثير من مؤلفاته مثل : « خلاصة الإبريز تذكرة للملك العزيز » [٣]، وهو كتاب موجز في العقيدة أهداه للسلطان عثمان المعروف بالعزيز كما سبق [٤]، وكتاب « رموز الكنوز » ، « ودقائق الحقائق في المنطق » [٥]، و « لباب الألباب » ، و « الترجيحات » ، و « غاية الأمل في علم الجدل » ، و « غاية المرام في علم الكلام » ، و « أبكار الأفكار في أصول الدين » ، وهو من أضخم كتبه الكلامية كما سيأتي [٦]، وإلى جانب اصدار الآمدي لهذه المؤلفات المختلفة الفنون في المنطق ، والفلسفة ، والجدل ، والخلاف ، والأصول ، والكلام ، كانت له مجالس علمية يشتغل بها الطلاب عليه ، وعقد له مجلس المناظرة ، وتصدر بالجامع الظافري [٧]، وانتشر صيته ، وعلت مرتبته واشتغل عليه الكثير من الأفاضل من شتى المذاهب ، في الفقه والأصول وعلوم الحكمة [٨].

---

(١) انظر ابن رجب – ذيل طبقات الحنابلة – (٤٣٩/١) ، والذهبي – السير – (٣٩٥/٢١) .

(٢) انظر (ص ١١٣) وما بعدها .

(٣) انظر إسماعيل البغدادي – إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون – (٤٣٢/١) مطبعة وكالة المعارف العثمانية – استانبول – ١٣٦٤ هـ – ١٩٤٥ م ، وهدية العارفين (٧٠٧/١) .

(٤) انظر (ص ١٠٠) .

(٥) انظر حاجي خليفة – كشف الظنون – (٥٤/١) ، وإسماعيل البغدادي – هدية العارفين (٧٠٧/١) .

(٦) انظر (ص ٩٩) .

(٧) انظر القفطي – إخبار العلماء بأخبار الحكماء – (ص ١٦١) ، وابن كثير – البداية والنهاية – (١٥١/١٣) ، والصفدي – الوافي بالوفيات – (٣٤١/٢١) .

(٨) انظر ابن العماد – شذرات الذهب – (١٤٥،١٤٤/٥) ، وابن خلكان – وفيات الأعيان – (٢٩٣/٣) .

وبالمدرسة الشافعية أو الصلاحية أو الناصرية وهي التي بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي بمصر ، تولى الآمدي الإعادة بها [(١)]، وقرئت عليه تصانيفه ، وتخرج على يده جماعة منهم نجم الدين أبو النصر الفتح بن موسى المغربي الخضراوي ، وبذلك علا ذكر الآمدي ، وارتفع شأنه ، حتى وصل إلى قاعة الملك العزيز صاحب مصر إذ ألف له كتاباً في العقائد سماه « خلاصة الإبريز تذكرة الملك العزيز » وهو كتاب موجز في علم الكلام أهداه الآمدي للعزيز [(٢)]، وقد كانت علاقة الآمدي به ذات أبعاد فكرية وآثار عقدية ، فالملك العزيز له حاشية من الجهمية يخالطهم ويتعلم على أيديهم [(٣)]، وكانت علاقته بالحنابلة تتسم بالعداوة والبغضاء ولـمَّا سمع ما حدث للحافظ عبد الغني المقدسي – إثر الفتنة التي حصلت في الشام بين الأشاعرة والحنابلة ، وكان وقتها خارجاً إلى الصيد – قال إذا رجعنا من هذه السفرة أخرجنا كل من يقول بمقالتهم من بلدنا ، وعزم على الكتابة بذلك لإخوته في بقية البلاد ، فأهلكه الله في تلك السفرة ، وكان ذلك في سنة ٥٩٦ هـ ، فارتفع بعد ذلك شأن الحنابلة عند الخاص والعام [(٤)]، وأوى الحافظ المقدسي إلى مصر [(٥)]، ولعلّه استقر عند شيخه ابن نجيه شيخ الحنابلة بمصر ، وفي نفس هذه السنة مات الشهاب الطوسي أيضاً ، وقد تولى العادل الديار المصرية بعد ابن أخيه العزيز فأكرم الحافظ المقدسي [(٦)]، وبذلك تبدلت الحال وأصبحت شوكة الحنابلة قوية ، وصاروا من المقربين لدى الملك العادل ، وضعفت شوكة الأشاعرة والمتكلمين ، وقرر جماعة من العلماء الاجتماع على الآمدي والتآمر ضده ، فنسبوه إلى فساد العقيدة وانحلال الطوية والتعطيل ومذهب الفلاسفة والحكماء[(٧)]،

---

(١) انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان – (٢٩٣/٣) .

(٢) انظر إسماعيل البغدادي – إيضاح المكنون – (٤٣٢/١) ، وهدية العارفين – (٧٠٧/١) .

(٣) انظر الحافظ ابن كثير – البداية والنهاية – (٢٠/١٣) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق (٢٣/١٣) .

(٦) انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٤٥٥/٢١، ٤٦١) .

(٧) انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان – (٢٩٣/٣) .

ويبدو أن الآمدي في تلك الفترة قد توسع في نشر علوم الأوائل تدريساً وتأليفاً ، فكتب أولئك العلماء محضراً يتضمن ما نسب إليه من التهم ووضعوا فيهم خطوطهم بما يوجب تكفيره ويستباح به قتله ، ولعلَّ هذا الأمر كان ردة فعل لما حصل لهؤلاء العلماء في أيام الملك العزيز من الأذية والضيق ، كما أن نبوغ الآمدي العجيب ، وذكاءه الفذ ربما حرك في نفوسهم الحسد والغيرة فتحاملوا ضده ، ولما حمل المحضر إلى واحد من العلماء ليكتب بخطه كما كتبوا ، كتب في المحضر :

« حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

والله أعلم ، كتبه فلان بن فلان » [(1)].

وكان هذا العالم كما وصفه ابن خلكان ذو عقل ومعرفة [(2)]، فالحسد والغيرة كثيراً ما تقع بين العلماء ، وكلام الأقران لا يُسلَّم به مطلقاً .

ولـمَّا رأى الآمدي ما آل إليه حال القوم من تعصب وبغض ، آثر الرحيل عن مصر واتجه إلى بلاد الشام خلسة ، وسكن مدينة حماة ، وهناك حظي بصحبة الملك الأيوبي أبي المعالي المنصور الذي تربطه علاقة وطيدة ، وكان المنصور من المحبين للعلماء فقد كان في خدمته ما يناهز مائتين من الفقهاء والأدباء والمنجمين والفلاسفة [(3)]، وقد اشتغل المنصور في هذه الفترة على الآمدي ، وأصبح الآمدي من أكابر الخواص عنده ، وبقي ملازماً له إلى أن توفي المنصور ، وذلك سنة ٦١٧ هـ [(4)].

ثم بعد ذلك غادر حماة إلى دمشق ، فاستقبله صاحبها الملك المعظم وكان عالماً مشاركاً في كثير من العلوم ، سلفي العقيدة جمع الله له بين الشجاعة ، والبراعة ، والعلم ومحبة أهله [(5)]، فأكرم الآمدي غاية الإكرام ،

(1) انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان – (٢٩٣/٣-٢٩٤) .

(2) المصدر السابق – (٢٩٣/٣) .

(3) انظر ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء – (ص ٦٥٠) ، والسبكي – طبقات الشافعية – (٣٠٦/٨) ، والذهبي – سير أعلام النبلاء – (١٤٧/٢٢) ، وابن خلكان – وفيات الأعيان – (٢٩٣/٣) .

(4) انظر ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء – (ص ٦٥٠) ، ومختصره تاريخ الحكماء – (ص٢٤١) .

(5) انظر ابن كثير – البداية والنهاية – (١٣١/١٣) .

وولّاه التدريس بالمدرسة العزيزية وأعطاه داراً وأحسن إليه [1].

وفي هذه الفترة كان الرجل قد بلغ أوج كفايته علماً وفضلاً ، وكان قد قارب السبعين من عمره ، وقد إعتلى شأن الآمدي بدمشق ، إذ صار من خاصة الملك المعظم ومن المقربين لديه ، وأقبل عليه الناس ، وقصده كثير من الطلاب ، فكان له أصدقاء وتلاميذ خاصون ، وكان له بستان يقرئ فيه العلم ، وله مجلس يعقد فيه مجلس للمناظرة ليلة الجمعة وليلة الثلاثاء في جامع دمشق [2]، وبعد أن ألف الآمدي كتابه الكبير في أصول الفقه «الإحكام في أصول الأحكام» أهداه للملك المعظم ، كما تدل على ذلك مقدمته [3]، وكتابه هذا يدل على سلامة تدينه وصحة مذهبه ، إذ ليس فيه عقيدة تخالف الإسلام ولا مذهب يفيد الانحلال من الدين ، وفي هذه الفترة تتلمذ عليه العز بن عبد السلام ولازمه كثيراً ، وصحبه ابن الحاجب ، وأخذ عنه القاضيان صدر الدين ابن سني الدولة ومحي الدين ابن الزكي ، واشتغل عليه ابن أبي أصيبعة ، ورئيس الأطباء الدخوار ، وبعض الحنابلة [4]، ويبدو أن المدرسة العزيزية والتي كانت في ذلك الوقت تعتبر مركزاً علمياً ضخماً ، قد أصبحت ذات طابع عقلي في منأى عن التفسير والحديث مما أثار ثائرة أهل الحديث من العلماء ، ولكن سلطان الملك المعظم كان أقوى من ذلك ، لذلك استمر الآمدي في هذا المنصب إلى أن مات المعظم سنة ٦٢٤ هـ وقد خلف المعظم ابنه الناصر ، وفي سنة ٦٢٦ هـ ، استولى الأشرف على دمشق وأخذها من الناصر ، ولم يزل الآمدي إذ ذاك مدرساً في العزيزية .

---

(١) انظر ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء – (ص ٦٥١) .

(٢) انظر المصدر السابق – (ص ٦٥١) ، والخوانساري – روضات الجنات – (٤٦٩) ، والصفدي – الوافي بالوفيات – (٣٤١/٢١) .

(٣) انظر علي بن أبي علي الآمدي – الإحكام في أصول الأحكام – (٤/١) تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي – طبع المكتب الإسلامي – الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ – بيروت – لبنان .

(٤) انظر المبحث الثالث : (ص ٦٢) .

وفي هذه الفترة اتصل صاحب آمد الملك المسعود بالآمدي وطلب منه أن يتولى منصب كبير القضاة بآمد، فاستحسن ذلك أصدقاء الآمدي رغبةً في اتساع رزقهم فلما تكرر طلبه وعده الآمدي بالإجابة، وظل هذا الأمر في طي الكتمان حتى لا يصل إلى الملك الأشرف صاحب دمشق، وفي سنة ٦٣٠ هـ استولى الكامل على آمد وأخذها من صاحبها المسعود الأرتقي، ولما أراد الكامل أن يعين قاضياً لآمد استشار بعض خاصته وكان الملك الأشرف حاضراً، فأشار بعض الخاصة بأن يولي الآمدي، لأن صاحب آمد طلب منه ذلك فأجابه، وأراد هذا الشخص أن ينفع الآمدي بهذا القول، فنظر الكامل إلى الأشرف كالمنكر عليه أن يكون في بلده مثل هذا الرجل وقد عزم على مفارقتها وهو يكاتب ملكاً آخر، فبقيت في نفس الأشرف، فلما وصل دمشق أخذ المدرسة العزيزية من الآمدي وقطع جاريه، وأمره أن يلزم بيته[1].

وكان الشيخ ابن الصلاح من أشد الناس على أصحاب العلوم العقلية، ولذلك ناصب الآمدي العدواة والبغضاء بسبب اشتغاله بعلوم الأوائل، وكان رحمه الله يرى حرمة الاشتغال بالمنطق والفلسفة، وقد خاطب الأشرف بذلك فقال: « فالواجب على السلطان أعزه الله أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المشائيم، ويخرجهم من المدارس ويبعدهم »[2].

يعني بذلك المشتغلين بالمنطق والفلسفة.

ويقول أيضاً: « إن أخذ العزيزية من الآمدي أفضل من أخذ عكا من يد الأفرنج »[3].

---

(١) انظر ابن القفطي - تاريخ الحكماء - (ص ٢٤١)، والخوانساري - روضات الجنات - (ص ٤٦٨-٤٦٩)، وخليل بن أيبك الصفدي - الوافي بالوفيات - (٣٤٤/٢١).

(٢) انظر ابن الصلاح ت ٦٤٣ هـ - فتاوي ومسائل ابن الصلاح - (٢١١/١)، وانظر ما قبلها - تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي - الطبعة الأولى - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ١٤٠٦ هـ - توزيع مكتبة المعارف بالرياض.

(٣) انظر ابن تيمية - نقض المنطق - (ص ١٥٦)، تحقيق محمد حامد الفقي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - مصورة عن طبعة مكتبة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٠ هـ ومجموع الفتاوى - (٧/٩).

فكان هذا الصنيع من الأشرف في حق الآمدي إستجابة لرغبة ابن الصلاح ، فقد كان الأشرف شجاعاً كريماً عفيفاً ، له ميل إلى المحدثين والحنابلة ، بنى دار الحديث الأشرفية سنة ٦٣٠ هـ ، وولاها الشيخ ابن الصلاح [١]، وعندما تملّك أصدر قراراً بنفي كل من يشتغل بغير التفسير والحديث والفقه [٢].

بعد ذلك مكث الآمدي عدّة شهور خاملاً في بيته إلى أن وافته المنية في اليوم الرابع من صفر سنة إحدى وثلاثين وستمائة فدفن في سفح جبل قاسيون [٣].

---

(١) انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (١٤١/٢٣) ، والنعيمي – الدارس في أخبار المدارس – (١٩/١) .

(٢) انظر الخوانساري – روضات الجنات – (٢٧١/٥) ، وابن كثير – البداية والنهاية – (١٥١/١٣) .

(٣) انظر ابن القفطي ت ٦٤٦ هـ – تاريخ الحكماء – (ص ٢٤١) ، وابن خلكان – وفيات الأعيان – (٢٩٤/٣) .

المبحث الخامس :

ثقافته ومؤلفاته

المبحث الخامس : ثقافته ومؤلفاته :

أولاً : ثقافته :

كان الآمدي ملماً بجميع فروع الثقافة الإسلامية - في عصره - مع ميل واضح إلى العلوم العقلية ، وما يندرج تحتها حتى أصبح من المتخصصين فيها ، وذلك لإتفاقها مع اتجاهه الفكري ، حتى جاءت كل مؤلفاته في هذا النوع من الدراسات العقلية (كلاماً ، وأصولاً ، وفلسفةً ، وجدلاً ، وخلافاً) ، مع دراية تامة بالعلوم الأخرى التي كانت متداولة في عصره ، من نحو ، وصرف ، وبلاغة ، وأدب ، وفقه ، وقراءات ، وحديث ، وتفسير ، وطب ، بالإضافة إلى نظمه للشعر الجيد ، كما أنه كان ذا قدرة فائقة في الإلقاء والتدريس ، وصاحب تصانيف حسنة ، مع حفظ لكتاب الله.

كما كان مقدماً في الخلاف ، والجدل ، والأصول ، والكلام ، والفلسفة ، هذا ما يمكن أن يقال عن ثقافة الآمدي على وجه الإجمال ، أما التفصيل فعلى الوجه الآتي :

١- ثقافته في الفقه :

بدأ الآمدي دراسته الفقهية في موطنه آمد على مذهب الإمام أحمد [(١)]، فحفظ كتاب الهداية لأبي الخطاب في الفقه الحنبلي [(٢)]، وعندما رحل إلى بغداد واستقر بها أكمل دراسته على يد شيخه ابن المني الحنبلي [(٣)]، ثم بعد ذلك ترك دراسة المذهب الحنبلي وتحول إلى المذهب الشافعي ، وكان ذلك على يد شيخه ابن فضلان شيخ الشافعية ببغداد [(٤)].

لم تنقطع صلة الآمدي بالفقه بعد رحيله من بغداد ، حيث تولى تدريسه في البلدان التي حل بها ، ففي مصر تولى تدريس الفقه الشافعي في المدرسة

(١) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٩٣/٣) .

(٢) انظر السبكي - طبقات الشافعية الكبرى - (٣٠٦/٨) ، والحافظ ابن حجر - لسان الميزان - (١٣٤/٣) ، والذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٦٤/٢٢) .

(٣) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٩٣/٣) ، والقفطي - تاريخ الحكماء - (ص ٢٤٠) ، وابن كثير - البداية والنهاية - (١٥١/١٣) .

(٤) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٩٣/٣) .

الصلاحية بالقرافة الصغرى [١]، وفي دمشق كان يعقد مجالس للمناظرة في مسائل الفقه والأصول بجامع بني أمية مرتين في الأسبوع كل ليلة ثلاثاء وجمعة ، يحضر هذه المجالس بالإضافة إلى الطلبة أكابر العلماء للإستفادة [٢].

ولكن مع مكانته العلمية في ميدان الدراسات الفقهية وتقدمه بها ، فلم تذكر المصادر التي ترجمت له أن للآمدي مؤلفات في هذا العلم .

٢: ثقافته في القرآن وعلومه :

كانت عادة أهل ذلك الزمان أن طالب العلم بعد أن يستكمل حفظ كتاب الله عز وجل ، يتعلم بعده مباشرة علم القراءات ، ثم بعد ذلك ينتقل إلى العلوم الآخرى ، والقراءات من العلوم التي أهتم بها الآمدي فقد درسها في آمد وبغداد [٣]، ولم تذكر المصادر التي ترجمة للآمدي أن له مؤلفات في هذا الفن ، والمتصفح لكتب الآمدي يجد أنه يتعرض لبعض المسائل في القراءات في ثنايا كتبه .

٣- ثقافته في الحديث الشريف :

لم يُعرف للآمدي كتاب في الحديث وعلومه ، لكن كتب التراجم تكاد تتفق على أنه درس الحديث وعلومه في بغداد ، وقد نص الحافظ ابن حجر العسقلاني على أن الآمدي سمع من ابن شاتيل الحديث ، وأنه روى عنه كتاب غريب الحديث لأبي عبيدة القاسم بن سلام [٤].

ثقافته في التفسير :

كان من العلوم التي ألم بها الآمدي علم التفسير ، كما تدل على ذلك مناقشاته في بعض مؤلفاته [٥]، فهو ينقل آراء المفسرين في الآية ، ثم يناقشها ويخرج في النهاية بالرأي الراجح ، وجميع من ترجموا للآمدي لم يذكروا أن للآمدي كتاباً في التفسير .

---

(١) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٩٣/٣) .

(٢) انظر ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء - (ص ٦٥٠) ، والصفدي - الوافي بالوفيات - (٣٤١/٢١) .

(٣) انظر السبكي - طبقات الشافعية - (٣٠٦/٨) ، والذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٦٤/٢٢) .

(٤) انظر الحافظ ابن حجر - لسان الميزان - (١٣٤/٣) .

(٥) انظر الآمدي - أبكار الأفكار - تحقيق د/ المهدي - (١/ ص ٢٣٤، ٢٩٢، ٢٩٧) .

٥- ثقافته في الطب :

لم يكن الآمدي من المتخصصين بالطب ، ولكن كان عنده إلمام بالمبادئ الطبِّية ، وقد انفرد ابن أبي أصيبعة وهو من تلاميذ الآمدي بذكر هذه الحقيقة حيث قال : « كان الآمدي أذكى أهل زمانه ، وأكثرهم معرفة بالعلوم الحكمية والمذاهب الشرعية ، والمبادئ الطبية » [١]، ومع هذا فلم يترك الآمدي رسائل أو كتباً في هذا العلم ، كما لم يذكر من ترجموا له أنه اشتغل بالطب .

٦- ثقافته في اللغة العربية والأدب :

لم يترك الآمدي كتباً في اللغة وعلومها ، وإن كانت مناقشاته لمسائلها في كتبه تدل على إحاطته بمسائلها ، فهو ضليع في النحو والصرف والبلاغة والأدب وعلامة ذلك توسعه في بعض المبادئ اللغوية في أصول الفقه [٢]، مع أن علاقتها بالأصول بعيدة جداً ، كما أن أسلوبه في صياغة مقدمة كتبه تدلان على قدرته اللغوية الفائقة ، وله شعر جيد في مدح تلميذه صاحب حماة وقد كانت بينهما مودة وصحبة [٣].

هذا بالنسبة للعلوم التي ألمَّ بها الآمدي ، ولم يصنِّف بها ، أما بالنسبة للعلوم التي كان مقدماً فيها فهي التي صنَّف فيها كل مؤلفاته وهي علوم الخلاف ، والجدل ، والفلسفة ، والمنطق ، والكلام ، وأصول الفقه ، وسأتحدث بالتفصيل عن هذه العلوم التي تخصص فيها ، والمصنفات التي ألفها في كل منها في الفقرات التالية :

---

(١) ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء في طبقات الأطباء – (ص ٦٥٠) .
(٢) انظر مثلاً الآمدي – الأحكام – (٢٥/١) .
(٣) انظر ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء – (ص ٦٥١) .

١- ثقافته في العقليات :

دراسة العلوم العقلية أو العقليات لم تكن في يوم من الأيام مختصة بملة معينة ، بل النظر فيها عام لأهل الملل كلهم ، فالإنسان من حيث أنه ذو فكر فهو يستوي مع بني جنسه في مدارك هذه العلوم ومباحثها .

وتسمى هذه العلوم بعلم الأوائل لأنها كانت موجودة عندهم قبل غيرهم ، ومن الأسماء التي تسمى بها هذه العلوم أيضاً علوم الفلسفة والحكمة [١]، واطلاق الحكمة على الفلسفة من الأمور الباطلة ، فالحكمة أبعد ما تكون عن مباحث هذه العلوم ، بل الحكمة تقتضي الإعراض عما ليس فيه فائدة للإنسان ، وهذه العلوم ليس فيها سوى إتعاب للعقول والأذهان ، وإضاعة للأوقات [٢]، كما لا يليق أن يوصف المشتغل بهذه العلوم بكونه حكيماً ، والله يقول سبحانه وتعالى :

﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتيَ خيراً كثيراً ﴾ [٣].

ويعني بذلك جل ثناؤه أن يؤتي من يشاء من عباده المعرفة بالقرآن والفقه بالدين ، فكتاب الله لا شك ولا ريب أنه طريق لكل علم نافع ومعرفة صائبه وعقل مسدد ، وإصابة للصواب في الأقوال والأفعال ، ولقد نقل شيخ المفسرين عن جمع من الصحابة والتابعين أن مراد الباري سبحانه من الحكمة في الآية الكريمة المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وتفقه أحكامه [٤].

---

(١) انظر ابن خلدون – المقدمة – (١٧٥/٢) طبعة السعيد مندوه .

(٢) انظر شيخ الإسلام – مجموع الفتاوى – (٩٠/٩) .

(٣) سورة البقرة – آية : ٢٦٩ .

(٤) انظر أبوجعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – (٨٩/٣-٩١) دار الفكر – بيروت – لبنان ، وانظر محمد جمال الدين القاسمي ت ١٣٣٢ هـ – ١٩١٤ / – تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل – (٣٤٥/٣) ، والشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت ١٣٧٦ هـ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – (٢١٤/١) تقديم محمد زهري النجار وتصحيح محمد سليمان البسام – طبع ونشر دار المدني بجدة المملكة العربية السعودية – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

والعلوم العقلية أو العقليات هي علم يبحث في حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر ، بقدر الطاقة البشرية [١].

وتنقسم هذه العلوم إلى أربعة أقسام : الأول علم المنطق ، والثاني علم الطبيعة ، والثالث علم ماوراء الطبيعة أو الإلهيات ، والرابع التعاليم كالهندسة والموسيقى وغيرهما [٢].

وقد اتقن الآمدي من هذه العلوم علم المنطق [٣]، وهو من العلوم المذمومة عند علماء السلف ويحذرون من الانبهار به ، فمنهم من اكتفى بتحريم الاشتغال به كابن الصلاح الذي قال :

« المنطق مدخل الفلسفة ومدخل الشر شر ، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشارع ولا استباحه أحد من الصحابه والتابعين ، والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين وسائر من يقتدى به » [٤].

ولذلك اشتهر بين المتأخرين القول بأن « من تمنطق فقد تزندق » [٥]، ومنهم من لم يكتفِ في رده على المنطق باصدار الفتاوى بتحريمه ، كشيخ الإسلام ابن تيمية ، بل تعدى رحمه الله ذلك الموقف إلى موقف الناقد ، فنقده بالدليل والبرهان وألف في نقده وبيان فساده عدة كتب ، منها كتابه الرد على المنطقيين ، ونقض المنطق ، ونصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان .

ويرى شيخ الإسلام أن المنطق لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد ، وأن قضاياه منها ما هو صادق ومنها ما هو باطل .

---

(١) حاجي خليفة – كشف الظنون – (٦٧٦/١) .

(٢) انظر ابن خلدون – المقدمة – (١٧٥/٢) تحقيق السعيد مندوه .

(٣) عرّفه الجرجاني « آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر » الشريف علي بن محمد الجرجاني ت ٨١٦ هـ – التعريفات – (ص ٣٠١) تحقيق إبراهيم الأبياري – دار الكتاب العربي – الطبعة الثانية – ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م – بيروت – لبنان .

(٤) انظر ابن الصلاح – فتاوى ابن الصلاح – (٢١٠/١) تحقيق وتخريج د/ عبد المعطي أمين قلعجي – دار المعرفة – الطبعة الأولى – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م – بيروت – لبنان .

(٥) انظر الدكتور محمد رشاد سالم – مقارنة بين الغزالي وابن تيمية – (ص ٢٩) – الدار السلفية – الكويت – ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

يقول شيخ الإسلام : « فإني كنت دائماً أعلم أن المنطق اليوناني ، لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد ، ولكن كنت أحسب أن قضاياه صادقة لما رأيت من صدق كثير منها ، ثم تبين لي فيما بعد خطأ طائفة من قضاياه . وكتبت في ذلك شيئاً ، ثم لما كنت بالإسكندرية اجتمع بي من رأيته يعظم المتفلسفة بالتهويل والتقليد ، فذكرت له بعض مايستحقونه من التجهيل والتضليل ... وتبين لي أن كثيراً مما ذكروه في أصولهم في الإلهيات وفي المنطق هو من أصول فساد قولهم في الإلهيات ، مثل ما ذكروه من تركب « الماهيات » من الصفات التي سموها « ذاتيات » وما ذكروه من حصر طرق العلم فيما ذكروه من « الحدود والأقيسة البرهانية » بل فيما ذكروه من الحدود ، التي بها تعرف « التصورات » بل ما ذكروه من صور « القياس » وموارده « اليقينيات » ، »[1].

ومن أجزاء علم المنطق علم المناظرة والجدل والخلاف ، وقد قرأ الآمدي هذه العلوم على شيخه ابن فضلان وحفظ في ذلك أربعين جدلاً ، وأحكم طريقة الشريف وطريقة الميهني ، ثم اتصل ببعض أهل الكتاب من يهود ونصارى الكرخ فأخذ عنهم ، وقد أنكر عليه علماء بغداد بعد تظاهره بذلك وحصلت بينهم وبينه جفوة وتطورت الحال إلى أن تحاموه ووقعوا في عقيدته فكان ذلك سبباً لخروجه من العراق[2].

وفي الشام اتصل بالمجير البغدادي وأخذ عنه هذه العلوم ، وأخذ أيضاً عن الشهاب السهروردي الحكيم ، فأصبح متقناً لهذه العلوم لا يماثله فيها أحد .

وفي البلاد المصرية عندما تصدر للتدريس والإقراء درس هذه العلوم ، واشتهر بها ، فقد ذكره ابن القفطي[3] في كتابه وعده من الحكماء[4]،

---

(١) شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية - الرد على المنطقيين - (ص٣) إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان - الطبعة الثانية - ١٣٩٦ هـ .

(٢) انظر ابن القفطي - إخبار العلماء بأخبار الحكماء - (ص ١٦١) .

(٣) هو علي بن يوسف بن إبراهيم ، جمال الدين أبو الحسن ابن القفطي وزير حلب ، أحد الكتاب المشهورين ، جمع من الكتب ما لا يوصف وكان مغرماً بها ، توفي سنة ٦٤٦ هـ .

انظر الذهبي - سير أعلام النبلاء - (٢٢٧/٢٣) ، وابن شاكر - فوات الوفيات - (١١٧/٣) ، وابن تغري بردي - النجوم الزاهرة - (٣٦١/٦) .

(٤) انظر ابن القفطي - تاريخ الحكماء - (٢٤٠) .

وكذلك صاحب كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة حيث ذكره فيمن كان بمصر من الحكماء وأرباب المعقولات وعلوم الأوائل [(١)].

وأثنى عليه ابن أبي أصيبعة وهو أحد تلاميذه[(٢)] في كتابه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » بقوله : « كان أذكى أهل زمانه وأكثرهم معرفة بالعلوم الحكمية »[(٣)].

وقال شيخ الإسلام [(٤)]: « مع أن الآمدي لم يكن أحد في وقته أكثر تبحراً في العلوم الكلامية والفلسفية منه » [(٥)].

وقال عنه العز بن عبد السلام وهو من أخص تلاميذه [(٦)]:

« ما تعلمنا قواعد البحث إلاّ منه » [(٧)]، وقال : « لو ورد على الإسلام متزندق يستشكل ما تعين لمناظرته غيره » [(٨)].

---

(١) انظر السيوطي – حسن المحاضرة – (٥٤١/١) .

(٢) انظر المبحث الثالث ، تلاميذه (ص ٦٣) .

(٣) انظر ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء – (ص٦٥٠) .

(٤) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ثم الدمشقي تقي الدين أبو العباس ، شيخ الإسلام ، برع في التفسير وفي الحديث ، وفاق الناس في معرفة الفقة واختلاف المذاهب ، واتقن العربية ، ونظر في العقليات وأقوال المتكلمين ، ورد عليهم ونصر السنة ، وقمع البدعة ، وأوذي في ذات الله واعتقل وسجن ، له تصانيف كثيرة منها درء تعارض العقل والنقل ، والصفدية ، ومنهاج السنة النبوية ، توفي عليه رحمة الله سنة ٧٢٨ هـ .

انظر محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي – العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية – مطبعة المدني – القاهرة – مصر ، ومرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ت ١٠٣٣ هـ – الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية – تحقيق وتعليق نجم عبد الرحمن خلف – دار الغرب الإسلامي – الطبعة الأولى – ١٤٠٦هـ –١٩٨٦م – بيروت – لبنان ، وسعد صادق محمد – شيخ الإسلام ابن تيمية إمام السيف والقلم – الطبعة الإولى – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧هـ ، دار اللواء – الرياض – المملكة العربية السعودية ، ومحمد بن إبراهيم الشيباني – أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – مكتبة ابن تيمية – الكويت – الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .

(٥) انظر شيخ الإسلام – مجموع الفتاوى – (٧/٩) .

(٦) انظر المبحث الثالث ، تلاميذه (ص ٦٢) .

(٧) انظر السبكي – طبقات الشافعية – (٣٠٧/٨) ، وابن قاضي شهبة – طبقات الشافعية – (٨٠/٢) .

(٨) المصدر السابق .

وللآمدي مؤلفات كثيرة في هذا الميدان ، أعني علوم المنطق والفلسفة والجدل والخلاف ، سوف أتطرق إليها بعد قليل في الكلام على مؤلفاته .

اختار الآمدي هذا الإتجاه ورغب فيه وضحى من أجله ، وواجه في سبيل هذه العلوم المخاطر والتعرض لعداوة العلماء وغضبهم عليه في البلاد التي حل بها ، ففي العراق تحامله العلماء ووقعوا في عقيدته [(١)]، وفي مصر اجتمع عليه العلماء وكتبوا فيه محضراً يوجب تكفيره واستباحة دمه [(٢)]، وفي دمشق تسببت هذه العلوم بعزله عن المدرسة العزيزية وخموله في بيته ، بعد أن أمر الملك الأشرف بذلك ، وكان قد نادى بمنع الاشتغال بغير الفقه والحديث والتفسير [(٣)].

وليت هذا الاندفاع في التدريس والتأليف وتحمل المشاق والمخاطر كان في مجال العلوم الشرعية من حديث وتفسير وفقه ، لنفع الله به إذ كان يتمتع بعقلية فذة وحافظة قوية ، ولكن مع الأسف قد أُشرب قلب الآمدي حب المنطق والعلوم العقلية ، ورضي بها عن القرآن والسنة والآثار بدلاً ، وكان ذلك سبباً لجهله بما عليه أهل السنة والجماعة من الإعتقاد والتوحيد ، غفر الله لنا وله ، قال الذهبي عنه :

« وتفنن في حكمة الأوائل فرق دينه وأظلم » [(٤)].

---

(١) انظر ابن القفطي – تاريخ الحكماء – (ص ٢٤٠) ، وابن أبي أصيبعة – عيون الانباء – (ص ٦٥٠) .

(٢) انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان – (٣/٢٩٣-٢٩٤) .

(٣) انظر الصفدي – الوافي بالوفيات – (٢١/٣٤٤) .

(٤) الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٢٢/٣٦٤) .

٢- ثقافته في علم الكلام :

وهو علم يقتدر معه على إثبات الحقائق الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها ، وموضوعه ذات الله وصفاته [١].

وقد يسميه البعض بعلم أصول الدين ، وهي تسمية لا تنطبق على علم الكلام من ناحية مباحثه وما يعتمد عليه ، فمن المعلوم أن علم أصول الدين المتعلق بمباحث المعتقد ، والذي خاض فيه الأئمة المتقدمون ، بعيد كل البعد عما أدخله المتكلمون من أساليب فلسفية ومنطقية ومن أصول مبتدعة ، إذ إنه يعتمد على الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، مع الاستشهاد بالأدلة العقلية والتي لم يغفلها الشرع ، فالقرآن كما أنه مصدر للأدلة النقلية فإنه أيضاً مصدر للأدلة العقلية [٢].

أمَّا بالنسبة لعلم الكلام - بصورته لدى المتكلمين - فهو يختلف عن أصول الدين الذي بحث فيه المتقدمون اختلافاً شاسعاً ، فاعتماد هذا العلم منصب على الأدلة العقلية والتي يعتمد عليها اعتماداً كليًّا حيث إن كثيراً من القضايا العقدية لا يمكن إثباتها بالأدلة السمعية فهي لا تفيد اليقين حسب زعمهم[٣]، مع إغراق في المصطلحات الفلسفية والقضايا المنطقية واتخاذها حجةً في موضع النزاع ، زعماً منهم أنهم يدفعون بالذي وضعوه الشبهة والشكوك ، والفاضل الذكي يعلم أن الشبه والشكوك زادت بذلك [٤].

---

(١) ذكر المتأخرون عدة أقوال في سبب تسميته بعلم الكلام ، منها : أن مبناه على الكلام في المناظرات ، أو لشبهه بالمنطق ، أو أن العلماء بوّبوا بقولهم : الكلام في كذا أو لأن أهم قضية في مباحثه مسألة كلام الله تعالى .

انظر في ذلك : ابن خلدون - المقدمة - (١٤٠/٢) ، وطاش كبرى زاده - مفتاح السعادة (١٣٢/٢) .

(٢) انظر شيخ الإسلام - النبوات - (ص ٢١٤ وما بعدها) دار الكتب العلمية -١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - بيروت - لبنان ، وابن أبي العز الحنفي ت ٧٩٢ هـ - شرح العقيدة الطحاوية - مقدمة المحقق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط - (١٤/١-١٥) مؤسسة الرسالة - الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م - بيروت - لبنان .

(٣) انظر إمام الحرمين الجويني - الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد - (ص ٣٥٨) - تحقيق د/ محمد يوسف موسى ، د/ عبد المنعم عبد الحميد - الناشر مكتبة الخانجي شارع عبد العزيز - مصر - ١٣٦٩ هـ ١٦٥٠ م .

(٤) انظر ابن أبي العز الحنفي ت ٧٩٢ هـ - شرح العقيدة الطحاوية - (٢٣٩/١) .

ولذلك أجمع السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين على ذم الكلام وأهله لما فيه من الباطل المخالف للكتاب والسنة [(1)]، وهم مع ذلك لم يذموا جنس النظر والاستدلال ، ولكن معارضتهم تركزت على الأساليب الكلامية المبنية على غير الكتاب والسنة ، والنقول عنهم كثيرة يصعب حصرها وهي مشهورة ولا بأس من إيراد بعضها ، فقد نُقل عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال :

« البدعة بدعتان : بدعة خالفت كتاباً أو سنةً أو إجماعاً أو أثراً عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ ، فهذه بدعة ظلالة ، وبدعة لم تخالف شيئاً من ذلك فهذه تكون حسنة لقول عمر : « نعمت البدعة هذه »[(2)] » [(3)]، ولا شك أن من أعظم البدع المخالفة للكتاب والسنة ما جاء به أهل الكلام في مسائل الصفات والقدر والإيمان ، ولذلك اشتد نكير السلف عليهم بل وجعلوه من أبواب الإلحاد والزندقة ، والإمام الشافعي واحد منهم حيث قال : « حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام » [(4)].

واشتهر هذا الموقف من علم الكلام عن أعلام السلف ومنهم الأئمة الأربعة رحمهم الله [(5)]، وصارت دواوين السنة تذكر كثيراً من الآثار عنهم في

(1) انظر د/ مصطفى حلمي – قواعد المنهج السلفي – (ص : ٨٥) ، ومنهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين – له – (ص : ٤٠) .

(2) رواه البخاري في صحيحه – كتاب صلاة التراويح – باب فضل قيام رمضان – (٢/٢٥٢) .

(3) رواه البيهقي – للمدخل – (٢٠٦) ، ورواه أيضاً في مناقب الشافعي – (١/٤٦٨-٤٦٩) ، ورواه مختصراً أبو نعيم في الحلية – (٩/١١٣) .

(4) رواه البيهقي في مناقب الشافعي – (١/٤٦٢) ، والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص ١٦٨) ، والحافظ ابن حجر ت ٨٥٢ هـ – توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس – (ص ١١١) تحقيق أبو الفدا عبد الله القاضي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م ، والذهبي – سير أعلام النبلاء – (١٠/٢٩) .

(5) انظر شيخ الإسلام – مجموع الفتاوى – (٥/٢٦١،٦/٢٤٣،١٦/٤٧٢-٤٧٦) ، والنبوات – (ص ٢٩٨) ، ودرء التعارض – (٥/٢١٨،٨/٢٧٧) ، والاستقامة – (١/١٣-١٤) وغيرها .

موقفهم هذا [(1)].

هذا بالنسبة لموقف السلف من الكلام وأهله ، أمَّا بالنسبة لثقافة الآمدي الكلامية فقد كان الآمدي شيخاً للمتكلمين في عصره ، هذه حقيقة اتفق عليها جميع من ترجموا له ، يقول شيخ الإسلام :

« لم يكن أحد في وقته أكثر تبحراً في العلوم الكلامية والفلسفية منه » [(2)]، ويقول عنه الحافظ الذهبي :

« لم يكن له نظير في الأصلين والكلام والمنطق » [(3)].

وقال فيه تلميذه العز بن عبد السلام :

« لو ورد على الإسلام متزندق يستشكل ما تعين لمناظرته غيره » [(4)].

وقال سبط ابن الجوزي :

« لم يكن في زمانه من يجاريه في الأصلين وعلم الكلام » [(5)].

---

(1) انظر أبوبكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني ت ٢٨٧ هـ – السنة – (١/١٦-٢٧) تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني – الطبعة الثالثة – ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م – المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان ، وأبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي ت ٣٨٧ هـ ، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة – (٢/٤٨٣-٥٤٤) تحقيق رضا نعسان مُعطي – الطبعة الثانية – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م – دار الراية – الرياض – المملكة العربية السعودية ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشهير بابن زمنين – ت ٣٩٩ – أصول السنة – (٣٥-٥٩) تحقيق عبد الله البخاري – مكتبة الغرباء – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ – المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية ، وأبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني ت ٥٣٥ هـ – الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة – (١/٩٩-١٠٦) تحقيق محمد بن ربيع المدخلي – دار الراية – الطبعة الأولى – ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م – الرياض – المملكة العربية السعودية ، ومحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ت ١١٨٨ هـ – لوائح الأنوار السنية – (١٨٢ – ١٩١) تحقيق عبد الله بن محمد البصيري – مكتبة الرشد – الطبعة الأولى – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م – الرياض – المملكة العربية السعودية .

(2) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٩/٧) .

(3) الذهبي – العبر في خبر من غبر – (٣/٢١٠) .

(4) انظر السبكي – طبقات الشافعية – (٨/٣٠٧) .

(5) انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٢٢/٣٦٥) .

أخذ الآمدي في بداية طلبه الكلام على يد شيخه ابن فضلان إمام الأشاعرة في زمانه ، وكذلك درس على المجير البغدادي ، وقد كان لهما الأثر البالغ في حياة الآمدي العلمية ، حيث اتجه الآمدي بكل ثقله إلى العلوم العقلية ، بعد الالتقاء بهما .

لقد أجاد الآمدي علم الكلام ونبغ فيه ، نتيجة لتأسسه القوي في العلوم العقلية والتي كما تقدم أن الآمدي أحكم هذه العلوم إحكاماً [(١)].

وعلم الكلام يعتمد على المنطق والجدل والعقليات ، فكان هذا سبباً ظاهراً لإتقان الآمدي لهذا العلم ونبوغه فيه ، يقول الآمدي عن نفسه : «ولمَّا كنا مع ذلك قد حققنا أصوله ، ونقحنا فصوله ، وأحطنا بمعانيه ، وأوضحنا مبانيه ، وأظهرنا أغواره ، وكشفنا أسراره ، وفزنا فيه بقصب سبق الأولين ، وحزنا غايات أفكار المتقدمين والمتأخرين ، واستترعنا منه خلاصة الألباب ، وفصلنا القشر عن اللباب » [(٢)].

وإن مؤلفاته في علم الكلام والتي بلغت في بابها درجة عالية من الإتقان والإحكام ، تدل دلالة واضحة على تمكنه من هذا العلم ، وقد خلف الآمدي منها خمسة كتب منها ما هو مطبوع والباقي ما زال مخطوطاً [(٣)].

---

(١) انظر (ص ٨٨) .

(٢) الآمدي - أبكار الأفكار - (٢/١) بتحقيق د/ المهدي

(٣) انظر مؤلفاته (ص ٩٩) .

٣- ثقافته في أصول الفقه :

برز الآمدي ونبغ في أصول الفقه ، حتى أصبح إمام عصره في الأصول وقد أوصله إلى تلك المكانة المرموقة ، جدٌ لا يعرف الكلل ، وانصراف إلى العلم شغله عما عداه من الأمور ، يقول في مقدمة أهم كتبه الأصولية كتاب الإحكام في أصول الأحكام :

« ولذلك كثر تدآبي ، وطال اغترابي ، في جمع فوائدها وتحقيق فرائدها ، من مباحثات الفضلاء ، ومطارحات النبلاء ، حتى لان من معركها ما استصعب على المتدربين ، وظهر منها ماخفي على حذاق المتبحرين ، وأحطت منها بلباب الألباب ، واحتويت من معانيها على العجب العجاب » [1].

وكتابه الإحكام في أصول الأحكام وهو من أهم كتب الآمدي في أصول الفقه يدل دلالة واضحة على بروزه في أصول الفقه ، حتى أن العلماء من بعده تناولوا كتابه بالعناية والمطالعة والشرح والتلخيص [2]، وهكذا بالنسبة لبقية مؤلفاته الأصولية ، والتي تتمتع بنفس المكانة التي حظي بها الإحكام ، فهي بحق من أبرز المراجع في أصول الفقه كما سيأتي [3].

(١) الآمدي ت ٦٣١ هـ - الإحكام في أصول الأحكام - (٣/١-٤) تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية - ١٤٠٢ هـ - بيروت - لبنان .
(٢) انظر ابن خلدون - المقدمة - (١٣٨/٢-١٣٩) تحقيق السعيد المندوه .
(٣) انظر مؤلفاته - (ص ١٠٤) .

ثانياً : مؤلفاته :

وهب الله الآمدي قلماً سيالاً ، ومقدرة عجيبة في التأليف والتصنيف ، ومصنفاته التي بين أيدينا خير دليل على ذلك ، فقد بلغت في الاتقان والتحبير مبلغاً عظيماً ، لم يستعجل الآمدي التأليف في بداية مرحلة نضوجه العلمي ، بل أجَّلَ ذلك إلى أن بلغ في العلم مرحلة عظيمة ، وبعد أن أمضى في ميدان العلم شوطاً كبيراً ، إذ تذكر المصادر أن أول مصنف له كان بعد تجاوزه الأربعين من عمره [1]، مع أن حصيلته العلمية وقدراته العقلية كانت تؤهله للتأليف قبل هذه الفترة بكثير ، فبدايته للطلب كانت في مرحلة مبكرة جداً من حياته في مسقط رأسه آمد ، كما أنه ابتداء رحلاته العلمية و لم يتجاوز عمره إذ ذاك أربع عشر سنة ، وكانت وجهته الأولى بغداد [2].

ولعلَّ كتاب خلاصة الإبريز تذكرة الملك عبد العزيز من أول مؤلفاته حيث ألفه في الفترة التي كان موجوداً بها في مصر وهي من سنة ٥٩٢ هـ إلى ٥٩٥ هـ ، وأهداه للملك عبد العزيز بن صلاح الدين الأيوبي [3].

أما عن آخر مؤلفاته فقد كانت في ميدان أصول الفقه ، فمنها منتهى السول في علم الأصول ، إذ ألفه بعد كتابه الإحكام ، وهو أيضاً من آخر مؤلفاته ، إذ ألفه في سنة ٦٢٠ هـ ، وذكر فيه عدداً من مؤلفاته الأخرى [4].

ولقد ورد ذكر مؤلفاته الكثيرة في كتب الطبقات والتراجم القديمة والحديثة ، وكذلك في فهارس المكتبات المتعددة ،حيث بلغت ثلاثة وعشرون كتاباً ، منها سبعة في الجدل والخلاف ، وثمانية في الفلسفة والمنطق ، وخمسة كتب في علم الكلام ، وثلاثة في أصول الفقه ، وسوف أتعرض لإنتاجه

---

(١) انظر البغدادي - إيضاح المكنون (٤٣٢/١) ، وهدية العارفين - (٧٠٧/١) ، ومحمد الجيزاني - الآمدي أصولياً - رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية - ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م .

(٢) انظر المبحث الرابع مراحل طلبه ورحلاته - (ص ٧٠) .

(٣) انظر البغدادي - إيضاح المكنون - (٣٤٢/١) ، وهدية العارفين - (٧٠٧/١) .

(٤) انظر محمد حسين الجيزاني - الآمدي أصولياً - (ص ١٤٩-١٥١) .

العلمي حسب الموضوعات فيما يلي [1]:

أولاً : في علم الكلام :

١- أبكار الأفكار في علم الكلام :

وهو أهم مؤلفات الآمدي الكلامية ، ويتفق معظم من ترجم له على ذكره في مقدمة مؤلفاته ، فقد ذكره تلميذه ابن أبي أصيبعة باسم « أبكار الأفكار في الأصول »[2]، وذكره تلميذه ابن خلكان باسم « أبكار الأفكار في علم الكلام » ، مع بيان أن الآمدي قد اختصره في كتاب سماه « منائح القرائح » [3]، كما أن الأبكار يعتبر من أهم كتب علم الكلام على الاطلاق ، حيث اعتمد عليه معظم من أتى بعده من المتكلمين ، فقد لخّصه الأيجي في كتابه المواقف [4]، وقد رتب الآمدي كتابه على ثماني قواعد تضمنت جميع مسائل الكلام وهي :

يقول الآمدي واصفاً ترتيب كتابه : « وجعلته مشتملاً على ثمانية قواعد متضمنة لجميع مسائل الأصول :

الأولى : في العلم وأقسامه .

الثانية : في النظر وأقسامه وما يتعلق به .

الثالثة : في الطرق الموصلة إلى المطلوبات النظرية .

الرابعة : في انقسام المعلوم إلى الموجود والمعدوم ، وما ليس بموجود ولا معدوم .

الخامسة : في النبوات .

السادسة : في المعاد وما يتعلق به من السمعيات وأحكام الثواب والعقاب .

السابعة : في الأسماء والأحكام .

الثامنة : في الإمامة ومن له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » [5].

---

(١) اعتمدت فيما لم أطلع عليه من مؤلفات الآمدي على ما كتبه الدكتور حسن محمود عبد اللطيف في كتابه تحقيق غاية المرام للآمدي وعلى ما كتبه الدكتور أحمد المهدي في دراسته للآمدي وكتابه أبكار الأفكار .

(٢) انظر ابن أبي أصيبعة – طبقات الأطباء – (ص ٦٥١) .

(٣) انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان – (٢٩٤/٣) .

(٤) انظر الشريف الجرجاني – شرح المواقف – (٤/١) .

(٥) الآمدي – أبكار الأفكار – (٣/١) تحقيق الدكتور المهدي .

وقد أختصره الآمدي في كتاب منائح القرائح [(1)]، وكتاب الأبكار لازال مخطوطاً لم يظهر إلى حيز المطبوعات ، وقد قام الدكتور أحمد المهدي ، بتحقيق جزء منه في رسالته الدكتوراه ، والمقدمة إلى جامعة الأزهر ، وقد أشار إلى أن نسخ الأبكار كثيرة جداً وهي على وجه التحديد اثنتين وعشرين نسخة يقع معظمها في تركيا [(2)].

٢- خلاصة الإبريز تذكرة الملك عبد العزيز .

وهذا الكتاب من أوائل مؤلفات الآمدي إذ ألفه في الفترة من ٥٩٢ - ٥٩٥ هـ ، وهي الفترة التي قضاها الآمدي في دولة الملك العزيز بمصر ، وقد أهدى كتابه هذا للملك العزيز بن صلاح الدين الأيوبي ، وقد نص ابن أبي أصيبعة تلميذ الآمدي على أن كتابه هذا في العقائد [(3)]، أما عن نسخه وأماكنها فلم يعثر على شيء منها [(4)].

٣- منائح القرائح .

وهو مختصر لكتاب الآمدي الضخم « أبكار الأفكار[(5)]» المتقدم ذكره [(6)]، وقد ذكر صاحب الوافي في الوفيات أنه يقع في مجلد واحد [(7)].

٤- المآخذ على المطالب العالية للرازي .

لازال في عداد المخطوطات ، ويوجد نسخة مصورة من هذا الكتاب على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم ٣ توحيد وهي مصورة عن النسخة الموجودة بمكتبة فيض الله باستانبول رقم ١١٠١ ،

---

(١) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٩٤/٣) .

(٢) انظر الآمدي - أبكار الأفكار - تحقيق ودراسة المهدي - قسم الدراسة - (١٦٨/١) .

(٣) انظر ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء - (ص ٦٥١) ، والبغدادي - إيضاح المكنون - (٤٣٢/١) ، وهدية العارفين - (٧٠٧/١) .

(٤) انظر الدكتور المهدي - رسالة الدكتوراه - (١/ الدراسة ص ١٠٥) .

(٥) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٩٤/٣) ، وابن العماد - شذرات الذهب - (١٤٤/٥) ، والخوانساري - روضات الجنات - (ص ٤٦٩) .

(٦) انظر (ص ٩٩) .

(٧) انظر الصفدي - الوافي بالوفيات - (٣٤٥/٢١) .

وقدألفه الآمدي اختصاراً ونقداً لكتاب المطالب العالية للرازي [(١)]، وقد كان الآمدي معنيًّا بالرد على الرازي ، وقد خصص بعض كتبه للرد عليه كما سيأتي [(٢)].

٥- غاية المرام في علم الكلام :

وهو الكتاب الوحيد الذي نشر محققاً للآمدي ، بتحقيق الدكتور حسن محمود عبد اللطيف ، وحصل به على درجة الماجستير في الرسالة التي قدمها إلى جامعة القاهرة بعنوان : « الآمدي وأثره في علم الكلام » ، وقد طبع الكتاب بواسطة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر لجنة إحياء التراث بالقاهرة سنة ١٩٧١ م ، في مجلد واحد ، وقد اعتمد المحقق على نسخة وحيدة لتعذر الاهتداء إلى نسخ أخرى للكتاب ، وتقع في ١٥١ ورقة [(٣)].

وقد نص في نهايتها على أنه فرغ من نسخها في « الخامس عشر من شهر رجب سنة ثلاث وستمائة وذلك بثغر الإسكندرية بالمدرسة العادلية ، والسلام وحسبنا الله ونعم والوكيل » [(٤)]، والكتاب مزود بالفهارس العلمية المتنوعة ، وقد ذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفات الآمدي مجموعة ممن ترجموا له منهم ابن أبي أصيبعة [(٥)]، وصاحب الوافي بالوفيات حيث نص على أنه يقع في مجلدتين [(٦)]، ونقل عنه صاحب روضات الجنات [(٧)]، بينما صاحب هدية العارفين ينص على أنه يقع في مجلد واحد [(٨)]، كما أشار إليه شيخ الإسلام في كتابه « موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول » إذ يقول رحمه الله بعد مناقشته لآراء الفرق في مسألة « الإرادة الإلهية » - : « .... والمقصود هنا التنبيه على مجامع أقوال الطوائف الكبار وما فيها من التناقض ، وأن من

---

(١) انظر د/ حسن محمود عبد اللطيف - مقدمته لكتاب غاية المرام للآمدي - (ص ١٢) .

(٢) انظر (ص ١٠٦) .

(٣) انظر الدكتور حسن محمود عبد اللطيف في مقدمته لغاية المرام - (ص ١٨) .

(٤) انظر الآمدي - غاية المرام - (ص ٣٩٢) .

(٥) انظر ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء - (ص ٦٥١) .

(٦) الصفدي - الوافي بالوفيات - (٢١/٣٤٦) .

(٧) الخوانساري - روضات الجنات - (ص ٤٦٩) .

(٨) البغدادي - هدية العارفين - (١/٧٠٧) .

عارض النصوص الإلهية إنما يعارضها بمثل هذا الكلام الذي هو نهاية إقدامهم وغاية مرامهم وهو نهاية عقولهم في دراية أصولهم ... » [1]، ومن الواضح أنه يشير بهذا إلى كتاب « غاية المرام » للآمدي ، وكتاب « نهاية الإقدام » وكتاب « نهاية العقول » لإمامين من أئمة الأشاعرة .

أما محتوياته فقد جعله المؤلف « على ثمانية قوانين » [2]:

القانون الأول : في إثبات الواجب بذاته .

القانون الثاني : في إثبات الصفات .

القانون الثالث : في وحدانية الباري تعالى .

القانون الرابع : في إبطال التشبيه وبيان ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز .

القانون الخامس : في أفعال واجب الوجود .

القانون السادس : في المعاد وبيان ما يتعلق بحشر الأنفس والأجساد .

القانون السابع : في النبوات والأفعال الخارقة للعادات .

القانون الثامن : في الإمامة [3].

وقد ذكر محقق الكتاب في دراسته أن هذا الكتاب ملخص لأبكار الأفكار [4]، واستدل على ذلك بأدلة لا تسعفه إلى ما ذهب إليه ، حيث يرى الدكتور أحمد المهدي في دراسته لكتاب أبكار الأفكار وبعد مقارنته للكتابين ، أن كتاب غاية المرام كتاب مستقل ولا يمت إلى الأبكار بصلة ، وهو كذلك ، واستدل بأدلة مقنعة ، يمكننا أن نذكر بعضها :

أولاً : ورد في نهاية غاية المرام أنه انتهى من تأليفه في سنة ٦٠٣ هـ بالمدرسة العادلية بالإسكندرية [5]، بينما نجد أنه ورد في نهاية الأبكار النص على أنه انتهى من تأليفه سنة ٦١٢ هـ .

---

(١) ابن تيمية – موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول – (٢٤٧/١) الطبعة الأولى – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(٢) الآمدي – غاية المرام – (ص ٥) .

(٣) انظر الآمدي – غاية المرام – (ص ١) .

(٤) انظر الآمدي – غاية المرام – (ص ١٣) مقدمة المحقق .

(٥) انظر الآمدي – غاية المرام – (ص ٣٩٢) .

أي أن غاية المرام سابق على الأبكار بتسع سنوات ، فكيف يكون مختصراً له .

ثانياً : اتفقت المراجع على أن الآمدي قد اختصر الأبكار في كتاب آخر هو منائح القرائح [1].

ثالثاً : غاية المرام يمثل بداية الآمدي في ميدان التأليف في علم الكلام ، فهو يقول في مقدمته : « فكنت بصدد جنى ثمراته ، والتلذذ بحلواته » [2]، بينما يقول في الأفكار : « ولما كنا مع ذلك قد حققنا أصوله ونقحنا فصوله وأحطنا بمعانيه ، وأوضحنا مبانيه ، وأظهرنا أغواره ، وكشفنا أسراره ، وفزنا فيه بقصب سبق الأولين ، وحزنا غايات أفكار المتقدمين والمتأخرين ، واسترعنا منه خلاصة الألباب ، وفصلنا القشر عن اللباب » [3].

وهذا يدل على أن غاية المرام من المحاولات الأولى في ميدان علم الكلام « فكنت بصدد جني ثمراته » بينما الأبكار ، قد ألف بعد أن وصل الغاية في هذا الفن .

رابعاً : التطور المنهجي : فالآمدي قد وضع منهجه مبعثراً في ثنايا المسائل في كتاب غاية المرام ، بينما نراه في الأبكار يحدد منهجه ، بل أنه يخصص له ثلاثة قواعد أصبحت أساساً لكل من أتى بعده من الأشاعرة .

خامساً : الاهتمام بالأبكار من المتأثرين بالآمدي ، وخصومه الناقدين له على حد سواء ، والتركيز عليه ، واعتباره ممثلاً لآراء الآمدي ، ولو كان كتاب غاية المرام متأخراً عنه لكان هذا الصنيع مخالفاً للصواب ، لأن اللاحق يلغي السابق إذ أنه يمثل الرأي الأخير .

سادساً : ذكر محقق غاية المرام أن النسخة الوحيدة التي اعتمد عليها في اخراج الكتاب قد نسخت قبل وفاة الآمدي بما يقرب من ثلاثين سنة ، الأمر الذي يزيد قيمتها .

فكيف يتفق هذا مع القول السابق بأن الغاية ملخص الأبكار ؟

---

(١) انظر (ص ١٠٠) .

(٢) انظر الآمدي – غاية المرام – (ص ٤) .

(٣) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (١/ القسم الثاني – ص ٢) تحقيق المهدي .

مع أن الأبكار قد انتهى من تأليفه سنة ٦١٢ هـ ، أي قبل وفاة الآمدي بتسعة عشر عاماً .

سابعاً : ذكر المحقق الفاضل احتمالاً ، وهو أن يكون تاريخ الإنتهاء من تأليف غاية المرام سنة ٦٣٠ هـ ومن الثابت أن الآمدي رحمه الله خرج من مصر سنة ٦١٣ هـ ولم يعد إليها ، بل إنه في تلك الفترة كما هو معروف لدى جميع من ترجموا له ، كان مسجوناً في بيته بدمشق ، بأمر من الملك الأشرف كما سبق [(١)].

من عرض ما سبق يتأكد أن غاية المرام متقدم في التأليف على الأبكار ، وأنه كتاب مستقل وليس اختصاراً له .

ثانياً : في أصول الفقه :

١- الإحكام في أصول الأحكام :

اتفق جميع من ترجم للآمدي على صحة نسبة هذا الكتاب للآمدي [(٢)]، ويعتبر الإحكام من أهم كتب الآمدي على الاطلاق ، وقد اختصره الآمدي في كتابه « منتهى السول في علم الأصول » ، واهتمَّ به من جاء بعده من العلماء ، من أمثال تلميذه ابن الحاجب ، وغيره .

وقد طبع هذا الكتاب بمصر عدة طبعات كلها بدون تحقيق علمي : منها طبعة مطبعة المعارف سنة ١٩١٤م في أربع مجلدات ، وطبعة الحلبي سنة ١٩٥٦م في مجلدين ، وطبعة محمد علي صبيح سنة ١٩٦٨م في ثلاثة مجلدات ، وطبعة المكتب الإسلامي سنة ١٣٨٧ هـ بتحقيق فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله .

وقد أهدى الآمدي هذا الكتاب كما جاء في مقدمته إلى الملك عيسى صاحب دمشق ، والذي كان مولعاً بمحبة العلم وأهله .

---

(١) انظر الدكتور المهدي بتصرف – رسالته الدكتواه – (١/ قسم الدراسة – ١٠٨) .

(٢) انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان – (٢٩٤/٣) ، وابن أبي أصيبعة – طبقات الأطباء – (ص ٦٥١) ، والبغدادي – هدية العارفين – (٧٠٧/١) .

٢- منتهى السول في علم الأصول :

وقد طبع هذا الكتاب بمصر على نفقة إدارة طباعة الجمعية العلمية الأزهرية المصرية الملاوية ، بالإشتراك مع محمد علي صبيح ، عن النسخة الخطية الموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٢ ، بدون تحقيق علمي ، والكتاب كما هو منصوص في صفحة العنوان على أنه مختصر لكتاب الإحكام في أصول الأحكام .

جاء في مقدمة المنتهى ما نصه :

« ... وذلك ما ضمناه في كتاب الإحكام في أصول الأحكام ، غير أنه لاتساعه وامتداده في تكثير مداركه وبعد مسالكه في تحقيق الحق وإبطال الباطل ، ربما قصرت عن الوصول إليه همم الضعفاء المبتدئين ، وكلت عن الإحاطة به خواطر القاصرين ، فرأيت النزول عن ذلك البسط العظيم والخطب الجسيم إلى مختصر لائق بأفهام أبناء الزمان ، وضعف دواعي طلاب هذا الآوان ، على وجه لا نُخلُّ فيه بشيء من قواعده ، ولا نهمل أمراً من ما لا بد من معرفته مما خلت عنه باقي الكتب والمدوَّنات .

وسميته : منتهى السول في علم الأصول ، وقد جعلته مشتملاً على أربعة أصول :

الأول : في تحقيق مباديه .

الثاني : في الدليل وأقسامه وأحكامه .

الثالث : في أحوال المجتهدين وأحوال المفتين والمستفتين .

الرابع : في ترجيحات طرق المطلوبات » [1].

ومن خلال هذا النص يتبين لنا أن منتهى السول صورة مصغرة عن الإحكام ، إذ يتفق الكتابان في التقسيم والتفريع ، وفي سوق الأقوال والمذاهب ويختلف معه في بعض التفاصيل [2]، وقد ورد هذا الكتاب منسوباً للآمدي في جميع المراجع التي ترجمت له [3].

(١) انظر الآمدي ت ٦٣١ هـ - منتهى السول في علم الأصول - (٣/١) تصحيح عبد الوصيف محمد - مطبعة محمد علي صبيح - القاهرة - مصر .

(٢) انظر محمد بن حسين الجيزاني - الآمدي أصولياً - (ص ١٤٩) .

(٣) انظر ابن أبي أصيبعة - طبقات الأطباء - (ص ٦٥١) ، ابن خلكان - وفيات الأعيان (٢٩٤/٣) ، والسبكي - طبقات الشافعية - (٣٠٧/٨) ، والبغدادي - هدية العارفين - (٧٠٧/١) ، وحاجي خليفة - كشف الظنون - (١٨٥٧/٢) .

٣- المآخذ على المحصول :

ذكره صاحب الوافي بالوفيات [1]، نقلاً عن ابن خلكان تلميذ الآمدي ، ونص على أنه يقع في مجلدة ، ونقله عنه صاحب كتاب روضات الجنات [2]، و لم أجده عند غيرهما ، ويذكر الدكتور أحمد المهدي أن هذا الكتاب قد تم تحقيقه في كلية الشريعة بجامعة الأزهر [3]، والكتاب كما هو ظاهر من اسمه نقد لكتاب الرازي المحصول في أصول الفقه ، و لم يكن الكتاب الوحيد في نقد الرازي ، إذ كان الآمدي معنيّاً بتتبع الرازي كما تقدم [4].

ثالثاً : الخلاف والجدل :

١- شرح جدل الشريف [5].

٢- غاية الأمل في علم الجدل [6].

٣- المآخذ الجلية في المآخذات الجدلية [7].

٤- دليل متحد الائتلاف وجاد في جميع مسائل الخلاف [8].

٥- التعليقة الكبيرة [9].

٦- التعليقة الصغيرة [10].

٧- الترجيحات في الخلاف [11].

---

(١) انظر الصفدي – الوافي بالوفيات – (٣٤٦/٢١) .

(٢) انظر الخوانساري – روضات الجنات – (ص ٤٦٨) .

(٣) انظر الدكتور أحمد المهدي – في دراسته لكتاب الأبكار – (١/ قسم الدراسة ١١٣) .

(٤) انظر (ص ١٠١) .

(٥) انظر ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء – (ص ٦٥١) ، وابن خلكان – وفيات الأعيان – (٢٩٤/٣) ، والخوانساري – روضات الجنات – (ص ٤٦٩) ، والبغدادي – هدية العارفين – (٧٠٧/١) .

(٦) انظر المصادر السابقة بالإضافة إلى البغدادي – إيضاح المكنون – (١٣٧/٢) .

(٧) انظر الصفدي – الوافي بالوفيات – (٣٤٦/٢١) ، والخوانساري – روضات الجنات – (ص ٤٦٩) ، وابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء – (ص ٦٥١) ، والبغدادي – هدية العارفين – (٧٠٧/١) .

(٨) انظر ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء – (ص ٦٥١) ، والبغدادي – هدية العارفين – (٧٠٧/١) .

(٩) انظر المصادر السابقة .

(١٠) انظر المصادر السابقة .

(١١) انظر ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء – (ص ٦٥١) ، والبغدادي – هدية العارفين – (٧٠٧/١) .

رابعاً : الفلسفة والمنطق :

١- رموز الكنوز [(١)].

قيل إنه اختصره من كتابه أبكار الأفكار [(٢)].

٢- دقائق الحقائق [(٣)].

٣- الباهر في علم الأوائل والأواخر [(٤)].

٤- لباب الألباب [(٥)].

٥- الغرائب وكشف العجائب في الاقترانات الشرطية .

ذكره غير واحد ممن ترجم للآمدي على أنه من مؤلفاته ، غير أنهم لم يحددوا موضوعه ، والذي يظهر من اسم الكتاب أنه في المنطق [(٦)].

٦- كشف التمويهات على الإشارات والتنبيهات [(٧)].

٧- المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين :

نشر مطبوعاً بعناية : «وهلم كوتش وأغناطيوس عبده خليفة اليسوعيان» في مجلة المشرق البيروتية ، تحت عنوان « كتاب المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين » ،

---

(١) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٩٤/٣) ، وابن تيمية - درء تعارض العقل مع النقل - (٢٧٧/٣) تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم - طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، وحاجي خليفة - كشف الظنون - (٩١٣/١، ٩١٤) ، والخوانساري - روضات الجنات - (ص ٤٦٩) .

(٢) انظر حاجي خليفة - كشف الظنون - (٩١٣/١، ٩١٤) .

(٣) انظر ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء - (ص ٦٥١) ، وابن تيمية - درء تعارض العقل و النقل - (٩٣/٣) ، والبغدادي - هدية العارفين - (٧٠٧/١) .

(٤) انظر طاش كبرى زاده - مفتاح السعادة - (١٨٠/٢) ، والبغدادي - هدية العارفين - (٧٠٧/١) .

(٥) انظر ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء - (ص ٦٥١) ، والخوانساري - روضات الجنات - (ص ٤٦٩) .

(٦) انظر الخوانساري - روضات الجنات - (ص ٤٦٩) ، والبغدادي - هدية العارفين - (٧٠٧/١) ، والدكتور المهدي - في دراسته للأبكار - (١/ القسم الأول - ٩٩) .

(٧) انظر ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء - (ص ٦٥١) ، والخوانساري - روضات الجنات - (ص ٤٦٩) ، و البغدادي - إيضاح المكنون - (٣٥٨/٢) .

وقد قاما بتحقيق الكتاب معتمدين على نسخة ناقصة مبتورة الآخر [1].

وقد طُبع طبعة أخرى بتحقيق الدكتور عبد الأمير الأعسم ، تحت عنوان الفيلسوف الآمدي دراسة وتحقيق ، وهذا تصرف من المحقق إذ كان الواجب ذكر اسم الكتاب ومؤلفه على الغلاف الخارجي ، لا سيما وأن الدراسة التي قام بها عن الآمدي لا تعدو عن كونها ترجمة مقتضبة ، لم تتجاوز الأربع صفحات [2].

٨- فرائد القلائد [3].

(١) انظر مجلة المشرق - بيروت - ١٩٥٤م - عدد رقم (٢) مجلد ٨٤ ، وأحمد الشرقاوي إقبال - معجم المعاجم - (ص ٤٨) دار الغرب الإسلامي - الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

(٢) انظر د/ عبد الأمير الأعسم - الفيلسوف الآمدي - دار المناهل - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

(٣) انظر الخوانساري - روضات الجنات - (ص ٤٦٩) ، والبغدادي - هدية العارفين - (٧٠٧/١) .

المبحث السادس :

أقوال العلماء فيه

المبحث السادس : أقوال العلماء فيه :

في هذا المبحث نتعرض لأقوال العلماء في عدالة الآمدي ، وقد اختلفت آراؤهم في دينه وعدالته ما بين مجرح له قادح في عدالته ، وبين مبرئ له مما أسند إليه من التهم قائل بعدالته ، وقد اتهم السيف الآمدي من قبل معاصريه بالإنحلال من الدين وسوء المعتقد ، فهل هذه التهم التي رُميَ بها صحيحة ، أم أنها محض افتراء وحسد ؟ هذا ما سوف نتعرض له بالدراسة بعد سوق أقوال العلماء ، والتي سوف أذكرها مرتبة ترتيباً زمنيّاً :

١- قال ابن الصلاح :

« إن أخذ المدرسة العزيزية من الآمدي أفضل من أخذ عكا من الإفرنج »[١].

قال ذلك بعد أن نحى الآمدي بالمدرسة العزيزية – والتي كان مدرساً بها في تلك الفترة – منحى عقلياً [٢].

٢- قال ابن الحاجب :

« ما صنف في أصول الفقه مثل كتاب سيف الدين الآمدي " الإحكام في أصول الأحكام " ومن محبته له اختصره »[٣].

٣- قال سبط ابن الجوزي :

« وكان يُرمى بأشياء ظاهرها أنه كان بريئاً منها ، لأنه كان سريع الدمعة ، رقيق القلب ، سليم الصدر »[٤].

٤- قال العز بن عبد السلام :

« لو ورد على الإسلام متزندق يستشكل ما تعين لمناقشته غيره »[٥].

---

(١) انظر شيخ الإسلام – مجموع فتاوى ابن تيمية – (٧/٩) .

(٢) انظر عز الدين محمد بن شداد ت ٦٨٤ هـ – الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (ص ٢٣٩) تحقيق سامي الدهان – دمشق – المعهد الفرنسي للدراسات العربية – سوريا – ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦م.

(٣) انظر الصفدي – الوافي بالوفيات – (٣٤٣/٢١) .

(٤) انظر ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة – (٢٨٥/٦) .

(٥) المصدر السابق .

وكان العز بن عبد السلام من أكبر تلاميذ الآمدي وأقربهم إليه ، فقد كان يلازم شيخه ويعظمه ويجله ، ولما مات الآمدي خرج في جنازته ولم يخش من سطوة الأشرف كبقية العلماء الذين توقفوا عن جنازته [1].

٥- قال ابن أبي أصيبعة :

« هو الإمام الصدر العالم الكامل سيف الدين ... أوحد الفضلاء وسيد العلماء » [2].

٦- وقال عنه تلميذه ابن خلكان :

« ما عسى أن يقال في أعجوبة الدهر ، وإمام العصر ، وقد ملأت تصانيفه الأسماع ، ووقع على تقدمه الإجماع » ، ثم يصفه فيقول :

« كان خير الطباع ، سليم القلب ، حسن الإعتقاد ، قليل التعصب » [3]، « ثم حسده جماعة من فقهاء البلاد ، وتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد العقيدة وانحلال الطوية والتعطيل ومذهب الفلاسفة والحكماء ، وكتبوا محضراً يتضمن ذلك ، ووضعوا فيه خطوطهم بما يستباح به الدم ، وبلغني عن رجل منهم فيه عقل ومعرفة أنه لما رأى تحاملهم عليه ، وإفراط التعصب كتب في المحضر وقد حمل إليه ليكتب فيه مثل ما كتبوا فكتب :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

والله أعلم ، كتبه فلان بن فلان .

ولما رأى سيف الدين تألبهم عليه ، وما اعتمدوه في حقه ، ترك البلاد وخرج مستخفياً ، وتوصل إلى الشام ، واستوطن مدينة حماة » [4].

٧- قال شيخ الإسلام :

« وكان من أحسنهم - أي المتكلمين - إسلاماً وأمثلهم اعتقاداً [5] » ، وفي موضع آخر قال : « وهو من أفضل المتأخرين » [6].

---

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر ابن أبي أصيبعة - عيون الأنباء - (ص ٦٥٠) .

(٣) انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٩٣/٣-٢٩٤) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) انظر ابن تيمية - مجموع فتاوى ابن تيمية - (٧/٩) .

(٦) انظر ابن تيمية - درء تعارض العقل والنقل - (٨٤/٣) .

٨- قال الذهبي في سير أعلام النبلاء :

« وكان القاضي تقي الدين سليمان[(١)] يحكي عن شيخه ابن أبي عمر ، قال : « كنا نتردد إلى السيف ، فشككنا هل يصلي أم لا ؟ فنام ، فعلّمنا على رجله بالحبر ، فبقيت العلامة يومين مكانها ، فعلمنا أنه ما توضأ ، نسأل الله السلامة في الدين»[(٢)].

وقال الذهبي في ميزان الإعتدال :

« وقد نفي من دمشق لسوء اعتقاده ، وصح عنه أنه كان يترك الصلاة ، نسأل الله العافية » [(٣)]. وقال في موضع آخر :

« وتفنن في حكمة الأوائل ، فرق دينه وأظلم » [(٤)]. وفي موضع آخر قال :

« وبكلٍّ قد كان السيف غاية ، ومعرفته بالمعقول نهاية ، وكان الفضلاء يزدحمون في حلقته » [(٥)].

٩- وقال ابن كثير[(٦)]:

« كان حنبلي المذهب كثير البكاء ، رقيق القلب ، وقد تكلموا فيه بأشياء الله أعلم بصحتها ، والذي يغلب على الظن أنه ليس لغالبها صحة ، وقد كانت ملوك بني أيوب ... يكرمونه وإن كانوا لا يحبونه كثيراً ، وقد فوض إليه المعظم التدريس بالعزيزية ، فلما ولّي الأشرف عزله لاشتغاله بالمنطق وعلوم الأوائل ، فلزم بيته حتى توفي في صفر ٦٣١ هـ عن ثمانين سنة » [(٧)].

---

(١) هو سليمان بن حمزة بن أحمد بن قدامة المقدسي ، لازم الشيخ ابن أبي عمر ، وأخذ عنه ، ولي القضاء مدة وهو كاره ، ولد سنة ٦٢٨ هـ ، وتوفي سنة ٧١٥ هـ .

انظر ابن رجب الحنبلي - ذيل طبقات الحنابلة - (٣٦٤/٢) .

(٢) الذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٦٦/٢٢) .

(٣) الذهبي - ميزان الإعتدال - (٢٥٩/٢) .

(٤) الذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٦٤/٢٢) .

(٥) المصدر السابق - (٣٦٦/٢٢) .

(٦) هو إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، عماد الدين أبو الفداء الحافظ المفسر المحدث المؤرخ ، الفقيه الشافعي ، صحب شيخ الإسلام ، من مؤلفاته البداية والنهاية ، والتفسير ، كانت وفاته عليه رحمة الله في سنة ٧٧٤ هـ .

انظر ابن العماد - شذرات الذهب - (٢٣١/٦) ، والشوكاني - البدر الطالع - (١٥٣/١) .

(٧) ابن كثير - البداية والنهاية - (١٥١/١٣) .

١٠- قال صاحب الفتح المبين في طبقات الأصوليين :

« ولقد تنقل بين آمد وبغداد والديار المصرية والشام فكان مصباحاً منيراً يستضيء به الناس » [(١)].

« أما آثاره في التصنيف فتدل على فضله وعلمه وذكائه » [(٢)].

مناقشة الأقوال :

من خلال العرض السابق لأقوال العلماء في عدالة الآمدي وما نسب إليه من المؤاخذات ، يمكننا تلخيص ما وجه لسيف الدين الآمدي من التهم إلى ثلاثة تهم هي :

١- إتهام الآمدي بالإنحلال من الدين .

٢- إتهام الآمدي بترك الصلاة .

٣- إتهام الآمدي بالتفنن في حكمة الأوائل .

المسألة الأولى : الإنحلال من الدين :

قال ابن خلكان :

« واشتهر بها - أي بمصر - فضله واشتغل عليه الناس ... ثم حسده جماعة من فقهاء البلاد ... ونسبوه إلى فساد العقيدة وانحلال الطوية والتعطيل ومذهب الفلاسفة والحكماء ، وكتبوا محضراً يتضمن ذلك ، ووضعوا فيه خطوطهم بما يستباح به الدم ... » [(٣)].

وخلاصة هذه التهمة القول بتكفير الآمدي وخروجه عن دين الإسلام إذ لا يستباح دم المسلم إلا بإحدى ثلاث منها المفارق لدينه المرتد عن الإسلام [(٤)]، ولكن هل هذا الإتهام صحيحاً ؟ أم أنه محض افتراء من حاسديه ، وإذا كان كذلك فما ملابسات هذا الإتهام ؟

---

(١) المراغي - الفتح المبين في طبقات الأصوليين - (٥٧/٢) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر تمام القصة في كتابه وفيات الأعيان - (٢٩٣/٣) .

(٤) لحديث ابن مسعود رضي الله عنه عند البخاري في صحيحه - كتاب الديات - باب قول الله تعالى إن النفس بالنفس - (٣٨/٨) .

وما هي الأسباب التي أدت إلى كتابة خصوم الآمدي لهذا المحضر ؟

الجواب على هذه التساؤلات يكون من خلال النقاط التالية :

١- تقدم أن الآمدي تلقى العلوم العقلية في كل من بغداد والشام ، و لم يستطع نشر تلك العلوم في بلاد الشام ، نتيجة لعدم سماح حكام تلك البلاد نشر مثل هذه العلوم ، ولموقف الحنابلة والمحدثين من المنطق والفلسفة وأهلها ، فكانت مصر هي المكان الذي وجد فيه الآمدي ضالته ، خصوصاً وأن صاحب مصر – الملك العزيز – قد ضيق الخناق على الحنابلة والمحدثين لكراهيته لهم ، ومحبته للمتكلمين ، وقد كانت تربطه بالآمدي مودة وصحبة ، كل تلك الأمور جعلت الآمدي يندفع بكل ما أوتي من حماس للإقراء والتدريس ، مما أثار حفيظة منافسيه ومخالفيه [١].

٢- وجود النزاعات المذهبية بين الأشاعرة من جهة والمحدثين والحنابلة من جهة أخرى ، وكان الجو مشحوناً بالتعصب ، وكانت المكائد قائمة بين الطرفين ، ووصل الأمر للسباب والشتام على المنابر بين إمامي الأشاعرة وأهل السنة في مصر ، شهاب الطوسي الأشعري ، وابن نجيه الحنبلي ، وفي هذا الجو المحموم ، نزل الآمدي في مدرسة شهاب الدين الطوسي ، عند دخوله مصر ، وقد مال الآمدي ميلاً واضحاً إلى الأشاعرة [٢].

٣- تمتع الآمدي بالذكاء والفطنة وقوة الحجة وحسن المعاشرة لتلاميذه ومحبيه ، ساعد على بروزه وظهوره على أقرانه ، وقد اشتهر ذلك ، فكان ذلك من أقوى الأسباب في تآمر الحاسدين واتفاقهم ضده [٣].

فإذا اتضحت تلك النقاط ، وهي اندفاع الآمدي وتوغله في تدريس العلوم العقلية نتيجة للكبت الذي تعرض له ، ودخوله في معمعة الصراع بين الأشاعرة والمحدثين ، وتفوق الآمدي ونبوغه ، كان لزاماً على المنصف العاقل أن يقول أن هذه المؤامرة دبرت ضد الآمدي من قبل أقرانه ، وأنها من قبيل

---

(١) انظر (ص ٨٨) من هذه الرسالة .

(٢) انظر (ص ٣٠،٢٧) من هذه الرسالة .

(٣) انظر (ص ٤٩) وما بعدها من هذه الرسالة .

كيد الأقران وتنافس الأنداد [١]، وأنها من ضمن المكائد المتبادلة بين الحنابلة والأشاعرة ، والتي كانت تكثر في ذلك العصر [٢].

المسألة الثانية : إتهام الآمدي بترك الصلاة .

انفرد الإمام الذهبي من بين من ترجموا للآمدي بإسناد هذه التهمة له ، وقد أسند هذه القصة إلى أحد شيوخه حيث قال : وكان القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة يحكي عن شيخه ابن أبي عمر قال :

« كنا نتردد إلى السيف ، فشككنا هل يصلي أم لا ؟ فنام ، فعلّمنا على رجله بالحبر ، فبقيت العلامة يومين مكانها ، فعلمنا أنه ما توضأ ، نسأل الله السلامة في الدين » [٣].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر[٤] هذه القصة بنصها دون تعليق أو تعقيب [٥].

ولم يكن الإمام الذهبي ولا الحافظ ابن حجر رحمهم الله جميعاً ممن عاصروا الآمدي ، وإنما وصلت لهم هذه الرواية عن طريق شيوخهم وبالإسناد إلى صاحب القصة تلميذ الآمدي ابن أبي عمر ، فهل هذه القصة تصح كما يقول الذهبي في ميزان الإعتدال :

---

(١) قال الإمام الذهبي رحمه الله : « كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة ، أو لمذهب ، أو لحسد ، وما ينجو منه إلا من عصم الله ، وما علمت عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين » ... « اللهم لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » .

الذهبي - ميزان الإعتدال - (١١١/١) ، وانظر قاسم علي سعد - مباحث في علم الجرح والتعديل - (ص ١٥٨) دار البشائر الإسلامية - الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - بيروت - لبنان .

(٢) انظر ابن كثير - البداية والنهاية - (٤٣،٢٠/١٣) .

(٣) الذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٦٦/٢٢) .

(٤) هو أحمد بن علي العسقلاني أبو الفضل المشهور بابن حجر ، إمام حافظ فقيه محدث ، من مؤلفاته فتح الباري شرح صحيح البخاري والدرر الكامنة وغيرها كثير توفي رحمه الله سنة ٨٥٢ هـ .

انظر ابن العماد - شذرات الذهب - (٢٧٠/٧) ، والسخاوي - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - (٣٦/٢-٤٠) - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - دار الجيل - بيروت - لبنان .

(٥) انظر ابن حجر العسقلاني - لسان الميزان - (١٣٥/٣) .

« وصح عنه أنه كان يترك الصلاة ، نسأل الله العافية » [1]، أم أن هذه الرواية لا ترقي للاحتجاج بها لضعف سندها وركاكة متنها ، هذا ما سوف أتطرق إليه بالدراسة النقدية لهذه الرواية من حيث السند والمتن .

أما من ناحية السند :

فقد أسند هذه الرواية الإمام الذهبي إلى شيخه تقي الدين سليمان بن حمزة أنه حكى عن شيخه ابن أبي عمر المقدسي أنه قال :

« كنا ... القصة . وبالنظر إلى إسناد الرواية نجد أنه متصل فالإمام الذهبي رواها عن طريق شيخه سليمان بن حمزة والذي رواها بدوره عن شيخه ابن أبي عمر المقدسي والذي كان من جملة تلاميذ الآمدي [2]، فالإسناد إذاً من ناحية الإتصال لا غبار عليه ، أما بالنسبة لعدالة رجال الإسناد ، فالإمام الذهبي هو إمام المحدثين في زمانه حافظ جبل ، حمل راية أهل السنة والجماعة ونافح عنها [3].

أما شيخ الذهبي سليمان بن حمزة ، فقد قال عنه تلميذه الإمام الذهبي : « كان فقيها إماماً محدثاً » [4] ، « كان صاحب ليل ومعروف ، ولين كلمة ، وجبر للأرملة والضعيف ، ولم يخلف مثله » [5] ، وقال أيضاً :

« ولكنه يجري في أحكامه ما الله به أعلم ، والآفة من سبطه ، والله المستعان ، ولولا دخوله في القضاء لعد من العلماء العاملين ، وهو مع هذا مسلم ذو حظٍّ من عبادة ، وتواضع ولين وفتوة » [6] .

وأما عبد الرحمن بن أبي عمر ، فقد قال عنه الإمام الذهبي :

شيخ الحنابلة ،بل شيخ الإسلام ، وفقيه الشام ، وقدوة العباد ، وفريد وقته ، من اجتمعت الألسن على مدحه ، والثناء عليه ....

(١) الذهبي – ميزان الإعتدال – (٢/٢٥٩) .

(٢) انظر المبحث الثالث : (ص ٦٦) .

(٣) مضت ترجمته .

(٤) ابن رجب – ذيل طبقات الحنابلة – (٢/٣٦٥) .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق .

وقد ولي القضاء مدة تزيد على اثنتي عشرة سنة على كره منه ، ولم يتناول معلوماً ، ثم عزل نفسه في آخر عمره ، وبقي قضاء الحنابلة شاغراً مدة [(١)].

وخلاصة القول في عدالة رجال السند ، أن طرفي الإسناد وهما الإمام الذهبي وشيخ شيخه ابن أبي عمر من العدول الأثبات ، بينما نجد أن واسطة الإسناد وهو سليمان بن حمزة لا يمكن التسليم بقبول روايته ، لما تقدم من كلام الذهبي عنه إذ يقول :

« ولولا دخوله في القضاء لعد من العلماء العاملين » « ولكنه يجري في أحكامه ما الله به أعلم » ، ومن قيل فيه مثل هذا الكلام ، ففي قبول روايته نظر ، ولا يمكن الاطمئنان إلى ما انفرد بروايته .

أما من ناحية المتن :

يرد على متن هذه الرواية احتمالات متعددة ، وما تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال ، ومن هذه الاحتمالات :

١- قد يبقى الحبر أياماً على العضو مع تتابع الوضوء والغسل وخاصة عضو من لا يرى التدليك فرضاً في الطهارة ، بل يكتفي بإسالة الماء في غسله ووضوئه[(٢)].

٢- أن بعض أنواع الحبر يبقى أثره طويلاً ، ولا يزول بسهولة ، ولعل هذا منها[(٣)].

٣- أن الآمدي لا يرى وجوب غسل الرجلين ، بل يرى التخيير بين غسل الرجلين وبين مسحهما لما يقتضيه العطف من التشريك ، قال في الإحكام :

« ومن أبعد التأويلات ما يقوله القائلون بوجوب غسل الرجلين في الوضوء في قوله تعالى :

---

(١) المصدر السابق – (٣٠٥/٢) ، والذهبي ت ٧٤٨ هـ – معجم الشيوخ للمعجم الكبير – (٣٧٥/١) تحقيق د/ محمد الحبيب الهيلة – مكتبة الصديق – الطبعة الأولى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م – الطائف – المملكة العربية السعودية .

(٢) انظر الآمدي – إحكام الأحكام – مقدمة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (١/ ز) .

(٣) المصدر السابق ، وانظر ابن جماعة ت ٧٣٣ هـ – تذكرة السامع والمتكلم – (ص ١٧٨) – الطبعة الأولى – ١٤٠٣هـ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

﴿ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾[1] ، من أن المراد به الغسل ، وهو في غاية البعد لما فيه من ترك العمل بما اقتضاه ظاهر العطف من التشريك بين الرؤوس والأرجل في المسح ، من غير ضرورة »[2] .

ومن كان هذا رأيه لا يستبعد بقاء الحبر على رجله مدة طويلة ، إذ بالمسح لا يزول الحبر ولا حتى أثره .

هذا هو رأي الآمدي في هذه المسألة ، والآمدي بهذا القول قد خالف الكتاب والسنة ، وإجماع السلف ، فالصحابة الذين نقلوا صفة الوضوء عن النبي عليه الصلاة والسلام قولاً وفعلاً لم ينقل عنهم القول بالمسح ، بل على العكس تواترت عن طريقهم الأحاديث الكثيرة والتي تنص على غسل الرجلين ، وآية الوضوء صريحة في الدلالة على وجوب الغسل إذ قوله تعالى : ﴿ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾[3] فيه قراءتان مشهورتان : النصب والخفض[4] ، فمن قرأ بالنصب استفاد وجوب الغسل لأن العطف يكون على الوجه واليدين لا على الرأس ، ومن قرأ بالخفض استفاد الوجوب أيضاً للعطف على الوجه واليدين لا على الرأس ، وذلك لعدة أوجه منها :

أ – أن السنة تفسر القرآن ، وهي قد جاءت بالغسل .

ب – أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد بيَّن للناس لفظ القرآن ومعناه ، وخير من يعرف لفظ القرآن وفقه معناه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، لذلك لم يعرف عنهم غير القول بوجوب الغسل ولو كان المسح جائزاً لنقلوه لنا .

جـ – أن ذكر المسح في الرجلين يعني الإسالة كما تقول العرب تمسحت للصلاة[5] أي غسلت أعضائي ويقال مسح الله ما بك : إذا غسلك وطهرك من الذنوب .

(١) سورة المائدة – آية ٦ .

(٢) الآمدي – احكام الاحكام – (٣/ ٦٢) .

(٣) سورة المائدة – آية ٦ .

(٤) انظر أبو محمد مكي بن أبي طالب – التبصرة في القراءات السبع – (ص ٤٨٤) الدار السلفية – الطبعة الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م – بومباي –الهند .

(٥) انظر ابن أبي العز الحنفي – شرح العقيدة الطحاوية – (٥٥٢/٢) وابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (٢ / ٢٦ – ٢٨) .

٤- أن حادثة مثل هذه ليست بالأمر البسيط ، فلو حدثت لاشتهر نقلها وعرفت ، خصوصاً من تلاميذه الذين خالطوه كأبي شامة ، وابن خلكان ، والعز بن عبد السلام ، وعرفوا خبايا أموره ، ولحملهم تدينهم على الإنكار عليه ومناصحته والأخذ على يده ، والحاصل أنهم أثنوا عليه ولم يذكروا ما يعيبه .

٥- أن القصة فيها أمور لا يمكن للعاقل أن يقبلها ، فصاحب الرواية يقول « كنا نتردد إلى السيف » بمعنى أن الشيخ الآمدي كان يستقبل تلاميذه في بيته ، وهذا من تفضله وكرمه - وقد أثبت الرواي أنه كان يتردد كثيراً لزيارة شيخه ، وكثرة التردد سبيل إلى الجزم بمعرفة التزام الشخص بالصلاة أو عدمه ، فعبارة الراوي فيها تناقض واضح ، فهو مع كثرة تردده لم يستطع الجزم بأمر ليس من السهل إخفائه على المخالط .

ثم أن هناك أمر يثير التساؤل ، كيف سكت هذا الذي كان يتردد على شيخه عن الإنكار عليه ، أو النصح له ، أو الحديث معه في الصلاة أن كان ما ذكر دليل عنده على تركه للصلاة ، والحاصل أنه مجرد ظن .

والخلاصة : أن هذه القصة لا تثبت من ناحية السند والمتن ، فهي أقرب ما تكون إلى الصناعة والاختلاق ، وهي بعيدة عن الحقيقة والواقع ، فضلاً عن تفرد رجل قد تكلم فيه بروايتها .

المسألة الثالثة : إتهام الآمدي بالتفنن في حكمة الأوائل :

درس الآمدي الفلسفة بأقسامها المختلفة وتوغل فيها وتشبعت بها روحه حتى ظهر أثر ذلك في مؤلفاته المختلفة ، والمتصفح لكتب الآمدي وخاصة ما ألفه في علم الكلام ، وأصول الفقه ، ظهر له حرص الآمدي « إلى حد الإسراف أحياناً في استخدام الأساليب والقواعد المنطقية »[1] ، مع أن الأصل في هذه العلوم أن تكون خالية من الأساليب المنطقية والفلسفية الدخيلة ، كما يتبين له أن الآمدي كان قوي العارضة كثير الجدل ، واسع التشقيقات في تفصيل المسائل ، والترديد والسبر والتقسيم في الأدلة إلى درجة قد تنتهي

---

(١) الآمدي - غاية المرام - (ص ١٦ - ١٧) مقدمة المحقق الدكتور حسن محمود عبد اللطيف .

بالقاري أحياناً إلى الحيرة[1] ، هذا بالنسبة للعلوم التي يفترض بها أن تكون بعيدة عن هذه العلوم ، فكيف بالعلوم الفلسفية البحتة والتي ألف بها الكثير من كتبه[2] ، حتى قيل أنها تشهد له بالبراعة في تطوير الدراسات الفلسفية بعد ابن سينا[3] .

والحاصل أن أقوال العلماء والتي سبق ذكرها قبل قليل ، قد اتسمت بالإنقسام في المواقف تجاه الآمدي في هذه المسألة إلى قسمين :

القسم الأول :

من لم ير بأساً بدراسة المنطق وسائر علوم الفلسفة ، وألف التأويل للنصوص وكثرة الفروض والاحتمالات دراسة ومناظرة وتأليفاً ، رفع من شأن الآمدي وعني بالذب عنه وانهال بالملامة على من انتقده بحق أو باطل ، وذلك بسبب اتفاقهم مع الآمدي في النزعة والفكرة ، لذلك تحابوا وأثنى بعضهم على بعض خيراً ، ومن هؤلاء تلاميذه كالعز بن عبد السلام وابن أبي أصيبعه ، وبعض محبيه كالسبط وابن الحاجب ، وابن السبكي .

القسم الثاني :

وأما القسم الثاني من العلماء وهم شيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام الذهبي وابن كثير ، فإن آراءهم اتسمت بالتوسط بين طرفي الغلو والإجحاف ولم تتأثر بالعواطف ، فحكمهم على الآمدي حكمٌ نسبيٌّ مقيّدٌ ، معلّلٌ ولم يكن مطلقاً عاماً .

فشيخ الإسلام عند مناقشته لإقوال المتكلمين قد عدَّ الآمدي بالنسبة لغيره ذا فضل ، واعتقاد حسن ، ولا شك أن لشيخ الإسلام انتقادات للمزالق التي وقع فيها علماء الكلام ، والآمدي واحد منهم ، ولا يمنع كونه واحد منهم أن يكون « من أحسنهم إسلاماً وأمثلهم إعتقاداً »[4] أو إنه « من أفضل المتأخرين »[5].

---

(١) الآمدي – إحكام الأحكام – (١ / ز) مقدمة العلامة عبد الرزاق العفيفي .

(٢) انظر المبحث الخامس : ثقافته ومؤلفاته – (ص ١٠٧) وما بعدها .

(٣) انظر الآمدي – المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين – (ص ٨) وقد نشر الكتاب باسم الفيلسوف الآمدي .

(٤) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٩ / ٧) .

(٥) ابن تيمية – درء تعارض العقل والنقل – (٣ / ٨٤) .

أما الذهبي فإنه قد أسند قصة ترك الآمدي للصلاة إلى شيخه ، ومن أسند فقد أحال كما يقول المحدثون ، ولا شك إن حكم الذهبي مبني على تصحيحه لهذه القصة ، أما بالنسبة لتفنن الآمدي في حكمة الأوائل ، وهو ما شهدت به دروس الآمدي ومؤلفاته ، فإنها لم تمنع الإمام الذهبي من انصاف الآمدي حيث قال :

« وبكلٍّ قد كان السيف غاية ، ومعرفته بالمعقول نهاية ، وكان الفضلاء يزدحمون في حلقته »[1] .

أما ابن كثير فقد توقف في الحكم على الآمدي في الأمور المنسوبة إليه مع أنه مال إلى برآته مما رمي به في الجملة فأنصفه من خصومه وأنصف خصومه منه .

ومن آراء هؤلاء العلماء الثلاثة الذين عرفوا بسلامة المعتقد وصحة الفكر ونزاهة الرأي وصدق القول - يمكننا استخلاص نتيجة اتفقت عليها أقوالهم وهي أن أسعد الناس « بالحق من كانت نزعته إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ووسعه ما وسع السلف ، مع رعاية ما ثبت من مقاصد الشريعة باستقراء نصوصها ، فكلما كان العالم أرعى لذلك وألزم له ، كان أقوم طريقاً وأهدى سبيلاً ، والمعصوم من عصمه الله ، وكل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، وكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ، وما الآمدي إلا عالم من علماء البشر يخطيء ويصيب فلننتفع بالصواب من قوله ، ولنرد عليه خطأه ، ولنستغفر الله له ، وليكن شأننا معه كشأننا مع غيره من علماء المسلمين ، وليكن شعارنا مع الجميع .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخوٰننا الذين سبقونا بالإيمٰن ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين ءامنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾[2] »[3].

---

(١) الذهبي - سير أعلام النبلاء - (٣٦٦/٢٢) .

(٢) سورة الحشر - آية : ١٠ .

(٣) الآمدي - إحكام الأحكام - (١ / ح) - مقدمة العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي .

الفصل الثالث :

منهج الآمدي في دارسة النبوة والرسالة

منهج الآمدي في دراسة النبوة والرسالة :

يذهب أبو الحسن الآمدي إلى انحصار طرق إثبات العقائد في العقل والسمع ، وذلك أن العقائد تنقسم عنده تبعاً لتعددها وبناء بعضها على بعض في الإثبات إلى ما يثبت بالعقل وحده وإلى ما يثبت بالسمع وحده وإلى ما يثبت بالسمع والعقل معاً وفي ذلك يقول :

« فاعلم أن الدليل إمَّا عقلي محض : كأدلة حدوث العالم ووجود الصانع ونحوه وأما سمعي محض : كأدلة وجوب الصلاة ، والزكاة ، وغير ذلك .

وإمَّا مركب من الأمرين : بأن تكون بعض مقدماته عقلية ، والبعض سمعية وعلى هذا .

فالمطلوب منه ما لا يعرف بغير الدليل العقلي : كحدوث العالم ، ووجود الصانع قبل ورود السمع .

ومنه ما لا يعرف بغير الدليل السمعي : كالأحكام الشرعية : كوجوب الصلاة وتحريم الخمر ونحوه .

ومنه ما يمكن معرفته بكل واحد من الطرفين : كخلق الأفعال ، ورؤية الله تعالى على ما سبق » [1].

ويبدو أن الآمدي قد تأثر ببعض علماء الأشاعرة الذين سبقوه فهذا إمام الحرمين يقرر ما قرره الآمدي آنفاً وفي ذلك يقول :

« اعلموا وفقكم الله تعالى أن أصول العقائد تنقسم إلى ما يدرك عقلاً ولا يسوغ تقديراً إدراكه سمعاً وإلى ما يدرك سمعاً ولا يتقدر إدراكه عقلاً وإلى ما يجوز إدراكه سمعاً وعقلاً .

فأما ما لا يدرك إلاّ عقلاً فكل قاعدة في الدين تتقدم على العلم بكلام الله تعالى ووجوب اتصافه بكونه صدقاً .... وأما ما لا يدرك إلاّ سمعاً فهو

---

(١) الآمدي – أبكار الأفكار – (٨٦٩/٢) تحقيق الدكتور المهدي رسالة دكتوراه مخطوطة بجامعة الأزهر – كلية أصول الدين .

القضاء بوقوع ما يجوز في العقل وقوعه .... ويتصل بهذا القسم عندنا جملة أحكام التكليف وقضاياها من التقبيح والتحسين والإيجاب والحظر والندب والإباحة .

وأما ما يجوز إدراكه عقلاً وسمعاً ، فهو الذي تدل عليه شواهد العقول ويتصور ثبوت العلم بكلام الله تعالى متقدماً عليه .

فهذا القسم يتوصل إلى إدراكه بالسمع والعقل ، ونظير هذا القسم إثبات جواز الرؤية ، وإثبات استبداد الباري تعالى بالخلق والاختراع » [1].

ولنا على تقسيم الآمدي ومن سلك مسلكه للعقائد حسب طرق إثباتها إلى ما يثبت بالعقل وحده وإلى ما يثبت بالنقل وحده وإلى ما يثبت بهما معاً ، لنا على هذا التقسيم بعض الملحوظات :

أولاً : دعوى الآمدي إن وجوده تعالى لا يثبت إلاّ عقلاً دعوى غير صحيحة فعلماء السلف يرون أن معرفة الله تحصل بطرق أخرى سوى النظر العقلي ، فمن تلك الطرق طريق الضرورة والفطرة .

يقول شيخ الإسلام :

« إن أصل العلم الإلهي فطري وضروري وإنه أشد رسوخاً في النفوس من مبدأ العلم الرياضي كقولنا إن الواحد نصف الاثنين ، ومبدأ العلم الطبيعي ، كقولنا إن الجسم لا يكون في مكانين » [2].

ومن تلك الطرق طريق المعجزة ، فهي طريق لمعرفة الباري وصفاته وإثبات المعاد ولا تقتصر دلالتها على إثبات صدق النبي ، وقد استخدمها الأنبياء مع أقوامهم لهذا الغرض وقد استدل شيخ الإسلام بقصة موسى مع فرعون مثبتاً صحة دلالة المعجزات كطريق لإثبات توحيد الربوبية [3].

---

(1) إمام الحرمين - الإرشاد - (ص ٣٥٨ - ٣٥٩) .

(2) ابن تيمية - مجموع الفتاوى - (٢/٢٥) .

(3) انظر ابن تيمية - مجموع الفتاوى - (٣٧٨/١١) ، وابن القيم - مختصر الصواعق المرسلة - (١٩٥) .

ثانياً : نظرة المتكلمين إلى القرآن في استدلالهم به على العقائد على أنه مجرد نص سمعي لتقرير تلك العقائد ، جعلهم لا يلتفتون إلى الدلائل العقلية التي جاءت في القرآن لإثبات وجوده تعالى وصفاته فلا يذكرون في دراستهم للعقيدة ما فيه من الأدلة العقلية على إثبات الربوبية ، وهذا تقصير منهم في شأن القرآن (١).

ثالثاً : إن الآمدي وغيره ممن سلك هذا المسلك في تقسيم العقائد حسب طرق إثباتها كان متابعاً للمعتزلة ومخالفاً لمنهج أبي الحسن الأشعري الذي يثبت الصفات التي لا تثبت عند الآمدي إلاّ عقلاً ، بطرق سمعية(٢) ، ولقد سجل شيخ الإسلام هذه المخالفة حيث قال :

« ... الأشعري يثبت الصفات بالشرع تارة وبالعقل أخرى ، ولهذا يثبت العلو ونحوه مما تنفيه المعتزلة ويثبت الإستواء على العرش ، ويرد على من تأوله بالإستيلاء ونحوه مما لا يختص بالعرش ، بخلاف أتباع صاحب الإرشاد فإنهم سلكوا طريقة المعتزلة فلم يثبتوا الصفات إلاّ بالعقل ، وكان الأشعري وأئمة أصحابه يقولون أنهم يحتجون بالعقل لما عرف ثبوته بالسمع فالشرع هو الذي يعتمد عليه في أصول الدين والعقل عاضد له معاون » (٣).

ولقد طبق الآمدي منهجه هذا على كافة أبواب العقيدة ومنها ، النبوات وتجدر الإشارة إلى أن الآمدي في بداية حياته العلمية وبالأخص « في كتابه غاية المرام يختلف بوضوح من الناحية المنهجية عما كان عليه في كتابه أبكار والأفكار ، فبينما كان يقبل في هذا الأخير الاستدلال بالدليل السمعي في المسائل الكلامية التي لا تتوقف عليها صحة النبوة

(١) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (١٩/١٥٩-١٦١) .

(٢) انظر أبو الحسن الأشعري – الإبانة – (ص ١٥٧) تحقيق – د / فوقية حسين محمود – دار الأنصار بالقاهرة – الطبعة الأولى – ١٣٩٧ هـ ، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع – (ص ١٩، ٣٠، ٣٣) تحقيق حمود غرابة – مطبعة مصر – ١٩٥٥م .

(٣) ابن تيمية – موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول – (٣١٢/١) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

سواء كانت من الإلهيات أو غيرها كالنبوات والسمعيات ، إذا بنا نجده في غاية المرام لا يقبل الدليل السمعي إلاّ في المسائل السمعية المتعلقة بالبعث وما يتصل به ، أما المسائل الإلهية فإنه يتمسك فيها بالدليل العقلي وحده ولو لم تتوقف عليها صحة النبوة ، وذلك كإثبات الوحدانية وإمكان رؤية الله تعالى ، متأثراً في هذا ببعض شيوخ المعتزلة والمتأخرين من أصحابه الأشاعرة » [1].

وسوف يمر معنا في الباب الثاني أن الآمدي يرى أن المعجزة هي الطريق لإثبات صدق النبي في دعوى الرسالة وفي كل ما يبلغه عن الله ولم يذكر الآمدي أن هناك طرقاً أخرى للدلالة على صدق النبي في دعواه وخالف في ذلك أصحابه ووافق المعتزلة الذين يرون أن المعجزة هي الدليل الوحيد لإثبات صدق النبي في دعواه النبوة .

أما بالنسبة إلى بقية مسائل النبوات فقد اتضح لنا أنه قد اعتمد في تقريرها على الدليل السمعي .

ولعل من الأمور التي تميز بها منهج الآمدي من خلال دراسته للنبوة والرسالة وغيرها من المباحث الكلامية دقته في حكاية مذاهب السابقين وعنايته البالغة بتحقيقها فهو يعرضها في الغالب عرضاً تاريخياً بحسب التسلسل التاريخي أو حسب قيمتها العلمية ، فيقول مثلاً أجمع العقلاء على كذا والمقصود بهم جميع العقلاء سواء أكانوا من المليين ، أم من غيرهم ، ثم يقول ويرى المليون كذا ، والمقصود بهم جميع أصحاب الكتب السماوية ، ثم يقول ويرى الإسلاميون كذا ، والمقصود بهم جميع الفرق الإسلامية ، ثم يقول ويرى الخوارج كذا ، ثم يذكر آراء المعتزلة ويعدد آراء شيوخهم بحسب التسلسل التاريخي ، ثم يذكر آراء الأشاعرة : فيبدأ بالأشعري ثم الباقلاني ... وهكذا .

---

(١) الدكتور حسن محمود عبد اللطيف – مقدمة تحقيقه لكتاب غاية المرام للآمدي – (ص ١٦) .

وبعد أن يستعرض آراء السابقين يحرر محل النزاع ويرجح منها ما يختاره أو يدلي في المسألة برأي جديد ، أو يترك الباب مفتوحاً لمن يأتي بعده .

كما أنه يستعرض في أحيانٍ كثيرةٍ شبه الخصوم وقد يستقصيها ، فعلى سبيل المثال فقد ذكر لنفاة النبوة أربعين شبهة وقام بالرد عليها شبهة شبهة [(1)].

هذه ملامح عامة عن منهجه في النبوة والرسالة ، وسوف يتضح لنا ذلك بصورة أكبر عند عرض آراءه الاعتقادية في النبوة والرسالة في الباب الثاني بإذنه تعالى .

(1) انظر الدكتور أحمد المهدي في دراسته الأبكار الأفكار - (١٥٣/١) .

الباب الثاني

حقيقة النبوة والرسالة عند الآمدي

الفصل الأول :

النبوة والرسالة والعلاقة بينهما

وفيه مبحثان

المبحث الأول : النبي والرسول في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني : مفهوم النبوة

المبحث الأول :

النبي والرسول في اللغة والاصطلاح :

المبحث الأول : النبي والرسول في اللغة والاصطلاح :

أولاً : تعريف النبي والرسول في اللغة :

أ) تعريف النبي لغة :

تنبثق التعريفات اللغوية لكلمة نبي من مفهومين رئيسين ، يتعلق أحدهما بذات النبي ، أما الآخر فبما أمر به النبي .

ولقد اختلف في أصل كلمة نبي هل هو مهموز أم مشدد بدون همز .

فإن كانت مهموزة فهي ترد بهذا الاعتبار على ثلاثة معان ، وإن لم تكن كذلك فترد بهذا الاعتبار على معنيين اثنين لا ثالث لهما .

المعاني اللغوية لكلمة نبيء المهموزة :

١ – من نَبأ ، أو أنبأ ، وتعني خَبَّر أو أخبَر ، والأَنْباء الإخبار ، وإلى هذا المعنى أشار أبو الحسن الآمدي حيث قال :

« وقيل أنه مأخوذ من الأنباء ، وهو الإخبار ولذلك يقال لرسول الله نبيء لإنبائه عن الله عز وجل » [١].

قال ابن منظور[٢] :

« النبأ الخبر ، والجمع أَنْبَاءُ ، وإن لفلان نَبَأً أي خبر ، ومنه قوله تعالى :
﴿ عمَّ يتساءَلون عن النَّباِ العظيم ﴾ [٣].
قيل عن القرآن ، وقيل عن البعث ، وقيل عن أمر النبي ﷺ [٤] » .

---

(١) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٠٢/٢– ق ب) .

(٢) هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل ابن منظور الإمام اللغوي من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري ولد في مصر وقيل في طرابلس الغرب عام ٦٣٠ هـ عمي في آخر عمره وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد معظمها اختصار لكتب الأدب ، توفي في القاهرة عام ٧١١ هـ عليه رحمة الله .

انظر ابن حجر – الدرر الكامنة – (٢٦٢/٤) ، والسيوطي – بغية الوعاة – (٢٤٨/١) .

(٣) سورة النّبأ – آية : ١–٢ .

(٤) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأفريقي المصري – لسان العرب – (١٦٢/١) – الطبعة الأولى – ١٣٠٠ هـ – دار صادر – لبنان – بيروت .

وقال الفيروزآبادي[1] :

« النبأ محركة الخبر جمع أنباء والنَّبيءُ المخبر عن الله تعالى وترك الهمز المختار وجمعه أنبياء ونُبَآءُ وأنباءُ والنَّبيئون والاسم النُّبُوءَةُ ، وتنبَّأ ادَّعاها »[2].

٢- من نبأ أي ارتفع وظهر ومن أرض إلى أرض خرج أو من مكان إلى مكان أتى وعلى القوم طلع وهجم ، يقال نبأت على القوم إذا طلعت عليهم ، ونبأت من أرض إلى أرض إذا خرجت من هذه الى هذه ، وقد قال ابن فارس[3] النبأ الذي يعني الخبر على هذا المعنى لأن الخبر يأتي من مكان إلى مكان[4].

٣- من النبيء أي : الطريق الواضح :

وإلى هذا المعنى أشار الآمدي بقوله :

« وقيل النبي هو الطريق ومنه يقال للرسل عن الله تعالى أنبياء لكونهم طرق الهداية إليه »[5].

قال الفيروزآبادي :

« النبيء الطريق الواضح والمكان المرتفع المحدوب »[6].

---

(١) هو محمد بن يعقوب بن محمد أبو الطاهر مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي من أئمة اللغة والأدب ، ولد بشيراز عام ٧٢٩ هـ ، وانتقل إلى العراق وجال في مصر والشام والهند واستقر في زبيد وفيها توفي عام ٨١٧ هـ ، له مؤلفات كثيرة أشهرها القاموس المحيط .

انظر حاجي خليفة - كشف الظنون - (١٦٥٧/٢) ، بغية الوعاة - للسيوطي - (٢٧٣/١) ، والحافظ ابن حجر - إنباء الغمر - (١٥٩/٧) .

(٢) الطاهر أحمد الزاوي - ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة - الدار العربية للكتاب الطبعة الثالثة - ١٩٨٠ م - (٣٠٨/٤) .

(٣) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي من أئمة اللغة والأدب أصله من قزوين ، ولد عام ٣٢٩ ، وتوفي بالري عام ٣٩٥ ، له مصنفات كثيرة في اللغة منها معجم مقاييس اللغة ، وله كتاب في التفسير أسماه جامع التأويل .

ابن الأنباري - نزهة الألباء في طبقات الأدباء - (ص ٢٣٥) ، وابن تغربردي - النجوم الزاهرة - (٢١٢/٤) .

(٤) انظر أحمد بن فارس بن زكريا - معجم مقاييس اللغة - تحقيق عبد السلام هارون - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان - بيروت - (٣٨٥/٥) .

(٥) الآمدي - أبكار الأفكار - (١٠٢/٢- ق ب) .

(٦) الطاهر الزاوي - ترتيب القاموس - (٣٠٨/٤) .

وقال الزبيدي[1] :

« النبيءُ على فعيل الطريق الواضح يهمز ولا يهمز ، قال شيخنا قيل ومنه أخذ الرسول لأنه الطريق المُوَضِّحُ المُوصِّلُ إلى الله تعالى .... وهو مفهوم كلام الكسائي فإنه قال : النبيءُ : الطريقُ والأنبياءُ طرقُ الهدى » [2].

ومنه قول البعض مستظرفاً : « صلوا على النبي ولا تصلوا على النبيءِ ، أي لا تصلوا على الأرض المرتفعة المحدوبة الغير مستوية » [3].

وأما على الاعتبار الثاني - إشتقاق كلمة نبي من أصل مشدد غير مهموز - فترد على معنيين هما :

١- المستمد من النباوة أو النبوة وهي ما ارتفع من الأرض فالنبي بهذا المعنى المشرف على سائر الخلق ويتضمن هذا المعنى أن النبي مرتفع عن سائر البشر لعلو شأنه ورفعة قدره ومنزلته لما اختصه الله بالوحي دون سواه [4]، وإلى هذا المعنى أشار الآمدي بقوله :

« أما في وضع اللغة فالنبي مأخوذ من النبوة وهي الارتفاع ومنه يقال نبأ فلان إذا ارتفع وعلا » [5].

وواضح من عبارة الآمدي أن هذا المعنى هو المعنى الراجح عنده حيث أورده بصيغة الجزم بخلاف بقية المعاني فقد أوردها بصيغة التمريض « قيل »[6].

---

(١) هو محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض الملقب بمرتضى علاّمة اللغة والحديث والرجال والأنساب ، أصله من واسط في العراق ، ومولده في الهند أقام بمصر وتوفي فيها عام ١٢٠٥ هـ من أثر الطاعون من كتبه تاج العروس - مطبوع - واتحاف السادة المتقين - مطبوع - ومؤلفات كثيرة نفيسة .

الزركلي - الأعلام - (٧٠/٧) .

(٢) السيد محمد المرتضى الحسيني الزبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس - (٤٤٨/١) - وزارة الارشاد والأنباء - الكويت - الطبعة الأولى - ١٩٦٥ م .

(٣) المصدر السابق - (٤٤٩/١) .

(٤) انظر الراغب الأصفهاني - مفردات ألفاظ القرآن - تحقيق صفوان عدنان داوودي - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م - (ص ٧٩٠) .

(٥) الآمدي - أبكار الأفكار - (١٠٢/٢ - ق ب) .

(٦) المصدر السابق .

٢- المستمد من النبي وهو الطريق الواضح ، أو العلم مــن أعـلام الأرض التي يهتدي بها ، فالنبي أرفع خلق الله لأنه يهتدى به ، وهــو الطريـق الموصـل إلى مرضاة الله وهداه [١].

والمطالع لكتب المعاجم اللغوية يجد أن المشهور من هـذه المعـاني السـالفة الذكر هو ما استمد من الاشـتقاق الأول المهموز وهـو النبـأ أي الخـبر ، ومـا استمد من الاشتقاق الثاني المشدد وهو النباوة والنبوة والنبيّ .

إلاّ أن كثيراً من العلماء يرى أن كلمة نبيّ مشتقة من أصل غير مهموز ، أو أن ترك الهمز فيها أفضل ، منهم الزجاج[٢] حيث قال :

« القراءة المجمع عليها في النبيين والأنبياء طرح الهمزة وقد همز جماعة من أهل المدينة جميع ما في القرآن من هذا ... والأجود ترك الهمز » [٣].

ويقول الفيروزآبادي : « وترك الهمز المختار » [٤].

وقال سيبويه[٥] :

« ليس أحد من العرب إلا ويقول تنبأ مسـيلمة بـالهمز غـير أنهـم تركـوا

---

(١) الزبيدي – تاج العروس – (٤٤٨/١) .

(٢) هو إبراهيم بن السريّ بن سهل أبو إسحاق الزجاج عالم بالنحو واللغـة ، ولـد في بغـداد ، كان في فتوته يخرط الزجاج ثم مال إلى النحو وطلبه على يد المبرد توفي في بغداد عام ٣١١ هـ .

ابـن الأنبـاري – نزهـة الألبـاء – (ص ١٨٢) ، والحـافظ النـووي – تهذيـب الأسمـاء واللغات – (١٧٠/٢) ، وابن الأثير – اللبـاب في تهذيـب الأنسـاب (٦٢/٢) ، والسـمعاني – الأنساب – (٢٧٣/٦) .

(٣) نقلاً عن ابن منظور – لسان العرب – (١٦٣/١) .

(٤) الطاهر الزاوي – ترتيب القاموس – (٣٠٨/٤) .

(٥) هو عمرو بن عثمان بن قمنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب بسيبويه ، إمام النحاة ولد في شيراز ، وقدم البصرة فلزم الخليل بن أحمد ففاقه وصنـف كتابـه المسـمى « كتـاب سـيبويه » – مطبوع – وهو من أجود وأقدم كتب النحاة توفي في الأهواز وقيل بشيراز ، وسـيبويه بالفارسية رائحة التفاح ، وكان وسيماً جميلاً ، توفي شاباً رحمه الله عام ١٨٠ هـ على الصحيح .

انظر : الخطيـب البغـدادي – تـاريخ بغـداد – (١٩٥/١٢) ، وابـن الأنبـاري – طبقـات الأدباء – (ص ٥٤) ، وأبي الحسن القفطي – إنبـاه الـرواة – (٣٤٦/٢) ، والسـيوطي – بغيـة الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – (٢٢٩/٢) ، والزركلي – الأعلام – (٨١/٥) .

الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية والخابية ، إلا أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك والهمز في النبيء لغة رديئة » [(١)].

ويقول الراغب الأصفهاني [(٢)] :

« فالنبيُّ بغير الهمز أبلغ من النبيء بالهمز لأنه ليس كل مُنبـاءٍ رفيع القـدر والمحل ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لمن قال :

« يا نبيءَ الله فقال : لستُ نبيءَ الله ولكن نبيُّ الله » [(٣)].

لما رأى أن الرجل خاطبه بالهمز لبغضٍ منه » [(٤)].

ويرى شيخ الإسلام [(٥)] أن لغة الهمز في النبئ هي الأصل وما كان أصله الهمز جاز تليين الهمزة فيه لكثرة الاستعمال فيقال نبئ ونبيّ عند كثرة الاستعمال أما ما كان آخر أصله على كما في على ووصى وولى فإنه لا يجوز أن يقال أن أصله مهموز فلا يقال في على علئ ولا في وصيّ وصئ ولا في

---

(١) ابن منظور – لسان العرب – (١٦٢/١) .

(٢) الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب أديب مفسر ولد في أصفهان ، وسكن بغداد توفي عام ٥٠٢ هـ له مصنفات كثيرة منها المفردات في غريب القرآن وجامع التفاسير .

سير أعلام النبلاء – للذهبي – (١٢٠/١٨) ، وطاش كبرى زاده – مفتاح السعادة ومصباح السيادة – (٧٠/٢) ، والداوودي – طبقات المفسرين (٣٢٩/٢) .

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢٣١/٢) من حديث أبي ذر ، وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي وقال بل منكر لم يصح ، وفيه حمران بن أعين ليس بثقة وهو واهٍ .

(٤) الراغب الأصفهاني – مفردات ألفاظ القرآن – (ص ٧٩٠) .

(٥) هو الإمام الرباني إمام الأئمة ومفتى الأمة شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني شيخ الإسلام وعلم الأعلام ، نزيل دمشق صاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها ولد بحران يوم الاثنين من شهر ربيع الأول في العاشر منه سنة ٦٦١ هـ ، له حياة حافلة مع الفرق لو دونت لحتملت مجلدات كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر عند الصغير والكبير توفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ) رحمه الله .

انظر الحافظ الذهبي – تذكرة الحفاظ – (١٤٩٦/٤) ، والحافظ ابن كثير – البداية والنهاية – (١٣٢/١٤) ، وأفرد له ابن عبد الهادي ترجمة مستقلة باسم – العقود الدرية – ، والحافظ ابن حجر – الدرر الكامنة – (١٤٤/١ وما بعدها) .

ولي ولِيء بالهمز وإليك نص كلامه رحمه الله :

« فعيل إذا كان معتلاً أو مضاعفاً جمع على أفعلاء بخلاف حكيم وحكماء وعليم وعلماء وهو من النبأ وأصله الهمزة وقد قرئ به وهي قراءة نافع[1] يقرأ النبيء لكن لما كثر استعماله لينت همزته كما فعل مثل ذلك في الذرية وفي البرية وقراءة الهمز قاطعة بأنه مهموز ، وما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أنا نبيُّ الله ولست بنبيء الله » [2].

فما رأيت له إسناداً لا مسنداً ولا مرسلاً ولا رأيته في شيء من كتب الحديث ولا السير المعروفة [3].

ومثل هذا لا يعتمد عليه واللفظان مشتركان في الاشتقاق الأكبر فكلاهما فيه النون والباء وفي هذا الهمزة ، وفي هذا الحرف المعتل لكن الهمزة أشرف فإنها أقوى ... بخلاف المعتل فإنه لايجعل همزة فلو كان أصله نبي مثل على ووصى وولى لم يجز أن يقال بالهمز كما لا يقال عليء ووصيء ووليء بالهمز ، وإذا كان أصله الهمز جاز تليين الهمزة ، وإن كان لم يكثر استعماله كما في لفظ خبيء وخبئه ، وأيضاً فإن تصريفه أنبأ ونبأ وينبيء بالهمزة و لم يستعمل فيه نبا وينبو ، وإنما يقال هذا ينبو عنه والماء ينبو عن القدم ، إذا كان يجفو عنها ، ويقال النبوة وفي فلان نبوى عنا أي مجانبة ، فيجب القطع بأن النبيء مأخوذ من الأنباء لا من النبوة ، والله أعلم » [4].

---

(١) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني : أحد القراء السبعة المشهورين كان أسود اللون شديد السواد صبيح الوجه حسن الخلق ، فيه دعابة أصله من أصبهان اشتهر في المدينة وانتهت إليه الرياسة بالقراءة فيها وأقرأ الناس نيفاً وسبعين سنة وتوفي بها سنة ١٦٩ هـ .

معرفة القراء الكبار - الحافظ الذهبي - (١٠٧/١) ، مشاهير علماء الأمصار - ابن حبان البستي - (ص ١٤١) ، شذرات الذهب - ابن العماد الحنبلي - (٢٧٠/١) ، غاية النهاية في طبقات القراء - ابن الجزري - (٣٣٠/٢) .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) الحديث لا يعتمد عليه كما يقول شيخ الإسلام ولكن له إسناد وقد تقدم حكم الذهبي عليه بأنه منكر عندما ساق الحاكم إسناد الحديث (٢٣١/٢) ، ويبدوا أن شيخ الإسلام لم يطلع عليه .

(٤) تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني - النبوات - دار الفكر (٢٢٢-٢٢٣) .

والذي تميل إليه نفسي من هذه الأقوال ما رجحه شيخ الإسلام من أن الأصل في النبي هو الهمز ، وأنه مساوي لمن قرأ بالتشديد لأن المهموز إذا كثر استعماله جاز تليينه بخلاف ما ذهب إليه سيبويه وغيره من أن الهمز فيه لغة رديئة ، وذلك لقوة الأدلة التي ساقها شيخ الإسلام في النص السابق ويمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

أولاً : أن أصل إشتقاق كلمة النبي من النبأ ، والنبأ أصله الهمزة .

ثانياً : أن الحديث الذي اعتمدوا عليه لتقوية قولهم غير ثابت حسب قواعد المحدثين ، وقد تقدم حكم الحافظ الذهبي عليه بأنه منكر [1].

ثالثاً : أن من قال أن لغة الهمز لغة رديئة لقلة استعمالها يرد عليه بقراءة نافع المدني وهي إحدى القراءات السبع المتواترة ، فهل المتواتر قليل الاستعمال ؟ [2].

رابعاً : أنه قد يوصف بالعلو والارتفاع من ليس بنبي وفي ذلك دلالة على أنه ليس في هذا المعنى ما يميز به النبي عن غيره من البشر إلا إذا قلنا أن العلو والارتفاع داخل في المعنى الأول وهو الإنباء والإخبار ، عن الله جلت قدرته متضمن للرفعة والعلو وهذا مما يرجح أن الأصل في النبي النبأ لا النبوة أو النباوة .

خامساً : أن النبيّ والنبئ يشتركان لفظيًّا في الاشتقاق الأكبر الذي هو أصل بنية الكلمة فكلاهما فيه النون والباء وفي هذا الهمزة وفي الحرف المعتل والهمزة أشرف وهي الأقوى .

سادساً : أن ما كان أصله الهمز جاز تليين الهمزة وإن لم يكثر إستعمالها .

سابعاً : أن تصريف النبي من أنبأ الرباعي ينبئ ومن نبأ الثلاثي ينبئ كضرب يضرب وصرف يصرف و لم يستعمل فيه نبا ينبو لأن معناها يجفو كقولهم في فلان نبوة عنا أي مجانبة وليس في هذا من معنى النبوة شيء .

---

(١) انظر : (ص ١٣٥) .

(٢) انظر أحمد بن علي الأنصاري ابن الباذش – كتاب الاقناع في القراءات السبع – (٤٠٣/١) – تحقيق د / عبد المجيد قطامش – طبع جامعة أم القرى – مكة المكرمة .

فلما تقدم وجب القطع بأن النبي مأخوذ من الأنباء لا من النبوة ، ولا يعني ذلك أن تلك المعاني مثل الرفعة وعلو القدر والمنزلة وكونه الطريق الوحيد الموصل لمرضاة الله عز وجل غير مراده ، بل هي متضمنة لمعنى الأنباء كما تقدم وكل تلك المعاني راجعة إلى كون النبي ينبي عن رب العزة والجلال .

اتفق اللغويون على أن النبي على وزن فعيل ولكنهم اختلفوا هل هو فعيل بمعنى فاعل أو هو فعيل بمعنى مفعول ؟

فمنهم من ذهب إلى أنه فعيل بمعنى فاعل ، ومنهم من ذهب إلى أنه فعيل بمعنى اسم مفعول ، ومنهم من ذهب إلى جمع المعنيين معاً بالنظر إلى أصل الاشتقاق اللغوي ، وممن قال بأنه فعيل بمعنى فاعل ، الجوهري[1] حيث قال :

« والنبي المخبر عن الله عز وجل لأنه فعيل بمعنى فاعل » [2].

وابن الأثير[3] :

« النبيءُ فعيل بمعنى فاعل للمبالغة » [4].

(1) إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر أول من حاول الطيران ومات في سبيله ، لغويّ من الأئمة اشهر كتبه الصحاح - مطبوع - وله كتاب العروض وله مقدمة في النحو أصله من فاراب رحل إلى العراق صغيراً وسافر إلى الحجاز وطاف بالبادية وعاد إلى خراسان ومات في نيسابور سنة ٣٩٨ هـ .

معجم الأدباء - لياقوت الحموي - (٢٦٩/٢) ، النجوم الزاهرة - لابن تغري بردي - (٢٠٧/٤) ، أنباه الرواة - للقفطي - (٢٢٩/١) ، الزركلي - الأعلام - (٣١٣/١) .

(٢) انظر ابن منظور فيما نقله عنه - لسان العرب - (١٦٢/١) .

(٣) المبارك بن محمد الشيباني الجزري أبو السعادات مجد الدين ابن الأثير المحدث اللغوي الاصولي ولد في جزيرة ابن عمر وانتقل إلى الموصل اصيب بالنقرس ولازمه هذا المرض إلى أن توفى في إحدى قرى الموصل عام ٦٠٦ هـ له تصانيف كثيرة منها النهاية في غريب الحديث - جامع الاصول - وتجريد اسماء الصحابة ... الخ .

انظر : الاسنوي - طبقات الشافعية - (٧٠/١) وابن قاضي شهبة - طبقات الشافعية - (٦٠/٢) والكتاني - الرسالة المستطرفة .

(٤) مجد الدين ابن الأثير- النهاية في غريب الحديث - (٣/٥) - تحقيق الطناحي- دار أحياء التراث - بيروت .

والعلامة الألوسي[1] في تفسيره عند قوله تعالى :

﴿ الذين يتبعون الرسول النبي .... ﴾[2] الآية ، حيث قال :

« الرسول الذي أرسله الله تعالى لتبليغ الأحكام والنبي الذي أنبأ الخلق عن الله تعالى فالأول تعتبر فيه الإضافة إلى الله تعالى والثاني تعتبر فيه الإضافة إلى الخلق »[3].

وممن ذهب إلى أنه فعيل بمعنى مفعول شيخ الاسلام ابن تيمية حيث قال :

« فكذلك نبي الله هو بمعنى مفعول أي منبأ الله الذي نبأه الله ، وهذا أجود من أن يقال إنه بمعنى فاعل أي منبئ فإنه إذا أنباه الله فهو نبي الله سواء أنبأ بذلك غيره أو لم ينبئه فالذي صار به النبي نبياً أن ينبئه الله وهذا مما يبين ما امتاز به عن غيره »[4].

وأما من ذهب إلى الجمع بين المعنيين فقال إنه فعيل بمعنى مفعول أي منبأ الله الذي نبأه الله وأعلمه أنه نبيه ، أو يكون فعيل بمعنى فاعل أي : منبئ عن الله ومخبراً عما بعثه الله تعالى به ، ذكر ذلك الراغب الأصفهاني[5] ، والقاضي عياض[6] [7] ، وكذا الشمس

---

(١) محمود شكري بن عبد الله الآلوسي مؤرخ ومفسر وأديب ولد في بغداد تصدر للتدريس في بغداد وحمل على أهل البدع فعاداه كثيرون وسعوا به لدى والي بغداد فنفته الدولة إلى الأناضول ثم سمح له بالعودة إلى بغداد له ما يزيد عن ٥٢ مصنفاً بين كتاب ورسالة توفي في بغداد ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م .

الزركلي - الأعلام - (١٧٢/٧) .

(٢) سورة الاعراف : آية رقم ١٥٧ .

(٣) محمود شكري بن عبد الله الآلوسي - روح المعاني - (٧٩،٧٨/٩) - دار الفكر - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

(٤) ابن تيمية - النبوات - (ص ١٦٦) .

(٥) الراغب الأصفهاني - مفردات القرآن - (ص ٧٨٩) .

(٦) هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي أبو الفضل عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته ، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم ولد في سبتة عام ٤٧٦ هـ وولي قضائها ومن ثم غرناطة وتوفي عام ٥٤٤ هـ بمراكش مسموماً تصانيفه مشهورة منها الشفاء والغنية والإلماع.

انظر الشيخ محمد مخلوف - شجرة النور الزكية - (ص ١٤٠ - ١٤١) .

(٧) القاضي عياض - الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى - (٢١٠/١) - مطبعة محمد المدني - ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م .

الأصفهاني[1] ، وأيد ذلك من المتأخرين الشيخ عبد الرزاق عفيفي[2] عليه رحمة الله ، والراجح من تلك الأقوال هو ما رجحه شيخ الاسلام من أن النبي فعيل بمعنى مفعول وذلك لثلاثة أوجه :

الوجه الأول : لأن النبي في التعريف الإصطلاحي يلاحظ فيه كونه منبأ عن الله كما سيأتي تعريفه : « إنسان حر ذكر أوحى إليه بشرع ... » .

فلأجل المساوغة بين التعريفين الإصطلاحي واللغوي ينبغي أن يكون النبي فعيلاً بمعنى مفعول .

الوجه الثاني : أن مما امتاز به النبي عن سائر البشر بكونه منبأ انبئه الله سبحانه وتعالى لا بكونه منبئاً الناس ، فالدعاة إلى الله والعلماء المصلحين ينبئون الناس عن الله فهم يشتركون مع الأنبياء في هذه الصفة ، ولكنهم لم يكونوا أبداً منبئين من قبل الله عز وجل [3] .

الوجه الثالث : ونحن إذا قلنا بهذا القول أي أن النبي فعيل بمعنى مفعول سيظهر لنا الفرق بين النبي والرسول وهو رأي الجمهور وهو الراجح كما سيأتي إن شاء الله

وأما إذا قلنا أنه فعيل بمعنى فاعل فلن يكون هنالك ثمة فرق بينهما إذ كل منهما مخبر عن الله مبلغ لرسالته ونتكلف عندها في إظهار فروق لا دليل عليها ولكن إذا قلنا أنه فعيل بمعنى مفعول أي منبأ من الله سواء أخبر بذلك غيره أم لا فلن نتكلف عند ذلك في إظهار الفرق بينهما[4] .

---

(١) شمس الدين الأصفهاني – شرح مطالع الأنظار على متن طوالع الأنوار – للقاضي عبد الله البيضاوي – (ص ١٩٨) .

(٢) عبد الرزاق عفيفي – مذكرة التوحيد – (ص ٣٣) – المكتب الاسلامي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

(٣) انظر شيخ الاسلام – النبوات – (ص ١٦٦) .

(٤) انظر د/ أحمد عبد اللطيف آل عبد اللطيف – عصمة الأنبياء عند مفكري الاسلام – رسالة ماجستير – (ص ٢٩) .

ب - تعريف الرسول :

وأما لفظ الرَّسُولُ بمعنى المُرْسَل بفتح السين يطلق في اللغة على ثلاثة معان :

الأول : الإرسال بمعنى التوجيه :

وبه فُسر إرسال الله أنبياءه[1]، ومنه قول الرب جل وعلا في قصة بلقيس[2] مَلِكَة سبأ ﴿ وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المُرسلون ﴾[3].

أي : مُوَجِهةٌ ومرسلةٌ إليهم .

والاسم الرِّسالة والرَّسالة بكسر الراء وفتحها والرَّسُول والرَّسيل ، ورَسُول على وزن فعول وما كان على وزن فعول أو فعيل يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع مثل صديق وعدو[4].

قال تعالى :

﴿ إنا رسُول رب العالمين ﴾[5] ، فلم يقل رسولا مع أنهم اثنان والجمع أَرْسُل ورُسُلُ ورُسل ورُسلاء[6]

ثانياً : بمعنى المتابعة :

قال أبو بكر[7] بن الأنباري في قول المؤذن أشهد أنّ محمداً رسول الله :

---

(١) انظر ابن منظور - لسان العرب - (٢٨٣/١١) .

(٢) هي بلقيس بنت الهدهاد بن شراحيل ملكة سبا يمانية من أهل مأرب أشير إليها في القرآن ولم يسمها وليت أمر اليمن كله وامتد نفوذها إلى بابل وفارس تزوجت من سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام بعد ظهور أمره وانقادة له وكانت هي وقومها من عباد الشمس .

الزركلي - الأعلام - (٧٣/٢) .

(٣) سورة النمل - آية - ٣٥ .

(٤) الرغب الأصفهاني - مفردات ألفاظ القرآن - (ص ٣٥٣) .

(٥) سورة الشعراء - آية - ١٦ .

(٦) انظر ابن منظور - لسان العرب - (٢٨٣/١١) .

(٧) هو محمد بن القاسم بن محمد أبو بكر بن الأنباري من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة ولد في الأنبار بالعراق عام ٢٧١ هـ وتوفي في بغداد عام ٣٢٨ هـ له مؤلفات كثيرة من أجلها غريب الحديث ونزهة الألباء .

أبو الحسين محمد بن أبي يعلى - طبقات الحنابلة - (٦٩/٢-٧٣) والذهبي - تذكرة الحفاظ - (٨٤٢/٣-٨٤٥) .

« أعلم وأبيِّنُ أن محمداً مُتابعٌ للإخبار عن الله عز وجل »[1] .

وقال ابن منظور :

« الرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذاً من قولهم جاءت الإبل رَسَلاً أي متتابعة »[2].

وقال ابن عباس[3] رضي الله عنهما في تفسير معنى تترا في قول الله عز وجل :

﴿ ثم أرسلنا رُسُلَنَا تَتْرَا كَلَّ ما جاء أُمَّةً رَسُولُهَا كذبوه ﴾[4] .

قال : يتبع بعضهم بعضاً[5].

وقد أخذ ذلك من قولهم جاءت الإبل رسلاً أي متتابعة وأرسلَ فلان إبله في وردها أرسالاً أي متتابعة .

ثالثاً : الانبعاث على التؤَدة :

قال الراغب الأصفهاني :

« أصل الرِّسلِ الانبعاثُ على التُّؤَدةِ ويقال ناقةٌ رسلة : سهلةُ السير وإبلُ مراسيلُ منبعثةٌ انبعاثاً سهلاً ومنه الرَّسُولُ المُنبعِثُ »[6] .

والرَّسُولُ يقال تارةً للقول المتَحمل أي الرسالة وتارة لمتحِّمل الرسالة أي الرسول ، فمن الأول قول أبي إسحاق النحوي في قوله تعالى :

﴿ إنا رسُولُ ربِّ العـٰلمين ﴾[7] .

---

(١) نقلاً عن ابن منظور – لسان العرب – (١١/٢٨٤) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي أبو العباس حبر الأمة ، الصحابي الجليل ، ولد بمكة ، لازم الرسول عليه الصلاة والسلام وروي عنه الأحاديث الكثيرة ، كف بصره في آخر عمره ، سكن الطائف وتوفي بها سنة ٦٨ هـ .

انظر ابن حجر – الإصابة – (٦/١٣٠) .

(٣) سورة المؤمنون : آية رقم ٤٤ .

(٥) انظر الحافظ إسماعيل بن كثير – تفسير القرآن العظيم – (٣/٢٤٥) – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .

(٦) الراغب الأصفهاني – المفردات – (ص ٣٥٢) .

(٧) سورة الشعراء : آية رقم ١٦ .

معناه إنّا رسالة ربِّ العالمين أي ذوا رسالة رب العالمين[1]

ومن الثاني أي الرسول متحمِّل الرسالة فهـو في القـرآن كثير وقـد يـراد برسل الله تعالى تارةً الملائكة ، وتارةً أخرى يراد بها الأنبياءُ ، فمن الملائكة قول الله تعالى :

﴿ إنه لقولُ رَسُولٍ كريم ﴾[2] .

وقوله تعالى :

﴿ ولما جاءَت رُسُلُنا لوطاً سيّءَ بهم ... ﴾[3] الآية .

وقوله تعالى :

﴿ ولما جاءت رُسُلُنآ إبراهيم بالبشرىٰ ﴾[4] .

ومما ورد في أن المقصود بالرسل الأنبياء قول الله عز وجل :

﴿ وما محمد إلا رسُولٌ ﴾[5]

وقوله تعالى :

﴿ يأيها الرسُولُ بلغ مآ أُنزلَ إليك من ربك ﴾[6] .

وقد ترد بعض الآيات التي قد تحمل على رُسلِه من الملائكة أو البشر مثل قوله تعالى :

﴿ وما نُرسلُ المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾[7] [8] .

وكل تلك المعاني التوجيه ومتابعة الأخبار والانبعاث لا يوجد مانع من أن تكون مجتمعة في الرسول فهو موجه من قبل الرب جل وعلا ومبعوث منه لدعوة عباده وهو الذي يتابع ويسرد الأخبار عن الله عز وجل وفي القرآن الكريم ما يشهد بذلك .

(١) نقلاً عن ابن منظور – لسان العرب – (٢٨٤/١١) .
(٢) سورة التكوير : آية رقم ١٩ .
(٣) سورة هود : آية رقم ٧٧ .
(٤) سورة العنكبوت : آية رقم ٣١ .
(٥) سورة آل عمران : آية رقم ١٤٤ .
(٦) سورة المائدة : آية رقم ٦٧ .
(٧) سورة الأنعام : آية رقم ٤٨ .
(٨) انظر الراغب الأصفهاني – المفردات – (٣٥٣) .

قال تعالى :

﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم ءايـٰتك ... ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ ثم بعثنا من بعده رُسُلاً إلى قومهم فجآءُوهم بالبينـٰت ﴾[2] .

وقال تعالى :

﴿ إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾[3].

ثانياً : تعريف النبي والرسول من الناحية الإصطلاحية :

كثر الخلاف بين العلماء في التعريف الإصطلاحي للنبي والرسول أو إن شئت فقل الفرق بين النبي والرسول وخلافهم منبثق من نظرتهم إلى مفهوم النبي والرسول ، وهل هو مفهوم واحد أم أن لكل واحد منهما مفهوم مغاير للآخر .

من خلال تلك النظرة أخذت أقوالهم اتجاهين رئيسين الأول منهما يرى أصحابه أن لا فرق من الناحية الاصطلاحية بين النبي والرسول فمفهومهما واحد وإن اختلف مسماهما ويرون أنّ الأدلة لا تسعف من قال بالتفريق بزعمهم ، وسوف أرجئُ مناقشة أصحاب هذا القول إلى المبحث الثاني – مفهوم النبوة – عند مناقشة الآمدي لأن الآمدي يؤيد هذا القول ومناقشة هذا القول هنا فيه نوع من التكرر ، ثم إن المقام مقام بيان الفرق بين النبي والرسول وأصحابُ هذا القول لا يرون أن هناك فرق بينهما ، فالمناسب عدم مناقشة قولهم هنا .

وأما أصحاب الإتجاه الثاني فيرون أنّ الفرق واضح بين مفهوم النبي والرسول[4] ، وهم الجمهور أهل السنة والجماعة ومن تبعهم من الفرق

---

(١) سورة البقرة : آية رقم ١٢٩ .

(٢) سورة يونس : آية رقم ٧٤ .

(٣) سورة النساء : آية رقم ١٦٣ .

(٤) انظر أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي – أعلام النبوة – (ص ٧٠) – تحقيق محمد البغدادي – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان .

الأُخرى وهو الراجح لصراحة أدلتهم وقوتها وسوف أذكرها بعونه تعالى في المبحث الثاني : مفهوم النبوة غير أن بين هؤلاء – الجمهور – يقع الخلاف في ماهية الفرق بين النبي والرسول ، كما سيتضح ذلك من خلال إستعراض تعاريفهم وقد إقتصرت على بعضها إذ بذلك تحصل الفائدة المرجوة ومن ثم أخلص إلى التعريف المختار منها بإذن الله تعالى :

التعريف الأول : للإمام الشافعي حيث يقول عليه رحمة الله :

« الرسول هو صاحب الشريعة والأنبياء بعثوا على شرائع تلك الرسل ، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً » [(١)] .

والتعريف كما هو ملاحظ جامع مانع من دخول من ليس رسولاً ولا نبياً في عداد الرسل والأنبياء ، لكنه غير جلي في التفريق بين النبي والرسول ، حيث أنه جعل الفرق بينهما هو الإتيان بشريعة جديدة فمن أتى بها فهو الرسول ومن عمل بشريعة رسول سابق فهو النبي ، ويشكل عليه أن هناك رسلاً لم يأتوا بشرائع جديدة وإنما عملوا على تأكيد شرائع من سبقهم من الرسل ، مثل سيدنا إسماعيل ويوسف كانا على شريعة الخليل وسيدنا داود وسيدنا سليمان كانا على شريعة سيدنا موسى عليهم وعلى نبينا محمد أشرف الصلاة وأتم التسليم ، وإذا تبين ذلك علم أنه ليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة ، ولذلك فإن التفريق بين الرسول والنبي في هذا التعريف غير صحيح [(٢)] .

التعريف الثاني : لابن أبي العز الحنفي[(٣)] .

---

(١) الشافعي – الفقه الأكبر في التوحيد – طبع على نفقة أحمد أفندي محمد – الطبعة الأولى – المطبعة الأدبية الأزبكية – (ص ٢٨) .

(٢) انظر ابن تيمية – النبوات – (ص ٢٥٧) .

(٣) هو الإمام العلامة علي بن علاء الدين علي شمس الدين المعروف بابن أبي العز الحنفي ، ولد بدمشق في أسرة كان لها نباهة وذكر وعلو شأن في العلم والسيادة له عدة مؤلفات منها شرح العقيدة الطحاوية وهو من أجود شروح الطحاوية توفي سنة ٧٩٢ هـ ودفن بسفح جبل قاسيون عليه رحمة الله .

انظر شرح العقيدة الطحاوية – (١/٦٣-١٠٣) .

« من نبأه بخبر السماء ، إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي رسول ، وإن لم يأمره ، أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول »[(١)].

ويمكن إجمال الانتقاد على هذا التعريف بالنقاط التالية :

١- تعريفه للنبي غير مانع من دخول أفراد على الصحيح أنهم ليسوا أنبياء كالنساء والملائكة ، فالنبوة عنده تثبت بمطلق الوحي لأي موحى إليه ومهما كان فحوى ذلك الوحي وكل ذلك غير صحيح كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

٢- تعريفه للرسول غير مانع أيضاً من دخول من لايصح إرساله كالنساء ، ومن ليس مراداً بتعريف الرسول كالملائكة حيث أن هذا التعريف يدخلهم وليس المراد هنا إلا الرسول من البشر وهو ما افتقر التعريف إليه .

التعريف الثالث : لعبد القاهر البغدادي[(٢)]. حيث يقول :

« النبي من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحي والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله ، كل رسول لله - عز وجل - نبي وليس كل نبي رسولاً له »[(٣)].

تعريف البغدادي للنبي غير مانع فهو يُثبتُ النبوة بمجرد الوحي وأياً كان الموحى إليه أو الموحى به وهذا غير صحيح كما سيأتي والتعريف يرد عليه ما يرد على التعريف السابق .

---

(١) ابن أبي العز - (شرح العقيدة الطحاوية) - (١٥٥/١) وتبعه الشيخ حافظ الحكمي على ذلك ، انظر معارج القبول - (٧٨/٢) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

(٢) عبد القاهر بن طاهر البغدادي أبو منصور إمام في الأصول والفرق ولد ونشأ في بغداد وتوفي في اسفرائين سنة ٤٢٩ هـ .

انظر ابن خلكان - وفيات الأعيان - (٢٠٣/٣) .

(٣) عبد القاهر بن طاهر البغدادي - أصول الدين - الطبعة الأولى - استانبول - مطبعة الدولة ١٣٤٦ هـ - (ص ١٥٤) .

وأما بالنسبة لتعريفه للرسول وجعله الفرق هو الإتيان بشرع على الإبتداء أو نسخ بعض أحكام شريعة من قبله من الرسل غير مسلم حيث ثبت أن هناك من الرسل من كان على شريعة من قبله من الرسل و لم يأتوا بشريعة جديدة و لم ينقل عنهم بالدليل الصحيح أنهم أتوا بنسخ كل أو بعض شرائع من بعثوا على شريعتهم مثل إسماعيل ويوسف كانا على شريعة الخليل وداود وسليمان كانا على شريعة موسى عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه[1] .

التعريف الرابع : للإمام ابن حزم [2] :

حيث يقول رحمه الله :

« معنى النبوة : أن ينبيء الله – عز وجل – من يشاء من عباده بوحي يعلمه به ما يكون قبل أن يكون ، وتفسير الرسالة : هو أن يرسل الله من يشاء من عباده بما شاء إلى من شاء من خلقه »[3].

والانتقاد في هذا التعريف يشمل تعريفه للنبي والرسول معاً .

أما تعريفه رحمه الله للنبوة فهو غير مانع من دخول من ليس مراداً تعريفه كالملائكة ومن ليس بنبي على الصحيح مثل النساء ، وإن كان أبو محمد عليه رحمة الله من أشد المنافحين عن جواز نبوة النساء ولكن الحق بخلاف ما يرى كما سيأتي مزيد ايضاح لهذه النقطة ويرد عليه ما ورد على التعريف الثاني والثالث .

---

(١) انظر ابن تيمية – النبوات – (ص ٢٥٧) .

(٢) علي بن أحمد بن حزم الظاهري أبو محمد عالم الأندلس في عصره ، وأحد أئمة الاسلام ، ولد بقرطبة ، فقيهاً حافظاً معظماً لنصوص الكتاب والسنة توفي سنة ٤٥٦ هـ .

انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (١٨/١٨٤) وابن حجر – لسان الميزان – (١٩٨/٤) .

(٣) أبو محمد علي بن حزم – الدرة فيما يجب اعتقاده – دراسة وتحقيق وتعليق – دكتور أحمد ابن ناصر الحمد والدكتور سعيد القزقي – مطبعة المدني – الطبعة الأولى (ص ٣٨٠–٣٨١) وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل – دار الجيل – بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م – تحقيق دكتور محمد إبراهيم نصر ودكتور عبد الرحمن عميرة (١١٩/٥–١٢٠) .

أما بالنسبة لتعريف الإمام ابن حزم للرسول فهو غير مانع من دخول من لا يصح إرساله كالنساء[1] ومن ليس يراد دخوله في التعريف كالرسل من الملائكة إذ المراد بتعريف الرسول ليس ذلك بل المراد الرسول من البشر وهو ما افتقر التعريف إلى تعيينه .

التعريف الخامس : للزمخشري[2].

عرف الزمخشري النبي والرسول بقوله :

« الرسول من الأنبياء : من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه ، والنبي غير الرسول : من لم ينزل عليه كتاب ، وإنما أُمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله »[3].

وهذا التفريق بين النبي والرسول بهذه الصورة من الزمخشري يتجه إليه ما قيل في نقد تعريف الإمام الشافعي والبغدادي للرسول من أنَّ هناك رسلاً لم يأتوا بشرائع جديدة وإنما كانوا على شريعة من سبقهم من الرسل ، ثم إنه قد نقل إلينا من طريق صحيح عدد[4] الرسل وأنهم ثلاثمائة وخمسة عشر ولم يصل إلينا تسمية كتبهم سوى القليل منها فمن أين لمشترط الكتاب في تعريفه للرسول ، المستند والبرهان على شرطه هذا ؟

التعريف السادس : للرازي[5] .

---

(١) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٩٦/٤) ، والسفاريني – لوامع الأنوار – (٢٦٦/٢) .

(٢) محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم من أئمة اللغة والتفسير والأدب ، ولد في زمخشر إحدى قرى خوارزم سنة ٤٦٧ هـ ، وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله ، كان على مذهب الاعتزال توفي سنة ٥٣٨ هـ .

انظر ابن خلكان – وفيات الاعيان – (١٦٨/٥) ، وابن حجر – لسان الميزان – (٤/٦) .

(٣) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي – الكشاف عن حقائق التنزيل –(٣٧/٣) – دار المعرفة – بيروت – لبنان .

(٤) كما في حديث أبي ذر وأبي أمامة الذي سوف يأتي تخريجه بعد قليل .

(٥) محمد بن عمر فخر الدين الرازي الإمام المفسر المتكلم أوحد زمانه في المعقول وعلوم الأوائل ، توفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ .

انظر ابن كثير – البداية والنهاية – (٦٠/١٣) .

يعرف الرازي النبي بأنه الذي يرى في النوم كونه رسولاً أو يخبره أحدٌ من الرسل بأنه رسول أما النبي الرسول : فهو من جاءه الملك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق[1] .

والانتقاد متوجه إلى تعريفه للرسول وكذلك النبي ويمكن تلخيص الانتقاد بما يلي :

أولاً : تعريفه للرسول

أن تعريف الرسول بأنه من جاءه الملك بالوحي وحصر حصول الرسالة على ذلك الشرط غير مسلم ، وذلك لأن الله جل وعلا قد اصطفى بعض رسله للرسالة كموسى عليه الصلاة السلام مباشرة بوحيه إليه وبدون وساطة الملك التي يشترطها الرازي كما قال تعالى :

﴿ فلما أتـٰها نودي يا موسىٰ إنيّ أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحىٰ ﴾[2] ، وذلك عند مرور موسى على الواد المقدس طوى والآية صريحة في وحي الله سبحانه وتعالى إليه مباشرة بدون وساطة الملك ، وهي مبطلة لشرط الرازي إلاّ إذا كان لايعد موسى رسولاً وهو حتماً لا يقول بذلك ولكنه لازم لتعريفه ، ثم إنه ليس كل من ظهر له الملك وأوحى له بأمر غيبي كان رسولاً وإلا لعددنا السيدة سارة عليها السلام زوجة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام من الرسل والنساء لم يقل أحد بأن فيهن رسلاً وإنما الخلاف في نبوتهن ، وذلك عندما خاطبتها الملائكة وبشرتها بإسحاق عليه الصلاة والسلام وقد قص الله تعالى علينا ذلك بقوله سبحانه :

﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذٍ فلما رءآ أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب قالت ياويلتا ءألدُ وأنا عجوز وهـٰذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته

(١) الفخر الرازي – التفسير الكبير – دار الكتب العلمية – لبنان – (٢٣/٤٩) .

(٢) سورة طه – آية : ١١ – ١٣ .

عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾[1] ، وهذا وحي وإخبار عن أمر غيبي بوساطة الملائكة ومخاطبة الملائكة ونقل الوحي إليها مما يجعلها من الرسل على تعريف الفخر الرازي ولم يقل أحد بذلك حتى ولا الرازي نفسه لصراحة الأدلة على نفي إرسال النساء[2] ، وكذلك ما قيل عن سارة عليها السلام يمكن أن يقال على السيدة مريم عليها السلام عندما أوحت إليها الملائكة بالبشارة بميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام – قال تعالى :

﴿ إذ قالت الملٰئكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسىٰ ابن مريم وجيهاً في الدنيا والأخرة ومن المقربين ﴾[3] .

وكذلك مخاطبة جبريل عليه السلام لها – قال تعالى :

﴿ واذكر في الكتٰب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً ﴾[4] .

وفي هذه الآية والتي سبقتها رد صريح لإثبات الرسالة بخطاب الملك وتمثله للمخاطب .

ثم إن هناك من البشر من تمثلت لهم الملائكة وخاطبتهم مشافهة وخطاب الملائكة وحي كما تقدم وهم ليسوا رسل بل البعض منهم ليس من أهل الصلاح كثلاثة الذين ابتلاهم الله من بني إسرائيل كما في حديث أبي هريرة[5] رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) سورة هود – الآيات : ٦٩ – ٧٣ .

(٢) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٩٦/٤) السفاريني – لوامع الأنوار – (٢٦٦/٢) .

(٣) سورة آل عمران – آية : ٤٥ .

(٤) سورة مريم – الآيات من : ١٦ – ٢١ .

(٥) أبو هريرة الدوسي الصحابي الجليل أحفظ الصحابة أختلف في اسمه واسم أبيه ذهب الأكثرون إلى أن اسمه عبد الرحمن بن صخر توفي سنة ٥٧ هـ وهو ابن ٧٨ سنة .

ابن حجر – تقريب التهذيب – (ص ٦٨٠ –٦٨١) طبعة عوامة .

« إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً ... » الحديث .

وفي آخره قال الملك لصاحب الغنم الذي كان أعمى :

« إنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك »[1].

وكذلك الرجل الصالح الذي خرج يزور أخاً له في الله كما في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« خرج رجل يزور أخاً له في الله - عز وجل - في قرية أخرى فأرصد الله عز وجل بمدرجته ملكاً فلما مر به قال : أين تريد ؟ قال أريد فلاناً قال لقرابة قال لا قال فلنعمة له عندك تربها قال لا : فلم تأتيه ؟ قال إني أحبه في الله قال فإني رسول الله إليك أنه يحبك بحبك إياه فيه »[2].

ثانياً : تعريفه للنبي :

فيه إشكال واضطراب كبير إذ كيف يرى النبي في النوم أنه رسول ثم تكون الحقيقة على خلاف ما رأى وأنه نبي وليس رسول ورؤى الأنبياء حق كما هو ثابت ، ثم كيف يخبره الرسول بأنه رسول وتكون الحقيقة على خلاف ما قال الرسول والرسل لا تقول إلا حقاً ولا تنطق عن الهوى وإنما هو وحي أوحي إليهم وقاموا بتبليغه ، ولا شك أن لهذا القول لوازم باطلة لا يقول بها أحد كتجهيل النبي وأنه قال ذلك بظنه أو أنه كذب على النبي بأنه رسول وهو على خلاف ذلك[3].

ثم أنه على هذا التعريف لا يكون بين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق كما يراه الرازي نفسه[4] ، وإنما تكون العلاقة بينهما علاقة تباين فليس

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأنبياء - باب حديث أبرص وأقرع وأعمى - (٢٢٧٥/٤-٢٢٧٧) طبعة فؤاد عبد الباقي .

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٠/٢) ، والإمام أحمد في مسنده - الطبعة الميمنية (٢٩٢/٢-٤٠٨-٤٦٢) ، وقال العلامة أحمد شاكر رحمه الله في تحقيقه للمسند إسناده صحيح (٤٤/١٥-٤٥) .

(٣) د/ أحمد عبد اللطيف آل عبد اللطيف - رسالة ماجستير - عصمة الأنبياء - (ص ٣٨) .

(٤) د/ أحمد محمد ليلة - فكر الرازي في النبوات - رسالة دكتوراة - الأزهر - (ص ٤٣) .

الرسول نبياً وليس النبي رسولاً فالرسول عنده من يأتيه الملك ظاهراً بالوحي يقظة فقط ، والنبي من يأتيه الوحي مناماً مطلقاً ولا يرى الملك حقيقة في اليقظة وإلاّ لصار رسولاً .

ثم إن تخصيص وحي النبي بالوحي المنامي فقط دعوى عارية عن الدليل ، ليس لها مستند لا من كتاب ولا سنة وكل دعوى لا يعضدها الدليل ساقطة لا يعتد بها ولا يخفى أن مثل ذلك لا يقال بالرأي ، ولا شك أن ذلك اضطراب من الرازي في تحديد العلاقة بين النبي والرسول وبيان وجه الفرق بينهما ، وقد أشار إلى ذلك الدكتور أحمد الناصر غير أنه ذهب إلى إحتمال خطأ في المطبوع في التفسير استبدلت فيه لفظة نبي برسول واستدل بما حكاه البيضاوي عن الرازي : « قيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام » .

قال الشهاب في الحاشية : « قائله الرازي » .

واعترض على هذا الاحتمال بقوله :

« وعلى هذا أيضاً فأمر ثبوت النبوة لمجرد رؤيا ذلك مناماً غير صحيح فمتى كانت الرؤى تثبت بها الأحكام ؟ واعتبارها وحياً وحقاً لا يكون إلاّ بعد ثبوت النبوة فالعصمة » [1].

التعريف السابع : للشهاب الخفاجي :

« أن النبي هو الذي ينبئ عن ذاته تعالى وصفاته وما لا تستقل العقول بدرايته إبتداء بلا وساطة بشر والرسول هو المأمور مع ذلك باصلاح النوع » [2].

ويمكن توجيه الانتقاد إلى هذا التعريف من خلال أمرين :

الأول : أن التعريف غير مانع من دخول من ليس مراد تعريفه فلم يحدد التعريف جنس المخبر ولا نوعه فيمكن أن يدخل فيه الملائكة فهم أول المبلغين

(١) انظر دكتور أحمد الناصر – النبي والرسول – (ص ٧٦) .

(٢) الشهاب الخفاجي – حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي – (٢٢٥/٤) – دار صادر بيروت – لبنان .

عن الله تعالى بأمور غيبية وبدون وساطة بشر ، وكذلك يدخل فيه الجن وليس منهم أنبياء كما صرح بذلك بعض السلف كابن عباس ومجاهد والحسن البصري [1]، وكذلك يمكن إلزام قائله بأن هناك من النساء رسل وأنبياء إذ ليس في التعريف ما يفيد استبعادهن وهو لازم له وإن كان الخفاجي لم يشتهر عنه القول بنبوة النساء .

الثاني : ليس هناك فرق بين النبي والرسول في هذا التعريف لأن كل من النبي والرسول مأمور بالاصلاح فلا يعقل أن يقال أن النبي ليس بصاحب دعوة وإنما صاحب الدعوة والاصلاح هو الرسول فقط ، إذ النصوص على خلاف ذلك ، ثم إن هناك من هو دون الأنبياء والرسل في المنزلة كالعلماء وطلبة العلم وولاة الأمور مطالبون بالتبليغ والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوة الناس إلى ما فيه صلاحهم ، فكيف بمن هم أفضل منهم وهم الأنبياء أيعقل أن يقال إنهم غير مأمورين بالاصلاح .

قال تعالى :

﴿ قل هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ... ﴾ [2].

وقال تعالى :

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صٰلحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ [3].

وقال تعالى :

﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾[4].

---

(١) انظر عبد الرحمن بن علي بن الجوزي - زاد المسير في علم التفسير - (٢٩٥/٤) - المكتب الإسلامي - الطبعة الرابعة - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، وأبوعبد الله محمد بن أحمد القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - دار الكتب العلمية - (١٧٩/٩) - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، وأحمد بن علي بن حجر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - (٤٧٤،٤٧٣،٤٧١/٦) - الطبعة السلفية .

(٢) سورة يوسف - آية : ١٠٨ .

(٣) سورة فصلت - آية : ٣٣ .

(٤) سورة آل عمران - آية : ١٨٧ .

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : « بلغوا عني ولو آية .... » [(١)].

وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما عقد له اللواء يوم خيبر :

« لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » [(٢)].

وفي بيان عظم كتمان العلم ووجوب تبليغه قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه :

« من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » [(٣)].

التعريف الثامن :

« إن الرسول الموحى إليه بشرع يبلغه والنبي الموحى إليه بشرع لا يبلغه » ، وهذا التعريف مستخلص من تعاريف جمع من العلماء [(٤)]، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال عليه رحمة الله في بيان الفرق بين النبي والرسول ما نصه :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه _ كتاب الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل (١٤٥/٤) ، والترمذي في سننه كتاب العلم - باب في الحديث عن بني إسرائيل - (٤٠/٥) ، وقال : حسن صحيح ، وقال الألباني في صحيح الترمذي (٣٤٠/٢) صحيح .

(٢) متفق على صحته ، أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد والسير - باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام - (٥/٤) ، ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة باب فضائل الإمام علي رضي الله عنه - (١٢٢/٧) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب العلم - باب ما جاء في كتمان العلم - (٢٩/٥) ، وأبوداود في سننه - كتاب العلم - باب كراهية منع العلم - (٦٧/٤) ، وابن ماجة في سننه - المقدمة - باب من سئل عن علم فكتمه - (٩٨/١) ، والإمام أحمد في مسنده - (٤٩٥/٢) ، قال العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح (٥/١٤) ، والمسند بتحقيقه ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله - (٥/١) ، والطيالسي في مسنده (٢٥٣٤) ، وابن حبان في صحيحه (الإحسان ١٥٤/١) ، والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي (١٠١/١) .

(٤) انظر القرطبي - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام - (ص٢٣٧-٢٣٨) ، والبيجوري - تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد - (ص ١٢٧) ، والدكتور أحمد الناصر - النبي والرسول (ص ٩٧) .

« النبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنباء الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله و لم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول ... » [1].

ويعتبر هذا التعريف من أقل التعاريف إنتقاداً كما أنه من أدقها في التفريق بين النبي والرسول ، كما أنه قد سلم من كثير من الاعتراضات التي أعترض بها على غيره من التعاريف فجوانبه الإيجابية كثيرة بالنسبة للجوانب السلبية فيه والتي سوف أتطرق إلى بيانها الآن :

أ – الأمور الإيجابية :

أولاً : لا تنال النبوة عند أصحاب هذا التعريف بمطلق الوحي بل لا بد أن يكون الموحى به شرعاً ، فإذا لم تكن هذه صفة الوحي لم يعد صاحبه نبياً إذ النبي من أوحي إليه بشرع لا يبلغه وبهذا القيد يخرج كل من أوحى إليه بغير شرع .

ثانياً : النصوص الواردة في بيان طرق الوحي أتت عامة و لم تخصص صفة الموحى إليه هل هو نبي أو رسول .

لذلك لم يحصر أصحاب هذا التعريف الوحي بطريق معين بل جعلوه مطلقاً من غير تخصيصه بصفة معينة بخلاف غيرهم ، وبهذا سلموا من الاعتراض .

ثالثاً : لم يجعل أصحاب هذا التعريف ثبوت النبوة أو الرسالة من جهة ما يأتي به الرسول أو النبي من شرع جديد أو معجزة أو كتاب أو نسخ للشريعة أو بعضها إلى غير ذلك من الأمور التي لا برهان ولا دليل عليها .

رابعاً : إن إشتراط البلاغ للرسول وعدم التبليغ للنبي قد حلّى الفرق وجعله واضحاً لا لبس فيه ، وسوف يأتي مزيد بيان للفرق بين البلاغ والدعوة وهل عدم البلاغ يلزم منه كتمان العلم وذلك عند عرض التعريف المختار .

(١) ابن تيمية – النبوات – (ص ٢٥٥) .

ب – الأمور السلبية :

أولاً : يرد على تعريفهم للرسول دخول من ليس مراد دخوله في التعريف كالملائكة إذ المراد تعريف الرسول من البشر .

ثانياً : تعريفهم للنبي غير مانع من دخول ما لا يروه داخلاً في مسمى النبوة كالملائكة والجن والنساء .

التعريف المختار :

« النبي فقط : إنسان حر ذكر أُوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، والنبي الرسول : إنسان حر ذكر أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه » [1].

محترزات التعريف :

يخرج بشرط الإنسانية كل من لا ينطبق عليه هذا الوصف كالملائكة والجن والبهائم ، والإنسان هو آدم وبنو الإنسان هم بنو آدم وأصل كلمة إنسان من الايناس وهو الابصار لذلك يقال للإنس إنس لأنهم يؤنسون أي يبصرون كما يقال للجن : جن لأنهم لا يبصرون والإنسان يطلق على الذكر والأنثى على السواء [2].

ومستند هذا الشرط من الشرع قول الرب جل وعلا :

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبرٰهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتٰب فمنهم مهتد وكثير منهم فٰسقون ﴾ [3].

وقال تعالى :

﴿ إن الله اصطفى ءادم ونوحاً وآل إبرٰهيم وءال عمرٰن على العٰلمين ﴾ [4].

---

(١) أختار هذا التعريف الدكتور أحمد الناصر في كتابه النبي والرسول – (ص ١٤٣) ، وهو قريب من تعريف البيجوري في شرح الجوهرة – (ص ٩) ، إلاّ أن تعريف الدكتور أحمد الناصر أدق ، وتعريف البيجوري فيه شيء من التكرار والإطالة .

(٢) انظر المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – الطبعة الثالثة – (٣٠/١) ، وابن منظور – لسان العرب – مادة ((أنس)) (١٠/٦–١٨) .

(٣) سورة الحديد – آية : ٢٦ .

(٤) سورة آل عمران – آية : ٣٣ .

والمراد بالاصطفاء في هذه الآية الكريمة هو الاختيار للرسالة والنبوة ، ذكر ذلك جمع من العلماء[1] منهم الحسن [2]، ومجاهد [3]، ومقاتل [4]، والزجاج ، لا السفارة التي يشاركهم فيها الملائكة كما في قوله تعالى : ﴿ الله يصطفى من الملٰئكة رسلاً ﴾[5]، فهم سفراء بين الرب جل وعلا وبين أنبيائه يبلغونهم عنه الشرائع [6].

ويخرج بشرط الحرية الرقيق لأنه وصف نقص لا يليق بمقام الأنبياء ، ودعوة الناس والتصدي للمعاندين يستغرق جل وقت النبي والرقيق لا يملك التصرف في وقته ، ثم إن أنفة الكفار وإستكبارهم تمنعهم من الانقياد لمن يتصف بهذه الصفة ، فكيف بمن يكون إماماً وقدوة لهم [7].

ومستند هذا الشرط ما رواه الإمام البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام ... الحديث .

---

(١) انظر ابن الجوزي – زاد المسير – (٣٧٥/١) ، والشوكاني محمد بن علي بن محمد – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير – (٣٣٣/١) – الطبعة الثانية – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر .

(٢) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد تابعي إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه ولد بالمدينة سنة ٢١ هـ ، وتوفي سنة ١١٠ هـ .

انظر أبو نعيم – حلية الأولياء – (١٣١/٢) ، والذهبي – ميزان الاعتدال – (٥٢٧/١) .

(٣) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي تابعي شيخ القراء والمفسرين أخذ التفسير عن ابن عباس ، قراءه عليه ثلاثة مرات ، توفي عليه رحمة الله وهو ساجد سنة ١٠٤ هـ .

انظر الذهبي – ميزان الاعتدال (٤٣٩/٣) ، وسير أعلام النبلاء – (٤٤٩/٤) .

(٤) مقاتل بن سليمان أبو الحسن البلخي من أعلام المفسرين أصله من بلخ انتقل إلى البصرة وبها توفي سنة ١٥٠ هـ .

انظر الخطيب البغدادي – تاريخ بغداد – (١٦٠/١٣) .

(٥) سورة الحج – آية : ٧٥ .

(٦) انظر الألوسي – روح المعاني – (١٣٢/٣) ، والبيجوري – تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد – (ص ٨) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(٧) انظر السفاريني – لوامع الأنوار البهية – (٢٦٥/٢) .

وفيه : « ثم كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت هو فينا ذو نسب » ، وبعد انتهائه من أسئلته قال : للترجمان قل له : سألتك عن نسبه ، فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها »[1].

ولا يمكن أن يقول هرقل هذا ويجزم به إلا وهو من العلم المقرر في كتبهم السالفة[2].

ويخرج بصفة الذكورية الإناث لأن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة ومخالطة الناس والأنوثة تقتضي التستر وتنافي الاشتهار قال تعالى :

﴿ وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم ﴾[3].

وقد ذكر شيخ الإسلام عن جمع من العلماء حكايتهم الإجماع على أنه ليس في النساء نبية لدلالة الكتاب والسنة على ذلك .

ذكر ذلك عليه رحمة الله بعد تعليقه على قول ابن حزم رحمه الله في نبوة النساء[4].

وخرج بشرط كون الوحي شرعاً كل من أوحي إليه بغير شرع كمريم وسارة وآسية وأم موسى وثلاثة النفر من بني إسرائيل الأبرص والأقرع والأعمى ومن ذهب لزيارة أخ له في الله .

شرح التعريف :

سبق لنا أن النبوة لا تنال بمطلق الوحي بل لا بد أن يكون الموحى به شرعاً ، فإذا كان هناك أحد من البشر وأوحي إليه بوحي يتعلق بذاته كبشارة له أو توجيه أو إنذار فهو والحالة هذه ليس نبياً سواء كان على شريعة أم لم يكن ، وأما إن كان هو وقومه على دين وشريعة والوحي إليه بمقتضى ذلك الشرع تأكيداً للعمل به ولزوم الدعوة إليه فهو والحالة هذه نبي وليس برسول .

---

(١) أخرجه البخاري – كتاب كيف كان بدء الوحي – باب رقم (٦) حديث أبي سفيان عند هرقل – (١/٥-٦) ، ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير – باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل – (٣/١٣٩٣-١٣٩٧) طبعة عبد الباقي ، والإمام أحمد في مسنده – (١/٢٦٢-٢٦٣) .

(٢) انظر الحافظ ابن حجر العسقلاني – فتح الباري – الطبعة السلفية – (١/٣٦) .

(٣) سورة يوسف – آية : ١٠٩ .

(٤) شيخ الإسلام – مجموع الفتاوى – (٤/٣٩٦) .

وأما إن كان أتى بنسخ أشياء من شريعته وشريعة قومه ودعاهم إلى العمل والأخذ بالناسخ وترك المنسوخ فهو والحالة هذه نبي رسول .

وأما إن كان على الفطرة فهو لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان كحال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كما وصفه الرب جل وعلا بقوله :

﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ (1).

وأمته ليست على دين وشريعة فالوحي إليه لا يكون إلاّ شرعاً أو إذاناً به وبهذا يكون نبياً رسولاً .

وعلى ذلك فالعلاقة بينهما العموم والخصوص ، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول (2).

ويمكن تلخيص ما مضى بصورة أوضح ، وهي من أتى بشرع جديد فهو نبي رسول ، ومن أتى بشرع قديم فينظر إلى قومه وحالهم فإن كانوا على ذلك الشرع و لم ينكروا شيئاً منه فهو والحالة هذه نبي فقط ، لأن من يبلغ أوامر الشرع ونواهيه لا يبلغ ثانية ، وإنما يدعى إلى تطبيق ما بلغ وإن كان قومه قد نسوا أو غيروا بعض أو كل الشرع ، أو إنه قد أتى بنسخ بعض أحكام الشريعة ، أو كان الشرع قديماً بالنسبة له جديداً بالنسبة إليهم فهو نبي رسول فالرسول مبلغ داعية مبلغ قومه ما جهلوه من الشرع وداعياً لهم للزومه والنبي داعية فقط ، حيث إن قومه لا يجهلون ما يدعو إليه وإنما كان منهم التقصير في العمل بذلك الشرع (3).

---

(1) سورة الشورى – آية : ٥٢ .

(2) انظر ابن أبي العز الحنفي – شرح العقيدة الطحاوية – (١/١٥٥) ، والبغدادي – أصول الدين – (ص ١٥٤) .

(3) انظر الدكتور أحمد الناصر – النبي والرسول – (ص ١٤٣ وما بعدها) .

المبحث الثاني :

مفهوم النبوة :

وهذا ما أكده أيضاً في كتابيه غاية المرام والمبين حيث قال :

« وأما النبوة فعند الحكماء هي عبارة عن قوة يتم بها إدراك المعلومات من غير واسطة من تعليم وتعلم وهي ما يعبر عنها بالعقل القدسي ، وعلى أصول أهل الحق من المتكلمين ، فعبارة عن قول الله لمن إصطفاه واجتباه إنك رسولي »[1].

وفي غاية المرام يقول :

« قول الله لمن اصطفاه واجتباه إنك رسولي ونبيّ »[2].

فالنبوة عند الآمدي هي الرسالة ، والرسالة هي النبوة ، إذ هي عبارة عن قول الله لمن اختاره واصطفاه من عباده أنت رسولي ونبي ولم يكن الآمدي متفرداً بهذا القول – عدم التفريق بين مفهوم النبوة والرسالة – بل إنه مسبوق بجمع من العلماء منهم القاضي عبد الجبار المعتزلي[3] ، وفي ذلك يقول بعد أن ذكر الاشتقاق اللغوي لكلمة نبي ورسول :

« وإذ قد عرفت ذلك فأعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبي »[4] ، وكذلك الماوردي[5] ، وذلك عند تعريفه للنبي والرسول حيث قال :

---

(١) الآمدي – المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين – (ص ١٢٩) – تحقيق د / عبد الأمير الأعسم – الطبعة الأولى – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م – دار المناهل – بيروت – لبنان .

(٢) الآمدي – غاية المرام في علم الكلام – (ص ٣١٧) – تحقيق د/ حسن محمود عبد اللطيف – اصدار الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث بشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة – القاهرة – ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م .

(٣) هو كبير القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمذاني أحد أئمة المعتزلة في زمانه كان صاحب حجة ، فقيهاً شافعياً أصولياً من مؤلفاته شرح الأصول الخمسة والمغني وهو من أضخم كتب الكلام ، توفي عليه رحمة الله سنة ٤١٥ هـ .

انظر البغدادي – هدية العارفين – (٤٩٨/١) والسبكي – طبقات الشافعية – (٢٣٠/٣) .

(٤) القاضي عبد الجبار – شرح الاصول الخمسة – (ص ٥٦٧) تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان – مكتبة وهبة – الطبعة الثانية – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

(٥) هو أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ، نسبة إلى بيع الماورد أو عمله ، ولد بالبصرة سنة ٣٧٠ هـ ، ودرس بالبصرة وبغداد وتولى القضاء حتى وصل إلى منزلة كبير القضاة ، توفي سنة ٤٥٠ هـ .

انظر السمعاني – الانساب – (٥٠٤/١) ، والخطيب البغدادي – تاريخ بغداد – (٥٣/١-٥٤) .

« والأنبياء هم رسل الله تعالى إلى عباده بأوامره ونواهيه »(١) .

وكذلك الجويني(٢) ذهب إلى مثل ذلك ، بل تعريفه متطابق مع تعريف الآمدي ، حيث قال في الارشاد :

« النبوة ترجع إلى قول الله تعالى لمن يصطفيه : أنت رسولي »(٣) .

وممن ذهب إلى عدم التفريق بين مفهوم النبوة والرسالة أيضاً سعد الدين التفتازاني(٤) في أحد قوليه حيث عرف النبي والرسول بقوله :

« النبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحي إليه وكذا الرسول »(٥) .

وكذلك الايجي(٦) حيث قال معرفاً النبي بأنه :

« من قال له الله أرسلتك ، أو بلغهم عني ونحوه من الألفاظ »(٧) .

ونقل الإمام أبو الحسن الأشعري عن الجبائي عدم التفريق بين مفهوم النبوة والرسالة حيث يقول على لسانه ما نصه :

---

(١) أبو الحسن الماوردي - أعلام النبوة - (ص ٤٩) - تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي - الناشر دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - بيروت - لبنان .

(٢) هو عبد الملك بن عبد الله الجويني إمام الحرمين أبو المعالي ، كان واسع الثقافة غزير العلم إمام في الكلام وفي الفقه والاصول واللغة والأدب توفي سنة ٤٧٨ هـ .

انظر السمعاني ت ٥٦٢ هـ - الأنساب - (٣٥٩/٣) وابن الجوزي - المنتظم - (١٨/٩) .

(٣) إمام الحرمين - الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد - (ص ٣٥٥) - تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى ، وعلي عبد المنعم عبد الحميد - مطبعة السعادة - مصر - ١٩٥٠ م .

(٤) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني إمام في الفقه والاصول والكلام ، صاحب المؤلفات الكثيرة منها شرح المقاصد ، ولد في تفتازان سنة ٧١٢ هـ وتوفي سنة ٧٩٣ هـ .

انظر طاش كبرى زاده - مفتاح السعادة - (٣٠٤/١) وشرح المقاصد - (١٣٢-٧٣/١) .

(٥) التفتازاني - شرح المقاصد (٥/٥) - تحقيق دكتور عميرة - عالم الكتب - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى .

(٦) عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الايجي ، إمام في الأصول والفقه والكلام من أشهر كتبه المواقف ، ولد في ايج وإليها نسب ، ولي القضاء ، مات سنة ٧٥٦ هـ .

انظر ابن حجر - الدرر الكامنة - (٣٢٢/٢) .

(٧) الايجي - المواقف في علم الكلام - (ص ٣٧٧) - عالم الكتب - بيروت - لبنان .

« إن اختيار الله للأنبياء هو اختيار لإرسالهم »[1] .

تلك بعض التعريفات التي ذهب أصحابها إلى عدم التفريق بين مفهوم النبوة والرسالة وقد تبعهم في ذلك الآمدي ، وتجدر الإشارة إلى أن هذا القول اشتهر عن المعتزلة[2] وإن كان هناك من أهل العلم من قال بمثل قولهم من أهل السنة والأشاعرة ، وقد استدل القائلون بهذا القول بأدلة ليست صريحة على مرادهم ولا تسعفهم إلى ما ذهبوا إليه وهي كالتالي :

١- استدل المعتزلة ومن وافقهم على ما ذهبوا إليه بمجموعة من الآيات يرون أنها تسعفهم في عدم التفريق بين النبي والرسول مثل قوله تعالى :

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلآ إذا تمنى ألقى الشيطـٰن في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطـٰن ثم يحكم الله ءاياته والله عليم حكيم ﴾[3] .

وقال تعالى :

---

(١) انظر أبو الحسن الأشعري - مقالات الاسلاميين - (٢/٢٢٣) - تحقيق محي الدين عبد الحميد - الطبعة الثانية - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م - مكتبة النهضة المصرية .

(٢) المعتزلة من أكبر الفرق الكلامية وهم أتباع عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء سُمُّوا بذلك لاعتزالهم مجلس الحسن البصري رحمه الله وضع أصول مذهبهم واصل بن عطاء في أوائل المائة الثانية فلما كان زمن هارون الرشيد صنّف لهم أبو الهذيل كتابين وبنى مذهبهم على الأُصُول الخمسة التي سموها العدل والتوحيد وانفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولبسوا فيها الحق بالباطل إذ شأنُ البدع هذا ، اشتمالها على حق وباطل وقد بادت هذه الفرقة منذ زمن بعيد غير أن أفكارهم لم تبد فأصبحت الأثنا عشرية والزيدية تعتنق هذا الاصول وتنافح عنها ، وكذلك أصحاب المدرسة العقلية في العصر الحديث ينجلي لنا مدى تأثرهم بالمعتزلة من ناحية تقديسهم للعقل وتقديمه على النقل .

انظر الإمام ابن أبي العز الحنفي الدمشقي - شرح العقيدة الطحاوية -(٢/٧٩١) تحقيق د/ عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ومحمد بن عبد الكريم الشهرستاني - الملل والنحل - (٤٣/١) - تحقيق محمد سيد كيلاني - مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م، ودكتور علي عبد الفتاح المغربي - الفرق الكلامية الاسلامية - (ص ٢٠٣) - مكتبة وهبة مصر - الطبعة الأولى ، ودكتور عبد الفتاح أحمد فؤاد - ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفي - (ص ٧٨) - الطبعة الثانية - ١٩٧٨ م.

(٣) سورة الحج - آية : ٥٢ .

﴿ ومآ أرسلنا في قرية من نبي إلآ أخذنآ أهلها بالبأسـآء والضـرآء لعلهم يضرعون ﴾[1] .

وقوله تعالى :

﴿ وكم أرسلنا من نبي في الأولين ﴾[2] .

قالوا في ما سبق من الآيات دلالة واضحة على أن النبي قد يرسل ويكون رسولاً وهذا فيه دليل على عدم الفرق بين النبي والرسول فكل نبي رسول وكل رسول نبي[3] .

قال القاضي عبد الجبار : وربما قيل في قوله تعالى :

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ... ﴾ الآية .

ما الفائدة في ذلك ، ولا رسول إلا وهو نبي عندكم ؟ وجوابنا : « أن معنى وصف الرسول بأنه نبي إثبات ما يختص به من الرفعة العظيمة فلما كانت الفائدة في ذلك مخالفة للفائدة في وصفه بأنه رسول جاز أن يذكرهما »[4] .

٢- واستدلوا أيضاً بأن الله خاطب محمداً عليه الصلاة والسلام مرة بالنبي ومرة بالرسول كما في قوله تعالى :

﴿ يٰأيها الرسول بلغ مآ أنزل إليك من ربك ﴾[5] .

﴿ يٰأيها النبي جاهد الكفار والمنٰفقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾[6] .

قالوا إن في ذلك دلالة على أنه لا منافاة بين الأمرين[7] .

---

(١) سورة الأعراف – آية : ٩٤ .

(٢) سورة الزخرف – آية : ٦ .

(٣) انظر الرازي – التفسير الكبير – (٤٩/٢٣) .

(٤) القاضي عبد الجبار – تنزيه القرآن عن المطاعن – (ص ٢٧٣ – ٢٧٤) – دار النهضة – بيروت – لبنان.

(٥) المائدة – آية : ٦٧ .

(٦) التوبة – آية : ٧٣ .

(٧) انظر أعلام النبوة – أبو الحسن الماوردي – (ص ٧٠) .

٣- إن لفظي النبوة والرسالة يثبتان معاً ويزولان معاً في الاستعمال حتى لو أثبت أحدهما ونفي الآخر لتناقض الكلام وهذا هو أمارة إثبات كلتى اللفظتين المتفقتين في الفائدة[١] .

٤- واستندوا أيضاً إلى تفسير اللفظين في اللغة باعتبار أن النبي مشتق من النبأ وهو الخبر إن همز أو النباوة وهي الإرتفاع والمعنيان لا يحصلان إلا بتحقق الرسالة لأن الرسول مأخوذ من تحمل الرسالة ، أو باعتبار أن النبي بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول والرسول بمعنى اسم المفعول فالمعنيين متلازمين فكل من أنبأه الله تعالى فهو منبأ وكل منبأ من الله لابد أن يكون منبأ للناس وبناء على هذا قرروا عدم الفرق بين اللفظين[٢] .

هذا ما توصلت إليه من أدلة أصحاب هذا القول وإن كان الآمدي لم يذكرها في كتبه الثلاثة الآنفة الذكر ولكنها معتمد من قال بهذا القول وقد ذكر بعضها القاضي عبد الجبار[٣] وحكى البعض الآخر الرازي في معرض رده عليهم[٤] .

مناقشة أدلتهم :

١- أما بالنسبة لإستدلالهم بعموم الإرسال في الآيات[٥] السابقة فهو استدلال في غير محله ولا يصلح دليلاً على أن النبي هو الرسول حيث ثبت الإرسال في القرآن لأشياء كثيرة عاقلة وغير عاقلة ولم يثبت عن أحد أنه جوز تسميتها بالنبوة أو الرسالة من ذلك إرسال المطر والنار والرياح والشياطين والصيحة والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وغير ذلك :

---

(١) القاضي عبد الجبار - شرح الأصول الخمسة - (٥٦٨) .

(٢) انظر أبو الحسن الماوردي - أعلام النبوة - (ص ٧٠) . والدكتور حسن ضياء الدين عتر - نبوة محمد عليه الصلاة والسلام - (ص ٤٥) - دار البشائر - الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م - بيروت - لبنان .

(٤) شرح الأصول الخمسة : (ص ٥٦٧) .

(٥) التفسير الكبير - (٤٩/٢٣) .

(٦) آية (٥٢) من سورة الحج ، وآية (٩٤) من سورة الأعراف ، وآية (٣) من سورة الزخرف .

قال تعالى : ﴿ وأرسلنا السمآء عليهم مدراراً ... ﴾ الآية[1] .

وقال تعالى :

﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس ... ﴾ الاية[2] .

وقال تعالى :

﴿ وأرسلنا الرِّيٰـحَ لوقح ... ﴾ الاية[3] .

وقال تعالى :

﴿ ألم تر أنَّا أرسلنا الشيٰـطين على الكٰـفرين تؤزهم أزًّا ﴾[4] .

وقال تعالى :

﴿ أنَّا أرسلنا عليهم صيحة وٰحدة فكانوا كهشيم المحتضر ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمّل والضفادِع والدم ءايات مفصَّلاتٍ ... ﴾ الآية[6] .

وجميع ما ذكر مرسل ولا يسمى رسولاً عند الاطلاق ولا يجوز إضافته إلى الله تعالى فلا يقال مثلاً عن الطوفان أو غيره إنه رسول الله بل ذلك خاص بالملائكة والبشر ، قال تعالى :

﴿ الله يصطفي من الملٰـئكة رسلاً ومن الناس ﴾[7] .

كجبريل عليه السلام ومحمد عليه الصلاة والسلام ممن شرفهم الله بحمل رسالاته فالإرسال على الأول – فيمن ليسوا أنبياء رسل – يكون به أداء فعل من الأفعال وفي الثاني يكون حمل الرسالة والتبليغ[8] .

---

(١) سورة الأنعام – آية : ٦ .

(٢) سورة الرحمن : آية : ٣٥ .

(٣) سورة الحجر – آية : ٢٢ .

(٤) سورة مريم – آية : ٨٣ .

(٥) سورة القمر – آية : ٣١ .

(٦) سورة الأعراف – آية : ١٣٣ .

(٧) سورة الحج – آية : ٧٥ .

(٨) انظر ابن تيمية شيخ الاسلام – النبوات – (٢٥٧-٢٥٨) ، والدكتور أحمد الناصر – النبي والرسول – (ص ٤٨ – ٤٩) .

والآيات التي استدلوا بها هي حجة عليهم لا لهم كما سيتضح من خلال عرض موقف أهل السنة من هذا الرأي بعونه تعالى .

٢- أما بالنسبة لاستدلالهم بمخاطبة الله تعالى لعبده ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام مرة بالنبي ومرة بالرسول فليس فيه ما يدل على ما ذهبوا إليه من عدم الفرق إذ إن المعلوم أن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام قد ضم إلى شرف النبوة شرف الرسالة فهو نبي رسول فإذا خاطبه الباري بالنبوة كان ذلك حقاً من حقه وفي حق كل الرسل إذ كل رسول نبي كما تقدم ولا يلزم من ذلك أن يكون النبي رسولاً لمجرد خطاب الرب جل وعلا لحبيبه ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام بالنبوة ، فالقول بعدم المنافاة بين الأمرين غير صحيح .

٣- القول بأن النبوة والرسالة تثبتان معاً وتزولان معاً : مجرد دعوى فكيف إذا كانت الأدلة على خلافها كما سيتضح لنا بعد قليل إن شاء الله تعالى ، وقد تقدم لنا أن بين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق ، وما كان كذلك فثبوتهما في حالة الخاص فقط وانتفاؤهما في حالة العام فقط ، فإذا قيل مثلاً فلان من الناس رسول فلابد أن يكون نبياً بخلاف ما لو قيل فلان نبي فقد يكون مع ذلك رسولاً وقد يكون نبياً وليس برسول وإذا قيل فلان من الناس ليس نبياً ، إستحال في هذه الحالة أن يكون رسولاً ولو كان النفي منصب على الرسالة أي على الخاص فيبقى في هذه الحالة العام وهو النبوة .

٤- ما قيل من أن تفسير اللفظين في اللغة يفيد تلازم المعنيين وعليه فلا فرق بين النبي والرسول من الناحية الإصطلاحية قول مردود لأن النبي المنبأ من الله قد جمع بمجرد ذلك جميع المعاني التي اشتق منها اسمه وبذلك تحصل له الرفعة وعلو الشأن وليس بلازم لعلو شأنه ورفعته أن يحصل على الرسالة وبهذا يتبين عدم صحة ما ذهب إليه القائلون بعدم التفريق بين مفهوم النبوة والرسالة ، وسوف يأتي مزيد بيان إن شاء الله تعالى خلال عرض موقف أهل السنة والجماعة .

موقف أهل السنة والجماعة :

يخالف أهل السنة والجماعة الآمدي في مفهوم النبوة حيث يرى الآمدي أن لا فرق من الناحية الإصطلاحية بين النبي والرسول فكل نبي رسول وكل رسول نبي .

بينما الجمهور وهم أهل السنة والجماعة ومن تبعهم من الفرق يرون أن الفرق ظاهر وبيّنٌ بين النبي والرسول واستدلوا لقولهم هذا بالأدلة التالية : -

١- قول الله تعالى :

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطـٰن في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطـٰن ثم يحكم الله ءاياته والله عليم حكيم ﴾[1].

ووجه الإستدلال بهذه الآية هو عطف النبي على الرسول بحرف الواو وهو يقتضي المغايرة وهو من قبيل عطف العام على الخاص[2] ، وهذه الآية أيضاً من ضمن أدلة أصحاب مذهب عدم التفريق ولذلك لم يسلموا للجمهور بدلالة هذه الآية على وجود الفرق بين النبي والرسول من الناحية الإصطلاحية ، حيث اعترض القاضي عبد الجبار على هذا بقوله :

« لإن مجرد الفصل لا يدل على اختلاف الجنسين ألا ترى أنه تعالى فصل بين نبينا وغيره من الأنبياء[3] ، ثم لا يدل على أن نبينا ليس من الأنبياء وكذلك فإنه تعالى فصل بين الفاكهة وبين النخل والرمان[4] ، ولم يدل على أن النخل والرمان ليسا من الفاكهة ، وكذلك ههنا »[5] .

ويجاب على هذا الإعتراض بأمور : -

١- أن الفصل في كلام البلغاء لا يكون إلا لمعنى فكيف إذا كان ذلك في كلام رب العالمين .

---

(١) سورة الحج - آية : ٥٢ .

(٢) انظر جار الله محمود بن عمر الزمخشري - الكشاف عن حقائق التنزيل -(٣٧/٣) - دار المعرفة - بيروت ، والجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - (٥٤/١٢) ، وأحمد الصاوي المالكي - حاشية الصاوي على الجلالين - (١٠٦/٣) - دار أحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

(٣) كما في سورة الأحزاب - آية : ٥٢ .

(٤) كما في سورة الرحمن - آية : ٦٨ .

(٥) شرح الأصول الخمسة - (ص ٥٦٨) .

٢- أن أمثلة الاعتراض دلالتها على الإختلاف أظهر منها على الاتفاق فهي مما عطف فيه الخاص على العام وإفراد الخاص بعد ذكر النوع الذي يعمه كما يقول المفسرون تشريف له[١] .

٣- أن الفصل في الآية المذكورة عكس الأمثلة التي قرر القاضي عليها قوله ، فهو من باب عطف العام على الخاص ، ومعلوم أن العام إذا قوبل بالخاص أريد به ما عدا الخاص[٢] .

ويرى أبو حيان أن الفصل يقيد معنى آخر فيقول :

« حسن مجيء قوله « نبيًّا » بعد قوله « رسولاً » كونه فاصلة وإطلاق رسول على الملائكة فلا يقال لهم في العرف أنبياء »[٣] .

٢- قول الله تعالى :

﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ﴾[٤] .

وقول الله تعالى :

﴿ يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾[٥] .

وقول الله تعالى :

﴿ وكم أرسلنا من نبي في الأولين ﴾[٦] .

---

(١) انظر القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – (٣٦/٢ ، ٢٠٨/٣ ، ١٢٧/١٤ ، ٨٥/١٧ و٨٦) ، والحافظ عماد الدين ابن كثير الدمشقي – تفسير القرآن العظيم – (٤٨٢/٧) – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م ، محي الدين أبو زكريا يحي ابن شرف النووي – شرح النووي على صحيح مسلم – المطبعة المصرية – مصر – (٤٤/١) ، والدكتور أحمد الناصر – النبي والرسول – (ص ٥٢) .

(٢) الألوسي – روح المعاني – (١٧٣/١٧) .

(٣) انظر أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي – النهر الماد من البحر – مطبوع على هامش البحر المحيط – دار الفكر – الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م (١٩٨/٦) .

(٤) سورة الأعراف – آية : ٩٤ .

(٥) سورة الأحزاب – آية : ٤٥ .

(٦) سورة الزخرف – آية : ٦ .

وجه الشاهد من هذه الآيات أن وصف النبوة سابق على وصف الرسالة فمن نبأه الله وهو النبي قد يرسل ويكون رسولاً وقد لا يرسل ويبقى نبياً فقط وهو الغالب كما هو واقع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[1] .

٣- قول الله تعالى :

﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴾[2] .

وقوله تعالى :

﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً ﴾[3] .

وقوله تعالى :

﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ﴾[4].

وصف الرب جل وعلا عباده محمد وموسى وعيسى عليهم أشرف الصلاة وأتم التسليم بالرسالة والنبوة ولو كانا بمعنى واحد لعد ذلك من حشو الكلام ولغوه الذي ينزه عنه كلام البلغاء من البشر فكيف بكلام ملك الملوك تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً يقول الإمام القرطبي :

« والرسول والنبي اسمان لمعنيين فإن الرسول أخص من النبي ، وقدم الرسول إهتماماً بمعنى الرسالة وإلا فمعنى النبوة هو المقدم »[5].

٤- ما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل اللهم إني أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت ، واجعلهن من آخر كلامك فإن

---

(٢) انظر الرازي – التفسير الكبير (٤٩/٢٣) .

(٣) سورة الأعراف – آية : ١٥٧ .

(٤) سورة مريم – آية : ٥١ .

(٥) سورة مريم – آية : ٥٤ .

(٦) القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – (٢٩٨/٧) ، وانظر الزمخشري – الكشاف (٩٧/٢ ، ٣٧/٣) ، والألوسي – روح المعاني – (١٧٢/١٧) .

مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة » ، قال : فرددتهن لإستذكرهن فقلت : آمنت برسولك الذي أرسلت فقال : « قل آمنت بنبيك الذي أرسلت »[1] .

والحديث صريح في التفريق بين لفظي النبي والرسول ولو لم يكن هناك فرق لما رد عليه الصلاة والسلام على البراء ذلك ، ثم إن قوله عليه الصلاة والسلام « ونبيك الذي أرسلت » فيه أشارة إلى أنه كان نبياً قبل أن يكون رسولاً[2] .

٥- ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلس فجلست فقال :

« يا أبا ذر هل صليت ؟ قلت لا ، قال : قم فصل ، قال : فقمت فصليت ثم جلست ... » الحديث .

وفيه قال : قلت يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال : « ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً » وقال مرة أخرى : خمسة عشر ، وفي رواية أبي أمامة : كم وفي عدة الأنبياء قال : « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً »[3] .

وتصريح الحديث باختلاف عدد الأنبياء عن عدد الرسل يدل دلالة واضحة على التفريق بين النبوة والرسالة ولا تقوم لمخالف هذا القول حجة مع هذا البرهان البين[4].

هذه بعض الأدلة التي أستدل بها أهل السنة والجماعة ومن وافقهم وهي ظاهرة في الدلالة على وجود الفرق بين النبوة والرسالة خلافاً لما ذهب إليه الآمدي والمعتزلة من قبله ومن وافقهم .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء - باب فضل من بات الوضوء - (٦٧/١) ومسلم في صحيحه - كتاب الذكر والدعاء - باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٠٨١/٤) - طبعة عبد الباقي ، والإمام أحمد في مسنده - (٢٩٢/٤ ، ٢٩٣) .

(٢) انظر الحافظ ابن حجر - فتح الباري - (٣٥٨/١) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده - (١٧٨/٥ ، ١٧٩ ، ٢٦٦) ، والحاكم في المستدرك - (٢٦٢/٢ ، ٥٩٧) وقال عن رواية أبي أمامة التي تنص على عدد الرسل دون ذكر عدد الأنبياء صحيحة على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى - (٤/٩) ، وصححه الشيخ ناصر في تعليقه على المشكاة - (١٥٩٩/٣) .

(٤) انظر الزمخشري - الكشاف - (٣٧/٣) والرازي - التفسير الكبير - (٤٩/٢٣) ، والألوسي - روح المعاني - (١٧٢/١٧) والدكتور أحمد الناصر - النبي والرسول - (ص ٦١) .

الفصل الثاني :

حكم إرسال الرسل

وفيه مبحثان

المبحث الأول : رأي الآمدي

المبحث الثاني : موقف أهل السنة والجماعة



تمهيد :

تمهيد :

يقرر القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد اختار أنبياءه ورسله وفقاً لعلمه وحكمته ، وأن هذا الاختيار فضل إلهي وموهبة ربانية يهبها رب العزة والجلال لمن يشاء من عباده المخلصين الذين لم يسع أحدٌ منهم لنيل هذه المنزلة العالية الشريفة التي لا تنال بالكسب أو الرياضة والاجتهاد ولا يتوصل إليها بكثرة العبادة أو بممارسة طقوس معينة فهي اصطفاء وفضل من الرب سبحانه لمن يشاء من المصطفين لهذه المنزلة العالية الشريفة ، فالله يختص برحمته من يشاء .

قال تعالى :

﴿ والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ (١).

وقال تعالى :

﴿ الله يصطفي من الملئكة رسلاً ومن الناس ﴾ (٢).

وقال تعالى :

﴿ إن الله اصطفى ءادم ونوحاً وءال إبرهيم وءال عمرن على العلمين ﴾(٣).

وقال تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام :

﴿ إني اصطفيتك على الناس برسلتي وبكلمي ﴾ (٤).

وقال تعالى حكاية عن يعقوب وهو يخاطب ابنه يوسف عليهما الصلاة والسلام :

﴿ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ﴾ (٥).

وقال تعالى عن عيسى :

﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلنه مثلاً لبني إسرءيل ﴾ (٦).

---

(١) سورة البقرة – آية : ١٠٥ .
(٢) سورة الحج – آية : ٧٥ .
(٣) سورة آل عمران – آية : ٣٣ .
(٤) سورة الأعراف – آية : ١٤٤ .
(٥) سورة يوسف – آية : ٦ .
(٦) سورة الزخرف – آية : ٥٩ .

ومن هنا أنكر القرآن على المشركين الذين ظنوا أن النبوة يمكن أن تكتسب بالوجاهة والقوة والثراء .

وغفلوا عن أسباب الاختيار الرباني التي لا دخل لها فيما تواضع عليه الناس في أنظمتهم الاجتماعية .

﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوٰة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمت ربك خير مما يجمعون ﴾ (١).

ويقول سبحانه :

﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (٢).

فلم يكن لرسول الله ﷺ قبل أن يبعث ويبادر قومه بدعوته تطلع إلى مقام النبوة ، ولا سعى لاكتساب ما يؤهله لها كما بين ذلك القرآن في قوله تعالى :

﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتٰب ولا الإيمٰن ﴾ (٣).

وقال تعالى :

﴿ وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلاّ رحمة من ربك ﴾ (٤).

والخلاصة:

أن القرآن الكريم يقرر حقيقة لا مجال فيها للشك ، ولا موضع للغموض فيها ، أن النبوة هبة من الله سبحانه وتعالى واصطفاء رباني محض ، لا مجال فيها للكسب والاجتهاد ، ولا دخل للوجاهة والقوة والثراء بها ، فالله سبحانه وتعالى يهبها لمن يشاء من عباده .

(١) سورة الزخرف – آية : ٣١-٣٢ .
(٢) سورة الأنعام – آية : ١٢٤ .
(٣) سورة الشورى – آية : ٥٢ .
(٤) سورة القصص – آية : ٨٦ .

وبهذا لا يبقى شك في أن النبوة لم تكن لتنال باجتهاد أو سعي من النبي إليها ، بل لم يكن من وقع عليه الاصطفاء والاختيار يحدث نفسه بها قبل أن ينال هذه الهبة والمنحة الإلهية الربانية ، ولقد ظن بعض سفهاء العقول ممن أظلهم عصر بعثة هادي البشرية ومنقذها من الضلال بأبي هو وأمي محمد عليه الصلاة والسلام أنها تنال بذلك فهذا أمية بن أبي الصلت[1] كان يعد نفسه بقراءة الكتب السالفة ويسأل علماء اليهود والنصارى عن صفات نبي آخر الزمان طمعاً في أن يكون هو ذلك النبي .

فلما بعث خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام امتلأ قلبه حسداً وحقداً وكفر بدعوته مع وضوح دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام .

---

(١) هو أمية بن عبد الله أبي الصلت الثقفي ، شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف اطلع على الكتب القديمة ، وكان يتزهد وحرَّم الخمر على نفسه ، ونبذ عبادة الأوثان في الجاهلية ، ذكر غير واحد من المؤرخين أنه ادعى النبوة ، أدرك الإسلام وسمع من النبي عليه الصلاة والسلام آيات من القرآن ، ولما خرج منه سئل من قبل قريش عن رأيه فقال أشهد أنه على حق ، قالوا هل تتبعه ؟ فقال حتى أنظر في أمره ، وما حمله على عدم اتباع الحق إلا الحسد والكبر ، مات بالطائف في السنة الخامسة من الهجرة .

الزركلي – الأعلام – (٢/٢٣) .

حكم إرسال الرسل :

إذا كانت النبوة اصطفاء منه تعالى واجتباء لمن أراد من الناس ، فقد نازع في بعثة الأنبياء فريق من الناس وأنكروا النبوة وقالوا باستحالة أن يبعث الله تعالى الرسل ، وكان على رأس المنكرين الصابئة[1] ، والبراهمة[2] ، مع إقرارهم بخالق هذا العالم وقد تصدى بالرد عليهم علماء الإسلام ، وذهب فريق إلى القول بجواز البعثة ، وذهب فريق آخر إلى القول بوجوبها ، وقال فريق ثالث بلزومها لصلاح حال العالم .

وقد كان للآمدي رأيه الذي دعمه بالأدلة ، كما كان له موقف بالرد والمناقشة لمن خالفه ، وقبل أن أعرض لرأي الآمدي في حكم إرسال الرسل أرى من الضروري التعرف على آراء تلك الفرق ، وبالأخص منها التي تعرض لنقد آرائها الآمدي .

المعتزلة :

يرى المعتزلة أن بعثة الرسل واجبة على الله تعالى إبانة للحق وإقامة للعدل ورعاية للأصلح تجاه المكلفين ، وتبعهم في ذلك الشيعة ، وكان حكمهم بوجوب البعثة عقلياً بناء على مذهبهم في أن الله حكيم وأن أفعاله معلله بالحكمة والمصلحة .

وبناء على مذهبهم في التحسين والتقبيح العقليين وأن ما رآه العقل حسناً فهو حسن ، وأن ما رآه العقل قبيحاً فهو قبيح ، وأيضاً بناء على مذهبهم بوجوب فعل الصلاح والأصلح على الله تعالى لعباده ، وبناء على مذهبهم في الألطاف .

---

(١) الصبوة في مقابلة الحنيفية وفي اللغة : صبأ الرجل : إذا مال وزاغ ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق ، وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة ، ومذهبهم : أن للعالم صانعاً ، فاطراً حكيماً مقدساً عن صفات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المقدسون جوهراً وفعلاً وحالةً ، وهم شفعائهم عند الله . الملل والنحل – (٥/١) .

(٢) البراهمة هم رجال الدين ، وأحد الطبقات الأربع في الديانة الهندوسية وهم الذين لهم الحق في تفسير كتبهم المقدسة ، ولا يقطع الملوك أمراً دون استشارتهم وذلك لعظيم منزلتهم الدينية . مقارنة الأديان – أديان الهند الكبرى – أحمد شلبي – الطبعة التاسعة – ١٩٩٠ م – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – (ص ٦٢) .

يقول القاضي عبد الجبار :

« وقد تقرر في عقل كل عاقل وجوب دفع الضرر عن النفس ، وثبت أيضاً أن ما يدعو إلى الواجب ويصرف عن القبيح فإنه واجب لا محالة ، وما يصرف عن الواجب ويدعو إلى القبيح فهو قبيح لا محالة . إذا صح هذا ، وكنا نجوز أن يكون في الأفعال ما إذا فعلناه كنا عند ذلك أقرب إلى أداء الواجبات واجتناب المقبحات ، وفيها ما إذا فعلناه كنا بالعكس من ذلك ، ولم يكن في قوة العقل ما يعرف به ذلك ويفصل بين ما هو مصلحة ولطف وبين ما لا يكون كذلك ، فلا بد من أن يعرفنا الله تعالى حال هذه الأفعال كي لا يكون عائداً بالنقص على غرضه بالتكليف ، وإذا كان لا يمكن تعريفنا ذلك إلاّ بأن يبعث رسولاً مؤيداً بعلم معجز دال على صدقه فلابد من أن يفعل ذلك ولا يجوز له الاخلال به ، ولهذه الجملة قال مشايخنا : إن البعثة متى حسنت وجبت على معنى أنها متى لم تجب قبحت لا محالة وأنها كالثواب في هذا الباب ، فهو أيضاً مما لا ينفصل حسنه عن الوجوب »[1].

ويقول ابن المطهر الحلي[2] :

« إن التكاليف السمعية ألطاف في التكاليف العقلية من الله تعالى على البشر ، واللطف واجب فالتكليف السمعي واجب .

ولا يمكن معرفته إلا من جهة النبي فيكون وجود النبي واجباً لأن ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب .

واستدلوا على كون التكليف السمعي لطفاً في التكليف العقلي بأن الإنسان إذا كان مواظباً على فعل الواجبات السمعية وترك المناهي الشرعية ، كان من فعل الواجبات العقلية والانتهاء عن المناهي العقلية أقرب ، وهذا

(١) القاضي عبد الجبار – شرح الأصول الخمسة – (ص ٥٦٤) .

(٢) هو الحسن ويقال الحسين بن يوسف بن المطهر الحلي نسبة إلى الحلة ، أحد بلدان العراق من أئمة الرافضة وأحد كبار علمائهم وغلاتهم ، مات سنة ٧٢٦ هـ .

انظر ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة – (٥٦٧/٩) ، والزركلي – الأعلام – (٢٢٨/٢) .

معلوم بالضرورة لكل عاقل »[1].

واللطف عندهم هو ما يكون المكلف معه أقرب إلى فعل الطاعة وأبعد عن فعل المعصية ، ومن هنا قالوا بوجوب اللطف عليه تعالى وذلك أن المكلف لا يمكن أن يطيع الله في تكاليفه إلا باللطف فلو كلفه من دونه كان ناقضاً لغرضه .

فوجب اللطف عليه تعالى لأنه يحصل به غرض التكليف ، وهو طاعة المكلف لله تعالى في تكاليفه »[2].

كما أنهم يرون أن البعثة لطف للمبعوث والمبعوث إليهم على السواء ، لأنه لا يجوز من الحكيم تعالى أن يحمل المكلف مشقة لنفع مكلف آخر فقط[3].

يقول القاضي عبد الجبار :

« إن البعثة لابد من أن تكون لطفاً لنا ، وكما تكون لطفاً ، فلابد أن تكون لطفاً للمبعوث ، لأنه لا يجوز من الحكيم تعالى أن يحمل المكلف المشقة لنفع مكلف آخر »[4].

ولا تتفق المعتزلة في هذه المسألة على وتيرة واحدة .

فمنهم من قال : إنها واجبة مطلقاً .

ومنهم من قال : إذا علم الله من أمة النبي أنهم يؤمنون وجب إرساله إليهم ، وإلاّ بأن علم أنهم لا يؤمنون لم يجب الإرسال بل حسن قطعاً لإعذارهم[5].

وقد بالغ القاضي عبد الجبار بالتمسك بالوجوب إلى حد قوله إنه تعالى إذا علم أن صلاحنا في بعثة شخص واحد بعينه وجب أن يبعثه بعينه ولا يعدل عنه إلى الغير ، وإذا علم أن صلاحنا في بعثة شخصين وجب بعثهما لا محالة ،

---

(١) جمال الدين أبو منصور الحسين بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي - كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد - مكتبة المصطفوي - قم - إيران - (ص ٢٧٣) .

(٢) المصدر نفسه (ص ٢٥٤) .

(٣) الدكتور عبد الرحمن بدوي - مذاهب الإسلاميين - (ص ٤٧٨) - دار العلم للملايين - الطبعة الثالثة - ١٩٨٣ م - بيروت - لبنان .

(٤) القاضي عبد الجبار - شرح الأصول الخمسة - (ص ٥٧٥) .

(٥) الإيجي - المواقف - (٣٤٢) ، وشرحه للشريف الجرجاني - (١٨٢/٣) .

وكذلك إذا علم أن صلاحنا في بعثة جماعة وجب أن يبعث جماعة أما إذا علم أن صلاحنا معلق في كل واحد من الجماعة على انفراد فإنه يكون بالخيار إن شاء اختار هذا وإن شاء اختار غيره [1].

الأشاعرة :

يرى الأشاعرة أن إرسال الرسل وبعثتهم موهبة من الله تعالى ونعمة مهداة منه سبحانه وتعالى إلى من اصطفاه من عباده ، وأنها جائزة الوقوع وليست مستحيلة كما ذهب إلى ذلك الصابئة والبراهمة .

كما أنها ليست واجبة على الله عقلاً كما ذهب إلى ذلك المعتزلة ومن تبعهم ، يصور هذا ابن فورك[2] نقلاً عن الإمام أبي الحسن الأشعري :

« إن إرسال الرسل إلى الخلق غير واجب على الله تعالى في العقول ، وكان له أن يرسل الرسل ، وله أن لا يرسل ولا يكون بترك الإرسال سفيها ، وإن علم أنه إذا أرسل الرسل آمن قوم عنده أو ازدادوا تمسكاً بالكفر لما بينا من أصله في اللطف ، وأنه كان يقول غير واجب على الله تعالى فعل ذلك ، وأن له أن يفعل اللطف الذي يؤمن عنده الكافر به ، وله أن لا يفعله ، فإن فعله كان منه تفضلاً وإن تركه لم يكن منه جوراً » [3].

وقد تواترت أقوال علماء الأشاعرة بعد إمامهم الأشعري تؤكد هذا المذهب وتناصره [4]، غير أن بعضهم فرق بين البعثة قبل وقوعها وبين البعثة بعد وقوعها .

(1) انظر القاضي عبد الجبار – شرح الأصول الخمسة – (٥٧٥-٥٧٦) ، وانظر الدكتور عبد الرحمن بدوي – مذاهب الإسلاميين – (٤٧٩) .

(2) هو محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري أبو بكر الواعظ أصولي متكلم فقيه شافعي بلغت تصانيفه في أصول الدين والفقه وأصوله قريباً من المئة ، توفي بنيسابور سنة ٤٠٦ هـ .

انظر السبكي – طبقات الشافعية الكبرى – (٥٢/٣) ، والنجوم الزاهرة – لابن تغري بردي – (٢٤٠/٤) .

(3) أبوبكر ابن فورك – مجرد مقالات الأشعري – دار المشرق – بيروت – (ص ١٧٤) – تحقيق دانيال جيما ريه .

(4) انظر البيضاوي – طوالع الأنوار – (ص ٢١١) ، والجويني – الإرشاد – (٣٠٢ وما بعدها) ، والشهرستاني – نهاية الإقدام في علم الكلام – (ص ٤١٧) ، والسعد التفتازاني – شرح المقاصد – (١٩/٥-٢٥) .

فهي قبل الوقوع جائزة بمعنى أنها واقعة في حيز الإمكان وأما بعد الوقوع فهي واجبة لما فيها من مصلحة وعاقبة حميدة [(1)].

ومنهم من قال : إن البعثة واجبة لما فيها من مصلحة وعاقبة حميدة ، ولكنهم لا يقصدون بذلك ما قصد إليه المعتزلة من الوجوب على الله تعالى بحيث يمدح إذا فعل ذلك ويذم إذا تركه ، وإنما قصدوا أنها واجبة من جهة أن الحكمة تقتضيها ، والله لا يجب عليه شيء ، وإنما يفعل ما يشاء ويختار [(2)].

وقد نجد من الأشاعرة من يذهب إلى القول بأن بعثة الأنبياء ضرورة ، وأن الضرورة هنا عقلية لا يجوز أن تتخلف [(3)]، وقد بنى الأشاعرة مذهبهم هذا على أصول سوف نستعرضها عند مناقشة رأي الآمدي في المسألة حيث أنه يمثل رأي الأشاعرة ، وذلك منعاً للتكرار والإعادة .

الفلاسفة [(4)]:

يتفق الفلاسفة مع المعتزلة في وجوب إرسال الرسل ولكنهم يختلفون معهم في علة هذا الوجوب ، وذلك لاختلاف أصول كل فرقة عن الأخرى .

فالمعتزلة ومن تبعهم كما تقدم بنوا قولهم بالوجوب على أصولهم في وجوب الصلاح والأصلح واللطف على الله وعلى القول بالتحسين والتقبيح العقليين .

بينما نرى الفلاسفة قد بنوا قولهم في البعثة على ما تقتضيه العناية الإلهية .

---

(1) انظر الشهرستاني – نهاية الإقدام – (ص ٤١٧) .

(2) انظر سعد الدين التفتازاني – شرح العقائد النسفية – (ص ٨٥) .

(3) الشهرستاني – نهاية الإقدام – (٤٢٦) .

(4) جمع فيلسوف : وهي كلمة يونانية معناها محب الحكمة ، وهي مركبة من كلمتين فيلا وتعني المحب ، وسوفا وتعني الحكمة .

انظر الشهرستاني – الملل والنحل – (٥٨/٢) ، وانظر ابن القيم الجوزية إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان – (٢٥٣/٢) ، تحقيق محمد سيد الكيلاني – طبع مصطفى البابي الحلبي – مصر – القاهرة – ١٣٨١هـ – ١٩٦١م ، وانظر المعجم الفلسفي – مجمع اللغة العربية – (ص ١٣٨) .

فهم يرون أن النبوة لازمة في حفظ نظام العالم المودي إلى صلاح النوع الإنساني على العموم ، ولكونه سبباً للخير العام المستحيل تركه في الحكمة والعناية الإلهية .

فالإنسان مدني بطبعه ومحتاج لغيره من أجل استمرار حياته وبقائه في هذه الدنيا ، فهو في أدنى حاجاته وأبسطها لا يمكنه وحده أن يباشر مراحل تنفيذها بل لا بد له من التعاون والاتصال بآخرين من نوعه ، وإذا لم يستطع سد حاجاته بنفسه فلابد في وجوده وبقائه من المشاركة :

« ولا تتم المشاركة إلا بمعاملة ،كما لابد في ذلك من سائر الأسباب التي تكون له ، ولابد في المعاملة من سنة وعدل ولا بد للسنة والعدل من سان ومعدل ، ولا بد أن يكون هذا إنساناً ولا يجوز أن يترك الناس وآراءهم في ذلك ، فيختلفون ويرى كل منهم ماله عدلاً وما عليه ظلماً ، فالحاجة إلى هذا الإنسان في أن يبقى نوع من الناس ، ويتحصل وجوده أشد من الحاجة إلى إنبات الشعر على الأشفار وعلى الحاجبين وتقعير الأخمص من القدمين ، وأشياء أخرى من المنافع التي لا ضرورة إليها في البقاء ، بل أكثر ما لها أن تنفع في البقاء ووجود الإنسان الصالح لأن يسن ويعدل ممكن كما سلف منا ذكره فلا يجوز أن تكون العناية الأولى تقتضي تلك المنافع ولا تقتضي هذه التي هي أسها ، ولا أن يكون المبدأ الأول والملائكة تعلم ذلك ولا تعلم هذا ، ولا أن يكون ما يعلم في نظام الأمر الممكن وجوده الضروري حصوله لتمهيد نظام الخير لا يوجد بل كيف يجوز أن لا يوجد وما هو متعلق بوجوده ومبنى على وجوده موجود ؟ فواجب إذاً أن يوجد نبي وواجب أن يكون إنساناً وواجب أن يكون له خصوصية ليست لسائر البشر حتى يستشعر الناس فيه أمراً لا يوجد لهم فيتميز به عنهم فتكون له المعجزات التي أخبرنا بها » [1].

والفلاسفة وإن اتفقوا مع المعتزلة في مسألة وجوب بعثة الرسل فهم يختلفون معهم في مسألة إكتساب النبوة .

---

(1) ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله – النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية – الطبعة الأولى – دار الآفاق الجديدة – بيروت – ١٩٨٥ م – (ص ٣٣٩) .

فالنبوة عندهم تنال باكتساب الإنسان واستعداده كما تنال بذلك الدرجات الدنيوية ، كالملك والرياسة والعلوم المكتسبة بشتى أنواعها الدينية والدنيوية ، فالإنسان إذا كان عنده استعداد لكمال تزكية نفسه وإصلاحها فاضت عليه بسبب ذلك الاستعداد المعارف من العقل الفعال كما يفيض الشعاع على المرآة المصقولة إذا جليت وحوذي بها الشمس ، فحصول النبوة عندهم ليس أمراً يحدثه الله بمشيئته وقدرته وإنما هو راجع لاستعداد الشخص نفسه فإذا حصل ذلك كان حصول الفيض أمر حتمي ، كحصول الشعاع على المرآة المصقولة المحاذية للشمس (1).

(1) شيخ الإسلام – الصفدية – مكتبة ابن تيمية – القاهرة – تحقيق محمد رشاد سالم – الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – بتصرف .

المبحث الأول:

رأي الآمـــــــــدي :

المبحث الأول : رأي الآمدي :

لقد احتلت قضية البعثة من تفكير الآمدي المكان البارز ونالت من قلمه الجهد الواضح وشغلت من كتاباته مساحة واسعة ، فقد عالج عليه رحمة الله هذه القضية في أكثر من موضع في مؤلفاته الكلامية .

حيث ناقش فيها منكري النبوة كالبراهمة والصابئة ، والقائلين بوجوب إرسال الرسل على الله تعالى كالمعتزلة والفلاسفة وغيرهم ، بأقوى حجة وأبسط عبارة فأجاد وأفاد .

أما عن رأي أبي الحسن في البعثة فهو يرى أنها واقعة في حيز الإمكان ليست واجبة بل جائزة الوقوع ، كما أنها ليست أمراً خاضعاً للاكتساب أو للجهد الشخصي أو المباشرة الذاتية بحيث تقع في إمكان كل كائن وفي قدرة كل إنسان ، وإنما هي فضل رباني ومنحة إلهية يهبها الرب سبحانه لمن يشاء من عباده الأخيار .

قال الآمدي :

« ليست النبوة هي معنى يعود إلى ذاتي من ذاتيات النبي ، ولا إلى عرض من أعراضه استحقها بكسبه وعمله ولا إلى العلم بربه ، فإن ذلك مما يثبت قبل النبوة ، ولا إلى علمه بنبوته إذ العلم بالشيء غير الشيء ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، فليست إلا موهبة من الله تعالى ونعمة منه على عبده ، وهي قوله لمن اصطفاه واجتباه إنك رسولي ونبي » [1].

ثم يشير بعد ذلك في موضع آخر إلى جواز البعثة وإمكانها وأنها ليست واجبة كما تقول المعتزلة والفلاسفة ، ولا ممتنعة كما تقول البراهمة والصابئة بقوله :

« مذهب أهل الحق أن النبوات ليست واجبة أن تكون ولا ممتنعة أن تكون بل الكون وأن لا كون بالنسبة إلى ذاتها وإلى مرجحها سيان » [2].

---

(١) أبو الحسن الآمدي – غاية المرام في علم الكلام – (ص ٣١٧) ، وانظر أبكار الأفكار في علم أصول الدين – مخطوط – نسخة مكتبة أيا صوفيا بتركيا – رقم ٢١٦٨ (ق ١٠٤ أ) .

(٢) أبو الحسن الآمدي – غاية المرام في علم الكلام – (ص ٣١٨) .

وهو بذلك يشير إلى مذهب الأشاعرة ، كما صرح في غير هذا الموضع [1]، بأن المقصود بأهل الحق عنده هم الأشاعرة ، ولقد أكد جمع من علماء الأشاعرة ما حكاه عنهم الآمدي ، منهم الإمام الأشعري رحمه الله ، كما حكى عنه ذلك ابن فورك[2] ، والقاضي أبو بكر البقلاني[3] ، حيث يقول :

« مسألة ويجب أن يعلم أنه يجوز لله تعالى إرسال الرسل وبعث الأنبياء خلافاً لما تدعيه البراهمة والدليل عليه أيضاً أنه مالك الملك يفعل ما يشاء مع ما سبق من أنه ليس في إرسال الرسل إستحالة ولا خروج عن حقائق العقول فدل على جواز ذلك »[4] .

وكذلك الإمام الشهرستاني[5] ، حيث يقول في كتابه نهاية الإقدام :

« إن النبوة ليست صفة راجعة إلى نفس النبي ، ولا درجة يبلغ إليها أحد بعلمه وكسبه ، ولا استعداد نفسه يستحق به اتصالاً بالروحانيات ، بل رحمة الله تعالى ونعمة يمن بها على من يشاء من عباده »[6] .

---

(١) أبو الحسن الآمدي – أبكار الأفكار – نسخة أيا صوفيا – رقم ٢١٦٨ (ق ١٠٤ أ) .

(٢) انظر ابن فورك – مجريد المقالات – (ص ١٧٤) .

(٣) هو أبو بكر محمد بن الطيب القاضي المعروف بابن الباقلاني ولد في البصرة ولم يحدد أحدٌ من الذين ترجموا له تاريخ مولده ، درس في بغداد وله بها حلقة عظيمة ، اشتهر بالقدرة على الجدل ، وإفحام الخصوم ، وغزارة التصنيف ، فقيه متكلم ، توفي في بغداد عام ٤٠٣ هـ .

انظر الخطيب البغدادي – تاريخ بغداد (٣٧٩/٥) والسمعاني – الأنساب – (٥٢/٢) .

(٤) القاضي أبو بكر الباقلاني – الإنصاف فيما يجب إعتقاده ولا يجوز الجهل به – (ص ٥٣) تحقيق محمد زاهر الكوثري – المكتبة الأزهرية للتراث – مصر – بدون تاريخ .

(٥) هو محمد بن عبد الكريم أبو الفتح الشهرستاني يلقب بالأفضل ولد في شهرستان عام ٤٧٩ هـ إمام في الفرق والأديان من كبار متكلمي الأشاعرة من كتبه الملل والنحل ونهاية الإقدام في علم الكلام انتقل إلى بغداد ثم عاد إلى بلده وتوفي بها عام ٥٤٨ هـ .

انظر وفيات الأعيان (٤٨٢/١) ، لسان الميزان (٢٦٣/٥) .

(٦) الشهرستاني – نهاية الإقدام – مكتبة المثنى – تحقيق الفرد جيوم (ص ٤٦٢) .

ويقول التفتازاني[1] في شرح المقاصد :

« الحق أن البعثة لطف من الله تعالى ورحمة يحسن فعلها ولا يقبح تركها على ما هو المذهب في سائر الألطاف ولا تبتنى على إستحقاق من المبعوث واجتماع أسباب وشروط فيه بل الله تعالى يختص برحمته من يشاء من عباده ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾[2] »[3] .

وإلى ذلك ذهب كل من إمام الحرمين[4] والإيجي[5] وعقدا في كتبهما فصلاً في بيان إمكان وجواز البعثة[6] .

ذلك هو رأي الآمدي ، وقد اتضح مدى تطابقه مع ما ذهب إليه أئمة الأشاعرة ، ولم يقتصر الآمدي على عرض الآراء في المسألة وترجيح ما يراه صواباً فيها بل تعداه إلى مناقشة المخالفين ، الذين قسمهم إلى حزبين :

---

(١) هو مسعود بن عمر المعروف بالسعد التفتازاني من أئمة العربية والبيان والمنطق من كبار متكلمي وأئمة الأشاعرة المتأخرين ولد بتفتازان عام ٧١٢ هـ ، توفي في سمرقند سنة ٧٩٣ هـ ودفن في سرخس .

ابن حجر العسقلاني – الدرر الكامنة – (٣٤٠/٤) ، محمد بن علي الشوكاني – البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع – (٣٠٣/٢) .

(٢) سورة الأنعام – آية : ١٢٤ .

(٣) شرح المقاصد – (٨/٥) .

(٤) هو عبد الملك بن عبد الله أبو المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين فقيه أصولي أديب متكلم ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ولد في جوين سنة ٤١٩ هـ ، وتوفي عام ٤٧٨ هـ بنيسابور ، وله مصنفات كثيرة مشهورة .

ياقوت الحموي – معجم البلدان – (١٩٣/٢) ، ابن قاضي شهبة – طبقات الشافعية – (٢٥٥/١) ، والحافظ ابن كثير – البداية والنهاية – (١٣٦/١٢) .

(٥) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار أبو الفضل عضد الدين الإيجي عالم بالأصول والمعاني والعربية من كبار متكلمي الأشاعرة المتأخرين له تصانيف كثيرة مشهورة ولي القضاء ، ولد في إيج بفارس ، وتوفي بكرمان مسجوناً في قلعتها عام ٧٥٦ هـ بعد محنة جرت له مع صاحبها .

السبكي – طبقات الشافعية الكبرى – (١٠٨/٦) ، والسيوطي – بغية الوعاة – (٧٥/٢-٧٦) .

(٦) انظر الجويني – الإرشاد – تحقيق محمد موسى وعلي عبد المنعم – مكتبة الخانجي – مصر – مطبعة السعادة – ١٩٥٠ م – (ص ٣٠٢) والإيجي – المواقف – (ص ٣٤٢) .

« حزب انتمى إلى القول بالوجوب عقلاً كالفلاسفة والمعتزلة ، وحزب انتمى إلى القول بالامتناع[1] ، كالبراهمة والصابئة ، والتناسخية[2] »[3] .

وقد ذكر أن معتمد القائلين بالوجوب على فاسد أصولهم في الحسن والقبح العقليين وعلى قولهم بوجوب الصلاح والأصلح على الله[4] ، ونتيجة لذلك ذهب إلى ترجيح رأي الأشاعرة في التحسين والتقبيح فهو يرى أن :

العقل لا يدل على حسن شيء ولا على قبحه في الأحكام التكليفية وإنما الدال على ذلك هو الشرع ، فالحسن هو ما ورد الشرع بتحسينه بالأمر به وإثابة فاعله ، والقبيح هو ما ورد الشرع بتقبيحه بالنهي عنه ومعاقبة فاعله وليس ذلك عائداً إلى أمر حقيقي في الفعل يكشف عنه الشرع بل الشرع هو المثبت له والمبين ، ولو عكس القضية فحسن ما قبحه ، وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعاً ، وانقلب الأمر[5] .

---

(١) أي : نفي النبوة والقول بامتناع وقوعها .

(٢) التناسخية من مذاهب الثنوية الفارسية يقولون بتناسخ الأرواح في الأحياء والإنتقال من شخص لآخر ، ويعتقدون أن الإنسان دائماً في أحد أمرين إما في فعل وإما في جزاء وما فيه فإنه مكافأة على عمل قدمه ، أو عمل ينتظر المكافأة عليه ، ومن الفرق القائلة بالتناسخ المانوية والسمنية ، وبعض فرق الشيعة ، كالبيانية والجناحية والراوندية والخطابية .

الشهرستاني - الملل والنحل - (٥٥/٢) ، وعبد القاهر البغدادي - الفرق بين الفرق (ص ٢٧٠ وما بعدها) ، ودكتور عبد المنعم الحفني - الموسوعة الفلسفية (ص ١٤٢) .

(٣) غاية المرام في علم الكلام - (ص ٣١٨) .

(٤) غاية المرام في علم الكلام - (ص ٣٢٠) .

(٥) انظر في مذهب الأشاعرة بالتحسين والتقبيح - أبو الحسن الأشعري - رسالة إلى أهل الثغر - تحقيق ودراسة عبد الله شاكر - مؤسسة علوم القرآن - سوريا - الطبعة الأولى - ١٩٨٨ م ، وإمام الحرمين - الإرشاد - (ص ٢٥٨ - ٢٥٩) ، والغزالي أبو حامد محمد بن محمد - المستصفى من علم الأصول - (٥٥/١) - الطبعة الثانية - بيروت - لبنان - دار الكتب العلمية ، والشهرستاني - الإقدام - (٣٧٠-٣٧١) ، والإيجي - المواقف - (ص ٣٢٣) .

قال الآمدي :

« وأما أهل الحق فليس الحسن والقبح عندهم من الأوصاف الذاتية للمحال ، بل إن وصف الشيء بكونه حسناً أو قبيحاً فليس إلا لتحسين الشرع أو تقبيحه إياه بالإذن فيه أو القضاء بالثواب عليه ، والمنع منه أو القضاء بالعقاب عليه ... »[(1)] ، وقد ترتب على ذلك قول الأشاعرة ، والآمدي تبعاً لهم بجواز تكليف ما لا يطاق[(2)] .

وكردة فعل على قول المعتزلة بوجوب فعل الصلاح ورعايته على الباري سبحانه نفياً للعبث عن أفعاله وإبطالاً للسفه عنه في إبداعه وصنعته[(3)].

ذهب الآمدي كغيره من الأشاعرة إلى عدم وجوب شيء على الله سبحانه وقالوا يحسن منه كل شيء ، وإنما ننفي ما ننفيه بالخبر السمعي ونوجب وقوع ما يقع بالخبر السمعي ، فيجوز أن يعذب الله جميع أهل العدل والصلاح من الأنبياء والمرسلين بالعذاب الأبدي ، وأن ينعم جميع أهل الزيغ والفساد بالنعيم الأبدي ويدخلهم جنته ، لكن لما أخبر بأن المؤمنين يدخلون الجنة والكفار يدخلون النار علم وقوع ذلك ولو وقع عكس ذلك لم يكن بينهما فرق[(4)].

قال الآمدي :

« ..... فقد تحقق في هذه الجمل أن الغرض والصلاح ووجوب رعايته ممتنع في حق واجب الوجود »[(5)].

ولما كان معتمد القائلين بالوجوب على إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله ، ذهبت الأشاعرة إلى نفي الحكمة والتعليل ، فهم ينفون أن تشتمل أفعال الرب سبحانه على علة أو حكمة تقتضي وجودها أو عدمها .

---

(1) الآمدي - غاية المرام في علم الكلام - (ص ٢٣٤) .

(2) انظر الامدي - غاية المرام - (ص ٦٧) - والإحكام في أصول الأحكام - (١/١٣٣-١٣٤) - تعليق عبد الرزاق عفيفي - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية - ١٤٠٢ هـ - بيروت - لبنان .

(3) انظر القاضي عبد الجبار - شرح الأصول الخمسة - (ص ٣٠١-٣١٣) .

(4) ابن تيمية - منهاج السنة - (٢/٤١٥) ، والنبوات - (ص٩٨-٩٩) - طبعة دار الفكر .

(5) غاية المرام في علم الكلام - (ص ٢٤٣) .

وحجتهم في ذلك وهي من أقوى حججهم هي حجة الكمال والنقصان ، ومعناها عندهم أن الله « لو خلق الخلق لعلة لكان ناقصاً بدونها مستكملاً بها ، فإنه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة إليه سواء ، أو يكون وجودها أولى به فإن كان الأول امتنع أن يفعل لأجلها ، وإن كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به ، فيكون مستكملاً بها ، فيكون قبلها ناقصاً »[1].

ونفي الحكمة والتعليل أو نفي الغرض عن الله ، كما يطلقون عليه في مصنفاتهم يعتبر عندهم من لوازم التنزيه ، فالأفعال كلها متعلقة بمحض المشيئة ولا تعلق للحكمة أو أي صفة بها .

قال الآمدي :

« مذهب أهل الحق أن الباري تعالى خلق العالم وأبدعه لا لغاية يستند الإبداع إليها ، ولا لحكمة يتوقف الخلق عليها ، بل كل ما أبدعه من خير وشر ونفع وضر لم يكن لغرض قاده إليه ، ولا لمقصود أوجب الفعل عليه ، بل الخلق وأن لا خلق له جائزان ، وهما بالنسبة إليه سيان »[2].

وقال الإيجي :

« المقصد الثامن في أن أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض ... »[3] إلى أن قال : « لو كان فعله تعالى لغرض لكان ناقصاً لذاته مستكملاً بتحصيل ذلك الغرض »[4].

وبإبطال وجوب رعاية الصلاح والأصلح على الله تجاه عباده وإبطال القول بالتحسين والتقبيح العقليين وعدم القول بالحكمة والتعليل في أفعال الرب سبحانه يكتمل رد الآمدي على خصومه القائلين بالوجوب العقلي[5]، وهم كما تقدم الفلاسفة والمعتزلة .

---

(١) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٨٣/٨) ، وانظر الرازي – الأربعين – تحقيق أحمد حجازي السقا – مكتبة الكليات الأزهرية – الطبعة الأولى – ١٩٨٦ م – القاهرة – (٣٥٠) .

(٢) غاية المرام في علم الكلام – (ص ٢٢٤) .

(٣) العضد الإيجي – المواقف في علم الكلام – (ص ٣٣١) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) انظر سيف الدين الآمدي – أبكار الأفكار – (١١٣/٢- أ * ١١٤- أ) .

بعد أن تبين موقف الآمدي من القائلين بالوجوب العقلي بقي في هذا الباب بيان موقفه من نفاة النبوة والقائلين بامتناعها عقلاً ، وهم كما تقدم الصابئة والبراهمة والتناسخية ، وقبل الشروع في إيراد رد الآمدي على شبهة تلك الفرق تجدر الإشارة أن من البراهمة من اعترف برسالة آدم عليه الصلاة والسلام دون غيره ، ومنهم من لم يعترف بغير إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وكذلك الصابئة فإنهم اعترفوا برسالة شيث وإدريس عليهما الصلاة والسلام ، دون غيرهما [1].

تشبث القائلون باستحالة وقوع البعثة بأربعين شبهة استقصاها الآمدي [2]، وقام بعد ذلك بالرد عليها شبهة شبهة [3]، وسوف أقتصر على ذكر بعض تلك الشبه ورد الآمدي عليها .

الشبهة الأولى :

وهي قولهم أن المبعوث لا بد أن يعلم أن الذي أرسله هو الله ، وذلك لا يكون إلا بكلام ينزل عليه أو بكتاب يلقى إليه ، والمرسل ليس بمحسوس ولا ملموس ، فما الذي يؤمنه من أن يكون المخاطب له جنياً ، وأن ما ألقي إليه هو من عند غير الله ، ومع هذه الاحتمالات فقد وقع الشك في رسالته وامتنع القول الجزم بنبوته[4] .

رد الآمدي على الشبهة :

ذكر الآمدي أن ما أشاروا إليه من تعذر علمه بأن المرسل له هو الله سبحانه وتعالى بعيداً جداً ، إذ لا مانع هناك عقلاً ولا شرعاً من أن يعلمه مرسله وهو رب العزة والجلال أنه هو الله تعالى ، سواء عن طريق إظهار الآيات والدلائل المعجزة على يديه والتي يتقاصر عن الإتيان بمثلها جميع المخلوقات وبذلك يحصل له ولغيره اليقين بمن أرسله وأنه هو الله .

(١) انظر الآمدي – غاية المرام – (ص ٣١٨) ، وأبكار الأفكار – (٢/١٠٧ أ) ، وعبد القاهر البغدادي – أصول الدين – (ص ١٥٤) ، ونشأة الفكر الفلسفي – للنشار – (١/٢٠٩–٢٢٠) .

(٢) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (٢/١٠٧ ب – ١١٣ أ) .

(٣) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (٢/١١٤ أ – ١١٩ ب) .

(٤) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (٢/١٠٧–ب) ، وغاية المرام (ص ٣٢٠) ، والشهرستاني – نهاية الإقدام – (ص ٤١٩) .

أو عن طريق ما ألقي إليه من الوحي المنزل والمتضمن أخباراً غائبة وأمور خفية لا يمكن الوصول إلى معرفتها إلا عن الخالق سبحانه .

فإذا لم يحصل له اليقين عن الطرق السابقة ، فإن الخالق سبحانه قادر على خلق العلم الضروري بذلك فا لله لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير[1] .

وفي ذلك يقول :

« قولهم فما الذي يؤمنه أن يكون المخاطب له جنياً وأن ما ألقي إليه ليس من عند الله ، قلنا غير ممتنع أن المرسل به هو الله تعالى ويحصل له اليقين به ، وذلك بأن يظهر الله آيات ودلائل ومعجزات تتقاصر عن الإتيان بمثلها جميع المخلوقات تكون دالة على علمه بذلك أو بأن يكون ما أنزل عليه وألقي إليه تضمن الأخبار عن الغائبات والأمور الخفيات التي لا يمكن معرفتها لغير الله تعالى وهي واقعة على ما أخبر به ، أو بأن يخلق الله له العلم الضروري بذلك إن الله على كل شيء قدير »[2] .

الشبهة الثانية :

أن ما يأتي به النبي إما أن يكون مدركاً بالعقول أو لا يكون مدركاً بالعقول ، فإن كان الأول فلا حاجة إلى الرسول بل البعثة تكون عبثاً وسفهاً وهو قبيح ، والرب تعالى لا يفعل القبيح[3] ، وإن كان الثاني مما يأتي به فهو غير مقبول لكونه غير معقول فالبعثة على كل تقدير لا تفيد[4] .

الرد على هذه الشبهة :

---

(١) الآمدي – أبكار الأفكار – (١١٤/٢– ب) ، وانظر غاية المرام (ص ٣٢٤) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) هذه الشبهة وغالبية شبه البراهمة مبنية على مذهبهم في الحسن والقبح العقليين وتعتبر هذه الشبهة والتي سبقتها من أهم شبههم .

انظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين – الرازي – (ص ٢١٤) .

(٤) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (١٠٨/٢ – أ) ، وغاية المرام (ص ٣٢٠) ، وانظر الشهرستاني – نهاية الإقدام (ص ٣٧٨) ، وانظر نصير الدين الطوسي – تلخيص المحصل – مطبوع بهامش المحصل للرازي – مراجعة طه عبد الرؤوف سعد – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – (ص ٢١٦) .

ما المانع من أن يكون ما أتى به النبي معقولاً ومدركاً فنحن لا نسلم لكم أن هناك مانع يمنع ذلك ، وأما قولكم أن ذلك يكون عبثاً منه تعالى فهو مبني على فاسد أُصولكم في وجوب رعاية الحكمة في أفعال الله تعالى وعلى ذاتية الحسن والقبح العقليين ، وقد تقدم بيان بطلان هذه الأصول فأفعال الله تعالى غير معللة بغرض أو حكمة ويحسن منه تعالى كل شيء فالعبث والقبح منفي عن رب العزة والجلال في جميع أفعاله[1] ، وفي ذلك يقول :

« ثم إن الرسول لا يأتي إلاّ بما لا تستقل به العقول ، بل هي متوقفة فيه على المنقول ، وذلك كما في مسالك العبادات ، ومناهج الديانات ، والخفي مما يضر وينفع من الأقوال والأفعال ، وغير ذلك مما تتعلق به السعادة والشقاوة في الأولى والأخرى وتكون نسبة النبي إلى تعريف هذه الأحوال كنسبة الطبيب إلى تعريف خواص الأدوية والعقاقير التي يتعلق بها ضرر الأبدان ونفعها ، فإن عقول العوام قد لا تستقل بدركها وإن عقلتها عندما ينبه الطبيب عليها ، وكما لا يمكن الاستغناء عن الطبيب في تعريف هذه الأمور مع أنه قد يمكن الوقوف عليها والتوصل بطول التجارب إليها ، لما يفضي إليه من الوقوع في الهلاك والأضرار لخفاء المسالك فكذلك النبي »[2] ، « بل أولى حيث إنه يعرف ما لا سبيل إلى معرفته إلا من جهة الله تعالى »[3] .

الشبهة الثالثة :

أن النفوس الإنسانية كلها من نوع واحد فوجب أن تستقل كل منها بدرك ما أدركته الأخرى ، وتخصيص شخص دون غيره من نوعه ميل إليه وحيف على غيره ، وهو قبيح من الحكم عقلاً[4].

---

(١) الآمدي - غاية المرام في علم الكلام - (٣٢٥-٣٢٦) . وانظر الرد على أصوله الفاسدة ، ص : (٢٠٣-٢١٤) من هذه الرسالة .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) الآمدي - أبكار الأفكار - (١١٤/٢ - أ) .

(٤) انظر الآمدي - غاية المرام - (ص ٣٢٦) وأبكار الأفكار - (١٠٨/٢ - أ) ، وانظر الباقلاني أبوبكر محمد - التمهيد - (ص ١٠٤) - منشورات جامعة الحكمة في بغداد - تصحيح / تشرد يوسف اليسوعي - المكتبة الشرقية - بيروت - ١٩٥٧ م .

رد الأمدي على الشبهة :

رد الامدي على هذه الشبهة من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول :

يشير الآمدي إلى أن النفوس متساوية في النوعية ولكن ليس هناك مانع يمنع من اختلاف أحادها عن بعضها البعض وعليه فلا يلزم الاشتراك فيما ثبت للواحد منها مع الباقين ، ومن قال بوجود مانع فعليه بالدليل والحال أنه ليس هناك دليل يدل على ذلك[1] .

الوجه الثاني :

وإن سلمنا الإتحاد في النوعية لكن لا نسلم إنه يلزم أن ما ثبت للبعض يجب الإشتراك فيه للباقين[2] والأ للزم من هذا القول « التسوية بين الخلائق في أحوالهم وألا تفاوت بين أفعالهم بحيث لا يكون هذا عالماً وهذا جاهلاً ولا هذا زَمِناً وهذا ماشياً ، ولا هذا أعمى وهذا بصير ، إلى غير ذلك من أنواع التفاوت في الكمالات ، وحصول الملاذ والشهوات »[3].

« ومع ذلك فقد وقع التفاوت في هذه الأمور فيما بينهم مع اتحاد النوع و لم يعد ذلك من الله تعالى قبيحاً لكونه الفاعل لذلك وكذلك فيما نحن فيه »[4].

الوجه الثالث :

« وإن سلمنا لزوم الاشتراك بينهم فيما يدركه الواحد منهم من المدركات العقلية فلا يلزم ذلك في القضايا الشرعية فإن طريق معرفتها ، إنما هو السمع دون العقل ، ولا يلزم من تخصيص بعض الناس بالوحي والإرسال التشريك والتعميم بينهم ضرورة اتحاد النوع وإلاّ لاستوى الناس كلهم في أحوالهم »[5].

---

(١) انظر الآمدي – غاية المرام في علم الكلام – (ص ٣٢٦) .

(٢) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (١١٤/٢ – ب) .

(٣) أبو الحسن الآمدي – غاية المرام في علم الكلام – (ص ٣٢٦) .

(٤) أبو الحسن الآمدي – أبكار الأفكار في علم الكلام – (١١٤/٢ – ب) .

(٥) المصدر السابق (١١٤/٢ – ب) .

هذه بعض المغالطات والشبه التي تحجج بها نفاة النبوة والتي تصدى للرد عليها أبو الحسن الآمدي عليه رحمة الله [1].

وخلاصة ما سبق عرضه أن الآمدي قد استصوب رأي الأشاعرة في بعثة الرسل ، حيث قالوا بجوازها خلافاً للقائلين بوجوبها (المعتزلة والفلاسفة ومن تبعهم) وخلافاً للنفاة (البراهمة ، والصابئة والتناسخية) ، كما أنها اصطفاء واختيار من الله عز وجل لمن يشاء من خلقه ليست خاضعة للاكتساب ولا تستحق للمبعوث باجتماع أسباب وشروط ، بل الله يختص برحمته من يشاء ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته [2].

والآمدي في عرضه لهذه القضية لم يقتصر على بيان ما يراه صواباً من الأقوال ، بل تعداه إلى بيان مذاهب الناس ، وناقش كل قول على حده ، مبطلاً أصول ذلك القول وأدلته ، وقد اتضح لنا ذلك من خلال مناقشته لتلك الفرق المخالفة .

---

(١) للاطلاع على بقية الشبه الأربعين انظر الملحق ص (٥٠٠-٥١٦) ، والذي يبدو أن ما ذكره الآمدي من الشبه إنما هو من قبيل الافتراضات العقلية التي ربما يذكرها الخصم لإبطال حجج القائلين بالنبوة ، وبناءً على توصية المناقشين الفاضلين سوف أذكرها كما هي عند الآمدي دون التعرض للتعليق عليها لأنها ليست داخلة في موضوع البحث .

(٢) انظر المواقف – الإيجي – (ص ٣٤٢) ، والتفتازاني – شرح المقاصد – (٥/٨) ، ومحمد الحسيني الظواهري – التحقيق التام في علم الكلام – (ص ١٥٦) – مكتبة النهضة – الطبعة الأولى – ١٩٣٩ م .

المبحث الثاني :

موقف أهل السنة والجماعة

المبحث الثاني : موقف أهل السنة والجماعة :

الذي عليه أهل السنة والجماعة وجمهور الأمة أن بعثة الأنبياء ممكنة وجائزة ، وهي منحة إلهية وموهبة ربانية يصطفي الله لها من يشاء من عباده الصالحين ، وهي داخلة في عموم قدرته تعالى وتقتضيها حكمته سبحانه فضلاً منه ورحمة ، والله عليم حكيم [1].

قال تعالى :

﴿ وقالوا لولا نـزل هـذا القـرءان علـى رجـل مـن القريتـين عظيـم أهُـم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوٰة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجٰت ﴾[2].

وقال تعالى :

﴿ ما يود الذين كفروا من أهـل الكتٰب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشـاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ [3].

وقال تعالى :

﴿ ومن ذريته داود وسليمٰن وأيوب ويوسف وموسى وهٰرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ وإلياس كل مـن الصٰلحين . وإسمٰعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين ومن ءابائهم وذريـتٰهم وإخوانهم واجتبينـٰهم وهدينـٰهم إلى صراط مستقيم ﴾ [4].

---

(١) شيخ الإسلام – منهاج السنة النبوية – (٤١٦/٢) ، والنبوات – (ص ٢٤٢) ، وانظر محمد بن أحمد السفاريني – لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية – مطبعة المدني القاهرة – (٢٦٧–٢٦٨) ، وانظر الشيخ عبد الرزاق عفيفي – مذكرة التوحيد – (ص ٤٣) ، وانظر محمد طاهر – النبوة بين المتلكمين والفلاسفة والصوفية – رسالة دكتوراة – جامعة الأزهر – كلية الدعوة وأصول الدين بالقاهرة – ١٩٩٣ م – (ص ٨٠) .

(٢) سورة الزخرف – آية : ٣١–٣٢ .

(٣) سورة البقرة – آية : ١٠٥ .

(٤) سورة الأنعام – آية : ٨٤–٨٧ .

كما إنها لا تنال بالكسب والاجتهاد وتكلف أنواع العبادات وإقتحام أشق الطاعات وتهذيب النفس عن طريق الرياضة النفسية أو البدنية ، بل هي كما سبق فضل من المولى الأجل سبحانه وتعالى لمن يشاء ممن سبق علمه وإرادته باصطفائه لها ، والله أعلم حيث يجعل رسالته [١].

وأهل السنة والجماعة لا يقولون بوجوب البعثة على الله تعالى كما أوجبها غيرهم ، إنما يوجبون على الله تعالى ما أوجبه على نفسه ، تفضلاً وكرماً منه سبحانه ،

كقوله تعالى :

﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ [٢].

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة ، وسوف استعرض الآن رأي أبي الحسن الآمدي مناقشاً ومحللاً لأوجه الاتفاق والاختلاف في قوله مع مذهب أهل السنة والجماعة .

يتفق الآمدي مع أهل السنة والجماعة في مسألة حكم إرسال الرسل فأهل السنة كما سلف ذكره يرون أن بعثة الرسل واقعة في حيز الإمكان ليست بواجبة كما ذهبت إلى ذلك الفلاسفة والمعتزلة والشيعة ، بل أنها جائزة الوقوع وكذلك يقول الآمدي وقد سبق بيان رأيه .

---

(١) انظر ابن تيمية - منهاج السنة النبوية - تحقيق د / محمد رشاد سالم - (٤١٦/٢) ، والنبوات - (ص ١٢٧) ، والصفدية - تحقيق دكتور محمد رشاد سالم - مكتبة ابن تيمية القاهرة - الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ - (٢٢٩/١) ، ومحمد بن أحمد السفاريني - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية - مطبعة المدني - القاهرة - (ص ٢٦٧ - ٢٦٨) ، وانظر د / عمر سليمان الأشقر - الرسل والرسالات - الطبعة الثالثة - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - مكتبة الفلاح - الكويت - (ص ٥٩) ؛ والشيخ محمد رشيد رضا - تفسير المنار - (٢٨٧/٣-٢٨٨) - طبع دار المنار بمصر - الطبعة الثالثة - ١٣٦٧هـ .

(٢) سورة الأنعام - آية : ٥٤ .

كما يتفق الآمدي مع أهل السنة والجماعة في مسألة اكتساب النبوة فأهل السنة يرون أنها فضل إلاهي وموهبة ربانية يمن بها المولى سبحانه على من يشاء من عباده ممن سبق علمه وإرادته باصطفائه لها ، لا كما يراه الفلاسفة من أنها تنال بالكسب والاجتهاد وتصفية الأنفس بالعلو بها عن سفاسف الأمور عن طريق رياضات معينة يصل بها العبد لدرجة النبوة ، كما أن أهل السنة لا يخالفونه في القول بعدم وجوب فعل الأصلح على الله تعالى فيما يتعلق بشئون عباده ، وقد مر معنا أن المعتزلة يقولون بوجوب فعل الأصلح على الله تعالى ، ولما كانت البعثة فيها صلاح للعباد في دينهم ودنياهم قالوا بوجوبها .

وما ذكره المعتزلة من وجوب فعل الأصلح على الله تبارك وتعالى مخالف لما عليه الجمهور فإنهم يرون أنه لا يجب على الله تعالى فعل الأصلح لعباده .

قال القاضي أبويعلى[1] رحمه الله تعالى :

« لا يجب عليه تعالى فعل الأصلح في خلقه وإذا لم يجب عليه ذلك لم يقف أمره على المصلحة لأنها غير واجبة عليه » [2].

---

(1) هو محمد بن الحسين الفراء البغدادي أبو يعلى القاضي ، ولد رحمه الله ببغداد سنة ٣٨٠ هـ برع في مذهب الإمام أحمد حتى صار إماماً في المذهب ، لا ينازع في الفروع والأصول له مصنفات كثيرة في الفقه وأصوله وفي معتقد أهل السنة والجماعة .

قال عنه ابن الجوزي : « إمام في الفقه والصدق وحسن الخلق والتعبد والتقشف والخشوع ، وحسن السمت والصمت عما لا يعني واتباع السلف » ، توفي رحمه الله سنة ٤٥٨ هـ بحاضرة الخلافة العباسية بغداد .

انظر ابن رجب طبقات الحنابلة - (١٩٣/٢) ، والخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - (٢٥٦/٢) ، والسمعاني - الأنساب - (١٥٤/١٠) ، وابن الجوزي - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - (٢٤٣/٨) ، والذهبي - العبر في خبر من غبر - (٣٠٩/٢) ، والعليمي - المنهج الأحمد في تراجم الإمام أحمد - (١٢٨/٢) .

(2) أبو يعلى الفراء - العدة في أصول الفقه - تحقيق الدكتور أحمد المباركي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - (٤٢١/٢) .

فألفاظ الوجوب والإيجاب والحتمية واللزوم وغيرها تفيد في بعض معانيها القهر والتسلط والإجبار ، الأمر الذي يجعل الطبع البشري ينفر منها ويستثقلها على نفسه ولما لا فهي تشعره بالضعف والاستكانة وأن سلوكه محدود مقيد بقيود معينة لا يجوز له تخطيها فإذا كان ذلك يثقل على البشر فهل من الجائز أو اللائق أن يخلعوا على الله سبحانه وتعالى ما نفر منه طبعهم واشمأزت منه وجداناتهم » [1].

إذا علم ذلك فلا سلطة لأحد من الخلق في إيجاب شيء أو تحريمه على الباري سبحانه ، بل مردُّ ذلك كله إليه سبحانه فما أوجبه على نفسه كان ذلك واجباً عليه بإيجابه هو وما حرمه على نفسه كان ذلك محرماً عليه بتحريمه هو ، وقد أخبر بذلك سبحانه وتعالى وأخبر به رسوله عليه الصلاة والسلام .

قال تعالى :

﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ [2].

وقال سبحانه :

﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ [3].

وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه تعالى :

« يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » [4].

وكيف يكون فعل الأصلح واجب عليه سبحانه وهو يقول في محكم التنزيل :

﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ [5].

ويقول سبحانه :

﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ﴾ [6].

---

(١) انظر الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر - دراسات في النبوة والرسالة - مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - (ص ١٤١) .

(٢) سورة الروم - آية : ٤٧ .

(٣) سورة الأنعام - آية : ٥٤ .

(٤) أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم - (١٧/٨) ، والإمام أحمد في مسنده - (١٦/٥) .

(٥) سورة النحل - آية : ٩ .

(٦) سورة يونس - آية : ٩٩ .

فقلوب بعض عباده كما أخبر سبحانه مصروفة عن الهداية وقد قضى عليه سبحانه بالكفر ولو كان يجب عليه فعل الأصلح لهم لما صرف قلوبهم عن الهداية وما قضى عليهم بالكفر ، فدل ذلك على عدم وجوب فعل الأصلح للعباد [1]، ومن الأدلة الدافعة في عدم وجوب فعل الأصلح على الباري سبحانه ما رواه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال :

« إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع : برزقه ، وأجله ، وشقي أو سعيد ، فوالله إن أحدكم ، أو الرجل ، يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » [2].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في معرض شرحه لهذا الحديث :

« واستدل له على أنه لا يجب على الله رعاية الأصلح خلافاً لمن قال به من المعتزلة لأن فيه أن بعض الناس يذهب جميع عمره في طاعة الله ثم يختم له بالكفر والعياذ بالله فيموت على ذلك فيدخل النار ، فلو كان يجب عليه رعاية الأصلح لم يحبط جميع عمله الصالح بكلمة الكفر التي مات عليها ، ولا سيما إن طال عمره وقرب موته من كفره » [3].

---

(١) الدكتور علي بن سعد الضويحي – آراء المعتزلة الأصولية – مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م – (ص ١١١ – ١١٥) .

(٢) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين – (١٨٨/٨) ، والإمام مسلم في صحيحه – كتاب القدر – باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته – (٤٤/٨) .

(٣) الحافظ ابن حجر العسقلاني – فتح الباري في شرح صحيح البخاري – الطبعة السلفية – (٤٩٠/١١) .

ولا يفهم من ذلك نفي أهل السنة والجماعة لوجود المصلحة في أوامره تعالى ونواهيه ، بل يقولون إن أوامره تعالى ونواهيه لا تخلو من مصلحة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

« وذهب جمهور العلماء إلى أنه تعالى إنما أمر العباد بما فيه صلاحهم ، ونهاهم عما فيه فسادهم ... فهم يقولون : فعل المأمور به وترك المنهي عنه مصلحة لكل فاعل وتارك » [(1)].

إلاّ أن هذه المصلحة ليست واجبة على الله تعالى رعايتها كما تقول المعتزلة بوجوبها بل ذلك منه سبحانه فضل ومنة وإحسان على عباده قال شيخ الإسلام رحمه الله :

« ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير على المستأجر فهو جاهل في ذلك ... والحق الذي لعباده هو من فضله وإحسانه ، ليس من باب المعاوضة ، ولا من باب ما أوجبه غيره عليه ، فإنه سبحانه يتعالى عن ذلك » [(2)].

هذا بالنسبة للأمور التي يتفق فيها الآمدي مع أهل السنة والجماعة ، أما بالنسبة للأمور التي يخالف فيها أهل السنة والجماعة ولهم منها موقف يمكن إجمالها بما يلي :

تقدم معنا أن الآمدي لما رأى أن القائلين بالوجوب قد بنوا قولهم هذا على أصول منها الحسن والقبح رأيناه يرجح رأي الأشاعرة بأن « القبيح ما نهى عنه شرعاً والحسن بخلافه ولا حكم للعقل بحسن الأشياء وقبحها وليس ذلك عائداً إلى أمر حقيقي في الفعل يكشف عنه بل الشرع هو المثبت له والمبين ولو عكس القضية فحسن ما قبحه وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعاً وانقلب الأمر » [(3)].

---

(1) ابن تيمية – منهاج السنة – (١/١٧١) .

(2) ابن تيمية – اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم – تحقيق محمد حامد الفقي – نشر دار المعرفة – بيروت لبنان – (ص ٤١٠) .

(3) الإيجي – المواقف في علم الكلام – (ص ٣٢٣) .

ثم رتب على ذلك القول بجواز تكليف ما لا يطاق ثم انتهى به الأمر إلى نفي الحكمة عن أفعاله تعالى ، فهو يرى كغيره من أئمة المذهب الأشعري أن أفعال الله تبارك وتعالى غير معللة بعلة أو حكمة ، وهو ما يعبرون عنه بنفي الغرض عن الله تعالى ، وقالوا يفعل ما يشاء لا لحكمة وأثبتوا له القدرة والمشيئة ونفوا الحكمة لظنهم أنها تستلزم الحاجة [(١)].

إذا كان ذلك هو رأي الآمدي ، وهذه هي أصوله التي بنى عليها قوله في بعثة الرسل ، فالحقيقة أن أهل السنة والجماعة يخالفونه في تلك الأصول ، أعني بها الحسن والقبح وجواز التكليف بما لا يطاق ، ونفي الحكمة والتعليل ، وهذا ما سوف يتم إيضاحه إن شاء الله تعالى من خلال عرض كل أصل من تلك الأصول وبيان الموقف الحق منها بحول الله تعالى .

١- الحسن والقبح :

أول من أشتهر عنه بحث هذا الموضوع من المتكلمين الجهم بن صفوان[(٢)] وذلك حين وضع قاعدته المشهورة :

« إيجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع » [(٣)].

فالعقل عنده يوجب ما في الأشياء من صلاح وقبح وفساد وحسن قبل ورود الشرع ، فإذا جاء الشرع فإنه يأتي مصدقاً لما قال به العقل من حسن بعض الأشياء وقبح بعضها ، وقد أخذ المعتزلة بهذا القول وبنوا عليه أصلهم « التحسين والتقبيح العقليين » ، تبعهم الكرامية[(٤)]

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية - مجموع الفتاوى - (٣٧/٨) .

(٢) الجهم بن صفوان السمرقندي ، أبو محرز ، من موالي بني راسب ، رأس الجهمية ، الضال المبتدع هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شراً عظيماً ، كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج ، الخارج على أمراء خراسان ، فقبض عليه نصر بن سيار فقتله سنة ١٢٨ هـ .

انظر الذهبي - ميزان الإعتدال - (١٩٧/١) ، والحافظ ابن حجر - لسان الميزان - (١٤٢/٢) .

(٣) الشهرستاني - الملل والنحل - (٨٨/١) تحقيق محمد سيد كيلاني - طبعة ١٣٨٧ هـ .

(٤) الكرامية هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام بن عراق السجستاني الذي توفي سنة ٢٥٥ هـ ، وقيل قبل ذلك ، والكرامية إحدى الفرق المائلة للتجسيم .

انظر الشهرستاني - الملل والنحل - (١٠٨/١) ، والبغدادي - الفرق بين الفرق - (ص ١٣١) .

بعد ذلك [1].

ولم يكن الجهم مبتدعاً لهذه القاعدة ، حيث ترجع جذور هذا القول إلى بعض العقائد الهندية كالتناسخية والبراهمة والثنوية وهم كما يقال الذين وضعوا البذور الأولى للقول بإيجاب المعارف عقلاً أو ما يسمى بالتحسين والتقبيح العقليين [2].

وقد وقع الخلاف حول هذه القضية على ثلاثة أقوال :

١- إنه لا يجب على الله تعالى شيء من قبل العقل ، ولا يجب على العباد شيء قبل ورود السمع ، فالعقل لا يدل على حسن شيء ولا على قبحه في حكم التكليف ، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع وموجب السمع ، هذا هو قول الأشاعرة ومن وافقهم من الحنبلية والمالكية والشافعية وغيرهم [3].

وقد تقدم أن الآمدي يرجح هذا الرأي أعني أن التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان ، ولكن ينبغي أن يعلم أن مذهب الأشاعرة هذا لا يلزم منه أن الحسن والقبح زائد على الشرع ، مع المصير إلى توقف إدراكه عليه ، يقول إمام الحرمين مجيباً عن هذا الإيهام :

« وليس الأمر كذلك فليس الحسن صفة زائدة على الشرع ، مدركة به وإنما هو عبارة عن نفس ورود الشرع بالثناء على فاعله ، كذلك القول في القبيح » [4].

---

(١) انظر الدكتور علي سامي النشار – نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام – دار المعارف – الطبعة السابعة – القاهرة – ١٩٧٧ – (٣٤٦/١) ، وانظر سهير محمد مختار – التجسيم عند المسلمين – مذهب الكرامية – (ص ٣٦٣) – نشر شركة الاسكندرية للطباعة والنشر – الطبعة الأولى – ١٩٧١ م .

(٢) انظر سهير محمد مختار – التجسيم عند المسلمين – (ص ٣٦٣) .

(٣) انظر في مذهب الأشاعرة في التحسين والتقبيح الشرعيين : الجويني – الإرشاد (ص ٢٥٨) ، والآمدي – غاية المرام – (٢٣٤-٢٣٥) ، والمحصل للرازي – (ص ٢٠٢) ، مراجعة طه عبد الرؤوف – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – ومحمد الظواهري – التحقيق التام – (ص ١٤١ وما بعدها) ، وانظر مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٢٨/٨) .

(٤) أبو المعالي الجويني – الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد – (ص ٢٥٩) – تحقيق محمد يوسف وعلي عبد المنعم عبد الحميد – مكتبة الخانجي – القاهرة – طبعة ١٣٦٩ هـ .

٢- إن الحسن والقبح صفتان ذاتيتان في الأشياء والحاكم بالحسن والقبح هو العقل ، والفعل حسن أو قبيح إما لذاته ، وإما لصفة من صفاته لازمة له وإما لوجوه واعتبارات أخرى والشرع كاشف ومبين لتلك الصفات فقط ، وهذا هو مذهب المعتزلة والكرامية ومن قال بقولهم من الرافضة والزيدية[1] وغيرهم [2].

٣- التفصيل : فإطلاق التحسين والتقبيح على كل فعل من جهة العقل وحده دون الشرع ، أو نفي أي دور للعقل في تحسين الأفعال أو تقبيحها غير صحيح ، وإلى هذا ذهب أهل السنة والجماعة .

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مذهب أهل الحق توضيحاً كاملاً فيقول :

« وقد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع : **أحدها** : أن يكون الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسدة ولو لم يرد الشرع بذلك ، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم ، والظلم يشتمل على فسادهم ، فهذا النوع هو حسن وقبيح ، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك ، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن ، لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقباً في الآخرة إذا لم يرد الشرع بذلك ، وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح ، فإنهم قالوا : إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة ،

---

(١) أحد فرق الشيعة ينتسبون إلى زيد بن علي أحد أئمة أهل البيت وهم من أكثر فرق الشيعة اعتدالاً وإن كان هناك من فرقهم من يعد من الغلاة كالجارودية ، قالت الزيدية بإمامة زيد بن علي وقالوا بإمامة الشيخين أبي بكر وعمر ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة مع قولهم بأفضلية علي بن أبي طالب على الشيخين .

انظر الشهرستاني – الملل والنحل – (١٥٤/١) ، والشيخ محمد أبو زهرة – الإمام زيد حياته وعصره وآراءه الفقهية – دار الفكر العربي ، وشريف الشيخ صالح أحمد الخطيب – الإمام زيد بن علي المفترى عليه – دار الندوة الجديدة – بيروت – لبنان – ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

(٢) انظر القاضي عبد الجبار – المحيط بالتكليف – تحقيق عمر السيد عزمي ومراجعة أحمد فؤاد الأهواني – المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر القاهرة – (ص ٢٣٤ – ٢٣٦ – ٢٣٩) ، والمغني في أبواب التوحيد والعدل – تحقيق أحمد فؤاد الأهواني – الطبعة الأولى – القاهرة – المؤسسة المصرية للتأليف – ١٣٨٢ هـ (٦/٢٦-٣٠-٣١-٣٤) ، وشيخ الإسلام – مجموع الفتاوى – (٤٣١/٨) .

ولو لم يبعث الله إليهم رسولاً ، وهذا خلاف النص قال تعالى :

﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ [1].

النوع الثاني :

أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً ، وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً ، واكتسب صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع .

النوع الثالث :

أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن به العبد ، هل يطيعه أم يعصيه ، ولا يكون المراد فعل المأمور به ، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه :

﴿ فلما أسلما وتله للجبين ﴾ [2].

حصل المقصود ففداه للذبح ، وكذلك حديث أبرص وأقرع وأعمى ، لما بعث الله إليهم من سألهم الصدقة ، فلما أجاب الأعمى قال الملك :

« أمسك عليك مالك فإنما ابتليتم ، فرضي عنك وسخط عن صاحبيك » [3]، فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به ، وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة ، وزعمت أن الحسن والقبح إلا لما هو متصف بذلك ، بدون أمر الشارع ، والأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الامتحان ، وأن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع ، وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة وهو الصواب » [4].

وشيخ الإسلام يزيد الأمر تحقيقاً ، فيبين أن التحسين والتقبيح قسمان :

أحدهما : كون الفعل ملائماً للفاعل نافعاً له أو كونه ضاراً له منافراً فهذا قد اتفق الجميع على أنه قد يعلم بالعقل [5].

---

(١) سورة الإسراء - آية : ١٥ .

(٢) سورة الصافات - آية : ١٠٣ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) شيخ الإسلام - مجموع الفتاوى - القدر - (٤٣٤/٨-٤٣٦) .

(٥) شيخ الإسلام - مجموع الفتاوى - (٩٠/٨،٣٠٩،٣٠١) ، ومنهاج السنة - (٣٦٤/١) - طبعة الرياض .

الثاني : كونه سبباً لذم العقاب ، فهذا هو الذي وقع فيه الخلاف : فالمعتزلة قالوا قبح الظلم والشرك والكذب والفواحش معلوم بالعقل ويستحق عليها العذاب في الآخرة ، وإن لم يأت رسول .

والأشاعرة قالوا : لا حسن ولا قبح ولا شر قبل مجيء الرسول ، وإنما الحسن ما قيل فيه افعل ، والقبيح ما قيل فيه لا تفعل ، ولم يجعلوا أحكام الشرع معللة ، وهذا يوافق مذهبهم في التعليل .

جمهور أهل السنة قالوا : الظلم والشرك والكذب والفواحش كل ذلك قبيح قبل مجيء الرسول ، ولكن العقوبة لا تستحق إلاّ بمجيء الرسول [(١)].

وما فصله شيخ الإسلام هو الموافق لمذهب السلف وهو الذي دلت عليه النصوص ، ولا شك أن الأشاعرة وكذلك المعتزلة ليس لهم حجة على قولهم ، سوى أخذهم ببعض النصوص دون بعض ، وشيخ الإسلام في عدة مواضع من مؤلفاته كثيراً ما يفصل الخلاف في ذلك مبيناً المذهب الحق [(٢)].

٢- تعليل أفعال الله وإثبات الحكمة فيها :

تقدم قول المعتزلة في هذه المسألة وكذلك رأي الأشاعرة الذي أيده الآمدي كما تقدم ولا داعي للإعادة ، والمقصود بيان موقف أهل السنة في هذه المسألة ، فهم يعتقدون أن كل ما خلقه الله تعالى فله فيه حكمة ، والحكمة تتضمن شيئين :

أحدهما : حكمة تعود إليه تعالى ، يحبها ويرضاها .

والثاني : حكمة تعود إلى عباده ، وهي نعمة عليهم ، يفرحون بها ، ويلتذون بها ، وهذا يكون في المأمورات وفي المخلوقات[(٣)] .

---

(١) مجموع الفتاوى - (٨/٦٧٧-٦٨٦،١١/٦٧٦-٦٧٧) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى - (٨/٩٠) قاعدة في المعجزات والكرامات - مجموع الفتاوى - (١١/٣٤٧-٣٥٥) ، منهاج السنة (١/٣١٦-٣١٧) الطبعة المحققة ، الدرء - (٨/٢٢،٤٩٢-٩/٤٩،٦٢) ، شرح الأصفهانية - (ص ١٦١) تحقيق مخلوف ، الرد على المنطقيين (ص ٤٢٠ - ٤٣٧) ، النبوات - (ص ١٣٩) ، الجواب الصحيح - (١/٣١٤-٣١٥) طبعة المجد ، مجموع الفتاوى - (١٦/٤٩٨) .

(٣) انظر شيخ الإسلام - مجموع الفتاوى - (٨/٣٥ - ٣٦) .

فهو « سبحانه حكيم ، لا يفعل شيئاً عبثاً ولا بغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل ، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل ، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل ، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا ، وهذا في مواضع لا تكاد تحصى »[1] .

وقد ذكر ابن القيم بعضها[2] ، منها قول الله تعالى :

﴿ حكمة بـٰلغة ﴾[3] .

وقوله تعالى :

﴿ ذٰلك لتعلموا أن الله يعلمُ ما في السمٰوٰت وما في الأرض ﴾[4] .

وقال سبحانه :

﴿ الله الذي خلق سبع سمٰوٰت ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله علىٰ كل شيءٍ قدير وأن الله قد أحاط بكل شيءٍ علما ﴾[5] .

وهذه اللام الواردة في أفعال الله وأحكامه هي لام الحكمة والغاية المطلوبة ، لا كما يراه الأشاعرة من أنها لام العاقبة والصيرورة كالمذكورة[6] في قوله تعالى :

﴿ فالتقطه ءَالُ فرعونَ ليكون لهم عدوًا وحزناً ﴾[7] .

فإن لام العاقبة إنما تكون في حق من هو جاهل أو عاجز عن دفعها فأما الجهل فكالمذكور في الآية السابقة من حال آل فرعون .

وأما العجز عن الدفع فكما في قول الشاعر :

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى ذهاب[8]

---

(١) ابن القيم – شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل – (ص ٤٠٠) – طبع دار التراث – القاهرة – مصر .

(٢) المصدر السابق – (ص٤٠٠ – ٤٣٤) .

(٣) سورة القمر – آية : ٥ .

(٤) سورة المائدة – آية : ٩٧ .

(٥) سورة الطلاق – آية : ١٢ .

(٦) انظر الشهرستاني – نهاية الإقدام – (ص ٤٠٤) .

(٧) سورة القصص – آية : ٨ .

(٨) البيت لأبي العتاهية ، وهو موجود في ديوانه (ص ٤٦) – طبع دار بيروت للطباعة والنشر – لبنان – ١٣٨٤ هـ .

وهذان المعنيان منتفيان قطعاً عن العليم والقدير سبحانه وتعالى .

ثم إنه ورد التعليل بغير حرف اللام ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ ما أفاء الله علىٰ رسوله من أهل القرىٰ فللّه وللرسوله ولذي القربىٰ واليتٰمىٰ والمسٰكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ (١).

فقد أتي بـ « كي » الصريحة في التعليل ، حيث علل سبحانه وتعالى قسمة الفي بين هذه الأصناف كي لا يتداوله الأغنياء دون الفقراء والأقوياء دون الضعفاء .

ومما هو صريح في التعليل قوله تعالى :

﴿ من أجل ذٰلك كتبنا علىٰ بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾ (٢).

وقد أنكر سبحانه أن يسوى بين المختلفين ، أو يفرق بين المتماثلين وإن حكمته وعدله يأبى ذلك ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين . مالكم كيف تحكمون ﴾ (٣).

وقوله :

﴿ دمر الله عليهم وللكٰفرين أمثالها ﴾ (٤).

وقوله :

﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً ﴾ (٥).

فالله تعالى يخبر أن حكم الشيء في حكمته وعدله حكم نظيره ومماثله .

كما أنكر سبحانه على من زعم أنه لم يخلق الخلق لغاية ولا لحكمة فقال عز من قائل :

﴿ أفحسبتم أنما خلقنٰكم عبثاً ﴾ (٦).

---

(١) سورة الحشر – آية : ٧ .

(٢) سورة المائدة – آية : ٣٢ .

(٣) سورة القلم – آية : ٣٥-٣٦ .

(٤) سورة محمد – آية : ١٠ .

(٥) سورة الإسراء – آية : ٧٧ .

(٦) سورة المؤمنون – آية : ١١٥ .

فإنكار الحكمة والتعليل في أفعال الله قول لا يعضده دليل وفيه سوء أدب في حقه تعالى [(١)].

٣- تكليف مالا يطاق :

الطاقة هي الاستطاعة ، والخلاف بين الطوائف قائم حول تحديد المقصود بما لا يطاق ، هل هو الممتنع عادة ، أم المستحيل كالجمع بين الضدين أو هو كتكليف الكافر وهو لا يؤمن .

وشيخ الإسلام يبين أن الخلاف ناتج عن عدم التفريق بين أمرين متعلقين بالنزاع في هذه المسألة :

١- ما يرجع إلى الفعل المأمور به ، وهذا فيما يتعلق بالقضاء والقدر .

٢- وما يرجع إلى جواز الأمر بالشيء وهذا فيما يتعلق بمسائل الأمر والنهي .

والذين خلطوا بين هذين القسمين وقعوا في المحذور ، مثل قياس بعضهم أمر الله الكافر بالإيمان مع علمه تعالى أنه لا يفعل بمسألة العاجز الذي لو أراد الفعل لم يقدر عليه ، وجعلهم القسمين قسماً واحداً ، وأنه تكليف بما لا يطاق .

فهذا جمع مخالف لما يعلم بالاضطرار من الفرق بينهما ، وهو من مثارات الأهواء بين القدرية والجبرية [(٢)].

وقد وقع الخلاف في تكليف ما لايطاق على أقوال :

١- جواز تكليف ما لا يطاق مطلقاً ، ومنه تكليف الأعمى البصر ، والزمن أن يسير إلى مكة ، وهذا قول جهم بن صفوان [(٣)].

٢- عدم جواز تكليف ما لايطاق ، وقد منعوه لقبحه عقلاً ، لأن تكليف ما لا يطاق قبيح ، والله لا يفعل القبيح ، وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم [(٤)].

---

(١) انظر الأدلة السابقة في تعليل أفعال الله وغيرها والتعليق عليها في شفاء العليل ، لابن قيم الجوزية فقد أجاد وأفاد - (ص ٤٠٠ - ٤٣٠) .

(٢) انظر ابن تيمية - درء التعارض - (٦٤/١-٦٥) .

(٣) انظر ابن تيمية - مجموع الفتاوى - (٢٩٧/٨) .

(٤) انظر القاضي عبد الجبار - شرح الأصول الخمسة - (ص ٣٩٦) ، والإيجي - المواقف - (ص ٣٣١) .

٣- أن تكليف ما لا يطاق جائز ، وهذا مذهب الأشاعرة ، وبنوا ذلك على ما في مذهبهم من أنه لا يجب على الله شيء ، ولا يقبح منه شيء لكن الأشاعرة يقولون ، إن ما لا يطاق أقسام :

أ - أن يمتنع الفعل لعلم الله بعدم وقوعه ، كتكليف الكافر الإيمان في حالة كفره ، وهذا جائز عند جميع الأشاعرة ، وهذا النوع هو ما لا يستطيعه المكلف لاشتغاله بضده فقط ، وهو الذي منعه المعتزلة [(١)].

ب - أن يمتنع الفعل لنفسه ، بكونه محالاً كالجمع بين الضدين ، وهذا اختلف فيه الأشاعرة ، منهم من أجازه كالرازي ومنهم من منعه [(٢)].

جـ - ألاّ تتعلق به القدرة الحادثة عادة ، كحمل الجبل ، والطيران ، فهذا يجوزه بعض الأشاعرة ، وإن لم يقع من خلال الاستقراء ، وبعض المجوزين يحتج لذلك بتكليف أبي لهب الإيمان مع ورود الخبر أنه لا يؤمن [(٣)].

٤- مذهب السلف : التفصيل :

وذلك أن يقال : تكليف ما لايطاق على وجهين :

أحدهما : ما لايقدر على فعله لاستحالته ، وهو نوعان :

أ - ما هو ممتنع عادة كالمشي على الوجه والطيران ، وكالمقعد الذي لا يقدر على القيام ، والأخرس الذي لا يقدر على الكلام .

ب - وما هو ممتنع في نفسه كالجمع بين الضدين ، وجعل المحدث قديماً والقديم محدثاً ، ونحو ذلك .

فهذا نوعان قد اتفق حملة الشريعة على أن مثل هذا ليس بواقع ، وأنه لا يجوز تكليفه [(٤)].

---

(١) انظر الإيجي - المواقف - (ص ٣٣١) .

(٢) انظر الجويني - الإرشاد - (ص ٢٢٦) وما بعدها - ، ومعالم أصول الدين للرازي - (ص٨٥-٨٦) ، طبع مكتبة الكليات الأزهرية ، والإيجي - المواقف - (ص ٣٣١) .

(٣) انظر ابن تيمية - مجموع الفتاوى - (٢٩٥/٨) ، الإيجي - المواقف - (ص ٣٣١) .

(٤) انظر ابن تيمية - مجموع الفتاوى - (٣٠١/٨) .

والثاني : ما لا يقدر عليه لا لاستحالته ، ولا للعجز عنه ، لكن لتركه والاشتغال بضده ، مثل تكليف الكافر الإيمان في حال كفره ، فهذا جائز خلافاً للمعتزلة ، لأنه من التكاليف الذي اتفق المسلمون على وقوعه في الشريعة .

ولكن إطلاق تكليف ما لايطاق على هذا مما منعه جمهور أهل العلم ، وإن كان بعض المنتسبين إلى السنة قد أطلقه في ردهم على القدرية [1].

بقي الكلام في ما احتج به بعض الأشاعرة من جواز تكليف الممتنع عادة بقصة أبي لهب [2]، فشيخ الإسلام يرى أن هذا خطأ ، لأن من أخبر الله أنه لا يؤمن وأنه يصلى النار ، بعد دعاء النبي ﷺ له إلى الإيمان ، فهذا قد حقت عليه كلمة العذاب ، فهو كالذي يعاين الملائكة وقت الموت ، فلم يبق هذا مخاطباً من جهة الرسول بالأمرين المتناقضين .

وهو أيضاً كقوم نوح حين أخبر الله نوحاً عليه السلام أنه لن يؤمن من قومه إلاّ من قد آمن ، فلم يكن بعد هذا يأمرهم بالإيمان بهذا الخطاب [3].

بل إذا قدر أنه أخبر بصليه النار المستلزم لموته على الكفر وأنه سمع هذا الخطاب ، ففي هذا الحال انقطع تكليفه ، ولم ينفعه إيمانه حينئذٍ ، كإيمان من يؤمن بعد معاينة العذاب .

قال تعالى :

﴿ فلم يك ينفعهم إيمـٰنهم لما رأوا بأسنا ﴾ [4].

فأبو لهب قد حقت عليه كلمة العذاب ، فلا ينفعه الإيمان [5].

---

(١) انظر القاضي أبي يعلى – المعتمد في أصول الدين – (ص ٤٦-١٤٧) ، وابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٠٣/٨) ، ودرء التعارض – (٦٠/١) .

(٢) انظر الرازي – معالم أصول الدين – (ص ٨٥) ، وابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٢٠٣/٨) .

(٣) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٠٢/٨) ، ودرء التعارض – (٦٣/١) .

(٤) سورة غافر – آية : ٨٥ .

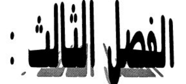
(٥) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٤٣٨/٨، ٤٧٣، ٤٧٤) ، درء التعارض – (٦٣/١-٦٤) .

وهكذا فالقول الراجح هو التفصيل فيها ، ومن ذلك يتبين خطأ المعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة ، علماً بأن من الأشاعرة من ذكر القول الحق بتفصيله في هذا المسألة [1].

هذه هي أهم الأصول التي بنى عليها الآمدي قوله في بعثة الرسل ، وهي وإن كانت ليست من مسائل النبوات ، إلاّ أنها ذات صلة قوية بموضوع النبوات كما سيتضح لك في الفصول القادمة أن الآمدي كثيراً ما يبطل حجج خصومه عن طريق عدم التسليم لهم بما ذهبوا إليه في تلك المسائل وكذلك شيخ الإسلام قد توسع كثيراً في مناقشة هذه المسائل في مباحث النبوات ، ومما سبق يتبين لنا أن الآمدي لم يسلك في تلك المسائل المسلك الصحيح الذي هو مسلك السلف – رحمهم الله تعالى – .

---

(١) انظر أبو يعلى – المعتمد في أصول الدين – (ص ١٤٦) ، والغزالي – الاقتصاد في الاعتقاد – (ص ١١٢-١١٤) – طبع دار الكتب العلمية ، وابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٨/٢٩٦،٤٦٩،٤٧٠) .



الفصل الثالث :

الوحي إمكانه وطرقه

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : مفهوم الوحي في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني : إمكان الوحي ووقوعه

- عند الآمدي
- عند أهل السنة والجماعة

المبحث الثالث : طرق الوحي

المبحث الرابع : موقف أهل السنة والجماعة

تمهيد :

إن الوحي هو لب النبوة وأساسها ولقد دخل كثير من الطاعنين في النبوة من باب إنكار الوحي سواء في إمكانه أو وقوعه ، وقد رأى بعضهم استحالة أن يتصل البشر بالخالق سبحانه بأي طريقة كانت ، ومن ثم ينهار أساس النبوة ، ولا شك أن إنكار ذلك مسألة خطيرة ، تؤدي إلى هدم جميع ما جاءت به الرسل والأنبياء من الشرائع والعقائد والغيبيات ، ويبقى المجال للعقل بعد ذلك مفتوحاً على مصرعيه ليصوغ تصوراته عن الخالق سبحانه والكون وما فيه ، ولكنه مهما أوتي من قوة لا يستطيع ذلك ، فالعقل له حدود يجب أن يقف عندها .

وفي مباحث هذه الفصل سوف أتحدث عن إمكان الوحي ووقوعه وطرقه ، وقبل ذلك سأتحدث عن تعريفه في اللغة والاصطلاح .

المبحث الأول :

مفهوم الوحي في اللغة والاصطلاح

المبحث الأول : مفهوم الوحي في اللغة والاصطلاح :

أ – الوحي في اللغة :

بتتبع كلمة الوحي ومشتقاتها في المعاجم اللغوية ، نجد أن أصل مادة الوحي من وَحَى الثلاثي ، أو أَوْحَى الرباعي ، والوارد في القرآن الفعل الرباعي ، كما في قوله تعالى :

﴿ وأوحى ربك إلى النحل ﴾ [1]، وقوله :

﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ [2]، وغيرها من الآيات كثير .

وأما اللغة الواردة في القرآن فبالألف ، وأما في غير القرآن العظيم فوحيت إلى فلان مشهورة ، ومنها قول الشاعر :

وحى لها القرار فاستقرت وشدَّها بالراسيات الثُّبَّتِ[3]

كما نجد أنها قد وردت بمعان كثيرة واستعمالات عديدة ، وأنها كلمة أصيلة في اللغة العربية ، فقد وردت بمعنى الإشارة السريعة والكتابة والرسالة والإلهام ، والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك [4].

الوحي بمعنى الكتابة والمكتوب والكتاب :

الوحي الكتاب ، وجمعه وُحِيٌّ ، مثل حَلْيٍ وحُلِيٍ[5]، وَوَحَى وَحْياً وأَوْحَى أيضاً أي كتب ، قال العجاج [6]:

---

(١) سورة النحل – الآية : ٦٨.

(٢) سورة الزلزلة – الآية : ٥ .

(٣) ابن منظور – لسان العرب – (١٥/٢٤٠) .

(٤) انظر ابن منظور – لسان العرب – (١٥/٢٣٩–٢٤٢) ، وإسماعيل الجوهري – الصحاح – تحقيق أحمد عبد الغفور عطار – (٦/٢٥١٩–٢٥٢٠) دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ، وأبو منصور محمد الأزهري ت ٣٧٠ هـ – تهذيب اللغة – (٥/٢٩٧) – تحقيق د/ عبد الله درويش – الدار المصرية للتأليف والنشر .

(٥) انظر الجوهري – الصحاح – (٦/٢٥١٩) .
انظر الزركلي – الأعلام – (٤/٨٦–٨٧) .

(٦) هو عبد الله بن رؤبة بن لبيد التميمي أبو الشعثاء العجاج ، راجز مجيد من الشعراء ولد في الجاهلية ثم أسلم ، وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك ، توفي نحو ٩٠ هـ .
انظر الزركلي – الأعلام – (١٤/٨٦–٨٧) .

حتى نَحاهُمْ جدُّنا والنَّاحِي

لِقَدَرٍ كَانَ وحَاه الوَاحِي

بِثَرْمَداء جَهْرَة الفِصَاحِ [1]

والوحي المكتوب والكتاب ، ومن ذلك قول لبيد[2] :

فَمَدافِعُ الرَّيان عُرِّيَ رَسْمُهَا

خَلَقاً كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها

أراد ما يكتب في الحجارة وينقش عليها [3].

« قال الحرث الأعور : قال علقمة : قرأت القرآن في سنتين ، فقال الحرث : القرآن هين الوحي أشد منه .

أراد بالقرآن القراءة ، وبالوحي الكتابة والخط » [4]، « يقال وحيت الكتاب وحياً ، فأنا واحٍ » [5].

ومنه قول الشاعر :

وحى لها القرار فاستقرتِ وشدَّها بالراسيات الثُّبَّتِ

أي كتب لها القرار [6].

الوحي بمعنى الإلهام :

يأتي الوحي بمعنى الإلهام ، فيقال أوْحى إليه بمعنى ألهمه [7]، ومنه قوله تعالى :

---

(١) انظر ابن منظور – لسان العرب – (١٥/٢٤٠) .

(٢) هو لبيد بن ربيعة بن مالك ، أبو عقيل العامري ، أحد أصحاب المعلقات السبع ، صحابي مخضرم ترك الشعر بعد إسلامه ، وكان كريماً شجاعاً ، سكن الكوفة ، وعاش طويلاً توفي سنة ٤١ هـ .

انظر عبد القادر البغدادي – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – (١/٣٣٧-٣٣٩) طبع بمصر ١٢٩٩ هـ .

(٣) ابن منظور – لسان العرب – (١٥/٢٤٠) .

(٤) انظر ابن الأثير – النهاية في غريب الحديث – (٥/١٦٣) .

(٥) ابن منظور – لسان العرب – (١٥/٢٤٠) .

(٦) انظر الأزهري – تهذيب اللغة – (٥/٢٩٦) .

(٧) ابن منظور – لسان العرب – (١٥/٢٤٠) ، والأزهري – تهذيب اللغة – (٥/٢٩٦) .

﴿ وإذ أوحيتُ إلى الحواريّن أن ءامنوا بي وبرسولي ﴾ [1].

وقوله :

﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ...﴾ [2].

كما أنه يأتي بمعنى الإلهام للحيوان ومنه قوله تعالى :

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً .... ﴾ [3].

الوحي بمعنى الإشارة أو الأمر :

قال الفراء[4] في قوله تعالى :

﴿ فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً ﴾ [5].

أوحى إليهم أشار إليهم ، والعرب تقول أَوْحى وَوَحَى [6]، وفي تفسير هذه الآية أن زكريا أشار إليهم إشارة خفية سريعة و لم يتكلم [7].

قال أبو الهيثم :

« يقال وحيتُ إلى فلان أحي إليه وَحْياً وأَوْحت إليه أُوحي إيحاءً إذ أشرتَ إليه وأَوْمَأْتَ » [8].

وقال بعضهم في قوله تعالى :

﴿ وإذ أوحيتُ إلى الحواريّن ... ﴾ ، ومثله قول الشاعر :

وحى لها القرار فاستقرت

---

(١) سورة المائدة – الآية : ١١١ .

(٢) سورة القصص – الآية : ٧ .

(٣) سورة النحل – الآية : ١٦٨ .

(٤) هو يحيى بن زياد الديلمي ، أبو زكريا ، المعروف بالفراء ، إمام الكوفيين ، وأعلمهم بالنحو واللغة والأدب ، وكان مع تقدمه باللغة ، فقيهاً ، متكلماً ، عالماً بأيام العرب وأخبارها ، توفي سنة ٢٠٧ هـ .

انظر ابن الجزري – غاية النهاية في طبقات القراء – (٣٧١/٢) – طبع بمصر سنة ١٣٥١ هـ .

(٥) سورة مريم – آية : ١١ .

(٦) الأزهري – تهذيب اللغة – (٢٩٧/٥) .

(٧) انظر ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (١١٩/٣) دار المعرفة – بيروت – ١٤١٣ هـ .

(٨) الأزهري – تهذيب اللغة – (٢٩٧/٢) .

إن المراد به الأمر بمعنى أمر الأرض بأن تستقر ، والحواريين بأن يؤمنوا به سبحانه وبرسوله عليه الصلاة والسلام [1].

الوحي بمعنى الكلام الخفي والإيماء بالجوارح :

وَحَى إليه وأَوْحَى ، كلمه بكلام يخفيه من غيره ، ووحى إليه وأَوْحى أَوْمَأَ ، ومنه قول الشاعر :

فقال لها وقد أَوْحَت إليه ألا لله أمك ما تعيفُ

أَوْحَت إليه أي كلمته [2].

ومثله وحي الإيماء بالجوارح ويدل عليه قول الشاعر :

نظرت إليها نظرة فتحيرت دقائق فكري في بديع صِفاتها [3]

قال ابن الأنباري :

« في قولهم أنا مؤمن بوَحْي الله قال سمي وحياً لأن الملك أسره على الخلق وخص به النبي عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى :

﴿ وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدواً شياطين الإنسِ والجنِّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غُروراً ﴾[4].

معناه يُسر بعضهم إلى بعض بكلام خفي [5]» .

الوحي بمعنى الرسالة :

يأتي الوحي بمعنى الرسالة والبعث ، قال ابن الأعرابي :

« أوحى الرجل إذا بعث برسول ثقة إلى عبد من عبيده ثقة » [6].

---

(١) انظر ابن منظور – لسان العرب – (٢٤٠/١٥) ، والأزهري – تهذيب اللغة – (٢٩٧/٥) .

(٢) انظر ابن منظور – لسان العرب – (٢٤٠/١٥) .

(٣) محمد رشيد رضا – الوحي المحمدي – (ص ٤٣) الطبعة العاشرة – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م – بيروت – المكتب الإسلامي ، ود/ صبحي الصالح – مباحث في علوم القرآن – (ص ٢٤) – الطبعة الأولى – ١٩٧٧م – دار العلم للملايين .

(٤) سورة الأنعام – آية : ١١٢ .

(٥) ابن منظور – لسان العرب – (٢٤٠/١٥) .

(٦) المصدر السابق .

الوحي بمعنى العجلة والسرعة :

« الوحي العجلة يقولون : الوَحْى الوَحْى والوَحاء الوَحاء يمد ويقصر ، يعنى البدار البدار ، والوحاء الوحاء يعنى الإسراع [1]، واستوحيناهم أي استصرخناهم[2] ، وتقول العرب تَوحَّ ياهذا في شأنك أي أسرع » [3].

الوحي بمعنى التصويت والصوت :

يأتي الوحي كذلك بمعنى التصويت شيئاً بعد شيء ، ولذلك تقول العرب وحيتُ إليه ووحيتُ له وأَوْحَيْتُ إليه وله ، ووحيتُ لك بخبر كذا بمعنى صوت به رويداً [4].

والوحي ، مثل الوغى : الصوت ، قال الشاعر :

مَنَعْنَاكُمْ كَرَاءَ وَجَانِبَيْهِ　　　كَمَا مَنَعَ العرينُ وَحَى اللُّهَامِ

قال النضر :

سمعت وَحَاةَ الرَّعْدِ ، وهو صوته الممدود الخفي [5].

وغاية ما ننتهى إليه مما سبق عرضه للمعاني اللغوية لكلمة الوحي ، أن كل ما دللت به من كلام أو كتابة أو رسالة أو إشارة فهو وحي ، وأن أصل الوحي في اللغة هو الإعلام في خفاء وسرعة ، وبأي واسطة حصل [6].

---

(١) المصدر السابق – (٢٤١/١٥) .
(٢) الجوهري – الصحاح – (٢٥٢٠/٦) .
(٣) ابن منظور – لسان العرب – (٢٤١/١٥) .
(٤) المصدر السابق .
(٥) الجوهري – الصحاح – (٢٤١/٦) .
(٦) انظر ابن حجر – فتح الباري – (٩/١) – دار الفكر – الطبعة السلفية ، وأبو بكر جابر الجزائري – عقيدة المؤمن – (ص ٢٥١) ، وأحمد محمد علي – علوم القرآن والحديث – (ص ٢٤) – دار البشير – عمان – الإردن – ١٩٨٤ م .

الوحي في الاصطلاح :

عرف أبو الحسن الآمدي الوحي بأنه كلام الله تعالى[1] دون تفصيل في استعمالاته ، وتعريفه للوحي مطابق لتعريف الفخر الرازي .

فالرازي أيضاً عرف الوحي بأنه كلام الله تعالى[2] ، ولكن هل تعريف الآمدي للوحي يعد مرضيًّا عنه من الناحية الاصطلاحية ، وهل هناك تعريفات أخرى للوحي هذا ما سوف نعرفه من خلال عرض تعريف الآمدي على جملة من التعريفات التي ذكرها أهل العلم .

وسوف أشير إلى البعض منها مع بيان التعريف الراجح ومدى قربه من تعريف الآمدي من عدمه .

وقد لخص الشيخ محمد محمد أبو شهبة رحمة الله آراء المتكلمين في المسألة مع بيان التعريف الوارد عن السلف [3]، وسوف أذكرها مع التعليق بإيجاز إذ المقام يقتضي ذلك :

١- إعلام الله أنبيائه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة [4].

وقد روعي في هذا التعريف المعنى المصدري ، وهو أخص من المعنى اللغوي لخصوص مصدره ومورده ، فقد خص المصدر بالله سبحانه وتعالى ، وخص المورد بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام [5].

٢- الوحي عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من عند الله سواء أكان الوحي بواسطة أم بغير واسطة [6].

---

(١) انظر الآمدي – غاية المرام – (ص ١١١ ، ٣٢٥) .

(٢) انظر الرازي – التفسير الكبير – (٢٢٤/١٩) .

(٣) انظر د/ محمد بن محمد أبو شهبة – المدخل لدراسة القرآن – (ص ٧٩) – مكتبة السنة – الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م – القاهرة – مصر .

(٤) انظر الشيخ عبد الرزاق عفيفي – مذكرة التوحيد – (ص ٣٤) ، والشيخ د/ أبو شهبة – المدخل لدراسة – القرآن – (ص ٧٩) .

(٥) الشيخ د / أبو شهبة – المدخل لدراسة القرآن – (ص ٧٩) .

(٦) الشيخ محمد عبده – رسالة التوحيد – (ص ١٠٣) .

وقد روعي في هذا التعريف المعنى الحاصل بالمصدر[1]، وقد اعترض على هذا التعريف بأنه : « ليس مانعاً من دخول المعاني الدخيلة على الحقيقة الدينية الصحيحة للوحي » ، ففيه مسحة فلسفية فهو يشمل الوحي النفسي أو الإلهام الذاتي ، الذي يفيض من استعداد النفس العالية الذي قال به الغربيون في حق نبينا عليه الصلاة والسلام : « فقالوا : إن محمداً يستحيل أن يكون كاذباً فيما دعى إليه من الدين القويم ، والشرع العادل ، والأدب السامي ، وصوره من لا يؤمنون بعالم الغيب منهم أو باتصال عالم الشهادة به : بأن معلوماته وأفكاره وآماله ولدت له إلهاماً فاض من عقله الباطن أو نفسه الخفية الروحانية العالية على مخيلته السامية ، وانعكس إعتقاده على بصره ، فرأى الملك ماثلاً له على سمعه ، فوعى ما حدثه الملك به »[2]، حيث لم يتبين لهم الفرق بين الإلهام الذي يقذفه الله في قلوب الأنبياء على وجه العلم الضروري الذي لا يمكن دفعه ولا يتطرق إليه الشك ، وبين الإلهام الذاتي أو الوحي النفسي ، الذي يتطرق إليه الإحتمال والشك[3].

٣- الوحي هو كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه بطريقة من طرق الوحي[4].

وهو تعريف للوحي بالشيء الموحي به من الله سبحانه ، وهذا التعريف هو التعريف الوارد عن السلف ، حيث روي عن الإمام الزهري[5] أنه سئل

---

(١) انظر الشيخ أبو شهبة – المدخل لدراسة القرآن – (ص ٧٩) .

(٢) محمد رشيد رضا – الوحي المحمدي – (ص ٤٥) .

(٣) عبد الله بن عثمان الكوكي – الوحي عند أهل الكتاب – (ص ٥) – رسالة دكتوراه ، بإشراف الأستاذ الدكتور بركات دويدار – كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى – مكة المكرمة .

(٤) أحمد محمد علي داود – علوم القرآن والحديث – (ص ٢٤) .

(٥) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري القرشي المدني ، ولد في خلافة معاوية رضي الله عنه ، في سنة ٢٠ هجرية ، إمام حافظ ، حفظ القرآن في ثمانين يوماً ، روى الحديث عن كثير من الصحابة ، توفي رحمه الله سنة ١٢٤ هـ في شهر رمضان بقرية بين فلسطين والحجاز .

انظر أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني ت ٤٣٠ هـ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – (٣٦٠/٣-٣٨١) – طبع دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة – ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م ، وابن سعد – الطبقات الكبرى – (٢٩٦/٢) تحقيق محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م – بيروت – لبنان .

عن تفسير قوله تعالى :

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليٌّ حكيم ﴾ [(1)]، قال :

« نزلت هذه الآية تعم من أوحى الله إليه من النبيين ، فالكلام كلام الله الذي كلم به موسى من وراء حجاب ، والوحي ما يوحي الله به إلى نبي من أنبيائه ، فيثبت الله ما أراد من وحيه في قلب النبي فيتكلم به النبي ، ويعيه وهو كلام الله ووحيه ، ومنه ما يكون بين الله ورسله لا يكلم به أحداً من الأنبياء ، ولكنه سر غيبي بين الله ورسله ، ومنه ما يتكلم به الأنبياء عليهم السلام ولا يكتبونه لأحد ويأمرون بكتابته ولكنهم يحدثون به الناس حديثاً ، ويبينون لهم أن الله أمرهم أن يبينوه للناس ويبلغوهم به .

ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء ممن اصطفى من ملائكته فيكلمون به أنبياءه ، ومن الوحي ما يرسل به من يشاء فيوحون به وحياً في قلوب من يشاء من رسله » [(2)].

ونقل شيخ الإسلام كلام الإمام الزهري الآنف الذكر ثم ذكر التعريف التالي حيث قال رحمه الله :

« والوحي ما يوحي الله إلى النبي من أنبيائه – عليهم السلام – ليثبت الله عز وجل ما أراد من وحيه في قلب النبي ويكتبه وهو كلام الله ووحيه » [(3)].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني نحو هذا التعريف وذلك بعد ذكره للمعاني اللغوية لكلمة الوحي :

« وشرعاً الإعلام بالشرع ، وقد يطلق ويراد به اسم المفعول – أي الموحى ، وهو كلام الله المنزل على النبي – ﷺ – » [(4)].

(1) سورة الشورى – آية : ٥١ .

(2) رواه أبو بكر بن الحسين الآجري – الشريعة – (ص ٤٥٢ – ٤٥٣) تحقيق محمد حامد الفقي – الطبعة الأولى – ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، وعزاه السيوطي في الإتقان في علوم القرآن إلى ابن أبي حاتم – (١٢٨/١) .

(3) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٩٧/١٢) .

(4) ابن حجر العسقلاني – فتح الباري – (٢٩/١) .

وقد أورد السيوطي هذا التعريف في كتابه الإتقان في علوم القرآن فقال :
سئل الزهري عن الوحي فقال :

« الوحي ما يوحي الله إلى نبي من أنبيائه فيثبته في قلبه ، فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله ، ومنه ما لا يتكلم به ، ولا يكتبه لأحد ، ولا يأمر بكتابته ، ولكنه يحدث به الناس حديثاً ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إيَّاه »[1].

وبعد عرض التعريفات السابقة يتضح لنا أن علماء السلف قد عرَّفوا الوحي بأنه كلام الله ، وهو تعريف للوحي بالشيء الموحى به ، وهو كلامه سبحانه[2]، فإن ما يوحي به من الكلام عن طريق الملك أو غيره هو كلام الله على الحقيقة لا كلام غيره ، منه بدأ وإليه يعود [3].

وبذلك يكون الآمدي بتعريفه للوحي موافقاً للسلف من الناحية الاصطلاحية إذ أنه يتفق معهم بأن الوحي هو كلام الله ، مع خلافهم معه في حقيقة الكلام .

كما أننا نجد أن السلف لم يقتصروا في تعريفهم على الوحي المتلو للتعبد باللفظ والمعنى وهو القرآن الكريم ، بل أدخلوا معه السنة النبوية المشرفة فهي وحي منزل من الله ، المعنى من الله والألفاظ من الرسول عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى :

﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحي يوحى ﴾ [4].

قال حسان بن عطية[5] :

---

(١) جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ – الإتقان في علوم القرآن – (١٢٨/١) – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث – القاهرة – مصر – ١٩٦٧ م .

(٢) الشيخ د/ أبو شهبة – المدخل لدراسة القرآن الكريم – (ص ٧٩) .

(٣) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (١٧٦،١٧٥،١٤٤/٣) .

(٤) سورة النجم – آية : ٣-٤ .

(٥) هو حسان بن عطية المحاربي مولاهم أبوبكر الدمشقي ، ثقة فقيه عابد ، مات بعد العشرين ومائة ، سئل الأوزاعي عنه فقيل حسان عن من فقال أم مثل حسان يسئل عن من .
انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٤٦٦/٥) .

« كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن »[(١)].

ولما كان عبد الله[(٢)] بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يكتب الأحاديث في بداية تدوين السنة النبوية ، نهاه أشياخ قريش من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين عن ذلك ظناً منهم أن النبي ﷺ عندما يغضب قد يقول بأشياء تخالف الشرع [(٣)]، فذكر عبد الله ذلك لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، فأومأ باصبعه إلى فيه وقال :

« اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق »[(٤)].

وفي نهاية المطاف نخلص إلى أن الوحي الشرعي لا يخرج عن نطاق المعنى اللغوي ، وأن الفرق بينهما هو من باب العام والخاص ، فالوحي من الناحية اللغوية عام يشمل كل إعلام بخفاء ، والوحي بالمعنى الشرعي خاص لا يتناول إلاّ ما كان من الله لنبي من الأنبياء [(٥)].

---

(١) رواه الدارمي في سننه باب السنة قاضية على كتاب الله – (١٧٧/١) ، والخطيب في الكفاية في علم الرواية – (ص ٢٧) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله – (١١٩٣/٢) ، واللالكائي – شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة – (٩٣/١) ، وذكر ابن حجر أن البيهقي أخرجه بسند صحيح – فتح الباري – (٢٩١/١٣) .

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، أبو محمد ، صحابي جليل أسلم قبل أبيه ، كان يصغر أباه بثلاث عشرة سنة ، مات سنة ٦٨ هـ وعمره قد تجاوز التسعون سنة .

انظر ابن حجر – تقريب التهذيب – (ص ٣١٥) ، وابن القيسراني ت ٥٠٧ هـ – الجمع بين رجال الصحيحين – (٢٣٩/١) – الطبعة الأولى – ١٣٢٣ هـ – حيدر آباد الدكن – الهند .

(٣) انظر د/ محمد عجاج الخطيب – السنة قبل التدوين – (ص ٣٠٣ وما بعدها) – دار الفكر – ١٩٩٣ – ١٤١٤ هـ – بيروت – لبنان ، ود/ محمد مطر الزهراني – تدوين السنة النبوية – (ص ٦٥-٧٥) – دار الهجرة – الطبعة الأولى – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م – الرياض المملكة العربية السعودية .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده – (١٦٣/٢) ، والدارمي في سننه – باب من رخص في كتابة العلم – (١٠٣/١) ، ورواه أبو داود في كتاب العلم من سننه – (٦٠/٤) ، والخطيب البغدادي في تقييد العلم (ص ٧٤-٨١) .

(٥) انظر د / محمد حسين الذهبي – الوحي والقرآن الكريم – (ص ٨) – مكتبة وهبة – الطبعة الأولى – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م – مصر – القاهرة .

المبحث الثاني :

إمكان الوحي ووقوعه

المبحث الثاني : إمكان الوحي ووقوعه :

الناس أمام إمكان الوحي ووقوعه بالفعل على قسمين :

القسم الأول : أصحاب الديانات السماوية آمنوا بها وأذعنوا لها ، وهؤلاء مؤمنون بالوحي وإمكانه ووقوعه ، لأن ذلك يعتبر نتيجة حتمية لإيمانهم برسلهم ، فالوحي في أي صورة من صوره هو الوسيلة الوحيدة لتلقي الرسالات عن الرب سبحانه ، وهذه الطائفة لا كلام لنا معها في إمكان الوحي ووقوعه ، فالجميع متفقون على أنه لا يستحيل عقلاً في أن « يختص واهب النعم ، ومفيض الخير ، بعض عباده بسعة في الفكر ، ورحابة في الصدر وكمال صبر ، وحسن قيادة ، وسلامة في الأخلاق ، ليعدهم بذلك لتحمل أعباء الرسالة ويكشف لهم عما أخفاه عن غيرهم ، ويوحي إليهم بما فيه سعادة الخلق وصلاح الكون ورحمة للعالمين وإعذاراً إلى الكافرين وإقامة للحجة على الناس أجمعين » [1].

القسم الثاني : المنكرون للوحي أو استبعاد حصوله ، وهؤلاء على طائفتين اثنتين ، أما الأولى منهما فلم ينكر أصحابها الوحي مطلقاً ، وإنما إنكارهم إنصبَّ على بشرية الأنبياء والرسل ، فهم يظنون حسب زعمهم أن ذلك من مهام الملائكة ، وأن البشرية تنافي الرسالة ، فمهما صفت روح الإنسان ، وسمت نفسه واتسعت مداركه ، فهو في نظرهم أقل من أن يكون أهلاً لأن يوحي الله إليه ، وأحقر من أن يختاره الرب جل وعلا لتحمل الرسالة وأعبائها [2] ، وقد سجل لنا القرآن الكريم محاورة هذه الطائفة للرسل والأنبياء ومجادلتهم لهم في هذه القضية ، قال تعالى :

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلىٰ قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلاَّ الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلاَّ بشراً مثلنا وما نراك إتبعك إلاَّ الذين هم أراذِلُنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كـٰذبين ﴾ [3].

(١) الشيخ عبد الرزاق عفيفي – مذكرة التوحيد – (ص ٣٤) .

(٢) المصدر السابق بتصرف .

(٣) سورة هود – آية : ٢٥–٢٧ .

وقال تعالى :

﴿ كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلٰلٍ وسُعُر أءُلقيَ الذكرُ عليه من بيننا بل هو كذابٌ أشر ﴾ [(1)].

وقال تعالى :

﴿ واضرب لهم مثلاً أصحٰب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلاّ بشرٌ مثلنا وما أنزل الرحمٰن من شيء إن أنتم إلاّ تكذبون ... ﴾ [(2)].

وقال تعالى :

﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتٰب الذي جاء به موسىٰ نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ... ﴾ [(3)] .

إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على أن إنكار الأمم لم يكن لأصل الوحي ولا لحاجتهم إليه ، إنما كان بسبب أن الرسول المبعوث كان من جنس البشر ، وهذا لا يعني أن هذا السبب الوحيد بل هو يحدثنا القرآن الكريم أن أئمة الكفر وزعماء الضلالة كانوا يوقنون بإمكان أن يوحي الله إلى نبي من البشر ، غير أنهم جحدوا ذلك بألسنتهم حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، وتمويهاً على العوام من الناس ، وخداعاً لضعفاء العقول ، وتلبيساً عليهم خشية أن يسارعوا إلى دعوة الحق ، وقد بدت منهم أمور تؤيد ذلك وتشير إلى ما تكنه صدورهم من الحسد والكبر فكيف يؤتي الله الرسل ما آتاهم من الفضيلة والمنزلة العالية الرفيعة ، بينما لم ينالوا هم شيئاً من ذلك .

قال الله تعالى :

﴿ وإذا جاءتهم ءاية قالوا لن نؤمن حتىٰ نؤتىٰ مثل ما أُوتي رُسُلُ الله . الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ [(4)].

(1) سورة القمر – آية : ٢٣-٢٥ .

(2) سورة يس – آية : ١٣-١٥ .

(3) سورة الأنعام – آية : ٩١ .

(4) سورة الأنعام – آية : ١٢٤ .

وقال تعالى :

﴿ وقالوا لولا نزل هٰذا القرءان علىٰ رجل من القريتين عظيم ﴾ [(1)].

وقال تعالى :

﴿ ونادى فرعون في قومه قال يٰقوم أليس لي ملك مصر وهٰذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خيرٌ من هٰذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملٰئكة مقترنين ﴾ [(2)].

وقد اقتضت حكمة الرب سبحانه وتعالى أن يبعث في الناس رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وليكون ذلك أدعى لأخذ أمته عنه وأنسب لفهمها منه ، ولمزيد التناسب ، ولمكان الإلف بين أفراد النوع الواحد ، ولو كان سكان الأرض ملائكة لأرسل الله إليهم رسولاً من جنسهم ، أما وأن الذين يسكنون الأرض بشر فرحمة الله اقتضت أن يكون رسولهم من جنسهم [(3)].

قال تعالى :

﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمرُ ثم لا يُنظَرُون ولو جعلنٰه مَلَكاً لجعلنٰه رَجُلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ [(4)].

وقال تعالى :

﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ﴾[(5)].

والصابئة قديماً أنكروا إمكانية الإتصال بين البشر وبين الله تعالى ومن ثم أنكروا الوحي والنبوة ، وقد نقل لنا الآمدي بعض الشبه التي أثاروها ، مشككين في تأكيد الموحي إليه – وهم الأنبياء – بأنهم يسمعون كلام الله تعالى .

(1) سورة الزخرف – آية : ٣١ .

(2) سورة الزخرف – آية : ٥١-٥٣ .

(3) الدكتور عمر سليمان الأشقر – الرسل والرسالات – (ص ٧٠ – ٧٣) – مكتبة الفلاح – الطبعة الثالثة – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م – حولي – الكويت .

(4) سورة الأنعام – آية : ٨-٩ .

(5) سورة آل عمران – آية ١٦٤ .

وقد صور لنا الآمدي شبهتهم ، والتي مفادها أن الرسول إذا سمع الوحي من الملك ، كيف يعرف أن المخاطب له من قبل الله وما الذي يؤمنه من أن يكون المخاطب له شيطاناً مضلاً لا ملكاً معصوماً خصوصاً وأن أهل الإسلام قاطبة يومنون بالجن ، ومادام الأمر كذلك فإما أن تقولوا بإنكار الجن ، وقد دل كتابكم عليه ، وإن قلتم بالجن فالاحتمال باقي على أن يكون المخاطب له جنياً ومع هذا الاحتمال فلا وثوق له برسالته[1].

قال الآمدي :

« فإنهم قالوا النبوة ليست من صفة راجعة إلى نفس النبي بل لا معنى لها إلا التنزيل من عند رب العالمين ، وعند ذلك فالرسول لابد له أن يعلم أنه من عند الله تعالى ، وذلك لا يكون إلاّ بكلام ينزل عليه أو بكتاب يلقي إليه ، إذ المرسل ليس بمحسوس ولا ملموس ، وما الذي يومنه من أن يكون المخاطب له ملكاً أو جنياً ؟ وما ألقي إليه ليس هو من عند الله تعالى ؟

ومع هذه الاحتمالات فقد وقع شكه في رسالته وامتنع القول الجزم بنبوته[2].

هذا وقد أورد هذه الشبهة غير واحد من المتكلمين منهم الإيجي :

« المبعوث لابد أن يعلم أن القائل له أرسلتك هو الله ولا طريق إلى العلم به إذ لعله من إلقاء الجن ، فإنكم أجمعتم على وجوده » [3].

وقد أجاب الآمدي عن هذه الشبهة :

بأن الله سبحانه وتعالى قادر على نصب الدليل للنبي على أن الآتي إليه بالوحي ملك لا شيطان ، وذلك بأن يظهر الله له الآيات والدلائل التي تتقاصر عن الإتيان بمثلها جميع المخلوقات . فإن ذلك غير ممتنع عقلاً فكما أنه نصب لنا سبحانه الدليل على أن الرسول صادق وليس بكاذب ، فهو قادر سبحانه على نصب الدليل للنبي على أن الجائي إليه رسول منه سبحانه [4].

---

(١) انظر الآمدي - أبكار الأفكار - (١٠٧/٢ - ق ب ، ١٠٨ - ق أ) ، وغاية المرام .

(٢) الآمدي - غاية المرام - (ص ٣٢٠) .

(٣) الإيجي - المواقف - (ص ٣٤٢ - ٣٤٣) ، وقارن الرازي - التفسير الكبير - (١٨٦/٢٧) ، والباقلاني - التمهيد - (ص ١٠٠) ، والشهرستاني - نهاية الإقدام - (ص ٤١٩) .

(٤) انظر الآمدي - غاية المرام - (ص ٣٢٤) ، والأبكار - (١١٤/٢ - ق أ) .

قال الآمدي :

« قولهم فما الذي يؤمنه أن يكون المخاطب له جنياً وأن ما ألقي إليه ليس من عند الله قلنا غير ممتنع أن يعلم أن المرسل له هو الله تعالى ويحصل له اليقين ، وذلك بأن يظهر الله آيات ودلائل ومعجزات تتقاصر عن الإتيان بمثلها جميع المخلوقات تكون دالة على علمه بذلك أو بأن يكون ما أنزل عليه وألقي إليه يتضمن الأخبار عن الغائبات والأمور الخفيات التي لا يمكن معرفتها بغير الله تعالى وهي واقعة على ما أخبر به أو بأن يخلق الله له العلم الضروري بذلك أن الله على كل شيء قدير »[1].

هذا وقد ورد الجواب عن هذه الشبهة لدى جمهور المتكلمين بنفس هذا المعنى الذي ذكره الآمدي .

قال البغدادي :

« لابد للرسول من حجة وبرهان يعلم به أن الله تعالى قد أرسله . ويصح علمه بذلك من وجوه : منها أن يخاطبه الله عز وجل بلا واسطة ويخلق في قلبه علماً ضرورياً يعلم به أن الذي يخاطبه ربه لا غيره ، كما خاطب آدم حين نفخ فيه الروح وأعلمه بالضرورة معرفة ربه وأنه هو الذي خلقه وخاطبه . وعلمه في الحال الأسماء كلها علماً ضرورياً غير مكتسب .

ومنها أن يخاطبه بلا واسطة ويظهر في تلك الحال دلالة تدل على أن المخاطب هو الله تعالى من الأدلة الناقضة للعادة كما فعله بموسى عليه السلام عند إرساله إياه إلى فرعون فإنه خاطبه بلا واسطة وأظهر له معجزات ، استدل بها على أن الله تعالى هو الذي خاطبه ، كحل العقدة من لسانه واليد البيضاء وقلب العصا حية ونحو ذلك .

ومنها أن يرسل الله ملكاً إلى الرسول ويأمره بالرسالة ويظهر عند إرسال الملك معجزة يعلم بها أن الذي أتاه ملك وليس بشيطان »[2].

---

(١) الآمدي – أبكار الأفكار – (١١٤/٢ ق أ) .

(٢) البغدادي – أصول الدين – (ص ١٥٦ – ١٥٧) ، وقارن الباقلاني – التمهيد – (ص ١٠١) ، والإيجي – المواقف – (ص ٣٤٣) ، والتفتازاني – شرح المقاصد – (٨/٥ – ٩) .

أما الطائفة الثانية : فقد أنكرت الوحي مطلقاً ، وذهبت إلى إستحالته ، وهم جماعة من الفلاسفة الغربيين « في الفترة من أوائل القرن السادس عشر إلى قريب من منتصف القرن التاسع عشر » ، ذهبوا بدافع من المادية المشككة والتي كانت طاغية في أروبا في تلك الحقبة ، « إلى أن مسألة الوحي من بقايا الخرافات القديمة ، وتغالت حتى أنكرت الخالق والروح معاً ، وعللت ما ورد من الوحي في الكتب القديمة بأنه : إما اختلاق من المتنبئة أنفسهم ، لجذب الناس إليهم وتسخيرهم لمشيئتهم ، وإما هذيان يعتري بعض العصبيين فيخيل إليهم أنهم يرون أشباحاً تكلمهم ، وهم لا يرون في الواقع شيئاً » [1].

وسبب إنكار هذه الطائفة للوحي هو إنكارهم لوجود الخالق ووجود الروح ، فلا بد لنا قبل إثبات فساد قولهم أن نثبت لهم الدليل على وجود الباري سبحانه ، ثم الدليل على وجود الروح والتدليل على الوحي الذي أنكروه وجحدوه إن الدليل على وجود الباري سبحانه الفطرة المركوزة في الإنسان ، فالله عز وجل أودع في أعماق الإنسان معرفة خالقه وغرس فيه الاتجاه إليه عند الشدة ، « فالطفل إذا بلغ سن الفهم والمعرفة يبدأ في إلقاء أسئلة على أبويه لا يوجد لها إجابة إلا أن يقول « الله » وهذا يعني أن في أعماق الطفل إحساساً بخالقه وصانعه وخالق الكون وصانعه » [2].

والأدلة الأخرى ، نقرؤها في كتاب الكون المنظور والمفتوح دائماً أمام أبصارنا وبصائرنا ، بما فيه من الآيات الدالة على أن وراء هذا الكون إله حكيم عليم سبحانه ، ثم نقرؤها بعد ذلك منطقاً سليماً فيما قرره علماء العقيدة في مباحث التوحيد ، وإن كانت المسألة في أساسها مسألة فطرية فطر الله الناس عليها ، فلا تحتاج إلى دليل .

قال تعالى :

---

(١) الأستاذ محمد فريد وجدي – دائرة المعارف – (١٠/٧١٢-٧١٣) ، وانظر الدكتور محمد عبد الله دراز – النبأ العظيم – (ص ٦٧) – دار القلم – الطبعة السادسة – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م – الكويت .

(٢) د/ أحمد بن سعد حمدان – فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها – (ص ٢٠) – الطبعة الأولى – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م – دار طيبة – الرياض – المملكة العربية السعودية .

﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السمٰوٰت والأرض .. ﴾[1].

وقال تعالى :

﴿ ولئن سألتهم من خلق السمٰوٰت والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾[2].

وقال تعالى :

﴿ ولئن سألتهم من خلق السمٰوٰت والأرض ليقولن الله ﴾[3].

وأما عن وجود الروح ، فقد ثبت ذلك ثبوتاً علميًّا تجريبيًّا لا شك فيه ، يذكر الأستاذ محمد فريد وجدي[4] في دائرة المعارف أن لفيفاً من أساتذة الجامعات في الدول الغربية ألفوا في سنة ١٨٨٢ م جمعية دعيت باسم « جمعية المباحث النفسية » كان الغرض منها :

« البت في المسألة الروحية ، وتحقيق حوادثها بأسلوب النقد الصارم ، وحكم بقبولها نهائياً في العلم إن كانت حقيقة ، أو تقرير إبعادها عن العلم والفلسفة إن كانت من الأمور الوهمية » [5].

ويذكر بعد ذلك :

« أن هذه الجمعية مكثت ثلاثين سنة حققت في خلالها ألوفاً من الحوادث الروحية ، وعملت من التجارب في النفس وقواها ما لا يكاد يدرك لولا أنه مدون في محاضر تلك الجمعية في نحو خمسين مجلداً ضخماً ، فكان من ثمرات جهادها إثبات شخصية ثانية للإنسان ، أي أننا أحياء مدركون في حياتنا الحاضرة لا بكل قوى الروح التي فينا ، بل بجزء من تلك القوى ، سمحت لنا به حواسنا الخمس القاصرة ، ولكن لنا فوق ما تعطيه لنا حواسنا هذه حياة أرقى من هذه الحياة ، لا تظهر بشيء من جلالها إلا إذا تعطلت فينا

(١) سورة إبراهيم – آية : ١٠ .

(٢) سورة الزخرف – آية : ٩ .

(٣) سورة لقمان – آية : ٢٥ .

(٤) محمد فريد بن مصطفى وجدي مؤلف دائرة المعارف من الكتاب الفضلاء ، ولد ونشأ بالإسكندرية ، من مؤلفاته صفوة العرفان وهو تفسير موجز للقرآن ، والمرأة المسلمة في الرد على المرأة الجديدة لقاسم أمين ، توفي بالقاهرة سنة ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م .

(٥) محمد فريد وجدي – دائرة المعارف – (٧١٣/١٠) .

هذه الشخصية العادية بالنوم العادي ، أو بالنوم الصناعي (المغناطيسي) وقد جربوا ذلك على المنومين نوماً مغناطيسياً ، فوجدوا : أن النائم يظهر بمظهر من الحياة الروحية والعلم لا يكون له وهو يقضان : فيعلم الغيب ، ويخبر عن البعيدين ، ويبصر ويسمع ، ويحس بغير حواسه الجسمية ويكون وهو في تلك الحالة على جانب كبير من التعقل والإدراك ، قالوا وتكون هذه حالة الإنسان في نومه العادي أيضاً ، والدليل على ذلك ما يأتيه المصابون بمرض الانتقال النومي من الأفعال المعجزة والمدارك السامية »[1].

قالوا : « وهذه الشخصية الباطنة أصبحت مدركة بالحس ، فإن ظهور النائم نوماً مغناطيسياً بهذا المظهر من العقل الراجح ، والفكر الثاقب ، والنظر البعيد ، وسريانه في سرائر النفوس ، واكتشافه لخفايا الأمور ، وجولاته في الأقطار البعيدة ، بينما يكون جاهلاً غبيًّا في حالته العادية ، أدل دليل على أن للإنسان شخصية تحجبها هذه الحياة الجسدية ، ولا تظهر إلاَّ إذا وقع جسمه في نوم طبيعي أو صناعي ، ثم إن الرؤى الصحيحة التي تقع كفلق الصبح ويدرك بها الإنسان أموراً غيبية ، أو يحل فيها مسائل عويصة لم يحلها وهو صاح ، أو انتقاله وهو نائم وإتيانه أعمالاً لا يستطيع عملها وهو يقظ ، يدل كذلك على أن له شخصية باطنة أرقى من شخصيته العادية »[2].

وقد ذكر الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني[3] في كتابه « مناهل العرفان » حادثة من حوادث التنويم المغناطيسي وقعت تفاصيلها أمامه وعاينها بنفسه ، حيث يقول : « وإننا نضع بين يديك هنا تجربة من تجارب التنويم ، تقرب إليك الوحي كل التقريب ، وهذه التجربة رأيتها بعيني ، وسمعتها بأذني ، بنادي جمعية الشبان المسلمين ، على مرأى ومسمع من جمهور مثقف كبير »[4].

---

(١) المصدر السابق .

(٢) محمد فريد وجدي – دائرة المعارف – (١٠/٧١٤–٧١٥) .

(٣) محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر تخرج بكلية أصول الدين ، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث ، من مؤلفاته مناهل العرفان في علوم القرآن ، توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م . انظر الزركلي – الأعلام – (٦/٢١٠) .

(٤) الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني – مناهل العرفان – (١/٦٧) .

خلاصة هذه الحادثة أن المحاضر وهو أستاذ في التنويم المغناطيسي ، قد بث معلومات كاذبة في عقل المنوّم (بفتح الواو) ، وذلك بأن اختلق له اسماً جديداً ، وأخذ يقرر ذلك في نفسه ، ويمحو من ذاكرته أثر الاسم القديم الصادق ، بواسطة أغاليط يلقنها إياه في صورة الأدلة ، ثم أمره بأن يتذكر دائماً بأن هذا الاسم الجديد هو اسمه الصحيح حتى إلى ما بعد نصف ساعة من صحوه ويقظته ، وهكذا أملى عليه هذه الأكذوبة وفرضها عليه ، حتى خضع لها المنوّم (بفتح الواو) وأذعن ، ثم يذكر أنه والحضور أخذوا ينادونه باسمه الحقيقي فلا يجيبهم ، وينادونه باسمه المختلق فيجيب ، دون تردد ولا تلعثم ، حتى إذا مضى نصف الساعة المضروب عاد المنوّم (بفتح الواو) إلى حاله الأولى من العلم باسمه الحقيقي ! [(1)].

ثم يقول الشيخ الزرقاني : « وبهذه الطريقة .. ثبت لي أنا من طريق علميٍّ ، ما قرب إليَّ الوحي عمليّاً ، وما جعلني أُعلّله تعليلاً علميّاً :

فالوحي – عن طريق الملك – عبارةٌ عن اتصال الملك بالرسول اتصالاً يؤثر به الأول في الثاني ، ويتأثر فيه الثاني بالأول ، وذلكم باستعداد خاص في كليهما ، فالأول فيه قوة الإلقاء والتأثير ، لأنه روحاني محض ، والثاني فيه قابلية التلقي عن هذا الملك لصفاء روحانيته ، وطهارة نفسه المناسبة لطهارة الملك .

وعند تسلُّط الملك على الرسول ينسلخ الرسول عن حالته العادية ، ويظهر أثر التغيير عليه ، ويستغرق في الأخذ والتلقي عن الملك ، وينطبع ما تلقاه ماثلاً في نفسه ، حاضراً في قلبه ، كأنما كتب في صحيفة فؤاده كتاباً .

أتظن – أيها القارىء الكريم – أن المخلوق يستطيع أن يؤثر في نفس مخلوق آخر ذلك التأثير بواسطة التنويم المغناطيسي ، ثم لا يستطيع مالك القوَى والقدرة أن يؤثر في نفس من شاء من عباده بواسطة الوحي ؟ كلا ثم كلا ﴿ إنه على كل شيء قدير ﴾[(2)] » [(3)].

---

(١) المصدر السابق – (١/٦٧–٦٨) بتصرف .

(٢) سورة الأحقاف – آية : ٣٣ .

(٣) الشيخ الزرقاني – مناهل العرفان – (١/٦٩) .

ومثل هذه الحوادث كثيرةٌ جداً ، وليس من موضوعنا أن نتوسع في سردها ، ولكنّا من خلال ما سبق قد تقدمنا بفكرة مجملة عن هذا العلم ، الذي لا نسلم بكثير من تفاصيله ، ولا نقول بجوازه ، فقدرات الإنسان مهما بلغ من قوة الشخصية ، لا يستطيع أن يؤثر هذا التأثير الخطير على عقول المنومين ، مع أن ذلك حاصل كما هو واقع ومشاهد ، على مرأى ومسمع كثير من الناس ، وخصوصاً في دول الغرب ، والفَطِن اللبيب لا يتطرق إليه شك بأن هذا العلم إنما هو من قبيل السحر والشعوذة ومن قبيل الإستعانة بالمردة من الجن والشياطين ، وقد انخدع به بعض الفضلاء ، ثم تبين لهم زيفه وبطلانه ، فكانوا من أشد المحاربين له وللقائمين عليه [(١)]، وإنما ذكرنا مثل هذه الحوادث ليس من باب الاقتناع بها وإنما من باب التنزل مع الخصم .

من جهة أخرى فإننا نجد أن العلم الحديث استطاع أن يخترع من العجائب ما نعرفه ونشاهده وننتفع به ، من أجهزة الإتصال عن بعد كالهاتف واللاسلكي وأجهزة الإرسال التلفازي والإذاعي .

وعن طريق تلك الأجهزة أمكن للإنسان أن يخاطب من كان في السابق لا يستطيع الإتصال به لبعد المسافة أو لعوامل أخرى ، مع أنه ليس هناك شيء ملموس يمكن الاستناد إليه ، وإنما هي ذبذبات غير مرئية ، واستطاع العلم الحديث بتوفيق الله اختراع إسطوانات من الجماد الجامد الجاهل ، يستطاع من خلالها تسجيل أصوات الناس وكلامهم ، على وجه الدقة والإتقان ، وهو ما يسمى بأشرطة التسجيل .

فهل يعقل بعد قيام مثل هذه المخترعات المادية الحديثة ، أن يتبادر إلى أذهان منكري الوحي ، أن يعجز الإله القادر عن أن يوحي إلى من يشاء من عباده ، أو أن ينقش في قلوب من اصطفى من المرسلين الوحي بكل دقة وإتقان ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً [(٢)].

---

(١) انظر أ/حياة سعيد عمر – موقف الإسلام من السحر – (٤٥٩/٢-٤٨٦) – دار المجتمع – الطبعة الأولى – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م – جدة – المملكة العربية السعودية .

(٢) انظر الشيخ الزرقاني – مناهل العرفان – (٦٩/١-٧٠) .

كما أن هناك وقائع كثيرة جداً تجري من حولنا في كل لحظة ، ونحن نعجز عن التوصل إلى إدراكها أو سماعها ، أو الاحساس بها بواسطة أجهزتنا العصبية ، في حين أننا نجد أن العلم الحديث قد يسر لنا إدراكها عن طريق أجهزة علمية ، تم اختراعها ، وهذه الأجهزة بلغت دقتها في أن مستعملها يمكنه سماع صوت ذباب طائر على بعد بضعة أميال ، وكأنه يطير عند أذنك ، ومن الأجهزة العلمية ما وصل التقدم فيه إلى حد أنها تسجل صدام الأشعة الكونية في الفضاء [1] ، وهذه الطاقة غير العادية يتمتع بها بعض الحيوانات ، وقد وهبها الله هذه القدرة الفائقة ، مقارنة مع أجهزة الإنسان المحدودة جداً ، فالكلب مثلاً يستطيع أن يشم ريح الحيوان الذي مر من الطريق ، ومن ثم استغلت الكلاب في البحث عن المجرمين ، وهناك حيوانات كثيرة تسمع أصواتاً تخرج عن نطاق أسماعنا وتتخاطب فيما بينها والمسافة فيما بينها بعيدة جداً .

وقد أثبت العلم الحديث ذلك [2]، وهناك أمثلة كثيرة جداً « تؤكد إمكان وجود وسائل غير مرئية لدى ذوي الحواس الخاصة ، وإذا كان الأمر كذلك ، فما وجه الغرابة في ادعاء إنسان أنه يسمع صوتاً من لدن ربه ، لا يدركه عامة الناس ؟ ما دام من الممكن أن توجد في هذا العالم حركات وأصوات لا تسمعها آذان الإنسان ، ولكن تسجلها الآلات ؟ وما دامت هناك رسائل تدركها حيوانات دون أخرى ؟؟ فما هو جانب التعجب والاستبعاد ؟

---

(١) الأستاذ وحيد خان - الإسلام يتحدى - (ص ١٠٧) الطبعة العاشرة - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان .

(٢) وقد أثبت العلم ما يسمى بقوة التخاطر عن بعد وقد اصطلح على تسميته عند الطبيعيين "Telepathy" التليباثي ، وهو مصطلح إنجليزي ، ترجمته اتصال عقل بآخر بطريقة خارجة عن نطاق العادي أو السوي ، ولعل من أمثلته حادثة مخاطبة عمر رضي الله عنه لسارية كما يقول الأستاذ محمد قطب ، حيث سمعه سارية من مسافة بعيدة جداً كما سيأتي بعد قليل .

انظر منير البعلبكي - قاموس المورد القريب - (ص ٣٨٨) دار العلم للملايين ، والأستاذ محمد قطب - الإنسان بين المادية والإسلام - (ص ٣٧) دار الشروق - الطبعة السابعة - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - القاهرة .

إن الله تعالى – لحكمة يعلمها – يرسل رسائل خافتة خفية إلى الإنسان المختار للرسالة ، بعد أن يودع فيه صلاحية التقاطها وفهمها .

فليس هناك من تصادم في الحقيقة بين مشاهداتها وتجاربنا ، فهو واقع من الوقائع الكثيرة التي نشاهدها ونجربها في أمكنة وطرق مختلفة ، فالوحي وجدناه في شكل الواقع بعد التجربة » [1].

يقول الأستاذ وحيد الدين خان في كتابه الإسلام يتحدى :

« أنه في سنة ١٩٥٠ م أن المسئولين في « بافاريا » رفعوا قضية ضد أحد النمسويين واسمه « فرنزستروبيل » بتهمة التدخل في برامج الإذاعة ...

وكان فرنزستروبيل يستعرض أعماله في فندق ريجنا ، بميونخ ، عندما ناول أوراق لعب الكوتشينة إلى أحد المتفرجين ، وطلب إليه اختيار ورقة ما ، وادعى أنه سوف ينقل اسم تلك الورقة واسم الفندق مع ترتيبهما ، كما هما في ذهن المتفرج ، إلى المذيع الذي كان يقرأ الأخبار من إذاعة ميونيخ المحلية ، ذلك دون أن يعرف المذيع نفسه شيئاً من هذا !! .

بعد ثوان سمع الناس صوت مذيع مرتعش ، وهو يقول « فندق ريجنا – بنت البستوني » ، وكان الترتيب واسم الورقة صحيحين ، كما أراد المتفرج وكان الارتعاش والرهبة واضحين في صوت المذيع ، ولكنه واصل قراءة الأخبار ، استغرب الكثيرون من المستمعين من سكان ميونيخ واتصل مئات منهم تليفونياً بالإذاعة يستفسرون عن السر الغامض .

فكان من الصعب عليهم إدراك علاقة الأخبار « بفندق ريجنا – بنت البستوني » وحضر طبيب الإذاعة للكشف على المذيع ، فوجده في حالة اضطراب خطيرة ، وأدلى المذيع ببيانه قائلاً : « إني شعرت بصداع شديد في رأسي ولا أعرف ماذا حدث بعد ذلك ! » [2].

---

(١) الأستاذ وحيد خان – الإسلام يتحدى – (ص ١٠٨) .

(٢) المصدر السابق – (ص ١٠٩) .

« ومن الأمثلة الحديثة على ذلك ما قرأته اليوم في عدد (أغسطس) من السنة السادسة من مجلة المختار » تحت عنوان : « هذا العالم المملوء بالألغاز وراء الحواس الخمس » ص ٢٣ ، قصة « فتاة شابة ذهبت إلى جنوب أفريقيا للزواج من خطيبها ، وبعد معارك مريرة معه فسخت خطبتها بعد ثلاثة أسابيع ، وأخذت الفتاة تذرع غرفتها في اضطراب ، وهي تصيح في أعماقها بلا انقطاع : « أواه يا أماه .. ماذا أفعل ؟ » ولكنها قررت ألاّ تزعج أمها بذكر ما حدث لها . وبعد أربعة أسابيع تلقت منها رسالة جاء فيها : « ما حدث ؟ لقد كنت أهبط السلم عندما سمعتك تصيحين قائلة : « أواه يا أماه ... ماذا أفعل ؟ » وكان تاريخ الرسالة متفقاً مع تاريخ اليوم الذي كانت تصيح فيه من أعماقها »[(١)].

وفي المقال المشار إليه أمثلة أخرى مما يدخل تحت ما يسمونه اليوم بالتخاطر عن بعد ، ولعل أقرب الأمثلة مشابهة لتلك الحوادث في تاريخنا الإسلامي قصة عمر الشهيرة مع قائد جنوده سارية[(٢)]، ومفاد تلك القصة أن عمر رضي الله عنه كان يخطب على المنبر فبينما هو كذلك إذ قال : « ياسارية الجبل يا سارية الجبل » وكان سارية مع جنوده بالعراق يقاتل الأعداء الذين كادوا أن يطوقوا المسلمين ، فبينما هم كذلك إذ سمعوا نداء عمر فأسندوا ظهورهم للجبل وقطعوا الطريق على المشركين فهزمهم الله ، وانتصر المسلمون بفضل الله ثم بسبب هذا النداء بين طرفين يفصل بينهما آلاف الأميال فالأول في المدينة وهو أمير المؤمنين

(١) نقلاً عن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني – سلسلة الأحاديث الصحيحة – (١٠٣/٣) ، وقد أورد الشيخ هذه القصة لأنها أقرب الأمثلة مشابهة لقصة عمر رضي الله عنه التي خرجها في كتابه السلسلة الصحيحة ، وقد ذكر أن هناك أمثلة كثيرة من هذا القبيل مما يدخل تحت مايسمى في العصر الحديث « بالتخاطر » و « الاستشفاف » أو « بالبصيرة الثانية » .

(٢) سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر الدئلي ، قال ابن عساكر له صحبة وذكره ابن حجر في الإصابة ، قائد جيش عمر لقتال الفرس ، وصاحب الحادثة المشهورة يا سارية الجبل .

انظر ابن حجر – الإصابة – (٩٦/٤-٩٧-٩٨) تحقيق طه الزيني .

عمر رضي الله عنه والثاني جيش المسلمين في العراق ، والقصة صحيحة ثابتة [1]، وهي كرامة أكرم الله بها عمر ، حيث أنقذ الله به جيش المسلمين من الأسر أو الفتك به ، وليس من باب الإطلاع على الغيب ، فعالم الغيب هو رب العزة والجلال ، المتفرد بذلك على سائر خلقه قال تعالى :

﴿ عٰلم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحداً إلاّ من ارتضىٰ من رسول ﴾ [2]، بل هي من باب الإلهام من الله تعالى لعمر رضي الله عنه وأرضاه ، أو من باب التخاطر في عرف العصر الحاضر ، وأمثال تلك الحوادث ليست يقينية الوقوع ، وإلاّ لعُدَّ صاحبها معصوماً ، ولكن بعضها قد يصيب كما في هذه الحادثة ، وقد تخطئ كما هو الغالب على البشر ، فالعصمة للأنبياء وحدهم [3].

ومما يزيد الأمر وضوحاً ، الفتوى الصادرة من شيخ الإسلام عندما سئل عن همّ العبد بالحسنة ، كيف يطلع عليه الملك الموكل ، وقد وقع ذلك سراً من العبد لم يظهر عليه أحد سوى الرب سبحانه ، فهل الملائكة تطلع على الغيب ؟

---

(١) أخرج هذه الرواية اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - (١٤١٠/٧) من طريق ابن عجلان عن نافع عن عبد الله ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما ، وقد ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية ثم قال : « وهذا إسناد جيد حسن » (١٣٤/٧-١٣٥) ، وكذلك الحافظ ابن حجر في الإصابة وقال : « هو إسناد حسن » (٩٧/٤-٩٨) ، ومن هذا الطريق أخرجها ابن الأعرابي في كرامات الأولياء ، والدير عاقولي في فوائده ، وأبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين ، كنز العمال - (٥٧١/١٢) .

ولهذه القصة طرق كثيرة ذكرها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ، وقال : « فهذه طرق يشد بعضها بعضاً » ، وقد تتبع الشيخ الألباني هذه الطرق وتوصل إلى أنه لا يصح شيء منها إذ مدار أكثرها على سيف ابن عمر والواقدي وهما كذابان ، ولم يصحح من تلك الطرق إلاّ طريق ابن عجلان المتقدم - (١٠١/٣-١٠٢) .

(٢) سورة الجن - آية : ٢٦-٢٧ .

(٣) انظر الشيخ الألباني - سلسلة الأحاديث الصحيحة - (١٠٤/٣) .

فأجاب رحمه الله : « إن بعض السلف[1] قد أجاب عن هذه المسألة بقوله : « إنه إذا همَّ العبد بحسنة شمَّ الملك رائحة طيبة ، وإذا همَّ بسيئة شمَّ رائحة خبيثة » والتحقيق[2] أن الله قادر على أن يعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء ، كما هو قادر على أن يطلع بعض البشر على ما في الإنسان ، فإذا كان بعض البشر قد يجعل الله له من الكشف ما يعلم به أحياناً ما في قلب الإنسان ، فالملك الموكل بالعبد أولى بأن يعرفه الله ذلك » [3].

ومما سبق عرضه من الأدلة يتضح للعاقل اللبيب أن الوحي لا يستحيل عقلاً وقوعه ، فالأدلة العلمية التجريبية التي استخدمها العلم الحديث شهدت بذلك وقالت بإمكانه ، ومثل هذه الأدلة لا يحتاجها من سلمت فطرته من لوثات المادية الحديثة ، بل يكفيه إخبار الصادق المصدوق لنا بذلك ولا يتوقف إيمانه على تلك الأدلة .

---

(١) هو سفيان بن عيينة ، انظر مجموع الفتاوى - (٢٥٣/٤) .

(٢) من هنا كلام شيخ الإسلام .

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية - مجموع الفتاوى - (٢٥٣/٤) .

وقوع الوحي :

فيما تقدم عرفنا أن الوحي للأنبياء من قبل الرب سبحانه بواسطة الملك أو غيره أمر ليس بالمستحيل ، بل ممكن الوقوع ، وقد ثبت ذلك من خلال الأدلة العلمية والشرعية ، والآن سوف نتطرق إلى بيان أن هذا الأمر الممكن وهو الوحي قد وقع بالفعل ، والدليل على وقوعه بالفعل هو إخبار الصادق المعصوم وهو الرسول ، أي رسول كان عليه الصلاة والسلام ، وهذا الإخبار أمر مسلم لا ينكره أحد ممن عاصروا الأنبياء ، وسمعوا منهم أنهم أنبياء يوحى إليهم ، ولا ينكره من جاء بعد عصر النبوة لثبوته بالتواتر الذي توارثه جيل عن جيل فضلاً عن وروده في أوثق الكتب المقدسة والذي لا يرقى إليه الشك ، القرآن الكريم .

وأما كون المخبر بوقوع الوحي ، صادق معصوم وهم الأنبياء والرسل بصفة عامة فإن ذلك ثابت لهم بيقين ، لأنه ما من رسول بعثه الله في أمة من الأمم إلاّ وكان له من قومه مكذبون ، وما كان الله ليذر أنبياءه يواجهون هذا التكذيب بغير حجة دامغة ، تلجم خصومهم ، وتثبت صدق دعواهم ، ولذلك أيدهم بالمعجزات والآيات الدالة على صدقهم وعصمتهم من الكذب ، ومن الأمور البديهية أن يكون جميع ما أخبر به الرسول من الحق لأن ذلك هو مقتضى العصمة التي ثبتت للأنبياء والمرسلين . بمجرد أن إصطفاهم الرب جل وعلا لهذه المهمة العظيمة [1].

---

(1) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (١١٩/٢ – ق ب ، ١٢٠ – ق أ) ، وغاية المرام – (ص ٣٤١) ، والتفتازاني – شرح المقاصد – (٢٧/٥) ، الدكتور محمد حسين الذهبي – الوحي والقرآن الكريم – (ص ١٨-١٩) ، والشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني – مناهل العرفان – (٧٣/١) .

المبحث الثالث:

طرق الوحي

المبحث الثالث : طرق الوحي :

للوحي طرق وكيفيات شتى ، فمنه ما يكون مكالمة بين العبد وربه ، كما كلم الله بعض رسله ، ومنه ما يكون إلهاماً يقذفه الله تعالى في قلب مصطفاه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع دفعاً ، ولا يجد فيه شكاً .

ومنه ما يكون مناماً صادقاً في تحققه ووقوعه ، كفلق الصبح في تبلجه وسطوعه ، ومنه ما يكون بوساطة أمين الوحي جبريل عليه السلام : وهو ملك كريم ذو قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثمَّ أمين ، وهذا النوع من أشهر الأنواع وأكثرها ، ووحي القرآن كله من هذا القبيل ، قال تعالى :

﴿ نزل به الروح الأمين علىٰ قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربيٍّ مبين ﴾[1].

ثم إن ملك الوحي يهبط هو الآخر على أساليب شتى : فتارةً يظهر للرسول في صورته الحقيقية الملكية ، وتارةً يظهر في صورة إنسان يراه الحاضرون ويستمعون إليه ، وتارةً يهبط على الرسول خفيةً فلا يرى ، ولكن يظهر أثر التغير والانفعال على صاحب الرسالة ، وقد يتصبب من جبينه العرق في اليوم الشديد البرد ، وقد يسمع له دوي كدوي النحل ، ومنه ما يسمع له صلصلة كصلصلة الجرس وذلك أشد أنواعه .

كل ذلك سوف نتعرض إليه في هذا المبحث ، مع بيان أدلة كل طريق وكيفياته بإذنه تعالى .

قال تعالى موضحاً أنواع الوحي :

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحيّاً أو من ورآءى حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليٌّ حكيمٌ ﴾[2].

---

(١) سورة الشعراء – آية : ١٩٣ – ١٩٤ – ١٩٥ .

(٢) سورة الشورى – آية : ٥١ .

وأفاض المفسرون في شرح هذه الآية ، ولكنهم اتفقوا جميعاً على مقامات الوحي أو طرقه الثلاث الواردة في الآية الكريمة [(1)]، ولكنهم إختلفوا في المقام الثاني المختص بمخاطبة الله للنبي الموحى إليه ، هل هو كلام على وجه الحقيقة لا المجاز كما يقول السلف والمحققون من العلماء ، أم أنه خلق للكلام في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه كما يقول المعتزلة وموافقوهم أم أنه كما تقول الأشاعرة كلام نفسي ، ومحل تفصيل هذا الخلاف في كتب العقيدة [(2)]، لكننا نقرر هنا أن المراد بكلام الله في هذه الآية وغيرها هو ما قرره سلف الأمة بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأن الله تعالى تكلم به حقيقة ، لا حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه ، وهو كلام الله حروفه ومعانيه ، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ، ولا المعاني دون الحروف [(3)].

---

(1) انظر ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (١٣١/٤) ، والشيخ محمد الطاهر عاشور – تفسير التحرير والتنوير – (١٤١/١٢٥) الدار التونسية للنشر – تونس – ١٩٨٤ م ، وابن الجوزي – زاد المسير في علم التفسير – (٨٧/٧) تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبد الله – دار الفكر – الطبعة الأولى – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ – بيروت – لبنان .

(2) انظر ابن أبي العز الحنفي – شرح العقيدة الطحاوية – (١٧٢/١ – ٢٠٤) ، والسفاريني – لوامع الأنوار البهية – (١٣٠/١ – ١٤١) .

(3) انظر شيخ الإسلام ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (١٤٤/٣،١٧٥،١٧٦) ، وانظر الشيخ عبد الله الجبرين – شرح أصول السنة – (ص ٧–٨) دار الصميعي – الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م – الرياض – المملكة العربية السعودية .

المقام الأول :

المستخلص من قوله تعالى : ﴿ ... إلاّ وحياً ﴾[1] وهو يتناول الإلهام ، أو القذف في روع النبي الموحى إليه ، بحيث يستيقن معه المصطفى أنه من الله ولا يتمارى في ذلك ، ولا يخالطه أدنى شك [2].

فقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال :

« نفث روح القدس في روعي[3] أن نفساً لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته » [4].

وفي رواية أخرى من طريق عبد الله بن مسعود[5] رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

---

(١) سورة الشورى – آية : ٥١ .

(٢) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (١٣١/٤) .

(٣) أي في نفسي وخلدي ، وروح القدس جبريل عليه السلام .

انظر ابن الأثير – النهاية في غريب الحديث – (٢٧٧/٥) .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير – (١٦٦/٨) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء – (٢٦/١٠-٢٧) ، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد – (٧٢/٤) ، وأعله بعفير بن معدان قال عنه الحافظ في التقريب ضعيف (ص ٣٩٣) ، وباقي رجال الإسناد ثقات .

وللحديث شواهد أخرى يصح بها من حديث ابن مسعود الذي سيمر معنا عند الحاكم في المستدرك – (٤/٢) ، وآخر من حديث جابر عند ابن ماجة في السنن كتاب التجارات – باب الاقتصاد في طلب المعيشة – (٧٢٥/٢) ، وإسناده ضعيف فيه الوليد بن مسلم وابن جريج وأبو الزبير وكلهم قد رمي بالتدليس وقد عنعنوه ، والحاكم في المستدرك – (٤/٢، ٣٢٥/٤) ، وأبو نعيم في الحلية – (١٥٦/٣-١٥٧، ١٥٨/٧) ، ومن طريق آخر من حديث حذيفة عند البزار كما يقول الهيثمي في المجمع – (٧١/٤) ، وهذه الطرق يجبر بعضها بعضاً وعلى ذلك فالحديث صحيح ، وقد صححه الشيخ الألباني في كتابه صحيح ابن ماجة – (٦/٢) .

(٥) هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة ، مناقبه جمة ، مات سنة ٢٣ هـ .

ابن حجر – تقريب التهذيب – (ص ٣٢٣) .

« ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلاّ قد أمرتكم به ، ولا عمل يقرب إلى النار إلاّ قد نهيتكم عنه ، لا يستبطئن أحد منكم رزقه ، إن جبريل عليه السلام ألقى في روعي أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب ، فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله ، فإن الله لا ينال فضله بمعصيته » [1].

وذهب ابن الجوزي في تفسيره ، خلال شرحه لهذه الآية ، أن المراد بالوحي إنما هو الوحي في المنام ، عن طريق الرؤيا الصالحة [2]، وما ذهب إليه ابن الجوزي هو بلا شك داخل في المقام الأول ، فإن رؤيا الأنبياء حقٌّ ، وهي جزء من نبوتهم ، يقع بها العلم والتشريع ، وذلك لثبوت النصوص الصريحة في أن الرؤيا الواقعة أثناء نوم الأنبياء من الوحي .

ففي الصحيح أن عبيد بن عمير[3] قال :

« إن رؤيا الأنبياء وحي » [4].

وفيه أيضاً أن عائشة[5] رضي الله عنها قالت :

« يارسول الله ، تنام قبل أن توتر ، قال تنام عيني ولا ينام قلبي » [6].

---

(١) انظر تخريج الحديث السابق .

(٢) انظر ابن الجوزي – زاد المسير – (٨٧/٧) تحقيق محمد بن عبد الرحمن .

(٣) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ، أبو عاصم المكي ، ولد على عهد النبي عليه الصلاة والسلام قاله مسلم ، وعدّه غيره في كبار التابعين ، مجمع على ثقته ، مات قبل عمر .

انظر ابن حجر – تقريب التهذيب – (ص ٣٧٧) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الأذان – باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل – (٢٠٨/١-٢٠٩) .

(٥) عائشة بنت أبي بكر ، أم المؤمنين ، أفقه النساء مطلقاً ، وأفضل أزواج النبي عليه والصلاة والسلام إلاّ خديجة ففيهما خلاف شهير ، وفاتها على الصحيح سنة ٥٧ هـ .

ابن حجر – تقريب التهذيب – (ص ٧٥٠) ، وعمر رضا كحالة – أعلام النساء (٩/٣-١٣١) مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان .

(٦) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب المناقب – باب كان النبي ﷺ تنام عينه ، ولا ينام قلبه – (١٦٨/٤) .

وفيه أيضاً عن أنس بن مالك[1] أنه قال :

« والنبي نائمة عيناه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم » [2].

ولما في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

« أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح » [3].

وعندما رأى خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في منامه أنه يذبح ولده ، بادر إلى الامتثال ، وعدَّ هذه الرؤيا أمراً إلهيّاً ، قال تعالى :

﴿ فلما بلغ معه السعي قال يبني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يـأبت افعل مـا تؤمر . ستجدني إن شاء الله من الصـبرين فلما أسلما وتلّه للجبين ، ونـدينه أن يـإبرهيم قد صدقت الرءيا إنـا كذلـك نجـزي المحسنين ﴾ [4].

ولا شك أن الأنبياء متساوون في ذلك ، فما يرونه بالمنام حق لا يتطرق إليه الخلل ، فقد تكفل الله بحفظه قال تعالى :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحـفظون ﴾ [5].

بخلاف رؤيا بقية البشر ، فإن الشيطان قد يتسلط عليها [6]، والرؤيا هي أول أحوال النبوة فإذا هدأت نفوسهم ، نزل الوحي بعد ذلك يقظه .

---

(١) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي ، خادم النبي عليه الصلاة والسلام ، صحابي مشهور توفي سنة ٩٢ هـ .

انظر ابن حجر – تقريب التهذيب – (ص ١١٥) .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب المناقب – باب كان النبي ﷺ تنام عينه ، ولا ينام قلبه – (١٦٨/٤) .

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب بدء الوحي – باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ – (٢/١-٣) ، وأخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ – (٩٧/١) .

(٤) سورة الصافات – آية : ١٠٢ – ١٠٥ .

(٥) سورة الحجر – آية : ٩ .

(٦) انظر الحافظ ابن حجر – فتح الباري – (٩/١) .

المقام الثاني :

تكليم الله لرسله من وراء حجاب ، كما قال تعالى في الآية :

﴿ أو من ورآءى حجاب ﴾ (١) .

كما حدث مع غير واحد من الأنبياء ، قال تعالى :

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجٰت ﴾ (٢).

من هؤلاء الأنبياء والرسل آدم عليه الصلاة والسلام .

قال تعالى :

﴿ قال يٰآدم أنبئهم بأسمآئهم فلما أنبأهم بأسمآئهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السمٰوٰت والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ (٣)، ومنهم نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ، وقد ذكر الله ذلك في أكثر من موضع في كتابه الكريم .

قال تعالى :

﴿ ولـمَّا جآء موسى لميقٰتنا وكلمه ربه ﴾ (٤).

وقال تعالى :

﴿ فلمآ أتٰها نودي يا موسىٓ . إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلوٰة لذكري ﴾ (٥).

وقال تعالى :

﴿ فلمآ أتٰها نودي من شطىء الواد الأيمن في البقعة المبٰركة من الشجرة أن يٰموسىٓ إني أنا الله ربُّ العٰلمين ﴾ (٦).

(١) سورة الشورى – آية : ٥١ .
(٢) سورة البقرة – آية : ٢٥٣ .
(٣) سورة البقرة – آية : ٣٣ .
(٤) سورة الأعراف – آية : ١٤٣ .
(٥) سورة طه – آية : ١١-١٤ .
(٦) سورة القصص – آية : ٣٠ .

وكلم الله عبده ورسوله محمداً عليه الصلاة والسلام ، ليلة الإسراء والمعراج من وراء حجاب ، كما في حديث أنس بن مالك[1] رضي الله عنه ، والحديث فيه دلالة واضحة على أن الرب جل وعلا قد كلم نبيه محمداً ﷺ من وراء حجاب .

وقد يلتبس على البعض فيظن أن هناك ما يعارض آية الشورى والتي حصرت الوحي في هذه المقامات ، ومنها تكليم الأنبياء مباشرة وبدون وساطة قال تعالى :

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من ورآءى حجاب أو يُرسل رسولاً ﴾ [2].

حيث ورد في السنة من طريق صحيح ، ما يتعارض في الظاهر مع الحصر الوارد في الآية الكريمة ، فعن جابر بن عبد الله بن حرام [3] أنه قال :

« لقيني رسول الله ﷺ فقال : ياجابر ما لي أراك منكسراً ؟

قلت يارسول الله - ﷺ - استشهد أبي ، فقتل يوم أحد ، وترك عيالاً وديناً ، فقال : أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟

قال : قلت : بلى يا رسول الله ، قال : ما كلم الله أحداً قط إلاّ من وراء حجاب ، وأحيى أباك فكلمه كفاحاً[4]، فقال يا عبدي تمنَّ عليَّ أعطيك : قال : يارب تحييني فأقتل فيك ثانية ، قال الرب عز وجل : إنه سبق مني

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم - (٧٧/٤-٧٨) ، ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلاة - (٩٩/١-١٠١) ، والنسائي في سننه - كتاب الصلاة - فرض الصلاة - (٢١٧/١-٢٢١) طبع دار إحياء التراث العربي .

(٢) سورة الشورى - آية : ٥١ .

(٣) جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري ثم السَّلَمي ، بفتحتين ، صحابي ابن صحابي ، غزا تسعة عشر غزوة ، ومات بالمدينة وهو ابن أربع وسبعين بعد السبعين هجرية .

ابن حجر - تقريب التهذيب - (ص ١٣٦) .

(٤) قال علي بن المديني الكفاح المواجهة .

انظر ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - (٤٢٧/١) طبع دار المعرفة - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م - بيروت - لبنان .

﴿ أنهم إليها لا يرجعون ﴾ ، قال فأنزلت هذه الآية :

﴿ ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ﴾ [1]، الآية [2].

ويندفع هذا اللبس بما ذكره بعض أهل العلم خلال جمعهم بين النصين ، وهو أن تكليم الله تعالى لعبد الله بن حرام ، كان في عالم البرزخ ، وأن الآية حصرت تكليم الله لعباده من الأنبياء في الحياة الدنيا دون غيرها [3]، ومما يؤيد ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه قال :

« تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت » [4].

وعلى هذا الجمع يندفع التعارض بين الآية والحديث ، والله أعلم .

---

(١) سورة آل عمران – آية : ١٦٩ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه – كتاب تفسير القرآن – باب « ومن سورة آل عمران » بإسناد حسن ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب (٥/٢٣٠-٢٣١) ، وقد حسنه الألباني في صحيح الترمذي – (٣/٣٥) ، وابن ماجة في سننه – المقدمة – باب فيما انكرت الجهمية – (١/٦٨) .

(٣) انظر الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (٤/١٢٢) – دار المعرفة – بيروت – ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩ م .

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب ذكر ابن صياد – (٨/١٩٣) .

المقام الثالث :

الإرسال الملكي ، كما قال تعالى :

﴿ أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ (1).

وهو أن يرسل الرب سبحانه إلى أحد أنبيائه رسولاً من عنده يبلغه أوامره ونواهيه وتشريعاته ، وهذا هو الغالب في الوحي ، ويكون ذلك عن طريق ملك الوحي جبريل عليه السلام ، وقد يكون ذلك عن طريق غيره في بعض الأحيان(2)، يدل على ذلك ما روى عن ابن عباس(3) رضي الله عنهما أنه قال :

« بينما جبريل قاعد عند النبي عليه الصلاة والسلام سمع نقيضاً(4) من فوقه ، فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم ، لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك فسلم ، وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما ، نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منها إلاّ أعطيته » (5).

أما الحالات التي كان ينزل فيها ملك الوحي على الرسول عليه الصلاة والسلام فهي على ثلاثة أحوال :

الأول : أن يراه الرسول عليه الصلاة والسلام على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها ، سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن تأويل قوله تعالى : ﴿ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده مآ أوحى ﴾ (6)، فقالت رضي الله عنها وعن أبيها « إنما ذاك جبريل ﷺ كان يأتيه في صورة

---

(1) سورة الشورى - آية : 51 .

(2) انظر د/ عمر سليمان الأشقر - عالم الملائكة الأبرار - (ص 40) .

(3) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ ودعا له الرسول عليه الصلاة والسلام بالفهم بالقرآن فسمي البحر وحبر الأمة لسعة علمه ، أحد المكثرين بالرواية ، مات بالطائف سنة 68 هـ .

ابن حجر - تقريب التهذيب - (ص 309) .

(4) نقيض السقف تحريك خشبه أي الصوت الخارج من الخشب عند تحريكه .

ابن منظور - لسان العرب - (7/245) .

(5) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه - كتاب (6) باب (43) - (1/554) طبعة عبد الباقي .

(6) سورة النجم - آية : 8-9-10 .

الرِّجال ، وإنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد أفق السماء »[1].

ولم يحدث هذا لرسولنا عليه الصلاة والسلام إلاّ مرتين ، كما صرحت بذلك عائشة رضي الله عنها ، عند تأويلها لقوله تعالى :

﴿ ولقد رءاه بالأفق المبين ﴾ [2]، ﴿ ولقد رءاه نزلة أخرى ﴾ [3]،

« فقالت أنا أوّل هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء وإلى الأرض » [4].

الثاني : أن يأتيه الوحي مثل دوي النحل ، أو صلصلة الجرس ، وهذا النوع أشد أنواع الوحي على النبي ﷺ ، وعندما يذهب عنه يعي عنه الرسول ﷺ مباشرة ما قال ، يدل على ذلك حديث الحارث بن هشام[5] رضي الله عنه أنه :

« سأل رسول الله ﷺ فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحيُ فقال رسول الله ﷺ : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم[6] عني وقد وعيت عنه ماقال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب معنى قول الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى – (١/١١١) ، وقد أورد الإمام البخاري في صحيحه – كتاب التفسير – تفسير سورة النجم – جملة من الأحاديث عن عائشة ، وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين في أن الرسول عليه الصلاة والسلام رأى جبريل على صورته الحقيقية له ستمائة جناح – (٦/٥٠-٥١) .

(٢) سورة التكوير – آية : ٢٣ .

(٣) سورة النجم – آية : ١٣ .

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب تفسير القرآن – تفسير سورة النجم – (٦/٥٠) ، والإمام مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب معنى قول الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى – (١/١١٠) .

(٥) الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي أبو عبد الرحمن المكي ، صحابي ، من مسلمة الفتح ، استشهد بالشام في خلافة عمر رضي الله عنه .

ابن حجر – تقريب التهذيب – (ص ١٤٨) .

(٦) بفتح أوله وسكون الفاء وكسر المهملة أي يقلع ويتجلى ما يغشاني ، وأصل الفصم القطع . انظر ابن حجر العسقلاني – فتح الباري – (١/٢٠-٢١) .

يقول قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد[1] عرقاً » [2].

الثالث : أن يتحول الملك عليه السلام من الصورة الملكية إلى الصورة البشرية ، فيأتي بصورة رجل ، فيكلمه ويخاطبه ، وهذا أخف الأحوال على النبي عليه الصلاة والسلام ، وكثيراً ما كان جبريل عليه السلام يأتي في هذه الحالة متمثلاً في صورة دحية الكلبي [3]، أو صورة أعرابي لا يُعرف ، يدل على هذه الحالة ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي « ...... وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول ... » الحديث [4].

ويدل عليها أيضاً ما رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان والإحسان الحديث المشهور قال رضي الله عنه « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد .... ، ثم قال يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » [5].

---

(١) مأخوذة من الفصد وهو قطع العرق لإسالة الدم ، شبه جبينه بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق .

انظر المصدر السابق – (٢١/١) .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب بدء الوحي – باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ – (٢/١-٣) .

(٣) دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ، صحابي ، صاحب رسالة النبي ﷺ إلى قيصر يدعوه للإسلام ، يضرب به المثل في حسن الصورة ، توفي بدمشق سنة ٤٥ هـ ، روى الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « .... رأيت جبريل عليه السلام فإذا أقرب من رأيت شبهاً دحية الكلبي » كتاب الإيمان – باب بدء والوحي – (١٠٦/١) .

انظر ابن سعد – الطبقات الكبرى – (١٨٤/٤) .

(٤) مضى تخريجه .

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة – (٢٩/١) .

المبحث الرابع :

موقف أهل السنة والجماعة

المبحث الرابع : موقف أهل السنة والجماعة :

مسألة الوحي كما تقدم محل اتفاق بين أتباع الرسالات السماوية ، على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ، فالمصدر الرئيسي والوحيد لهذه الرسالات بكل ما فيها من غيبيات وعقائد وشرائع هو الوحي ، فإذا انتفى الإيمان بالوحي ينتفي لزاماً الإيمان بكل ما جاءت به تلك الرسالات [1].

ولبيان موقف أهل السنة والجماعة من آراء الآمدي في الوحي لابد من مقارنة سريعة نعرض بها بين آراء الآمدي وبين ما يراه أهل السنة والجماعة .

أولاً : عرف أهل السنة والجماعة الوحي بأنه كلام الله ، وهو منقول عن غير واحد من السلف منهم الإمام الزهري [2].

والآمدي كما تقدم يرى ذلك فالوحي عنده هو كلام الله [3].

ثانياً : أهل السنة والجماعة كغيرهم من الطوائف يرون امكان الوحي وأنه قد وقع بالفعل ، وكذلك الآمدي ، وقد مر معنا بعض ردوده على منكري الوحي [4].

ثالثاً : مقامات الوحي عند أهل السنة والجماعة هي الواردة في آية سورة الشورى [5]، والآمدي كغيره من المتكلمين لم يتطرق إلى بيان طرق الوحي أو مقاماته ، إذ محل ذلك كتب التفسير لا كتب الكلام ، وإن كان قد أشار إلى تلك الطرق في أماكن متفرقة في كتبه الكلامية في

---

(١) انظر (ص ٢٢٩) .

(٢) انظر الآجري - الشريعة - (ص ٤٥٢- ٤٥٣) ، وابن تيمية - مجموع الفتاوى - (٣٩٧/١٢) .

(٣) انظر الآمدي - غاية المرام - (ص ١١١ - ٣٢٥) .

(٤) انظر (ص ٣٠٣) وما بعدها .

(٥) سورة الشورى - آية : ٥١ .

مباحث الكلام ، ومن خلال ردوده على منكري الوحي ، إذ أن بعضهم ينكر اتصال الملائكة بالبشر عن طريق الوحي[1].

ومما سبق يتبين لنا أن ليس هناك خلاف بين أهل السنة والجماعة في مسألة الوحي وبين ما يراه الآمدي .

(١) انظر الآمدي – غاية المرام – (ص ٣٢٠) .

الفصل الرابع :

إثبات النبوة والرسالة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : إثبات النبوة والرسالة عند المعتزلة

المبحث الثاني : إثبات النبوة والرسالة عند الآمدي

المبحث الثالث : موقف أهل السنة والجماعة

تمهيد :

الأنبياء الذين ابتعثهم الله إلى أقوامهم ، يقولون لمن بعثوا إليهم نحن مرسلون من قبل الله ، وعليكم أن تؤمنوا بذلك ، كما يجب عليكم أن تطيعونا بفعل ما نأمركم به ، واجتناب ما ننهاكم عنه .

وقد أخبرنا الرب سبحانه في سورة الشعراء أن نوحاً خاطب قومه قائلاً :

﴿ ألاَ تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون ﴾ [1].

وبهذا القول نفسه خاطب رسل الله : هود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب أقوامهم ، بل هي مقالة ودعوة كل رسول لقومه .

فإذا كان الأمر كذلك فلابد أن يقيم الله الدلائل والحجج والبراهين المبينة صدق كل من أرسل من قبله سبحانه ، حتى تقوم الحجة على أقوامهم ، ولا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم .

قال تعالى :

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينت ﴾ [2].

أي بالدلائل المتعددة والآيات والواضحة التي تدل على صدقهم فيما ادعوه .

وقد اختلف الناس تجاه تقدير نبوة الأنبياء وإثباتها ، فبعضهم يرى أن النبوة إنما تثبت بالمعجزات دون غيرها ، ولا يمكن إثباتها بدون هذا الطريق ، وهذا هو مسلك المعتزلة ومن وافقهم ، ولهم في تقرير ذلك سبل مضطربة أوقعتهم في محاذير كثيرة منها إنكار خرق العادات لغير الأنبياء ، وأنكروا كرامات الأولياء والسحر ونحو ذلك .

بينما ذهب آخرون إلى جعل المعجزة دليلاً صحيحاً إلى جانب أدلة أخرى على صحة النبوة وإثباتها ، وهذا هو المسلك الصحيح .

---

(١) سورة الشعراء – آية : ١٠٦-١٠٨ .

(٢) سورة الحديد – آية : ٢٥ .

فإن المعجزة وإن كانت دليلاً صحيحاً على إثبات النبوة ، لكن الدليل غير محصور فيها ، إذ المقصود معرفة صدق مدعي النبوة أو كذبه ، فمن قال إني رسول الله ، فهذا خبر : إما أن يكون مطابقاً للمخبر به ، وإما أن يكون مخالفاً له ، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون دعوى النبوة فكيف بدعوى النبوة ؟

والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة ، حتى فيمن يدعي صناعة ما ، فإن التفريق بين الصادق والكاذب منهم له وجوه كثيرة ، والنبوة والرسالة مشتملة على علوم شريفة وأعمال لابد أن يتصف الرسول بها ، فكيف يشتبه الصادق فيها الكاذب ؟

وكيف لا يتبين صدق الصادق وكذب الكاذب ؟

ولما كان مسلك أصحاب هذا القول نابعاً من الكتاب والسنة فإنهم سلموا مما وقع فيه غيرهم من أخطاء .

كإنكار خرق العادات لغير الأنبياء مثل كرامات الأولياء وخوارق السحرة والكهان ، أو جعل بعضهم جنس الخوارق واحد فما يقع على يد الساحر والكاهن من الخوارق يمكن أن يكون معجزة للرسول إذا استدل بها بزعمهم .

وفي هذا الفصل سوف أوضح موقف بعض الطوائف المجانبة لنهج أهل السنة والجماعة ، وهم طائفة المعتزلة ، وذلك في المبحث الأول ، وفي المبحث الثاني سوف أعرض رأي الأمدي بالإضافة إلى مقارنة آراء الآمدي بأراء أئمة المذهب الأشعري ، وفي المبحث الثالث أستعرض موقف أهل السنة والجماعة من تلك الآراء مع بيان الموقف الصحيح تجاه هذه المسألة .

المبحث الأول :
إثبات النبوة والرسالة عند المعتزلة

المبحث الأول: إثبات النبوة والرسالة عند المعتزلة:

ذهب المعتزلة إلى أن النبوة لا تثبت ولا يثبت صدق الشخص الذي يدعي أنه يأتي بوحي من الله تعالى إلا بالمعجزة، إذ إنه إذا ادعى شخص النبوة فإنه لا يثبت صدقه إلاّ إذا صدقه الله تعالى، والذي يدل على صدق النبي من جهته تعالى إنما هو المعجزة، وعلق المعتزلة بذلك وقوع البعثة على معرفة المعجز، «وصار معرفة دلالة المعجز كالأصل لوقوع البعثة وثبوت الشرائع كما أن حصول البعثة فرع عنها» [1].

قال القاضي عبد الجبار:

«فإن قيل: ما دليلكم على نبوة محمد ﷺ وهذا مقصودكم بكل ما قدمتموه؟

قيل له الدليل على نبوته أنه قد ادعى النبوة وظهر عليه المعجز عقيب دعواه» [2].

وليس معنى هذا أن المعتزلة نفت أن تعرف نبوة الأنبياء على الاطلاق إلا بالمعجزات، وإنما قالوا:

إنها لا تعرف من جهة الاستدلال ومع ثبوت التكليف إلا بالمعجزات «فأما مع إرتفاع التكاليف فقد يجوز أن تعلم النبوة بالعلوم الضرورية، لأنه لا شيء يصح أن يعلم باستدلال إلا ويصح أن يعلم باضطرار» [3].

ولذلك فإنه يصح عند المعتزلة أن تعلم نبوة الأنبياء بخبر الأنبياء السابقين وكلها لا تدل من جهته تعالى إلا بالمعجز [4]، «والخبر الواقع من قبله تعالى لو علمناه ولا معجز لدل كدلالة المعجز لكنه لا سبيل لنا إلى أن نعلمه، إلاّ إذا كان نفس الخبر معجزاً أو يقترن به المعجز فتعود الحال في ذلك إلى أنه لا يجوز أن يدل من قبله تعالى على النبوات إلاّ بالمعجزات» [5].

---

(١) القاضي عبد الجبار - المغني - (١٥/١٤٧).

(٢) القاضي عبد الجبار - شرح الأصول الخمسة - (٥٨٥ - ٥٨٦).

(٣) القاضي عبد الجبار - المغني - (١٥/١٤٨).

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق (١٥/١٥٠).

وإذا كانت المعجزة هي الدليل الوحيد على صدق النبي على أنه مبعوث من عند الله إلى الناس ليلزمهم العلم بإتباع ما جاء به ، فما هو تعريف المعجزة وما هي شروطها وما هو وجه دلالتها على صدق الرسول .

مفهوم المعجزة لغةً واصطلاحاً :

يرى المعتزلة أن كل ما خرج عن الأمر المعتاد فإنه معجزة وهو الخارق للعادة إذا اقترن بدعوى النبوة .

يقول القاضي عبد الجبار موضحاً حقيقة المعجز عندهم في اللغة والإصطلاح في شرحه للأصول الخمسة :

« أنه تعالى إذا بعث إلينا رسولاً ليعرفنا المصالح ، فلابد من أن يدعي النبوة ، ويظهر عليه العلم المعجز الدال على صدقه عقيب دعواه للنبوة وذلك يقتضي أن نبين حقيقة المعجز أولاً.

اعلم أن المعجز هو من يعجز الغير ، كما أن المقدر هو من يقدر الغير هذا في اللغة .

وأما في المصطلح عليه فهو الفعل الذي يدل على صدق المدعي للنبوة وشبهه بأصل اللغة ، هو أن البشر يعجزون عن الإتيان بما هذا سبيله فصار كأنه أعجزهم »[1] .

شروط المعجزة :

يرى المعتزلة أن المعجزة لا تدل على صدق مدعي النبوة إلاّ إذا تحققت فيها شروط خاصة .

١- أن يكون الفعل المعجز واقعاً من الله تعالى حقيقة أو حكماً كأنه واقع من جهته جل وعلا .

٢- وأن يكون مما تنتقض به العادة المختصة بمن أظهر المعجز فيه .

٣- وأن يكون هذا الفعل متعذراً على العباد فعل مثله في جنسه أو صفته .

(١) القاضي عبد الجبار - شرح الأصول الخمسة - (ص ٥٦٨ - ٥٦٩) .

٤- وأن يكون مختصاً بمن يدعي النبوة على طريقة التصديق له .

٥- وأن يكون واقعاً عقيب دعواه للنبوة .

٦- وأن يكون مطابقاً لدعواه .

فالفعل لا يكون معجزاً ما لم تكتمل فيه هذه الشروط وإذا أطلق المعجز عندهم فالمراد به ما استوفى هذه الخصائص[١] .

وقد شرح هذه الشروط القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة غير أنه جعلها أربعة شروط ، قال رحمه الله :

« فالفعل لا يدل على صدق المدعي للنبوة إلا إذا كان على أوصاف وشرائط ... »[٢] ، ثم تطرق إلى ذكر هذه الشروط وأعقب ذلك شرحاً لمحترزات تلك الشروط .

« **أحدها** : أن يكون من جهة الله تعالى أو في الحكم كأنه من جهته جل وعز ، وإنما قلنا هذا هكذا ، لأن المعجز ينقسم إلى ما لا يدخل جنسه تحت مقدور القدر[٣] كإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص وقلب العصا حية وما شاكل ، وإلى ما يدخل جنسه تحت مقدور القدر وذلك نحو قلب المدن ونقل الجبال إلى أشباهه وحنين الجذع وما جرى مجراه »[٤] .

وهذا الشرط في غاية الوضوح لأن الغاية من المعجزة هي تصديق المدعي للنبوة فيما ادعاه من رسالة ، فلابد وأن يكون هذا التصديق وارداً من قبل من ادعى النبي أنه مرسل من قبله وهو الحق تبارك وتعالى ، فإذا كان المعجز لا يدخل جنسه تحت مقدور العباد فواضح ، أما إذا كان داخلاً تحت مقدور العباد فيجب أن يكون على الحد الذي لا يتأتى من المخلوقين الإتيان بمثله[٥] .

---

(١) انظر القاضي عبد الجبار – شرح الأصول الخمسة – (ص ٥٦٩) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) في نسخة ص القديم كما أشار إلى ذلك المحقق .

(٤) القاضي عبد الجبار – شرح الأصول الخمسة – (ص ٥٦٩) .

(٥) د/ عماد خفاجي – مناهج البحث في العقيدة بين النصيين والعقليين – رسالة دكتوراه – جامعة الأزهر – كلية أصول الدين – قسم العقيدة والفلسفة (ص ٢٧٨) .

« **والثاني** : أن يكون واقعاً عقيب دعوى المدعي للنبوة ، لأنه لو تقدم الدعوى لم تتعلق به ، فلا يكون بالدلالة على صدقه أحق منه بالدلالة على صدق غيره ، ..... وكذلك فلو تراخى عنه لم تتعلق به فلا يكون بالدلالة على صدقه أحق منه بالدلالة على صدق غيره إلا أنه إذا ثبت صدق المدعي للنبوة بمعجز وتراخى عن دعواه معجز آخر جاز »[1] .

فيجب أن لا تتأخر المعجزة ولا تتقدم عن دعوى النبوة لأنها لو تقدمت لا تكون متعلقة بدعوى النبوة حيث لم توجد بعد وكذلك لو تأخرت بعد موت النبي لم تكن معجزة لأنها لم تتعلق بالدعوى .

يقول القاضي عبد الجبار :

« أفيجوز أن تتقدم المعجزة على دعوى المدعي للنبوة أو تتأخر عنه قيل له : إنا لا نجيز ذلك ، لأن ما يتقدم من المعجز لا يتعلق بالدعوى ، لأن الدعوى لم توجد ، فكيف يصح تعلقه بها ، أو يتأخر فلا يوجد إلا بعد موت النبي ، فإنه أيضاً لا يتعلق بالدعوى لأن حكم الدعوى قد بطل »[2] .

ولكن ماذا يفعل المعتزلة فيما قد ثبت من أخبار عن ظهور معجزات كثيرة لنبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم قبل نبوته وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام .

الواقع أن المعتزلة يرون أنه إذا ثبتت هذه الأخبار فهي مؤولة على معنى أن هذه المعجزات كانت لنبي آخر في الوقت ، هذا بالنسبة لرأيهم في المعجزات الواقعة قبل ظهور دعوة النبي عليه الصلاة والسلام ، أما بالنسبة لما وقع بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، فيجيب عنها القاضي عبد الجبار بقوله :

« وعلى هذا فإن إخبار النبي عن الغيوب[3] ... كلها أعلام معجزة دالة على صدقه مع تأخرها عن دعواه جاز ذلك لثبوت صدقه بدلالة أخرى غير هذه الدلالة »[4] .

(١) المصدر السابق (ص ٥٦٩- ٥٧٠) .

(٢) القاضي عبد الجبار - المغني (٢١٣/١٥) .

(٣) ذكر أمثلة لتلك الأمور الغيبية التي أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام أنها ستقع مثل الفتن التي وقعت بين الصحابة وقتال علي رضي الله عنه للخوارج ، وغير ذلك .

(٤) القاضي عبد الجبار - شرح الأصول الخمسة - (ص ٥٧٠) .

« **والثالث أن** : يكون مطابقاً لدعواه فإنه لو لم يكن كذلك وكان بالعكس لم يكن يتعلق بدعواه فلا يدل على صدقه .

يبين ذلك أن قائلاً لو قال بحضرة جماعة : إني رسول فلان إليكم ، وعلامته أن يحرك رأسه إذا بلغه كلامي هذا ، فإنه إذا بلغه ولم يحرك ، وسكن رأسه ، لم يدل على صدقه ، إن لم يدل على كذبه » [(١)].

والمعتزلة يرون أن المعجزة لا تظهر على يد الكذابين ، ومن هنا رد القاضي عبد الجبار رأي بعض أصحابه حيث أنهم يرون أن المعجز إذا لم يكن مطابقاً للدعوى وكان بالعكس منها ، فإنه والحالة هذه يدل على التكذيب .

وذهب إلى أن هذا القول لا أصل له عندهم بل هو غير جائز في حق الله تعالى لأن تكذيب الله تعالى للشخص بإظهار المعجز المكذب له يعد من قبيل العبث لأن الله تعالى إذا أراد تكذيب شخص كان يمكنه ذلك بأن لا يظهر عليه المعجز عقب دعواه بدون أن يظهر معجزاً مكذباً فإن المعجزات خاصة بالأنبياء فلا يجوز ظهورها على يد الكذابين [(٢)].

« الرابع : أن يكون ناقضاً لعادة من بين ظهرانيه ، لأنه لو لم يكن كذلك لم يكن ليدل على صدق من ظهر عليه أصلاً ألا ترى أن أحدنا إذا ادعى النبوة ، وجعل معجزته طلوع الشمس من مشرقها وغروبها في مغربها لم تصح له دعواه ولم يدل ذلك على صدقه وبالعكس من ذلك فلو ادعى النبوة وجعل معجزته طلوع الشمس من المغرب وغروبها في المشرق ، فإنه يدل على صدقه لما انتقض في أحدهما ولم ينتقض في الآخر » [(٣)].

---

(١) المصدر السابق – (ص ٥٧٠) .

(٢) انظر القاضي عبد الجبار – المغني – (١٥/٢٣٦) ، وانظر شرح الأصول الخمسة له – (ص ٥٧٠) .

(٣) القاضي عبد الجبار – شرح الأصول الخمسة – (ص ٥٧١) .

والذي يبدو أن المراد بالعادة هنا هي عادة من أرسل إليهم الرسول وهم قومه المبعوث فيهم خاصة ، وهو ما أكده القاضي بنفسه في المغني :

« واعلم أن من حق المعجز أن يكون واقعاً من الله تعالى حقيقة ، أو تقديراً ، وأن يكون مما تنتقض به العادة المختصة بمن أظهر المعجز فيه » (١).

ويقول في موضع آخر :

« .... يبين ذلك أن عادة غيرهم لا يعتد بها » (٢).

وبهذا لا يبقى مجالاً للشك في أن المعتبر عندهم هو عادة القوم الذين أرسل النبي إليهم لا عادة غيرهم .

وجه دلالة المعجزة :

ذهبت المعتزلة إلى أن خلق المعجز على يد الكاذب مقدور لله تعالى لعموم قدرته ، لكنه ممتنع وقوعه في حكمته ، لأن فيه إيهام صدقه ، وهو اضلال قبيح من الله فيمتنع صدوره عنه (٣).

ومقتضى ذلك أنهم رأوا أن دلالة المعجزة على صدق صاحبها في دعواه النبوة عقلية ، وليست عادية ، فلا يجوز عقلاً تخلف الصدق عنه (٤).

والظاهر أن الذي ذهب إلى هذا القول جمهور المعتزلة ، وللقاضي عبد الجبار رأي خاص فقد ذهب إلى أن دلالة المعجزة على صدق المدعي هي من باب المواضعة فالمعجزة تنزل منزلة التصديق بالكلام فكأن الله صدق صاحب المعجزة بقوله : صدقت وتكون دلالتها على صدقه كدلالة الكلام على مدلوله ، إلا أنها أوضح منه لأن الكلام يحتمل المجاز والاستعارة بخلاف الفعل فإنه يقوم مقام التصديق ، كما قلنا .

---

(١) القاضي عبد الجبار – المغني – (١٥/١٩٩) .

(٢) المصدر السابق – (١٥/١٨٩) .

(٣) الإيجي – المواقف – (ص ٣٤٢) .

(٤) مغفور عثمان – النبوة والرسالة في الإسلام – (ص ١١٨) .

قال في المغني :

« تنزل المعجزة منزلة التصديق بالقول . فنقول : إذا صح لو صدقه تعالى عند ادعائه النبوة والرسالة كونه نبياً صادقاً ، فكذلك إذا فعل ما يحل هذا المحل من المعجزات لأن بمجموع قوله : « اللهم إن كنت صادقاً فيما ادعيت من الرسالة فأقلب العصا حية » ، ثم وقوع ما سأل عنه مطابقاً لمسألته ، بمنزلة المواضعة المتقدمة على التصديق بل ذلك أقوى في بابه ، لأن من حق التصديق بالقول أن يصح فيه ، والحال هذه ، المجاز والاستعارة لأمر يرجع إلى ذات الكلام وصحة هذه الطريقة فيه . ولا يتأتى ذلك في الفعل المخصوص إذا ألتمسه الرسول من المرسل ليظهر به حاله للمرسل إليه »[1] .

أتضح لنا من النص السابق أن القاضي يرى أن دلالة المعجزة إنما هي من قبيل الدلالة الوضعية العادية ، وذلك لأن الدلالة الوضعية ليست من قبيل الدلالة العقلية بل هي من أقسام الدلالة العادية والمعتبر في المواضعة هو ظهور الأمر ، وإن لم تكن المواطأة فيها متقدمة وما يحصل في الحال يحل محل تقدمه[2] .

إذا كان ذلك فهل يعني أن القاضي يرى جواز تخلف صدق مدعي النبوة عن ظهور المعجزة ، إذ التي لا يجوز تخلف دلالتها كما هو معلوم إنما هي الدلالة العقلية فقط .

الواقع أن القاضي عبد الجبار يرى أن تخلف صدق مدعي النبوة عن ظهور المعجزة غير جائز ، لأن ذلك يودي إلى القبح في حقه تعالى وهو محال على الله عز وجل وبما أن امتناع القبح على الله تعالى عقلي فإن امتناع تخلف الصدق عن ظهور المعجزة كذلك عقلي ومقتضى ذلك أن دلالة المعجزة على صدق صاحبها دلالة عقلية لا يجوز عقلاً تخلفه عنها[3] .

---

(١) القاضي عبد الجبار – المغني – (١٦١/١٥) .

(٢) المصدر السابق – (١٦٩/١٥) .

(٣) انظر مغفور عثمان – النبوة والرسالة في الإسلام – (ص ١١٩) .

يقول في المغني :

« فإن قال : ومن أين أنه لا يجوز منه تعالى في نفس التصديق أن يفعله لغير ما وضع ظاهره له ، وقد علمتم أن ذلك غير ممتنع في الكلام أن يريد به تعالى مرة الحقيقة وأخرى المجاز ؟

قيل له : إن التصديق إذا تجرد عن قرينة ودلالة ، فالواجب حمله على ما وضع له حتى لا يجوز والحال هذه خلافه ، وإنما يجوز في ظاهر الكلام أن يراد به المجاز والاستعارة إذا قارنته الدلالة فأما إذا تجرد فلا يجوز عندنا فيه ذلك ، لأن لو جوزنا خلافه لم يصح أن نفهم بخطابه جل وعز شيئاً ولأوجب ذلك كون خطابه تعالى قبيحاً .

فإذا صح ذلك في التصديق فالواجب مثله في المعجز بل المعجز في بابه أقوى من التصديق »[1] .

ومن هنا تبين لنا أن القاضي عبد الجبار مثل سائر المعتزلة يقول بأن دلالة المعجزة من قبيل الدلالة العقلية إلا أن له مسلكاً خاصاً في بيان رأيه يختلف به عنهم .

موقف المعتزلة من خوارق غير الأنبياء :

تقدم لنا أن المعتزلة قد اعتبروا خرق العادة حداً للمعجزة فلا تخرق العادة إلا في المعجزة ، ولذلك اعتبروا جميع ما حصل للأنبياء وما ظهر على أيديهم من الخوارق اعتبروها جميعاً معجزات[2] .

إن المعجز هو المبين للنبي من غيره ، فإنه لا يجوز عندهم ظهوره على غير الأنبياء من الكذابين أو من الصالحين .

ودلالة المعجزة كما تقدم عقلية لا يجوز تخلفها ، فالدليل مستلزم للمدلول فيلزم من ذلك أن يكون كل من خرقت له العادة نبياً ولا تخرق العادة أصلاً إلاّ لنبي .

---

(١) نفس المصدر السابق (١٧٢/١٥ -١٧٣) .

(٢) انظر عبد الرحمن الحميضي - خوارق العادات في القرآن الكريم - (ص ٢٨) - شركة مكتبات عكاظ - جدة - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

ونتيجة لذلك كذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهـان وبكرامات الصالحين[1] ، وطعنوا في كل ما أورده الرواة من وقوع الخوارق على يـد غير الأنبياء ، أولاً : بأنها من باب أخبار الأحاد وهي لا تفيد إلا الظن فلا يعمل بها بزعمهم في باب الإعتقاد ، وثانياً : بأنها إن ثبتت فيجب أن تؤول[2] .

وشبهتهم في ذلك ، أنه لو وقعت خوارق على أيدي غير الأنبياء فإنها تختلط بالمعجزات ، فتفقد المعجزات بذلك الدلالة على صدق مدعي النبوة .

قال القاضي عبد الجبار :

« ذكر شيخنا أبو هاشم رحمه الله في كثير من كتبه أن الأعلام إنما تـدل على النبوات عن طريق الإبانة والتخصيص وإذا ثبت أنها تدل من جهة الإبانة فيجب ألا يصح ظهورها على غير النبي لأن ذلك ينقض كونها إبانة »[3] .

ولقد تابع المعتزلة على هذا الرأي العلامة ابن حزم عليه رحمة الله قال في المحلى :

« وأن المعجزات لا يأتي بها أحد إلا الأنبياء عليهم السلام قال عز وجل :

﴿ وما كان لرسول أن يأتي بـاية إلا بإذن الله ﴾[4] .

وقال تعالى :

﴿ وإن يروا ءاية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾[5] .

وقال تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام أنه قال :

﴿ أو لو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصـدقين فألقى عصاه ﴾[6].

وقال تعالى :

﴿ فذنك برهـنان من ربك إلى فرعون وملإيه ﴾[7] .

---

(١) شيخ الإسلام – النبوات – (ص ٣) .

(٢) انظر القاضي عبد الجبار – المغني – (١٥/٢٢٥ – ٢٤٠) .

(٣) القاضي عبد الجبار – المغني – (١٥/٢١٨) .

(٤) سورة الرعد – آية : ٣٨ .

(٥) سورة القمر – آية : ٢ .

(٦) سورة الشعراء – آية : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٧) سورة القصص – آية : ٣٢ .

فصح أنه لو أمكن أن يأتي بـه أحـد سـاحر أو غيـره بمـا يحيـل طبيعـة أو يقلب نوعاً لما سمي الله تعالى ما يأتي به الأنبياء عليهم السـلام برهانـاً لهـم ولا آية لهم ، ولا أنكر على من سمي ذلك سحراً ولا يكون ذلـك آيـة لهـم عليهـم السلام »[1] .

ويقول أيضاً :

« ولو كان السحر يحيل طبيعة ، لكان من جنس أعـلام النبـوة الـتي هـي شهادة الله عز وجل للأنبياء بحقهم وصدقهم وهذا خـروج عـن الإسـلام ممـن ساوى بين الأمرين ، وخروج عن المعقول أيضاً ، ومكابرة للضرورة ولا يجوز البتة وجود معجزة وإحالة طبيعة لغير نبي أصلاً ولو كـان ذلـك لمـا كـان بـين النبي وغير النبي فرق »[2] .

وقد فرق المعتزلة بين المعجزة وما يتوصل إليه بالحيل من الشعوذة وغيرها إذ أن المعجز « لابد أن يكون من جهته تعالى أو في الحكم كأنه من جهته جل وعلا ، وليس كذلك الحيلة فإن المعجز لابد أن يكون ناقضاً للعادة خارقـاً لهـا وليس كذلك سبيل ما يتوصل إليه بالحيلة وخفـة اليـد ، وكذلـك فـإن الحيلـة يمكن أن تتعلم وتعلم وهذا غير ثـابت في المعجـز ...... وكذلـك فـإن الحيلـة تفتقر إلى آلات وأدوات لو فقدت واحدة منها لم تنفذ ، وليس كذلك المعجز ، والمشعوذ والمحتال إنما تنفذ حيلته على من لم يكن من أهل صناعتـه ولا يكـون له بها دراية ومعرفة وليس هذا حال المعجز فقد جعل الله معجزة كل نـبي ممـا يتعاطاه أهل زمانه »[3] .

---

(١) أبو محمد علي أحمد بن حزم – المحلى – دار الفكر – (٣٦/١) .
(٢) ابن حزم الأندلسي – الدرة فيما يجب اعتقاده – (ص ١٩٤) .
(٣) عبد الجبار – شرح الأصول الخمسة – (ص ٥٧٢) .

المبحث الثاني :

إثبات النبوة والرسالة عند الآمدي

المبحث الثاني : إثبات النبوة والرسالة عند الآمدي :

١ – مفهوم المعجزة لغة واصطلاحاً :

أ – مفهوم المعجزة لغة :

المعجزة عند سيف الدين الآمدي من حيث اللغة :

« المعجز في وضع اللغة مأخوذ من العجز وفي الحقيقة لا يطلق على غير الله تعالى لكونه خالق العجز وتسمية غيره مُعجزاً كفلق البحر وإحياء الميت وإبراء الأكمة والأبرص فإنما هو بطريق التجوز والتوسع حيث إنه ظهر تعذر المعارضة والمقابلة من المبعوث إليه عند ظهوره وإن لم يكن هو الموجب لذلك تسمية للشيء بما يدانيه وما هو منه لسبب وذلك كما في تسمية مخلوقات الله تعالى دالة عليه لظهور المعرفة بالله تعالى عند ظهورها وإن لم يكن في الحقيقة دَالة إذ الدال في الحقيقة هو ناصب الدليل وهو الله تعالى والمخلوقات إنما هي أدلة ، ثم الخارق الذي يتعذر الإتيان به قد يكون غير مقدور للبشر كخلق الأجسام والألوان وإحياء الموتى ونحو ذلك فلا يكون ذلك في الحقيقة معجوزاً عنه بالنسبة إليهم فإن ما ليس بمقدور لا يكون معجوزاً عنه وقد يكون مقدوراً لهم كما لو كان تحديه بأنهم لا يتحركون في وقت كذا ولو أرادوها لما وجدوا إليها سبيلاً فيكون ذلك معجوزاً عنه بالنسبة إليهم »[1] .

فحقيقة الإعجاز إذاً هو إثبات العجز ، والإثبات هو المعنى المقابل للنفي والإثبات والإعجاز بالمعنى اللغوي واحد .

ب – تعريف المعجزة اصطلاحاً عند السيف الآمدي :

لم يخرج سيف الدين الآمدي عن علماء الأشاعرة بتعريف مغاير من حيث المضمون عما اصطلحوا عليه في تعريف المعجزة فقد اختلفت عباراتهم إلا أنها تدور حول مفهوم واحد وهو ما قصد به إظهار صدق المدعي للنبوة ، وهم في ذلك طريقان فبعضهم عرف المعجزة بذكر صفاتها التي تتميز بها عن غيرها منهم القاضي أبوبكر الباقلاني حيث يقول معرفاً المعجزة :

---

(١) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٠٤/٢ أ – ب) .

« هي أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء وتحديهم للأمم بالإتيان بمثل ذلك »[1] .

وكذلك إمام الحرمين الجويني :

« هي أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المستمرة الظاهرة على حسب دعوى النبوة »[2] .

والسعد التفتازاني :

« أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، ومع عدم المعارضة »[3] .

والبعض الآخر عرف المعجزة بمفهومها بقطع النظر عن صفاتها المميزة لها و لم يذكرها صراحة في التعريف بل جعلها شروطاً ، من هؤلاء الآمدي وكذلك عضد الدين الإيجي .

قال الآمدي في الأبكار :

« وعلى هذا فالعبارة الوافية لغرض المتكلم في المعجزة أنها عبارة عن كل ما قصد به إظهار صدق المدعي للرسالة عن الله تعالى »[4] .

وبمثل تعريف الآمدي عرف الإيجي المعجزة :

« وهي عندنا ما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله »[5] .

والذي يبدو أن تعريف الآمدي وكذلك الإيجي من أفضل وأدق التعريفات عندهم فقد أخذ كل واحد منهما مفهوم المعجزة واقتصر في التعريف عليه[6] ، علماً بأن هذا المفهوم لا يتحقق إلا بتوافر شروط لا يجوز تخلفها عن الفعل وإلا لعد هذا الفعل غير معجز ولما جاز الاستدلال به على صدق مدعي الرسالة .

---

(١) الباقلاني – الإنصاف – (ص ٦١) – تحقيق محمد زاهر الكوثري .

(٢) الجويني – لمع الأدلة في قواعد إعتقاد أهل السنة – (ص ١١٠) – تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود – المؤسسة المصرية العامة للتأليف – مصر – الطبعة الأولى – ١٣٨٥ هـ .

(٣) التفتازاني – شرح المقاصد – (١١/٥) .

(٤) (١٠٤/٢ ق ب) ، وانظر غاية المرام – (ص ٣٣٣) .

(٥) الإيجي – المواقف – (ص ٣٣٩) .

(٦) انظر مغفور عثمان – النبوة والرسالة – رسالة ماجستير – جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م – (ص ١٠٢) .

شروط المعجزة عند الآمدي :

الشروط الواجب توافرها في الفعل المعجز عند الآمدي هي كالتالي :

أولاً : أن تكون من فعل الله تعالى وخلقه أو قائمة مقام فعله .

« أما أنها لابد وأن تكون من فعل الله أو قائمة مقام فعله لأنها إنما تدل على صدقه من جهة نزولها منزلة التصديق بالقول من الله تعالى له على ما سيأتي تحقيقه ولو لم يكن من فعل الله تعالى لما كانت متعلقة به فلا تكون نازلة منه منزلة التصديق له بالقول ومعنى قولنا أو قائمة مقام الفعل أي في قصد التصديق للرسول وذلك كما لو قال النبي معجزتي أي الذين اتحدى عليهم بالنبوة في وقتي هذا لو أرادوا القيام لما وجدوا إليه سبيلاً وذلك عند تحققه من أعظم المعجزات »[1] .

ثانياً : أن تكون خارقة للعادة[2] .

وذلك لأن الفعل المعجز « منزل من الله تعالى منزلة التصديق فالقول كما يأتي وما لا يكون خارقاً للعادة بل هو معتاد الوقوع كطلوع الشمس في كل يوم وكالقيام والقعود فلا يكون ذلك دالاً على الصدق كما لو قال آيتي في نبوتي أن الشمس تطلع غداً أو إني أقوم وأقعد لضرورة مساواة غيره له فيه حتى الكذاب في دعوى النبوة ولا يشترط أن يكون ما يأتي به من الخوارق معيناً من جهته بالإتفاق »[3] .

ثالثاً : أن تتعذر على المبعوث إليه المعارضة[4] .

فإن « عجز الناس عن معارضته مع توفر دواعيهم على مقابلته وإفحامه في رسالته ينهض دليلاً قاطعاً على صدق مقالته »[5] .

(١) الآمدي - أبكار الأفكار - (١٠٤/٢ - ب) .
(٢) المصدر السابق ، وانظر غاية المرام (ص ٣٢٧) .
(٣) الأبكار - (١٠٥/٢ - أ) .
(٤) الآمدي - غاية المرام (ص ٣٢٧) .
(٥) الامدي - غاية المرام - (ص ٣٢٧ - ٣٢٨) .

« ولو لم يكن كذلك لكان النبي مساوياً لمن ليس بنبي في ذلك ويخرج المعجز عن كونه نازلاً من الله تعالى منزلة التصديق »[1] .

رابعاً : أن تكون ظاهرة مع دعوى النبوة وعلى وفق دعواه[2] .

« وذلك كما إذا قال : أنا رسول وآية صدقي نزول المطر في هذه الحالة وليس ثمَّ غيم ولا تصاعد أبخرة ولا علامة دالة على نزول المطر فإنه إذا نزل المطر كان ذلك آية صدقه من حيث وقوعه على وفق مقالته وعدم دخوله تحت قدرته ، وإن كان نزول المطر في نفسه ليس بخارق ولا نادر »[3] .

وأما إن كان الفعل الخارق « ظهر على يد غير مدعي النبوة أو على يده لكن على خلاف ما ادعاه فلا يكون نازلاً منزلة التصديق من الله تعالى ولا يشترط التصريح بالتحدي كما ذهب إليه بعضهم بل يكفي في ذلك قرائن الأحوال وذلك كما لو ادعى النبوة فقيل له لو كنت صادقاً لظهرت الآية على صدقك فدعى الله بظهورها ، فظهورها يكون دليلاً على صدقه ، ويكون ذلك نازلاً منزلة التصريح بالتحدي »[4] .

خامساً : أن تكون مقارنة لدعواه غير مكذبة له ولا متقدمة عليها[5] ، ولا متأخرة عنها[6] .

« كما إذا قال أنا رسول وآية صدقي أن ينطق الله تعالى يدي فلو نطقت قائلة إنه كاذب فيما يدعيه لم يكن ذلك آية على صدقه بل على كذبه لأن المكذب هو نفس الخارق وهذا بخلاف ما لو قال آية صدقي في إحياء هذا الميت فأحياه قائلاً إن المدعي كاذب واستمر على الحياة والتكذيب فإنه لا يعتد بتكذيبه ولا يكون مؤثراً في دلالة الإحياء على صدقه إذ المعجز إنما هو الإحياء وهو غير مكذب له والمكذب إنما هو كلام الشخص الذي خلقت فيه

---

(١) الآمدي - أبكار الأفكار - (٢/١٠٥ - أ) .
(٢) المصدر السابق - (٢/١٠٤ - ب) .
(٣) الآمدي - غاية المرام - (ص ٣٣٢) .
(٤) الآمدي - أبكار الأفكار - (٢/١٠٥ - ب) .
(٥) المصدر السابق - (٢/١٠٤ - ب) .
(٦) الآمدي - غاية المرام - (ص ٣٣٤) .

الحياة وهو غير معجز وهذا مما لم يعرف فيه خلافاً بين الأصحاب ، ولو خر عقيب الإحياء والتكذيب ميتاً فقد قال القاضي : إنه يدل على تكذيبه كتكذيب اليد والحق أنه لا فرق بين تكذيبه مع استمرار الحياة وتكذيبه مع تعقب الموت له من حيث إن نطقه بعد إحيائه ليس بمعجز وإنما المعجز الإحياء بخلاف نطق اليد وأما أنها لا تكون متقدمة على دعواه وذلك كما لو قال آية صدقي ما ظهر على يدي من الخارق لأنها إنما تدل على صدقه من حيث إنها نازلة منزلة التصديق له والخارق المتقدم لا يكون كذلك »[1] .

وبعد أن قرر الآمدي امتناع تقدم المعجزة على الدعوى أشار رحمه الله إلى اعتراض مفاده أن ذلك يفضي إلى إبطال كثير مما نقل من معجزات نبينا والأنبياء السابقين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم « فإن قيل ما ذكرتموه من امتناع تقدم المعجزة على الدعوى يفضي إلى إبطال كثير مما نقل من معجزات أنبيائكم وذلك ككلام عيسى في المهد وتساقط الرطب الجني عليه من النخلة اليابسة قبل نبوته وكذلك ما نقلتموه من معجزات نبيكم قبل مبعثه كتسليم الحجر والشجر والمدر وشق بطنه وغسل قلبه إلى غير ذلك فنقول كل خارق ظهر قبل على يد النبي قبل مبعثه فهو من باب الكرامات والأنبياء قبل البعثة فلا يخرجون عن درجة الأولياء »[2] .

وعند مراجعة شروط المعجزة عند أئمة الأشعرية نجد إنه ليس هناك فرق بين الشروط التي اشترطها الآمدي وبين ما اشترطوه للمعجزة[3] .

وجه دلالة المعجزة :

يقرر الأشاعرة ومنهم الآمدي أن العلم بصحة نبوة النبي فرع العلم بصحة المعجزة الدالة على صدقه في دعواه ، إذا لم يضطرنا الله تعالى إلى العلم بصدقه فإذا ظهر على مدعي النبوة من فعل الله تعالى ما ينقض العادة عند

---

(١) الآمدي - أبكار الأفكار - (٢/١٠٥ - ق ب) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر الجويني - الإرشاد - (ص ٣٠٨ - ٣١٥) ، والإيجي - المواقف - (ص ٣٣٩ - ٣٤٠) ، والبيجوري - تحفة المريد على جوهرة التوحيد - (ص ٨٣) - مطبعة الحلبي - مصر - ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .

دعوى المدعي رسالته من الله تعالى ، وكان الذي ظهر مطابقاً لدعـواه ، علـم بذلك أنه تعالى قصد بذلك تصديقه في دعواه ، وصار إظهـاره لذلـك مطابقـاً لدعواه بمنزلة تصديقه له ، فإذاً المعجزة تكون بمنزلة صريح القول من الله تعالى بصدق النبي وكأن الله تعالى يقول : « صدق عبدي فيما يبلغ عني » .

ولكن ما هو نوع الدلالة في المعجزة على صدق الرسول عند الآمدي ؟

هل هي الدلالة العادية ، ومعلوم أن الدلالة العادية يصح أن تتخلـف لأن العـادة يصـح أن تتخلـف ، أو أنهـا دلالـة سمعية أي أنهـا لا تثبت إلا بقـول الرسول مع أن قول الرسول لا يثبت إلا بـالمعجزة فيكـون هنـاك دور ؟ أو أن دلالة المعجزة على صـدق الرسـول دلالـة عقلية كدلالـة الفعـل علـى الفـاعل ودلالة إحكام الفعل على كونه عالماً بما صدر عنه فـإن الأدلـة العقلية ترتبـط لنفسها بمدلولاتها ولا يجوز تقديرها غير ذلك[1] .

وإذا كانت دلالة المعجزة من هذا النـوع فـإن هـذا يعـني أنـه في وجـوب المعجزة وجوب صدق الرسول لا محالة ، ومحال أن تظهر على يد الكاذب لأن المعجزة بمنزلة التصديق من الله تعالى ومحال عليه أن يصدق الكاذب .

يقول أبو الحسن الآمدي في ذلك :

« أما أنها ليسـت دلالـة عقلية لأن مـا دل عقـلاً فيـدل لنفسـه ويرتبـط بمدلوله لذاته ولا يجوز تقديره غير دال وذلك كدلالة الفعل على الفاعل ودلالة الفعل المحكم على علم فاعله إلى غير ذلك مـن الأدلة العقلية ودلالـة المعجزة على صدق المدعي للرسالة ليست كذلك وإلا لما تصوّر وجودها إلاّ وهي دالة على صدق الرسول وليس كذلك فإنه يجوز خـرق العوايـد عنـد تصـرم الدنيـا كانفطار السـموات وانتثـار الكواكـب وتدكـدك الجبـال وتبـدل الأرض غـير الأرض إلى غير ذلك مع عدم دلالتها على تصديق مدعي النبوة فإنه لا إرسـال ولا رسول في ذلك الوقت وكذلك ظهور الكرامات على أيدي الأولياء علـى ما يأتي من غير دلالة »[2] .

---

(١) انظر شرح المواقف - (ص ١٠٦) - تحقيق ديبصار .

(٢) الآمدي - أبكار الأفكار - (٢/١٠٦ - ب) .

وإذا كان الآمدي لا يعتبر دلالة المعجزة دلالة عقلية فهل يعتبرها من قبيل الدلالة السمعية ، الحقيقة أنه لا يرى ذلك فهو يرى تبعاً للقاضي الباقلاني وكبار المحققين من أصحابه أن دلالتها ليست من قبيل الدلالة العقلية أو السمعية على السواء ، ويقول معللاً ذلك :

« وأما أنها ليست سمعية فلأن الدلالة السمعية متوقفة على صدق الرسول فلو وقف صدق الرسول عليها لكان دوراً »[1] .

وإذا كانت دلالة المعجزة ليست من قبيل الدلالة العقلية أو السمعية وهو ما قرره الآمدي كما تقدم فما هو المعتبر في دلالتها عنده ؟

الحقيقة أن الآمدي يرى أن دلالة المعجزة من قبيل الدلالة الوضعية النازلة منزلة التصديق بالقول .

قال الآمدي :

« بل دلالتها على صدقه غير خارج عن الدلالات الوضعية النازلة منزلة التصديق بالقول والدلالة الوضعية في ذلك منقسمة إلى ما يعلم بصريح المقال وإلى ما يعرف بقرائن الأحوال ، فالأول كما لو قال القائل للمخاطبين إذا رأيتموني أفعل كذا على كذا عند ادعاء زيد مثلاً إنه رسول عني فأعلموا أني أقصد بذلك تصديقه في دعواه فتقدير تحقق ذلك منه عند دعوى زيد إنه رسول عنه مع العلم بانتفاء الغفلة والذهول عنه في ما يفعله وانتفاء قرائن الهزل عنه فإن فعله مع المواضعة السابقة منه منزل منزلة في قوله صدق ، والثاني فكما لو عن أمر عظيم وخطب جسيم متعلق بتشوش دولة بعض العظماء من الملوك وأكابر الجبابرة وإفساد ولايته فأمر بجمع الناس الخاص منهم والعام وجلس على سرير مملكته والناس محفون لخدمته لقصد بذل الجهد واستفراغ الوسع في دفع ذلك الخطب الملم وتظافرت قرائن الجد وانتفاء الهزل فلو قام واحد من عرض الناس وقال : أيها الناس إني رسول هذا الملك إليكم في كذا أو كذا وهو الرأي منه وآيتي في صدقي إني إذا قلت له قم ثلاث مرات وأقعد وخالف ما هو المألوف من عادتك فعل ذلك ولو أراد ذلك أحدكم لما وجد إليه

(١) المصدر السابق .

سبيلاً ، فتقدير وقوع ذلك من الملك عقيب قوله ذلك منزل منزلة قوله صدق ويضطر كل أحد من الحاضرين إلى العلم بذلك وأن لم تسبق من الملك مواضعة في ذلك ولا يخفى أن إظهار المعجزة على يد مُدعي الرسالة نازل منزلة القسم الثاني من المواضعة دون الأول فكانت نازلة من الله تعالى منزلة قوله صدق »[1] .

وفي هذا المثال يتبين لنا أن حصول المعرفة بصدق النبي بالمعجزة ضروري عند أبي الحسن الآمدي .

والخلاصة أن دلالة المعجزة على صدق النبي عند سيف الدين الآمدي من قبيل الدلالة الوضعية المنزلة منزلة التصديق بالقول وقد تابع الآمدي في ذلك كبار نظار الأشاعرة كإمام الحرمين وأبي بكر الباقلاني[2] .

موقف الآمدي من الكرامة :

اتضح لنا مما سبق مذهب سيف الدين الآمدي في المعجزة وشروطها ودلالتها والآن سوف نتعرف على رأيه في الكرامة وهل هناك فروقاً واضحة من وجهة نظره بين الكرامة والمعجزة .

ثم هل إثبات الكرامة عنده يبطل دلالة المعجزة كما يقول البعض أم إنه يرى أن إثباتها لا يبطل دلالة المعجزة هذا ما سوف أتعرض له في هذا المبحث ولابد في البداية أن نعرف مذهبه في الكرامة .

فالآمدي عليه رحمة الله يجيز الخراق العادة للأولياء كرامة ، وهو بهذا يخالف المعتزلة ومن وافقهم إذ يقول :

« كل خارق ظهر قبل على يد النبي قبل مبعثه فهو من باب الكرامات والأنبياء قبل البعثة فلا يخرجون عن درجة الأولياء وظهور الكرامات على أيدي الأولياء جائز عندنا على ما سيأتي تحقيقه »[3].

---

(1) المصدر السابق – (٢/١٠٦ – ب ، ١٠٧ – أ) ، وانظر غاية المرام (ص ٣٢٨) .

(2) انظر إمام الحرمين الجويني – الإرشاد – (ص ٣٢٥) ، ود/ أحمد عبد اللطيف – منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة – الطبعة الأولى – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض – (ص ٤٧٣) .

(3) أبكار الأفكار – (٢/١٠٥ – ق ب) .

وهو بذلك لم يكن خارجاً عما ذهبت إليه أئمة الأشاعرة من قبله حيث إنهم كما أشار يرون جواز انخراق العادة للأولياء كرامة[1] .

ويستدل أبو الحسن الآمدي على تجويز وقوع الكرامة ، بأنها من الخوارق التي تقع تحت قدرة الله وإنكار ذلك يفضي إلى التعجيز وإبطال كون الفعل مقدوراً لله تعالى وهو مستحيل .

ويستدل أيضاً بما اشتهر من قصص بعض أهل الصلاح وما تم لهم من الآيات الغريبة والأمور العجيبة التي لم تجر العادة بمثلها وفي ذلك يقول :

« وأما أهل التحقيق فلم يمنعوا من جواز اجراء مثل ذلك على يدي من ليس بنبي لكن منهم من قال : إن ذلك لا يقع إلاّ من غير ايثار واختيار ، بخلاف المعجزة .

وذلك كله مما لا نرتضيه فإنه ما من أمر يقدر من الأفعال الخارقة وغير الخارقة إلا وهو مقدور لله تعالى أن يظهره على يدي من شاء من عباده على حسب إيثاره واختياره وإنكار ذلك يجر إلى التعجيز ، وإبطال كون الفعل مقدوراً لله تعالى وهو مستحيل .

ثم كيف ينكر وقوع مثل ذلك مع اشتهار ما جري من قصة أصحاب الكهف ، وأمي موسى وعيسى ، وما تم لهما من الآيات الغريبة والأمور العجيبة التي لم تجر العادة بمثلها ، ولم يكونوا أنبياء إجماعاً »[2] .

وما دامت الكرامة ثابتة بالعقل والسمع عند الآمدي فالقول بجوازها لا يبطل دلالة المعجزة[3] ، وهو بذلك يوافق جمهور الأشاعرة[4] خلافاً للمعتزلة ومن وافقهم .

---

(1) انظر المصدر السابق ، والجويني - الإرشاد - (ص ٣١٦) وما بعدها ، والبغدادي - أصول الدين - (ص ١٨٤) ، والبيضاوي - طوالع الأنوار - (ص ٢١٩) وما بعدها ، والتفتازاني - شرح المقاصد - (٥ / ٧٢) وما بعدها ، والإيجي - المواقف - (ص ٣٧٠) .

(2) غاية المرام - (ص ٣٣٥) .

(3) غاية المرام - (ص ٣٣٤ - ٣٣٥) .

(4) انظر أبكار الأفكار - (١١٧/٢ - أ) ، وانظر غاية المرام (ص ٣٣٤) .

وفي رأي المثبتين للكرامات ومنهم أبو الحسن الآمدي أن هناك فروقاً واضحة بين الكرامة والمعجزة بحيث لا يؤدي وقوع الكرامة على أيدي الأولياء إلى إبطال دلالة المعجزة .

فالمعجزة عند الآمدي خارق يأتي على حسب دعوى النبوة بخلاف الكرامة حيث لا تأتي مقترنة بمثل هذه الدعوى وإنما مع دعوى الولاية يقول أبو الحسن مبيناً خلاف أصحابه في ماهية الفرق بين المعجزة والكرامة :

« ثم اختلف أصحابنا فيها فذهب الأستاذ أبو إسحاق إلى أن الكرامات الظاهرة على أيدي الأولياء لا تبلغ مبلغ المعجزات الخارقة للعادة تفرقة بينها وبين المعجزات وذهب الباقون إلى جواز ذلك ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال الكرامات لا تقع مع القصد والاختيار بل لو قصد الولي إيقاعها لما وقعت تفرقة بينها وبين المعجزات .

وذهب الأكثرون منهم إلى جواز وقوعها مع الاختيار ثم اختلف هؤلاء في جواز وقوعها مع الدعوى من الولي فذهب الأكثرون إلى المنع من ذلك تفرقة بينها وبين المعجزات وقال القاضي أبوبكر : ذلك غير ممتنع في العقل لكن بشرط ألا يكون ادعاه لذلك على طريق التعظيم والخيلاء فإن ذلك ليس من شعار الأولياء والصالحين ، والفرق مع ذلك بين المعجزات والكرامات أن المعجزات مع دعوى النبوة والكرامات مع دعوى الولاية ولا منافاة .

وعلى كل تقدير ومذهب فالفرق بين المعجزات والكرامات واضح وقد اتفق الكل على امتناع تسمية الكرامات معجزات وعلى تخصيص هذا بآيات الأنبياء لما فيها من تعجيز الذين معهم التحدي عن المقابلة بمثلها بخلاف الكرامات أو لا تحدي فيها »[1] .

وقال في موضع آخر :

« فإذاً الفرق المرضي ليس إلاَّ في أن المعجزة واقعة على وفق الدعوى دون غيرها من الأفعال ، ولا افتراق بينهما في الجواز العقلي أو في غير ذلك »[2] .

---

(١) الآمدي - أبكار الأفكار - (١١٧/٢ - أ) .

(٢) الآمدي - غاية المرام - (ص ٣٣٤) .

موقف الآمدي من السحر :

وكما أنكر المعتزلة الكرامة طرداً لدلالة المعجزة على صدق النبي لأن الدليل يستلزم المدلول فمتى ما وجد الدليل وجد المدلول .

أنكروا أيضاً السحر للسبب نفسه وهو طرد دلالة المعجزة فكما تقدم أن مفهوم المعجز عندهم هو الأمر الخارق للعادة فلا يمكن أن تخرق العادة إلاّ للنبي وإلاّ لما كان الخارق دليلاً .

والآمدي يخالف المعتزلة ويرى أن الجمهور متفقون على إثبات السحر والتشنيع على من أنكره .

كما أنه يرى ظهور السحر لا يبطل دلالة المعجزة وأن هناك فرق واضح بين السحر والمعجزة والكرامة إذ ليس هناك أحد من العقلاء يجوز مساواة السحر لمعجزات الأنبياء ، قال في معرض رده لشبهة القائلين بعدم إمكان التمييز بين السحر والكرامة والمعجزة .

« وأما الإشارة إلى عدم تمييز المعجزة عن الكرامة والسحر والطلسمات ، وغير ذلك من الأمور العجيبات فالجواب الإجمالي فيه هو أن ادعاء أن يكون كل مقدور لله تعالى مما يمكن تأتيه بهذه الأمور مما يعلم بطلانه بالضرورة فإن أحداً من العقلاء لا يجوز انتهاء السحر والطلسم وغيره من الصنائع إلى فلق البحر وإحياء الميت وإبراء الأكمة والأبرص »[1] .

وقال في موضع آخر :

« أن السحر وأن أنكره معظم القدرية غير أن أهل الحق معترفون به ومع ذلك فالحق أن يقال السحر لا يخلو أما ألا ينتهي إلى حد المعجزة كفلق البحر وإحياء الميت وإبراء الأكمة والأبرص ، كما هو مذهب جميع العقلاء أو إنه ينتهي إلى حد الإعجاز ، فإن كان الأول فقد تحقق الفرق بين السحر والمعجزة وإن كان الثاني فإما ألاّ يتحدى معه الساحر بالنبوة أو يتحدى ، فإن لم يتحد فقد تم الفرق أيضاً وإن تحدى بالنبوة فعندنا إنه لابد من أحد أمرين ، وهو إما ألا يخلقه الله على يده فإنا بينا أنه لا خالق إلا الله تعالى وإما أن يخلق مثله

(١) الآمدي – غاية المرام – (ص ٣٣٢) .

على يد غيره معارضاً له وإلاّ كان خلقه على يده مع تحديه بالنبوة وإعجاز من غير معارضة ينزل منزلة التصديق من الله تعالى له وهو محال مع كذبه »[1] .

بمعنى أن الساحر لا يمكن أن تظهر على يديه الخوارق في حال ادعائه النبوة لأن الفعل المعجز لا يظهر من وجهة نظر الآمدي على يد كاذب ، إذ أنه في النهاية يكون في حكم التصديق له من الله تعالى ، وتصديق الكاذب كذب والكذب محال على الله .

المعجزة هي الدليل الوحيد على صدق النبي عند الآمدي :

فيما سبق اتضح لنا رأي المعتزلة وطريقهم لإثبات هذه المسألة فهم يرون أن المعجزة هي الدليل الوحيد على صدق النبي ، إذ لا يجوز أن تنخرق العادة إلا للنبي ، وانخراق العادة دليل على صدق النبي وأنه مرسل من قبله سبحانه وتعالى[2] .

فهل كانت المعجزة وحدها الدليل الوحيد للوصول إلى معرفة صدق الرسل في ادعائهم الرسالة عند الأشاعرة ؟

يرى الإمام الباقلاني أن المعجزة ليست وحدها الطريق إلى معرفة صدق الرسل في ادعائهم الرسالة ، فكما يستدل بالمعجزة على صدق من ظهرت على يده كذلك يستدل على صدق نبوة من ادعى النبوة بما أخبر عنه صاحب المعجزة أنه لا يكذب ، وبأنه صادق فيما أخبر ، ومن هنا صح الاستدلال على نبوة النبي التالي بخبر النبي السابق [3] .

وقد قرر الشهرستاني[4] مثل ذلك وكذلك الغزالي[5] ، إلا أن إمام الحرمين لا يرتضي ما ذهبوا إليه مقرراً « بأنه ليس في المقدور نصب دليل على صدق النبي غير المعجزة » [6] .

---

(١) الآمدي – أبكار الأفكار – (٢/١١٦ – أ) .
(٢) انظر عبد الجبار – شرح الأصول الخمسة – (ص ٥٨٥ – ٥٨٦) .
(٣) انظر الباقلاني – التمهيد – (ص ١٣) .
(٤) انظر الشهرستاني – نهاية الإقدام – (ص ٤٤٢ – ٤٤٣) .
(٥) انظر الغزالي – المنقذ من الضلال – (ص ١٣٣) – تحقيق عبد الحليم محمود – دار الكتاب اللبناني – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٧٩م ، وأحمد ليلة – فكر الإمام الرازي في النبوات – (ص ١٩٤) رسالة دكتوراة – كلية أصول الدين – جامعة الأزهر .
(٦) انظر الجويني – الإرشاد – (ص ٣٣١) .

وقد تابع الأشاعرة في مرحلة الجمع والاختيار الباقلاني معتذرين عن الجويني بأن رأيه في ذلك محمول على ما يصلح دليلاً للنبوة على الاطلاق وحجة على المنكرين بالنسبة إلى كل نبي حتى الذي لا نبي قبله ولا كتاب [1].

إلاَّ أن عبارة الجويني بعيدة كل البعد عما اعتذروا به ، فهي واضحة الدلالة لا لبس فيها ولا غموض ، فهي نص على أن الطريق الوحيد والممكن نصبه على صدق النبوة هو المعجزة لا غير [2].

« فإن قيل هل في المقدور نصب الدليل على صدق النبوة غير المعجزة ؟ قلنا : ذلك غير ممكن » [3].

و لم يكن رأي الآمدي ببعيد عما ذهب إليه إمام الحرمين ، فهو يرى أن الذي يدل على صحة رسالة صاحب الدعوة هو ما يظهر على يديه من الخوارق المعجزة والآيات الباهرة ، و لم يذكر خلال عرضه للمسألة أن هناك مسالك أخرى يمكن الاستدلال بها على صحة رسالة مدعي النبوة كما فعل غيره من متكلمي الأشاعرة [4]، بل اقتصر في ذلك على المعجزة و لم يذكر سواها .

وفي ذلك يقول :

« الأصل الرابع في إثبات رسالة محمد ﷺ ومن ثبتت نبوته واشتهرت رسالته بالمعجزات والآيات والباهرات كموسى وعيسى وغيرهما بما تواترت به الأخبار مما ظهر على أيديهم كفلق البحر وقلب العصا حية ، وإحياء الميت وإبراء الأكمة والأبرص وغير ذلك كثير غير أنا نقتصر من ذلك على إثبات رسالة سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ، إذ الطوائف على إنكار بعثته متفقون ....

(١) انظر التفتازاني – شرح المقاصد – (ص/١٩) ، والإيجي – المواقف – (ص ٣٤٩) ، ود/ عماد خفاجي – مناهج التفكير في العقيدة بين النصيين والعقليين – (٥٣٠/٢) رسالة دكتوراه – جامعة الأزهر – كلية أصول الدين .

(٢) انظر د/ أحمد عبد اللطيف – منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة – (ص ٤٧٨) – الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض .

(٣) الجويني – الإرشاد – (ص ٣٣١) .

(٤) انظر الإيجي – المواقف – (ص ٣٤٩) ، والبيضاوي – طوالع الأنوار – (ص ٢١١) وما بعدها .

والذي يدل على كونه رسولاً من عند الله تعالى أن نقول أن محمداً كان موجوداً أو إنه ادعى الرسالة عن الله تعالى ، وأنه ظهرت المعجزات على يديه ، وأنه تحدى بها ولم يوجد لها معارض فكان رسولاً » [1].

وقال في موضع آخر :

« والذي يدل على صحة رسالته ، وصدقه في دعوته ، ما ظهر على يده من المعجزات والآيات الباهرات » [2].

فالآمدي كما اتضح لا يعتبر المعجزة دليلاً على صدق النبي فقط ، بل يعتبرها الدليل الوحيد على ذلك ، إذ لو كان يرى أن هناك أدلة أخرى تصلح عنده للاحتجاج لذكرها في معرض رده على المخالفين أو في ثنايا كتابه الضخم الأبكار ، والذي يعتبر من أوسع وأكبر كتب علم الكلام .

---

(١) الآمدي - أبكار الأفكار - (١١٩/٢ - ب) .

(٢) الآمدي - غاية المرام - (ص ٣٤١) .

المبحث الثالث :

موقف أهل السنة والجماعة

المبحث الثالث : موقف أهل السنة والجماعة :

أهل السنة والجماعة ينتقدون المتكلمين عموماً ومنهم سيف الدين الآمدي في بعض ما يذكرونه من شروط لصحة دلالة المعجزة على صدق النبي ، كما أنهم يخالفونهم في حكم تلك الدلالة .

وهم مع ذلك يتفقون مع المتكلمين في أن المعجزة طريق صحيح لإثبات صدق النبي في دعواه النبوة ، ولكنهم يرون أن المعجزة ليست الدليل الوحيد بل هناك أدلة أخرى لإثبات صدق النبي في دعواه للنبوة .

يقول شيخ الإسلام :

« ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح لتقرير نبوة الأنبياء »[1].

وشيخ الإسلام مع أنه قد يجري على قلمه في بعض الأحيان تسمية دليل النبي على صدق دعواه باسم المعجزة على نحو ما يعبر عنه المتكلمون ، إلا أنه قد بين أن القرآن سماه آية وبرهاناً ولم يسمه معجزة .

يقول شيخ الإسلام :

« ولهذا لم يسمها « أي المعجزات » الله في كتابه إلاّ آيات وبراهين ، فإن ذلك اسم يدل على مقصودها ويختص بها ولا يقع على غيرها لما يسمها معجزة ولا خرق عادة ، وإن كان ذلك من بعض صفاتها فهي لا تكون آية وبرهاناً ، حتى تكون قد خرقت العادة وعجز الناس عن الاتيان بمثلها »[2].

ويقول أيضاً :

« فالآيات التي تكون آيات للأنبياء هي دليل وبرهان والله تعالى سماها برهاناً في قوله لموسى :

﴿ فذانك برهـٰنان من ربك ﴾[3].

وهما العصا واليد وسماها برهاناً وآيات في مواضع كثيرة من القرآن »[4].

---

(١) ابن تيمية – شرح العقيدة الأصفهانية – (ص ٨٩) .

(٢) ابن تيمية – النبوات – (ص ٣١٠) .

(٣) سورة القصص – آية : ٣٢ .

(٤) ابن تيمية – النبوات – (ص ٢٨٧) .

ولقد تقدم معنا أن الآمدي كغيره من المتكلمين اشترط لكي تحقق المعجزة دلالتها على صحة دعوى النبي أن تكون خارقة للعادة ، وهو محل اتفاق أيضاً عند أهل السنة والجماعة يقول شيخ الإسلام :

« جنس آيات الأنبياء خارجة عن مقدور البشر بل وعن مقدور جنس الحيوان » [1].

ويقول أيضاً :

« فآية النبي لا بد أن تكون خارقة للعادة ، بمعنى أنها ليست معتادة للآدميين ، وذلك لأنها حينئذٍ لا تكون مختصة بالنبي بل مشتركة » [2].

ونلاحظ هنا أن شيخ الإسلام لا يعتبر في تحقيق شرط خرق العادة بمجرد عادة المدعوين فقط كما يرى ذلك أكثر المتكلمين فهو يخالفهم في ذلك ويرى أن ما ذهبوا إليه غير صحيح ، فلابد أن يكون الفعل المعجز خارقاً للعادة عند جميع المخلوقات الأنس والجن ، لأنها لو لم تكن خارقة لعادة الناس جميعاً لوجد في الناس من يأتي بمثل ما أتي به الأنبياء من الأفعال المعجزة التي اختصهم الله بها وفي ذلك يقول :

« إنّ ما تأتي به السحرة والكهان والمشركون وأهل البدع من أهل الملل لا يخرج عن كونه مقدوراً للإنس والجن ، وآيات الأنبياء لا يقدر على مثلها لا الإنس ولا الجن ، كما قال تعالى :

﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾[3] » [4].

ويقول أيضاً :

« فإن قيل فما آيات الأنبياء قيل هي آيات الأنبياء التي تعلم أنها مختصة بالأنبياء ، وأنها مستلزمة لصدقهم ولا تكون إلاّ مع صدقهم وهي لا بد أن تكون خارقة للعادة

---

(١) ابن تيمية – النبوات – (ص ٩) .

(٢) المصدر السابق – (ص ١٩) .

(٣) الإسراء – آية : ٨٨ .

(٤) النبوات – (ص ٤٢٥) .

خارجة عن قدرة الإنس والجن ، ولا يمكن أحداً أن يعارضها لكن كونها خارقة للعادة ولا تمكن معارضتها هو من لوازمها ليس هو حداً مطابقاً لها »[1].

وأهل السنة وإن كانوا يوافقون المتكلمين في كون المعجزة لابد وأن تكون خارقة للعادة ، فإنهم مع ذلك لا يعتبرون مجرد خرق العادة هو مناط الإعجاز ومناط صحة الدلالة على صدق النبي لأن ذلك لا ضابط له .

يقول شيخ الإسلام :

« فلهذا لم يكن في كلام الله ورسوله وسلف الأمة وأئمتها وصف آيات الأنبياء بمجرد كونها خارقة للعادة ، ولا يجوز أن يجعل مجرد خرق العادة هو الدليل ، فإن هذا لا ضابط له ، وهو مشترك بين الأنبياء وغيرهم ، ولكن إذا قيل من شرطها أن تكون خارقة للعادة ، بمعنى أنها لا تكون معتادة للناس فهذا ظاهر يعرفه كل أحد ، ويعرفون أن الأمر المعتاد مثل الأكل والشرب والركوب والسفر وطلوع الشمس وغروبها ونزول المطر في وقته ، وظهور الثمرة في وقتها ليس دليلاً ، ولا يدعي أحد أن مثل هذا دليل له فإن فساد هذا ظاهر لكل أحد »[2].

وقد بين أبو الحسن الآمدي العلة في اشتراطه خرق العادة في الفعل المعجز ، فهو يرى أن العلم المعتاد لا يصح دليلاً للتمييز بين النبي وغيره من الناس ، وحتى لا يشتبه النبي بمدعي النبوة ، وهذا لا خلاف عليه وهو صواب منه ، ولكن وجه المأخذ عليه ، وعلى غيره من المتكلمين هو تسويتهم بين معجزات الأنبياء وما يقع على أيدي السحرة والكهان وأهل الطلسمات من الخوارق في درجة خرق العادة ، فقالوا بأن المعجزة من جنس الكرامة أو العكس ، بل جعلوها من جنس سحر السحرة وكهانة الكهان [3]، وأن خرق العادة جائز مطلقاً ، وكل ما خرق لنبي يجوز أن يخرق لغيره من الصالحين ، بل ومن السحرة والكهان ولا شك أن هذا معلوم فساده بالضرورة .

---

(١) النبوات - (ص ١٩٠) .

(٢) النبوات - (ص ٢٢ - ٢٣) .

(٣) النبوات - (ص ٣) .

يقول شيخ الإسلام :

« كون آيات الأنبياء مساوية في الحد والحقيقة سحر السحرة أمر معلوم الفاسد بالاضطرار من دين الرسل ، الثاني أن هذا من أعظم القدح في الأنبياء إذا كانت آياتهم من جنس سحر السحرة وكهانة الكهان » [1].

ولقد بين شيخ الإسلام أن خوارق السحرة والكهان لا تشتبه بمعجزات الأنبياء ولا تطعن في نبوتهم ، وأن هناك فوارق بين كل منها ترفع اللبس فقال :

« فإنها « أي خوارق السحرة » إنما تدل على أن صاحبها يؤثر آثاراً غريبة ، مما هو فساد في العالم ، ويسر بما يفعله من الشرك والكذب والظلم ، ويستعين على ذلك بالشياطين .

فمقصوده الظلم والفساد ، والنبي مقصوده العدل والصلاح ، وهذا يستعين بالشياطين ، وهذا بالملائكة ، وهذا يأمر بالتوحيد وعبادته وحده لا شريك له ، وهذا إنما يستعين بالشرك وعبادة غير الله ، وهذا يعظم إبليس وجنوده ، وهذا يذم إبليس وجنوده » [2].

ثم قال :

« فلا بد في آيات الأنبياء من أن تكون مع كونها خارقة للعادة أمراً غير معتاد لغير الأنبياء ، بحيث لا يقدر عليه إلا الله الذي أرسل الأنبياء ليس مما يقدر عليه غير الأنبياء ، لا بحيلة ولا عزيمة ولا استعانة بشياطين ولا غير ذلك »[3].

ثم يشير شيخ الإسلام إلى فرق آخر ألا وهو أن خوارق السحرة كسبية يمكن تعلمها بخلاف النبوة فإنه لا ينالها أحد بكسبه واجتهاده ، قال رحمه الله :

« إن الكهانة والسحر يناله الإنسان بتعلمه وسعيه واكتسابه وهذا مجرب عند الناس بخلاف النبوة فإنه لا ينالها أحد باكتسابه » [4].

---

(١) النبوات - (ص ٤٩) .
(٢) النبوات - (ص ٣٤) .
(٣) النبوات - (ص ٣٥) .
(٤) النبوات - (ص ١٨٨) .

وقد ضم سيف الدين الآمدي كما تقدم شرطاً آخر إلى جانب شرط خرق العادة ألا وهو شرط مقارنة الدعوى .

بمعنى أن من ادعى النبوة لابد أن يكون الفعل الخارق مصاحباً لدعواه النبوة ، حتى يصير الخارق معجزة لدعواه ، وعند ذلك يكون صادقاً في دعواه للنبوة ، لأنه لو لم يدع النبوة ما كان الخارق معجزة ودليلاً على نبوته .

فهل يوافق أهل السنة على هذا الشرط الذي اشترطه الآمدي وغيره من المتكلمين ، وهل يرون أن مقارنة الدعوى للخارق من الشروط اللازمة توافرها في الفعل المعجز الذي يكون دليلاً على صدق دعوى النبي .

الحقيقة أن أهل السنة والجماعة يرون خلاف ذلك ، فهم يرون أن هذا الشرط لا يصح اشتراطه في الآية المعجزة التي تثبت بها النبوة ، كما أنهم يرون أن اشتراط ذلك في غاية الفساد والتناقض[1] ، يقول شيخ الإسلام مبيناً السبب الذي حدا بالمتكلمين إلى اشتراط هذا الشرط :

« والذين قالوا من شرط الآيات أن تقارن بدعوى النبوة غلطوا غلطاً عظيماً ، وسبب غلطهم أنهم لم يعرفوا ما يخص بالآيات و لم يضبطوا خارق العادة بضابط يميز بينها وبين غيرها ، بل جعلوا ما للسحرة والكهان هو أيضاً من آيات الأنبياء ، إذا اقترن بدعوى النبوة ، و لم يعارضه معارض وجعلوا عدم المعارض هو الفارق بين النبي وغيره ، فقالوا هذا الخارق إن وجد مع دعوى النبوة كان معجزة وإن وجد بدون دعوى النبوة لم يكن معجزة فاحتاجوا لذلك أن يجعلوه مقارناً للدعوى »[2].

---

(١) انظر ابن تيمية – النبوات – (ص ٢٥٥) .

(٢) ابن تيمية – النبوات – (ص ٢١٤) .

بمعنى أن المتكلمين ومنهم الآمدي عندما قرروا أن جميع الخوارق جنس واحد ، المعجزة والكرامة والسحر والكهانة ، وجدوا أنهم ربما يواجهون بقول قائل : كيف نميز بين هذه الأمور إذا كان جنس الخوارق واحد عندكم ، والتفريق والتمييز واجب ، وذلك لوجوب الإيمان بالأنبياء ، ولا يتم هذا الإيمان الواجب إلا بمعرفة آيات الأنبياء ودلائل نبوتهم ، إذا فمعرفة آياتهم واجبة ولا تحصل تلك المعرفة الواجبة للآيات والبراهين إلا بالتفريق والتمييز بين آيات النبوة وغيرها من الخوارق التي لا تدل على نبوة الأنبياء ، فلم يجدوا ما يفرقون به بين هذا وذاك إلا بشرط الاقتران بالدعوى وعدم المعارضة ، وسيأتي الكلام على عدم المعارضة وذلك ليتم لهم التفريق والتمييز ، فكان أن وقعوا في غلط التسوية ، إذ جنس الخوارق واحد عندهم كما تقدم ، ونتج عن ذلك غلط آخر ألا وهو شرط الاقتران بدعوى النبوة ، وغلط ثالث سوف نتعرض لمناقشته إلا وهو عدم المعارضة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يرى شيخ الإسلام أن هناك سبب آخر ألا وهو محاولة الأشاعرة أن يخالفوا المعتزلة في إنكارهم خوارق غير الأنبياء ، وإنكار أن يكون للسحر تأثير خارج عن العادة : « فأتى هؤلاء (الأشاعرة) فأثبتوا ما أثبته الفقهاء وأهل الحديث من السحر والكهانة والكرامات ، خلافاً للمعتزلة ، ولكن قيل لهم فميزوا بين هذا وبين المعجزات فقالوا لا فرق في نفس الجنس ، وليس في جنس مقدورات الرب ما يختص بالأنبياء لكن جنس خرق العادة واحد فهذا إذا اقترن بدعوى النبوة وسلم عن المعارضة عند تحدي الرسول بالمثل فهو دليل ، فهي عندهم لم تدل لكونها في نفسها وجنسها دليلاً ، بل إذا استدل بها المدعي للنبوة كانت دليلاً وإلاّ لم تكن دليلاً »[1].

وأهل السنة بداية قد أنكروا التسوية بين جنس الخوارق كما حكى عنهم شيخ الإسلام فآيات الأنبياء مختصة بهم لا يشاركهم فيها غيرهم ، وليست هي من جنس السحر والكهانة ، وكذلك ليست هي من جنس الكرامة ، وتفترق عنها ، فالكرامة لا تظهر إلاّ على يد عبد صالح متابع للنبي ، وهذا المتابع الذي هو ولي لله مؤمن متقي لا يدعي النبوة .

(١) ابن تيمية – النبوات – (ص ١٠٢) .

ويظهر لنا فساد هذا الشرط من وجوه :

الأول : أنه لا دليل عليه من عقل ولا نقل ، بل أنه دعوى مجردة [1].

الثاني : أن هذا الشرط لا يستقيم مع تجويزهم حصول الخوارق التي هي من جنس المعجزات على أيدي السحرة والكهان ، إذ ليس هناك مانع يمنع أولئك من ادعاء النبوة [2].

ثم إنَّ ذلك يؤدي إلى القول بجواز وجود الدليل مع عدم وجود المدلول عليه ، وهو قول باطل لأن الدليل مستلزم المدلول ، وخاصة الدليل أن يكون مستلزماً للمدلول عليه[3] ، لا يوجد مع عدم المدلول عليه ، ولا يتحقق إلاَّ مع تحققه [4]، وأن البرهان يجب طرده [5]، ولا يجب عكسه[6] « فإنه لو كان تارة يتحقق مع وجود المدلول عليه ، وتارة يتحقق مع عدمه فإذا تحقق لم يعلم هل وجد المدلول أم لا ، فإنه كما يوجد مع وجوده يوجد مع عدمه ، ولهذا كان الدليل إما مساوياً للمدلول عليه ، وإما أخص منه ، لا يكون أعم من المدلول » [7].

الثالث : أن سيف الدين الآمدي جعل الفارق بين آيات الأنبياء وخوارق غيرهم من السحرة والكهان هو اقتران المعجزة بالدعوى فالساحر والكاهن عنده يقع منه الخارق إذا لم يدع النبوة ، أما متى ادعى النبوة فلن يقع منه الخارق .

وهو بهذا يجعل الدعوى التي ينبغي أن يستدل عليها جزءاً أو ركناً من الدليل فكيف يستدل على الشيء بالشيء نفسه ؟ .

---

(1) انظر ابن رشد – مناهج الأدلة – تحقيق د/ محمود قاسم – (ص ٢١٤) .
(2) انظر ابن تيمية – النبوات – (ص ١٠٤ ، ١٠٨) ، وابن رشد – مناهج الأدلة – (ص ٢١٤) .
(3) انظر ابن تيمية – النبوات – (ص ١١٩) .
(4) نفس المصدر – (ص ١٨٠ – ١٨١) .
(5) انظر نفس المصدر – (ص ١٧٥) .
(6) انظر نفس المصدر – (ص ١٨١) .
(7) المصدر السابق – (ص ١٧٥) .

يقول شيخ الإسلام :

« ودعوى النبوة هو الذي تقام عليه البينة ، والذي تقام عليه الحجة ليس هو جزءاً من الحجة » [1].

ويقول أيضاً :

« ومعلوم أن ما ليس بدليل لا يصير دليلاً بدعوى المستدل أنه دليل »[2].

ثم إنه قد ثبت بطلان دعوى المتكلمين أن الساحر إذا ادعى النبوة لم تخرق له عادة ، وذلك بوقوع الخوارق على يد من ادعى النبوة وهو كاذب كما ذكر ذلك شيخ الإسلام .

قال رحمه الله :

« ... وهذا يظهر بالوجه السادس وهو أن من الناس من ادعى النبوة ، وكان كاذباً وظهرت على يده بعض الخوارق فلم يمنع منها ولم يعارضه أحد ، بل عرف أن هذا الذي أتى به ليس من آيات الأنبياء ، وعرف كذبه بطرق متعددة كما في قصة الأسود العنسي [3]، ومسيلمة الكذاب[4] .... وغير هؤلاء ممن ادعى النبوة فقولهم : إن الكذاب لا يأتي بمثل هذا الجنس ليس كما ادعوه » [5].

الرابع : إن آيات النبوة ليست مقتصرة على الاقتران بالدعوى بل هي أنواع متعددة ، فمنها ما يكون قبل ظهور النبي ، ومنها ما يكون بعد موته أو في غيبته [6].

---

(١) المصدر السابق – (ص ١٧٨) .

(٢) المصدر السابق – (٥٠ – ٥١) .

(٣) عيهلة بن كعب المعروف بالأسود العنسي ، متنبئ مشعوذ من أهل اليمن ارتد في أيام النبي عليه الصلاة والسلام بعد اسلامه ، وادعى النبوة ، وأرى قومه أعاجيب استهواهم بها ، كان مقتله قبل وفاة النبي عليه الصلاة والسلام بشهر واحد سنة ١١ هـ .

انظر الزركلي – الأعلام – (١١١/٥) .

(٤) مسيلمة بن ثمامة بن كبير الحنفي ، متنبئ من المعمرين ، ولد ونشأ باليمامة ، ادعى النبوة في عهد المصطفى عليه الصلاة والسلام ، قتله وحشي بعد معركة طاحنة بين المسلمين والمرتدين من بني حنيفة سنة ١٢ هـ .

انظر السهيلي – الروض الأنف – (٣٤٠/٢) – طبع بمصر ١٣٣٢ هـ – ١٩١٤ م .

(٥) انظر ابن تيمية – النبوات – (ص ٥١) .

(٦) انظر نفس المصدر السابق – (ص ١٤٠) .

ولو كان ذلك لخرجت كثيراً من المعجزات عن كونها معجزات ودلائل على النبوة ، في حين نجد أن العلماء قد استدلوا بما ظهر من الآيات قبل ولادته وقبل بعثته عليه الصلاة والسلام ، على أنه من الدلائل الصادقة على صحة نبوته عليه الصلاة والسلام .

وما مصنفاتهم عنا ببعيدة فقد جمعوا فيها إلى جانب ما ظهر على يديه الشريفتين من الآيات المعجزة ، ما أخبر به عليه الصلاة والسلام عن المغيبات كفتن آخر الزمان والملاحم وأشراط الساعة ويجعلون ذلك كله من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام .

الخامس : يرى شيخ الإسلام أن هناك أمراً خطيراً يترتب على اشتراط مثل هذا الشرط الفاسد ألاَ وهو القول بإنتفاء إعجاز القرآن ، وأنه قد يوجد من الناس من يأتي بمثل القرآن ما دام أنه لا يدعي النبوة أو الرسالة ، وهذا لا شك أنه أمر خطير لمناقضته منطوق الآيات الصريحة بتعجيز الإنس والجن عن الإتيان بمثل القرآن .

يقول شيخ الإسلام :

« ولو كانت الدعوى جزءاً من الدليل لكانت المعارضة لا تكون إلاّ مع دعوى النبوة ، فلو أتوا بمثل القرآن من غير دعوى النبوة لم يكونوا عارضوه ، وهذا خلاف ما أجمع عليه المسلمون بل العقلاء » [1].

وأبو الحسن الآمدي وإن كان لا يقول بمثل هذا القول الفاسد فإن هذا الاعتراض يرد عليه ويرد على أصحابه من أئمة الأشعرية وهم احقاقاً للحق لا يذهبون إلى نفي الإعجاز عن القرآن الكريم لا صراحة ولا ضمناً ، ولا يقولون به والآمدي واحد منهم بأن هناك من البشر من يستطيع أن يأتي بمثل القرآن ، وقد بذلوا جهداً يشكرون عليه في مصنفاتهم الكلامية لبيان إعجاز القرآن ، وقد أفرد بعضهم مصنفات مستقلة في إعجاز القرآن ، كالقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) الذي صنف « دلائل النبوة » فهم يقرون ويؤمنون بما أثبته القرآن من وجوه إعجازه ولكن شيخ الإسلام

(١) المصدر السابق – (ص ١٢٠) .

باعتراضه هذا أراد أن يبين فساد الأصول التي أصلها المتكلمون ، وأنها لا تتفق مع بعض ما يؤمنون به ويعتقدونه من نصوص الشرع ، يقول رحمه الله :

« وكثيراً ما يكون سبب العلم الحاصل في القلب غير الحجة الجدلية التي يناظر بها غيره ، فإن الإنسان يحصل له العلم بكثير من المعلومات بطرق وأسباب قد لا يستحضرها ولا يحصيها ، ولو استحضرها لا توافقه عباراته على بيانها ، ومع هذا فإذا طلب منه بيان الدليل الدال على ذلك قد لا يعلم دليلاً يدل به غيره ، إذا لم يكن ذلك الغير شاركه في سبب العلم ، وقد لا يمكنه التعبير عن الدليل إن تصوره فالدليل الذي يعلم به الناظر شيء والحجة التي يحتج بها المناظر شيء آخر ، وكثيراً ما يتفقان كما يفترقان » [(1)].

وكذلك هنا بالنسبة لأبي الحسن الآمدي عليه رحمة الله وغيره من أئمة الأشعرية ، فإنه يلزمهم هذا الإلزام الخطير الذي أورده شيخ الإسلام على المتكلمين عموماً ، وإن كانوا لا يقولون بهذا القول وذلك للتنبيه على فساد الأصول التي بنوا عليها علم الكلام .

مناقشة الآمدي في التحدي وعدم المعارضة :

تقدم معنا أن الآمدي جعل من شروط المعجزة التحدي وعدم المعارضة[(2)]، وتقدم معنا أنه لم يكن خارجاً بذلك عما ذهب إليه الأشاعرة [(3)]، وسوف نناقش كلا الشرطين ، مع بيان موقف أهل السنة من ذلك ، أما عن شرط التحدي فهو مردود من وجهين :

الأول : لم يثبت عن المصطفى عليه الصلاة والسلام من خلال دعوته المباركة لقومه أنه أظهر خارقاً وتحدى به المعاندين ولكن الثابت أن ظهور الخوارق على يديه الشريفتين في أثناء دعوته من غير تحدي [(4)].

---

(1) ابن تيمية - شرح العقيدة الأصفهانية - (ص ١٣١) .

(2) انظر الآمدي - غاية المرام - (ص ٣٢٧) .

(3) انظر الإيجي - المواقف - (ص ٣٣٩) ، والجويني - الإرشاد - (ص ٣١٢-٣١٣) ، والغزالي - الاقتصاد في الاعتقاد - تحقيق موفق فوزي الجبر - (ص ١٧٦) طبع الحكمة للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م - دمشق سوريا .

(4) انظر ابن رشد - مناهج الأدلة - (ص ٢١٤) .

ولم ينقل أنه تحدى قومه أن يأتوا بمثل ما أتي به من الأفعال الخارقة ، سوى ما نقل عن تحدي النبي عليه الصلاة والسلام لكفار قريش بأن يأتوا ببعض القرآن ، ولم يكن ذلك في بداية نزول القرآن ، وإنما كان ذلك بعد أن قالوا « افتراه » [1]، قال تعالى :

﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله ﴾ [2].

وقال تعالى :

﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريت ﴾ [3].

ولذلك فإننا نرى أهل السنة والجماعة لا يشترطون في آيات الأنبياء أن يستدل النبي بها ، أو أن يتحدى بها قومه ، فما وقع للنبي عليه الصلاة والسلام من خوارق كتكثير الطعام ونبع الماء وغير ذلك يعتبر من الآيات مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يستدل بها ولم يتحد قومه بتلك الآيات ، وكذلك ما حدث للخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بعد أن ألقاه قومه في النار لم يكن منه بعد تحدي واستدلال ، يقول شيخ الإسلام :

« إن آيات الأنبياء ليس من شرطها استدلال النبي بها ولا تحديه الإتيان بمثلها ، بل هي دليل على نبوته ، وإن خلت عن هذين القيدين وهذا كإخبار من تقدم بنبوة محمد ﷺ فإنه دليل على صدقه ، وإن كان هو لم يعلم بما أخبروا به ، ولا يستدل به ، وأيضاً فما كان يظهره الله على يديه من الآيات مثل تكثير الطعام القليل حتى كفى أضعاف أضعاف من كان محتاجاً إليه وغير ذلك كله من دلائل النبوة ، ولم يكن يظهرها للاستدلال بها ولا يتحدى بمثلها بل لحاجة المسلمين إليها ، وكذلك إلقاء الخليل في النار إنما كان بعد نبوته ودعائه لهم إلى التوحيد » [4].

---

(١) انظر ابن تيمية – النبوات – (ص ١٩٦ – ١٢١) .

(٢) سورة يونس – آية : ٣٨ .

(٣) سورة هود – الآية : ١٣ .

(٤) النبوات – (ص ١٥٦) .

الثاني : إن مشترطي هذا الشرط يلزمهم اعتبار كثيراً من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام ليست من قبيل الآيات ، إذ كل معجزات النبي عليه الصلاة والسلام لم يتحدى بها النبي ﷺ قومه ما عدى القرآن [(١)] ، يقول ابن حزم :

« ومن ادعى أن احالة الطبيعة لا تكون آية إلاّ حتى يتحدى بها النبي ﷺ – الناس ، فقد كذب وادعى ما لا دليل عليه أصلاً من عقل ولا من نص قرآن ولا سنة ، وما كان هكذا فهو باطل ويجب من هذا أن حنين الجذع ، وإطعام الطعام النفر الكثير من الطعام اليسير حتى شبعوا وهم مئون من صاع شعير ... ليس شيء من ذلك آية له – عليه الصلاة والسلام لأنه عليه السلام لم يتحد بشيء من ذلك أحد » [(٢)].

والعجيب أن أبا الحسن الآمدي مع اشتراطه في المعجزة أن تقع من النبي في حال التحدي لقومه نجده عليه رحمة الله قد اعتبر ماحدث على يد النبي ﷺ من كلام الذراع المسموم له ، وحنين الجذع وتسبيح الحصى في يده .. إلخ ، يعتبر من معجزاته عليه والصلاة والسلام كما نص على ذلك في غاية المرام قائلاً :

« ومن جملة آياته ، ومعجزاته الظاهرة حنين الجذع اليابس إليه ، وسلام الغزالة عليه ، وكلام الذراع المسموم له ، وتسبيح الحصى في يده ، ولا محالة أن هذه كلها من الخوارق للعادات ، وليست مما يدخل تحت وسع شيء من المخلوقات وأنه نبي :

﴿ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾[(٣)] »[(٤)] .

مع أن هذه الآيات لم يستدل بها النبي عليه الصلاة والسلام و لم يتحد بها أحداً فلا وجه إذاً لاشتراط أبي الحسن الآمدي لهذه الشروط .

---

(١) انظر ابن تيمية – النبوات – (ص ١٩٦،١٢١) ، وابن رشد مناهج الأدلة – (ص ٢١٤) .

(٢) ابن حزم – المحلى – (٣٦/١) .

(٣) سورة النجم – آية : ٣-٤ .

(٤) غاية المرام – (ص ٣٤٥) .

يقول شيخ الإسلام :

« ومما يلزم أولئك « يعني المتكلمين في اشتراط التحدي » أن ما كان يظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم في كل وقت من الأوقات ليس دليلاً على نبوته لأنه لم يكن كلما ظهر شيء من ذلك احتج به ، وتحدى الناس بالإتيان بمثله ، بل لم ينقل عنه التحدي إلا في القرآن خاصة ولا نقل التحدي عن غيره من الأنبياء مثل موسى والمسيح وصالح ، ولكن السحرة لما عارضوا موسى أبطل معارضتهم .

وهذا الذي قالوه يوجب ألا تكون كرامات الأولياء من جملة المعجزات وقد ذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات لنبيهم وهي من آيات نبوته وهذا هو الصواب كقصة أبي مسلم الخولاني[1] وغيره ... »[2] .

وأما اشتراط عدم المعارضة فمعناه أن النبي إذا أتى بالخارق حال ادعائه النبوة وتحدى قومه أن يأتوا بمثل هذا الخارق فإنه لا يستطيع أحد من الناس أن يأتي بمثل ما أتى به لأدى ذلك إلى بطلان دلالت المعجزة على صدق النبي في دعواه وهذا الأمر مردود أيضاً من وجوه متعددة :

أولاً : إن ذلك مجرد دعوى ، والدعوى من غير دليل لا تقبل[3] .

ثانياً : إننا نقول للأشاعرة والآمدي واحد منهم إن هذا الشرط يخالف أحد أهم أصولكم ألا وهو جواز كل مقدور على الله ، فقد يظهر الله الخارق على يد الكاذب ولا يجد من يعارضه كما هو مذهبكم فيلزمكم أن

---

(١) روى تلك القصة جميع من ترجموا لأبي مسلم الخولاني ، منهم ابن سعد في الطبقات الكبرى عن شراحيل بن مسلم أن الأسود بن قيس (يعني الأسود العنسي المتنبي الكذاب) بعث إلى أبي مسلم فقال له : أتشهد إني رسول الله فقال : رضي الله عنه ما أسمع ، قال أتشهد أن محمد رسول الله قال : نعم ، قال : فردد ذلك مراراً فأمر بنار عظيمة فأججت ثم ألقي فيها ، فلم تضره فأمره بالرحيل إلى المدينة فأتى المدينة وقد توفي النبي عليه الصلاة والسلام واستخلف الصديق .

انظر الذهبي - تذكرة الحفاظ - (٤٦/١) ، وابن حجر - تهذيب التهذيب - (٢٣٥/١٢) ، وابن سعد - الطبقات الكبرى - (٤٤٨/٧) ، وابن كثير - البداية والنهاية - (١٤٦/٨) .

(٢) النبوات - (ص ١٧٧ - ١٧٨) .

(٣) المصدر السابق - (ص ١٤٣) .

يكون هذا الشرط باطل لمناقضته للأصل أو أن تقولوا ببطلان أصلكم وأنتم لا تسلمون بذلك[1].

ثالثاً : « أن المعارضة بالمثل أن يأتي بحجة مثل حجة النبي وحجته عندهم – أي الأشاعرة – مجموع دعوى النبوة والإثبات بالخارق فيلزم على هذا أن تكون المعارضة بأن يدعي غيره النبوة ويأتي بالخارق وعلى هذا فليست معارضة الرسول بأن يأتوا بالقرآن أو عشر سور أو سورة بل أن يدعي أحدهم النبوة ويفعل ذلك وهذا خلاف العقل والنقل ولو قال الرسول لقريش لا يقدر أحد منكم أن يدعي النبوة ويأتي بمثل القرآن وهذا هو الاية ، وإلاَّ فمجرد تلاوة القرآن ليس آية بل قد يقرأه المتعلم له فلا تكون آية لأنه لم يدع النبوة ، ولو ادعاها لكان الله ينسيه إياه أو يقيض له من يعارضه كما ذكرتم لكانت قريش وسائر العلماء يعلمون أن هذا باطل »[2] .

رابعاً : إن يكون غير الرسول ممنوعاً من المعارضة فهل هذا المنع مطلق أم مقيد بمن أرسل إليهم ، فإن كان مطلقاً فإن مثل هذا القول لا يقبل بدون دليل ولا دليل عند قائليه[3] .

وإن كان المنع مقيداً بمعنى أن الممنوع من المعارضة هم قوم النبي المبعوث إليهم ، فهذا لا يكفي ، بل يمكن لكل ساحر وكاهن أن يدعي النبوة ويقول إني نبي[4] .

وقد أجاب المتكلمون عن هذا الاعتراض بأن الساحر أوالكاهن لو أراد أن يعارض معجزة النبي فإن الله سبحانه وتعالى يمنعه من ذلك ، أو يقيض من يعارضه يقول شيخ الإسلام :

« من أين لكم ذلك ؟ ومن أين يعلم الناس ذلك ؟ »[5] .

---

(١) المصدر السابق – (ص ١٤١) .

(٢) النبوات – (ص ١٠٣) .

(٣) انظر ابن تيمية – النبوات – (ص ١٤١) .

(٤) المصدر السابق – (ص ١٤١) .

(٥) المصدر السابق – (ص ١٤١) .

أي من أين لكم الدليل الذي يدل على أن الله لابد وأن يمنع أمثال هؤلاء من المعارضة فهذه دعوى والدعوى إذا كانت عارية عن الدليل فإنها لا تقبل وترد على صاحبها .

وأنتم بفعلكم هذا قد جعلتم الناس في حيرة من أمرهم وسبب ذلك خلو دعواكم من البينة والدليل .

خامساً : إذا كان حسب زعمكم أن ما يأتي به النبي من الآيات هو من جنس خوارق السحرة والكهان ، غير أن الساحر والكاهن ونحوهما يعارضون والنبي لا يعارض ، فالإعتبار إذاً بعدم المعارضة وهو الذي استقر عليه قولهم أخيراً ، فلو قيل إن كل من ادعى النبوة وقال معجزتي ألا يدعيها غيري فهو صادق لكان هذا القول أفضل[1] بدلاً من أن تطول التعريفات والشروط ، وكلها راجعة إلى عدم المعارضة ، وقد التزم المتكلمون فعلاً هذا القول وقالوا : المنع من المعتاد كإحداث غير المعتاد ، ثم لم يضبطوا ذلك المعتاد بضابط ، لأنه لا ينضبط بل يختلف من قوم إلى قوم آخرين .

فإذا كانت العبرة عندهم هي بالسلامة من المعارضة فلا معنى إذاً لاشتراط أن تكون المعجزة خارقة للعادة ، إذ يكفي اشتراط السلامة من المعارضة .

ولقد أشار شيخ الإسلام إلى هذا الاضطراب لدى المتكلمين فقال :

« ... حقيقة الأمر على قول هؤلاء الذي جعلوا المعجزة الخارق مع التحدي ، أن المعجز في الحقيقة ليس إلا منع الناس من المعارضة بالمثل ، سواء كان المعجز في نفسه خارقاً أو غير خارق .

وكثير مما يأتي به الساحر والكاهن أمر معتاد لهم ، وهم يجوزون أن يكون آية للنبي ، وإذا كان آية منع الله الساحر والكاهن من مثل ما كان يفعل أو يقيض له من يعارضه ، وقالوا هذا أبلغ فإنه منع المعتاد وكذلك عندهم أحد نوعي المعجزات منعهم من الأفعال المعتادة وهو مأخذ من يقول بالصرفة ، وإذا كان كذلك جاز أن يكون كل أمر كالأكل والشرب والقيام والقعود معجزة ،

(١) المصدر السابق – (ص ١٣) .

إذ منعهم أن يفعلوا كفعله وحينئذٍ فلا معنى لكونها خارقاً ولا لاختصاص الرب بالقدرة عليها بل الاعتبار بمجرد عدم المعارضة ، وهم يقرون بخلاف ذلك »[1] .

وبهذا نرى أن أهل السنة يرون الجمع في المعجزة بين الشرطين شرط خرق العادة وشرط السلامة من المعارضة ، فلا يكفي عندهم مجرد سلامة فعل النبي من المعارضة أياً كان ذلك الفعل ، بل لابد وأن يكون ذلك الفعل – مع سلامته من المعارضة – خارقاً للعادة في نفسه .

يقول شيخ الإسلام :

« آيات الأنبياء لا تكون إلا خارقة للعادة ، ولا تكون مما يقدر أحد على معارضتها فاختصاصها بالنبي وسلامتها عن المعارضة شرط فيها بل وفي كل دليل »[2].

ويقول أيضاً :

« ولهذا يجب في آيات الأنبياء أن لا يعارضها من ليس بنبي ، فكل ما عارضها صادراً ممن ليس من جنس الأنبياء فليس من آياتهم . ولهذا طلب فرعون أن يعارض ما جاء به موسى لما ادعى أنه ساحر فجمع السحرة ليفعلوا مثل ما يفعل موسى ، فلا تبقى حجته مختصة بالنبوة وأمرهم موسى أن يأتوا أولاً بخوارقهم ، فلما أتت وابتلعتها العصا التي صارت حية علم السحرة أن هذا ليس من جنس مقدورهم فآمنوا إيماناً جازماً ، ولما قال لهم فرعون :

﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشدُّ عذاباً وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جآءنا من البينـٰت والذي فطرنا ﴾[3] .

وقالوا : ﴿ ءامنَّا برب العـٰلمين رب موسى وهـٰرون ﴾[4] ، فكان من تمام علمهم بالسحر أن السحر معتاد لأمثالهم وأن هذا ليس من هذا الجنس بل هذا مختص بمثل هذا فدل على صدق دعواه »[5] .

---

(١) ابن تيمية – النبوات – (ص ٥٦) .
(٢) النبوات – (ص ١٥٦) .
(٣) سورة طه – آية : ٧١ – ٧٢ .
(٤) سورة الأعراف – آية : ١٢١ – ١٢٢ .
(٥) ابن تيمية – النبوات – (ص ٢١) .

ويقول أيضاً :

« ومن خصائص معجزات الأنبياء أنـه لا يمكـن معارضتهـا فـإذا عجز النوع البشري غير الأنبياء عن معارضتها كان ذلك أعظم دليل على اختصاصها بالأنبياء بخـلاف مـا كـان موجـوداً لغيرهـا ، فهـذا لا يكون آية البتة »[1] .

سادساً : « أنه قد ادعى جماعة مـن الكذابين النبوة وأتوا بخوارق من جنس خوارق الكهان والسحرة ولم يعارضهم أحد في ذلك المكان والزمان وكانوا كاذبين فبطل قولهم – المتكلمين – إذا أتى بمثل خوارق السحرة والكهان فلابد أن يمنعه الله ذلك الخارق أو يقيض له من يعارضه وهذا كالأسود العنسي[2] الذي ادعى النبوة في اليمن في حياة النبي ﷺ واستولى على اليمن وكان معه شيطان سحيق ومحيق وكان يخبر بأشياء غائبة من جنس أخبار الكهان وما عارضه أحد وعرف كذبه بوجوه متعددة وظهر من كذبه وفجوره ما ذكره الله بقوله :

﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشيطين تنزل على كل أفاك أثيم ﴾[3] .

وكذلك مسيلمة الكذاب[4] ،

---

(١) المصدر السابق – (ص ٣٥) .

(٢) هو عيهلة بن كعب بن عوف العنسي ، متنبيء مشعوذ من أهل اليمن كان قد أسلم لما أسلمت اليمن ثم ارتد أيام النبي ﷺ فكان أول مرتد في الإسلام ، قتل قبل وفاة النبي ﷺ – بشهر واحد .

انظر ابن الأثير – الكامل – حوادث سنة ١١ هـ ، وتاريخ ابن الوردي – (١/١٤٠) .

(٣) سورة الشعراء – آية : ٢٢١ .

(٤) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي (... – ١٢ هـ) متنبيء كذاب ولد ونشأ باليمامة في قرية الجبيلة بوادي حنيفة بنجد وتلقب في الجاهلية بالرحمن وعرف برحمن اليمامة ادعى النبوة أواخر سنة (١٠ هـ) أرسل إليه الصديق رضي الله عنه جيشاً بقيادة خالد ابن الوليد وتم قتله وقتلت معه دعوته وفي الأمثال أكذب من مسيلمة وقيل اسمه هارون وقيل مسلمة وصغره المسلمون تحقيراً له ولشأنه كان مقتله على يد وحشي سنة (١٢ هـ) .

انظر ابن هشام – السيرة النبوية – (٧٣/٣) ، السهيلي – الروض الأنف – (٣٤٠/٢) ، والكامل لابن الأثير – (١٣٧/٢) ، وابن العماد – شذرات الذهب – (٢٣/١) .

والحارث الدمشقي[1] ، وغير هؤلاء كانت معهم شياطين كما هـي مـع السحرة والكهان »[2] .

دلالة المعجزة ورأي الآمدي فيها وموقف أهل السنة منه :

لقد مر بنا أن أبـا الحسـن الآمـدي لا يـرى أن دلالـة المعجـزة مـن قبيـل الدلالة العقلية ، وذلك لأن الدليل العقلي كما سبق لا يتخلف عـن المدلـول ، والمعجزة في نظره ليست كذلك فهي قد تتخلف عن الدلالة على صدق النبي ، وإلاّ لما تصور وجودها إلاّ وهـي دالـة علـى صـدق الرسول وليست كذلـك حيث توجد الخوارق عند تصرم الدنيا غـير مقترنـة بدعـوى النبـوة ولا يكـون بوجودها دلالة على شيء[3] .

والواقع أن المعجزة تتعلق بمدلولها وهي صدق من ظهرت علـى يديـه ولا يقدر في العقل وقوعها غير دالة على صدق مدعي النبـوة وأمـا مـا ذكـره مـن وجود الخوارق في آخر الزمان كانفطار السموات وانتثار الكواكب وتدكـدك الجبال وتبدل الأرض غير الأرض إلى غـير ذلـك ، دون أن تـدل علـى صـدق مدع ، فإنها لا تعد في هذه الحالـة علـى مذهـب أبي الحسـن الآمـدي نفسـه معجزة ، فليس كل خارق معجزة بل هناك شروط متـى توفـرت دلـت دلالـة ضرورية – كما قرر هو ذلك[4] – على صدق من ظهرت عليه .

فالإرتباط بين المعجزة كدليل وصدق دعوى من ظهرت على يده وهـو المدلول إرتباط ضروري لا يقبل الإنفكاك وهذا يـدل علـى أن دلالـة المعجـزة

---

(١) هو الحارث بن سعيد ، أو ابن عبد الرحمن بن سعد (... – ٦٩ هـ) متنبيء كذاب زاهداً متعبداً ، ثم ادعى النبوة وأظهر الخوارق من جنس خوارق الكهان وتبعه خلق كثير ووصل خنده إلى عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي فبعث في طلبه ، فهرب ، ثم تمكنوا منـه وهـو مختـف في بيت المقدس فأتي به وصلب وقتل سنة ٦٩ هـ .

انظر تهذيب ابن عساكر – (٤٤٢/٣) ، وابن حجر – لسان الميزان – (١٥١/٢) .

(٢) ابن تيمية – النبوات – (ص ١٠٦) ، وانظر كذلك (ص ٣٣، ١٢٢ ، ١٩٠ ، ١٩٧) .

(٣) انظر أبو الحسن الامدي – أبكار الأفكار – (١٠٦/٢ – ب) .

(٤) انظر أبو الحسن الآمدي – أبكار الأفكار – (١٠٧/٢ – أ) .

دلالة عقلية ، وهذا هو رأي علماء السلف[1] وهو الصواب إن شاء الله تعالى .

وقد مر معنا في مواضع عديدة أن شيخ الإسلام يجعل آيات الأنبياء مختصة بهم ، لا يشاركهم فيها أحد غير الأنبياء ، وأنه يستحيل وجود الآية – المعجزة – التي تدل على النبوة من غير الصدق ، بل لابد إن وجدت أن تستلزم الصدق ، وأنها لا يمكن أن توجد مع الكذب ، فهي لا تظهر على يد الكاذب بل يستحيل ذلك وما دامت المعجزة هي الآية والبرهان والدليل فلابد أن تستلزم المدلول عليه لأنه لو وجدت الآية مرة مع الصدق ومرة مع الكذب فقدت دلالتها على النبوة ولم تصح أن تكون آيةً ودليلاً ، ولا مانع هنا من نقل نص كلام شيخ الإسلام للتدليل والتأكيد على هذا المعنى .

يقول شيخ الإسلام :

« وحقيقة الأمر أن ما يدل على النبوة هو آية على النبوة وبرهان عليها فلابد أن يكون مختصاً بها لا يكون مشتركاً بين الأنبياء وغيرهم فإن الدليل هو مستلزم لمدلوله لا يجب أن يكون أعم وجوداً منه بل إما أن يكون مساوياً له في العموم والخصوص ، أو يكون أخص منه وحينئذٍ فآية الأنبياء لا تكون لغير الأنبياء »[2] .

ويقول في موضع آخر :

« لابد أن تكون الآية التي للنبي أمراً مختصاً بالأنبياء ، فإن الدليل مستلزم للمدلول عليه ، فآية النبي هي دليل صدقه وعلامة صدقه وبرهان صدقه ، فلا توجد قط إلا مستلزمة لصدقه »[3] .

ويقول في موضع آخر :

« والدليل لا يكون إلا مستلزماً للمدلول عليه مختصاً به لا يكون مشتركاً بينه وبين غيره ، فإنه يلزم من تحققه تحقق المدلول ، وإذا انتفى المدلول انتفى

---

(١) انظر ابن تيمية – النبوات – (ص ١١١ ، ١٥٣ ، ٢٨) ، وابن القيم – مختصر الصواعق المرسلة – (ص ١٩٥) ، ود/ أحمد العبد اللطيف – منهج إمام الحرمين في العقيدة – (ص ٤٨٩) .

(٢) ابن تيمية – النبوات – (ص ١١) .

(٣) المصدر السابق – (ص ١٥٣) .

هو ، فما يوجد مع وجود الشيء ومع عدمه لا يكون دليلاً عليه ، بل الدليل ما لا يكون إلاّ مع وجوده فما وجد مع النبوة تارة ومع عدم النبوة تارة لم يكن دليلاً على النبوة ، بل دليلها ما يلزم من وجوده وجودها »[1] .

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم[2] :

« وارتباط أدلة هذا الطريق « المعجزة » بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها »[3] .

ومن خلال ما سبق نقله من نصوص عن علماء السلف نستطيع القول بأن أهل السنة والجماعة يرون أن دلالة الآية « المعجزة » على صدق صاحبها من قبيل الدلالة العقلية التي لا يجوز أن تتخلف عقلاً .

كما أنهم يرون أنه لا يمكن عقلاً ظهور المعجزة على يد مدعي النبوة كذباً ، وأن المعجزة مستلزمة للنبوة ، فيلزم من وجود المعجزة وجود النبوة ، فلا يمكن أن تتخلف عنها أبداً[4] .

وما ذهب إليه أهل السنة والجماعة هو الصواب إن شاء الله تعالى وذلك لأن القول بأن الدلالة دلالة عادية وأنه يجوز وجود المعجزة وظهورها من غير النبي وهو الكاذب في دعوى النبوة يودي إلى :

أولاً : إبطال دلالة المعجزة[5] ، وهذا خلاف ما اتفقت عليه الأمة كلها .

ثانياً : تصديق الله للكاذب وهو محال عليه تعالى .

---

(١) المصدر السابق – (ص ٢٨) .

(٢) الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية الحنبلي ، سمع من كبار مشايخ زمانه ، لازم شيخ الإسلام حتى سجن معه بالقلعة ، له مصنفات في علوم شتى تداولها جميع الطوائف ، من أنجب تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ، توفي وله من العمر ستون سنة في شهر رجب سنة ٧٥١ هـ .

انظر ابن كثير – البداية والنهاية – (١٤/٢٣٤ –٢٣٥) ، وابن حجر – الدرر الكامنة – (٤/٢١ – ٢٣) .

(٣) ابن قيم الجوزية – مختصر الصواعق المرسلة – (ص ١٩٥) .

(٤) انظر مغفور عثمان – النبوة والرسالة في الإسلام – (ص ١٢٢) .

(٥) انظر ابن تيمية – النبوات – (ص ١١٠) .

ثالثاً : التسوية بين الكاذب والصادق ، والمتنبيء والنبي ، وهو سفة في حق الله تعالى وهو محال وينزه عنه سبحانه وتعالى .

رابعاً : أن ذلك يودي إلى انسداد باب إثبات النبوة إذ لا يمكن التمييز بين النبي الصادق والمتنبيء الكاذب كما أنه يودي من جهة أخرى إلى انفتاح الباب للكذبة والدجالين إذ جنس الخوارق واحد وقد ثبت أن هناك من الكذابين قد ادعوا النبوة وظهرت على أيديهم الخوارق .

خامساً : الإعتراف بالنبوة لمن أجمعت الأمة على كذبه وكفره وقتاله كمسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي ، وغيرهما وهو كفر وضلال .

سادساً : إذا انسد باب إثبات النبوة استحال الإيمان باليوم الآخر والجنة والنار والصراط والميزان إلى غير ذلك من الغيبيات ، إذ لا يمكن أن نثبت ذلك إلاّ عن طريق الخبر النبوي .

وبناء على ذلك فإن الآمدي لم يصب في ما ذهب إليه من أن المعجزة لا تعتبر من قبيل الدلالة العقلية ، وإنما هي نازلة منزلة التصديق بالقول بمعنى أن دلالتها على صدق النبي من قبيل الدلالة الوضعية كدلالة الألفاظ لما وضعت له .

و لم يكن الآمدي في هذه المسألة لوحده فأكثر المتكلمين من أصحابه كما يذكر شيخ الإسلام يقولون بوضعية دلالة المعجزة .

قال رحمه الله : « ... ولهذا لم يجعلوا دلالة المعجزة دلالة عقلية بل دلالة وضعية كدلالة الألفاظ بالاصطلاح ... »[(1)] .

وقد انتقد شيخ الإسلام القائلين بهذا القول فقال :

« فيقال لهم هذه الأمور كلها إنما تدل إذا تقدم علم المدلول بها أن الدال جعلها علامة كما يوكل الرجل وكيلاً ويجعل بينه وبينه علامة ، إما وضع يده على ترقوته ، وإما وضع خنصره وإما وضع يده على رأسه فمن جاء بهذه العلامة علم أن موكله أرسله ، فأما إذا لم يتقدم ذلك لم تكن دلالة جعلية وضعية اصطلاحية ، وآيات الأنبياء لم تتقدم قبلها من الرب مواضعه بينه وبين العباد »[(2)] .

---

(1) ابن تيمية – النبوات – (ص ٤٩) .

(2) ابن تيمية – النبوات – (ص ١٧٤) .

وإذا كان القول الصحيح في دلالة المعجزة هو ما يراه أهل السنة والجماعة من أنها دلالة عقلية فهل هي مع ذلك ضرورية أم نظرية ؟

يذهب أبو الحسن الآمدي – كما تقدم – إلى أن دلالة المعجزة على النبوة دلالة ضرورية ، وبعض المتكلمين يرى أنها نظرية فما هو الصواب في ذلك .

يرى شيخ الإسلام أن كلا القولين صحيح ، لأن الأمر في إدراك دلالة الأدلة نسبي يختلف باختلاف مدارك الناس فالدلالة قد تكون ضرورية لقوم نظرية لآخرين[1] .

يقول شيخ الإسلام :

« قد تقدم أن للناس في وجه دلالة المعجزات ، وهي آيات الأنبياء على نبوتهم ، طرقاً متعددة منهم من قال دلالتها على التصديق تعلم بالضرورة ومنهم من قال تعلم بالنظر والاستدلال وكلا القولين صحيح »[2] .

ويقول أيضاً :

« وكذلك كثير من الأدلة والعلامات والآيات من الناس من يعرف استلزامها للوازمها بالضرورة ، ويكون اللزوم عنده بيناً لا يحتاج فيه إلى وسط ودليل ومنهم من يفتقر إلى دليل ووسط »[3] .

بمعنى أن هناك من الناس من يدرك إفادة المعجز صدق الرسول بالضرورة .

بينما هناك آخرون يحتاجون لاستفادة صدق الرسول منها إلى النظر والاستدلال حتى يتبين لهم أن المعجزة تستلزم صدق الرسول وأن الحكم بصدقه لازم للمعجزة .

وذلك بأن ينظر إلى جنس المعجزة فيعلم أنها ليست من جنس الخوارق الأخرى التي في مقدور الإنس أو الجن ، وينظر إلى عجز الخلق عن معارضة المعجزة فيعلم أنها من الخالق جل شأنه ، وأنه تعالى حكيم عادل ، فلا تقبل حكمته أن يمنح الكاذب تأييداً خاصاً يعينه على إضلال البشر .

---

(١) ابن تيمية – النبوات – (ص ٢٢٣) – نشر دار الفكر .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

بل مقتضى الحكمة الإلهية الجليلة أن يمنح الله الرسول برهاناً خاصاً على صدقه – وهو الآية أو المعجزة – تثبيتاً لقلوب العباد على الاعتصام بهداية الله .

مناقشة الآمدي في الكرامة :

قبل أن نستعرض موقف أهل السنة والجماعة من الآمدي في الكرامة يجدر بنا أن نتعرض إلى هذه القضية ولو بشيء من الإيجاز نتناول فيها تعريف الكرامة من الناحية اللغوية والاصطلاحية ومذاهب الناس فيها ، ومناقشة كل مذهب على حدة مع بيان القول الراجح من تلك المذاهب .

الكرامة لغة :

قال الجوهري : « الكرم ضد اللؤم » [1]، وقال : « الكرامة – أيضاً طبق يوضع على رأس الحب ، ويقال : حمل إليه الكرامة وهو مثل النزل » [2].

وقال ابن منظور :

« الكريم من صفات الله وأسمائه وهو : الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه ، وهو الكريم المطلق » [3].

وقال الأخفش :

« وقرأ بعضهم ومن يهن الله فما له من مكرم ، بفتح الراء أي إكرام » [4].

« والكرامة : اسم يوضع للإكرام كما وضعت الطاعة موضع الإطاعة والغارة موضع الإغارة » [5].

« والكرامة بهذا المعنى اللغوي من الأسماء الجامعة فهي تطلق على كل إنعام حسي أو معنوي وهي ضد الإهانة ، والله عز وجل إذا أكرم عبداً من عباده بنعمة من النعم فإنها تسمى « كرامة » لغة : أي عطية تكريم منه سبحانه وتعالى وخير الإكرام ما كان من الله عز وجل .

(١) إسماعيل بن حماد الجوهري – الصحاح – تحقيق أحمد عبد الغفور – (ص ٢٠١٩) .
(٢) المصدر السابق – (ص ٢٠٢١) .
(٣) ابن منظور – لسان العرب – (٥١١/١٢) .
(٤) المصدر السابق – (٥١٢/١٢) .
(٥) المصدر السابق – (٥١٢/١٢) .

الكرامة اصطلاحاً :

الكرامة في الاصطلاح هي :

« أمر خارق للعادة يظهره الله عز وجل على أيدي أوليائه » [1].

قال البغدادي :

« اعلم أن المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادات »[2].

وقال شارح الطحاوية :

« فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة وكذلك الكرامة في عرف أئمة العلم المتقدمين » [3].

وقال السفاريني :

« الكرامة وهو أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم » [4].

المذاهب في الكرامة :

اختلف الناس في إثبات الكرامة وجواز وقوعها على ثلاثة مذاهب .

المذهب الأول : جواز وقوعها على أيدي الصالحين ، غير أنها لا تصل إلى حد الخوارق التي تظهر على أيدي الرسل والأنبياء تصديقاً لهم من الرب جل وعلا ، فالمؤمنون يشاركون رسلهم في بعض عباداتهم وطاعاتهم ولكنهم لا يبلغون درجاتهم في الفضيلة والثواب ، وكذلك الأمر بالنسبة لما يجريه الله على أيديهم من كرامات فهي دون معجزات أنبيائهم ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة .

(١) د/ أحمد بن سعد الغامدي – مقدمة تحقيقه للجزء التاسع من شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة – (١٥/٩) دار طيبة – الرياض – الطبعة الثانية – ١٤١٥هـ –١٩٩٤م .

(٢) أبو منصور عبد القاهر البغدادي – أصول الدين – (ص ١٧٤) مطبعة استنبول – الطبعة الأولى .

(٣) ابن أبي العز الحنفي – شرح العقيدة الطحاوية – تخريج الألباني – (ص ٥٥٨) المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الخامسة – ١٣٩٩ هـ .

(٤) السفاريني – لوامع الأنوار البهية – (٣٩٢/٢) .

يقول شيخ الإسلام :

« ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم ولكن قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم »[1] .

وقد عد غير واحد من علماء السلف كالإمام أحمد وغيره الكرامات من جملة معجزات الأنبياء[2] .

قال شيخ الإسلام :

« وقد ذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات لنبيهم ، وهي من آيات نبوته وهذا هو الصواب »[3] .

لأن هؤلاء الصالحين ما كانت لتجري لهم تلك الكرامات لولا اعتصامهم بالإتباع الكامل لنبيهم عليه الصلاة والسلام وقيامهم بدعوته حق القيام .

يقول شيخ الإسلام :

« وأما كرامات الأولياء فهي أيضاً من آيات الأنبياء فإنها إنما تكون لمن يشهد لهم بالرسالة فهي دليل على صدق الشاهد لهم بالنبوة ، وأيضاً فإن كرامات الأولياء معتادة من الصالحين ، ومعجزات الأنبياء فوق ذلك .

فانشقاق القمر والإتيان بالقرآن وانقلاب العصا حية وخروج الدابة من صخرة لم يكن مثله للأولياء وكذلك خلق الطير من الطين ولكن آياتهم « الأنبياء » صغار وكبار ، كما قال تعالى :

﴿ فأراه الآية الكبرى ﴾ فللّه تعالى آية كبيرة وصغيرة وقال عن نبيه محمد ﷺ : ﴿ لقد رأى من ءايـتِ ربه الكبرى ﴾ .

---

(1) ابن تيمية – النبوات – (ص ٤ – ٥) ، وانظر الفتاوى – (١٥٦/٣) .

(2) انظر السفاريني – لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار البهية – (٣٩٦/٢) ، وانظر د / حسن ضياء الدين عتر – بينات المعجزة الخالدة – (ص ٣٤) – دار النصر – سوريا – حلب – الطبعة الأولى – ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

(3) النبوات – (ص ١٢١) .

فالآيات الكبرى مختصة بهم « بالأنبياء » وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين مثل تكثير الطعام ، فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين ، لكن لم يوجد كما وجد للنبي ﷺ أنه أطعم الجيش من شيء يسير فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم لكن لا يماثلونهم في قدره »[1] .

المذهب الثاني :

جواز وقوعها بدون حد ، فما جاز وقوعه لنبي جاز وقوعه لولي إذ جنس الخوارق - الكرامة والمعجزة والكهانة والسحر - واحد وليس هناك فرق بين تلك الخوراق في أصل الجنس إلاّ دعوى النبوة من النبي والصلاح من الولي .

وهذا مذهب الأشاعرة والآمدي كما تقدم يؤيد هذا .

قال البغدادي :

« إعلم أن المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادات غير أن الفرق بينها من وجهين :

أحدهما : تسمية ما يدل على صدق الأنبياء معجزة وتسمية ما يظهر على الأولياء : كرامة للتمييز بينهما .

والوجه الثاني : أن صاحب المعجزة لا يكتم معجزته بل يظهرها ويتحدى بها خصومه ويقول : إن لم تصدقوني فعارضوني بمثلها .

وصاحب الكرامة يجتهد في كتمانها ولا يدعيها فإن أطلع الله عليها بعض عباده كان ذلك تنبيهاً لما أطلعه الله تعالى عليها على حسن منزلة صاحب الكرامة عنده أو على صدق دعواه فيما يدعيه من الحال ، وفرق ثالث : وهو أن صاحب المعجزة مأمون التبديل معصوم عن الكفر بعد ظهور المعجزة عليه .

وصاحب الكرامة لا يؤمن تبدل حاله فإن بلعم بن باعوراء أوتي من هذا الباب ما لم يؤت غيره ثم ختم له بالشقاء »[2].

---

(1) النبوات - (ص ١٩٨) ، وانظر أيضاً (ص ١١٥ - ١١٦ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٨٢) .
(2) البغدادي - أصول الدين - (ص ١٧٤ - ١٧٥) .

وقال إمام الحرمين :

« وصار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز وقوعه كرامة لولي فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر وتنقلب العصا ثعباناً ويحيى الموتى كرامة لولي إلى غير ذلك من آيات الأنبياء ، وهذه الطريقة غير سديدة أيضاً ، والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات » [(1)].

وقال بعد ذلك :

« فإن قيل : فما الفرق بين الكرامة والمعجزة ، قلنا : لا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة » .

وتكاد تكون عبارة الآمدي قريبة جداً من فحوى كلام الجويني ، فالآمدي بعد أن ذكر الأقوال في المسألة شرع في بيان الفرق بين المعجزة والكرامة قائلاً :

« والفرق مع ذلك بين المعجزات والكرامات ، أن المعجزات مع دعوى النبوة ، والكرامات مع دعوى الولاية ولا منافاة » [(2)].

بمعنى أن الكرامة من جنس المعجزة فما جاز وقوعه لنبي جاز أن يقع لولي فجنس الخوارق واحد ، غير أن الفرق بينهما إنما هو دعوى النبوة وفي هذا المعنى يقول الآمدي :

« الفرق المرضي ليس إلا في أن المعجزة واقعة على وفق الدعوى دون غيرها من الأفعال ، ولا افتراق بينهما في الجواز العقلي أو في غير ذلك » [(3)].

وقال القاضي عبد الرحمن الإيجي عن الأمور التي تحدث للأنبياء قبل نبوتهم :

« إنما هي كرامات وظهورها على الأولياء جائز والأنبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الأولياء » [(4)].

---

(١) الآمدي – أبكار الأفكار – (١١٧/٢–أ) .
(٢) الآمدي – أبكار الأفكار – (١١٧/٢–أ) .
(٣) الآمدي – غاية المرام في علم الكلام – (ص ٣٣٤) .
(٤) الإيجي – المواقف – (ص ٣٤٠) .

وقال في موضع آخر :

« ثم إن خرق العادة إعجاز وكرامة عادة مستمرة » [1].

المذهب الثالث :

المنع من وقوع خرق العادة لغير الأنبياء وهذا قول المعتزلة وابن حزم وأبي إسحاق الأسفراييني من الأشاعرة .

وكذبوا بما تواتر من كرامات الصالحين ، وأنكروا كذلك السحر ، فالسحر عندهم ليس له حقيقة ، وإنما هو من قبيل التمويه والحيلة على وجه خفي وقد تقدم بيان حجة أصحاب هذا المذهب والشبه التي أوقعتهم في مثل هذا القول الفاسد [2].

القول الراجح في الكرامات :

هو ما ذهب إليه سلف الأمة من جواز وقوع الكرامة لأهل الصلاح من أتباع الأنبياء ، وأنها دون خوارق الأنبياء في المنزلة ويشهد لهذا القول الكتاب والسنة ويؤكده الواقع والحوادث التي ينقلها خلق كثير شهادة عينية ، وهو ما سوف نذكره أثناء مناقشة المخالفين بإذنه تعالى :

مناقشة المعتزلة :

أنكرت المعتزلة كما سلف خوارق غير الأنبياء ، وكذبوا بما تواتر من كرامات الصالحين ، وأنكروا كذلك السحر والمتأمل يجد أن هذا القول مخالف للواقع المشاهد إذ ثبوت الكرامة متواتر عند الناس كما يقول شيخ الإسلام أعظم من تواتر غيره من الأمور التي يصدقون بها [3]، فضلاً عن ثبوتها بالكتاب والسنة .

---

(١) الإيجي - المواقف - (ص ٣٤٥) .

(٢) انظر القاضي عبد الجبار - المغني - (٢١٨/١٥) ، وانظر شرح الأصول الخمسة - (ص ٥٦٨ - ٥٦٩) ، وابن تيمية - النبوات - (ص ٣، ٢٠) وفي مواضع أخرى ، وانظر عبد القاهر البغدادي - أصول الدين - (ص ١٧٥) ، وانظر العلامة ابن حزم المحلى - (٣٦/١) .

(٣) انظر ابن تيمية - النبوات - (ص ٢) .

أولاً : ثبوتها بالكتاب الكريم :

لقد ثبتت الكرامة بما ورد في القرآن الكريم من قصة مريم الصديقة حيث وجد الرزق عندها بلا سبب ظاهر فكانت تتنعم بفاكهة الصيف في الشتاء وبفاكهة الشتاء وفي الصيف .

قال تعالى :

﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً . قال يـٰمريم أنىٰ لك هٰذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشآء بغير حساب ﴾ (1).

وكذلك ما أخبر به سبحانه وتعالى عن حضور العرش في حضرة سليمان عليه السلام قبل ارتداد طرفه مع بعد المسافة بين أرض اليمن وبلاد الشام ، على يد صاحبه الذي عنده علم من الكتاب ، قال تعالى :

﴿ قال الذي عنده علم من الكتـٰب أنا ءاتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رءاه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ﴾ (2).

وكذلك ما أخبرنا به سبحانه وتعالى من قصة أصحاب الكهف فقد لبثوا في كهفهم أكثر من ثلاثة قرون ، قال تعالى :

﴿ ولبثوا في كهفهم ثلـٰث مائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾ (3).

ثانياً : ثبوتها بالسنة :

أثبتت السنة المطهرة وقوع الكرامة فقد ورد :

١- تكليم الطفل الرضيع ببراءة أحد عباد بني إسرائيل من فاحشة الزنا وهو جريج الراهب ، فقد شهد الطفل على رؤوس الأشهاد بنزاهته مما إتهمه به القوم فكان كرامة ظاهرة له(4) .

(1) سورة آل عمران – آية : ٣٧ .

(2) سورة النمل – آية : ٤٠ .

(3) سورة الكهف – آية : ٢٥ .

(4) القصة أخرجها البخاري في صحيحه – كتاب الأنبياء – باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها – (١٤٠/٤) ، ومسلم في صحيحه – كتاب البر والصلة والآداب – باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها – (٣/٨ – ٤) .

٢- حديث الثلاثة أصحاب الغار الذين وقعت الصخرة العظيمة على باب غارهم فحبستهم فلم يستطيعوا الخروج فتوسلوا ربهم بأعمالهم الصالحة فأنفرجت الصخرة عن باب الغار وخرجوا آمنين مطمئنين[1] .

٣- أن أسيد بن حضير[2] ، وعباد بن بشر[3] - رضي الله عنهما - حين خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فكان بين أيديهما نور وكانا يمشيان في ضوئه فلما افترقا افترق النور معهما فكان لكل منهما نور يمشي في ضوئه حتى بلغ منزله[4] .

٤- عندما أسر المشركون خبيباً[5] رضي الله عنه بمكة وأرادوا بعد ذلك قتله وجدوا عنده عنقود من العنب في غير أوانه[6].

٥- وكذلك قصة الصحابي الجليل عاصم بن ثابت[7] عندما قتله

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب البيوع - باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي - (٣٧/٣ - ٣٨) .

(٢) أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك الأوسي ، أبو يحيى ، صحابي كان شريفاً في الجاهلية والإسلام مقدماً في قومه ، من عقلاء العرب وكان يسمى الكامل ، توفي بالمدينة سنة ٢٠ هـ .
انظر ابن سعد - الطبقات الكبرى - (١٣٥/٣) ، وابن حجر - تهذيب التهذيب - (٣٤٧/١) .

(٣) عباد بن بشر الأشهلي الخزرجي الأنصاري ، صحابي من أبطالهم ، أسلم بالمدينة وشهد المشاهد كلها ، استعمله الرسول عليه الصلاة والسلام على الصدقة وعلى حرسه بتبوك ، استشهد يوم اليمامة ١٢ هـ .
انظر ابن حجر - تهذيب التهذيب - (٩٠/٥) ، والزركلي - الأعلام - (٢٥٧/٣) .

(٤) انظر البخاري الصحيح - كتاب مناقب الأنصار - باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما - (٢٢٧/٤ - ٢٢٨) .

(٥) خبيب بن عدي بن عامر الأنصاري الشهيد شهد أحداً وكان فيمن بعثه النبي عليه الصلاة والسلام مع بني لحيان فلما صاروا بالرجيع غدروا بهم ، فباعوه بمكة وقتلته قريش وصلبوه بالتنعيم .
انظر الذهبي - سير أعلام النبلاء - (٢٤٦/١) .

(٦) انظر البخاري الصحيح - كتاب الجهاد - باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر ومن ركع ركعتين عند القتل - (٢٩/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، والإمام أحمد في مسنده (٢٩٤/٢، ٣١١) .

(٧) عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري الأوسي أبو سليمان صحابي من السابقين الأولين شهد بدراً أو أحداً واستشهد يوم الرجيع ٤ هـ .
انظر الزركلي - الأعلام - (٢٤٨/٣) .

المشركون وبعثوا من يأتيهم بشيء من جسده لتعرفه قريش فبعث الله عليه مثل الظلة من الدّبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء [(1)].

والناظر إلى ما تقدم من الأدلة لا يسعه إلاّ التسليم بإثبات الكرامات لا محالة ، وأما دعوى إلتباس الكرامة بالمعجزة فهي دعوى غير صحيحة فآيات الأنبياء مختصة بهم لا يشاركهم فيها غيرهم ، وما جعله الله تعالى دليلاً وبرهاناً على النبوة يستحيل أن لا يدل عليها أو يدل عليها وعلى غيرها فإن الدليل مستلزم للمدلول ، ويرى شيخ الإسلام أن ذلك كافي في الرد على أصحاب هذا المذهب ، إذ ليس هناك دليل أقوى حجة وأوضح دلالة من الكتاب والسنة ، وبما تواتر وشاهده الناس من الكرامات التي لا يمكن جحدها أو تكذيبها وفي ذلك يقول رحمه الله :

« والمنازع لهم – أي المعتزلة – يقول : هي – أي الخوارق – موجودة مشهودة لمن شهدها متواترة عند كثير من الناس أعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء ، وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء ، فكيف يكذبون بما شهدوه ويصدقون بما غاب عنهم ويكذبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره » [(2)].

وقد أورد السبكي رحمه الله شبه المعتزلة لنفي الكرامات ورد عليها من عدة أوجه ، ثم بين أوجهاً لإثباتها فقال فيها :

« فنقول الدليل على ثبوت الكرامات وجوه :

أحدها : وهو أوحدها ما شاع وذاع بحيث لا ينكره إلا جاهل معاند من أنواع الكرامات للعلماء الصالحين الجاري مجرى شجاعة علي ، وسخاء حاتم ، بل إنكار الكرامات أعظم مباهتة : فإنه أشهر وأظهر ولا يعاند فيه إلاّ من طُمس قلبه والعياذ بالله » [(3)].

---

(1) أخرج هذه القصة البخاري في صحيحه – كتاب الجهاد – باب رقم ١٧٠ (٣٠/٤) ، والإمام أحمد في مسنده – (٢٩٤/٢-٣١١) .

(2) ابن تيمية – النبوات – (ص ٢) .

(3) تاج الدين السبكي – طبقات الشافعية الكبرى – (٣٣٤/٢) .

والخوارق أيضاً كما هو معلوم ليست نوعاً واحداً ولا مرتبة واحدة ، بحيث يصعب التمييز فيما بينها ، بل هي أنواع ومراتب أما بالنسبة لأنواعها فهي ثلاثة :

الأول : ما يعين صاحبه على البر والتقوى ، فهذه أحوال الأنبياء ومن تبعهم ، لحجة في الدين أو لحاجة المسلمين أجرى الله على أيديهم تلك الخوارق ، وهذه أكمل الخوارق وأعلى الأنواع .

الثاني : ما يعين على مباح ، كمن تعينه الجن على قضاء حوائجه المباحة ، ويعد من هذا من بعض الوجوه ، تسخير الجن لسليمان عليه السلام .

الثالث : ما يعين على المحرمات كالفواحش والظلم والشرك والقول الباطل ، ومن هذا النوع خوارق أهل السحر والكهانة ونحوهم ، وهذه الخوارق لا تظهر إلاّ بالإبتعاد عن الله تعالى ، وهذا النوع هو أدنى الأنواع ، وهو مشتمل على كثير من المحرمات [1].

وللخوارق أيضاً ثلاث مراتب :

الأول : آيات الأنبياء وبراهينهم الدالة على صدقهم وهي الآيات الكبرى المختصة بهم ، والتي لا يشاركهم فيها غيرهم .

الثانية : كرامات الصالحين ، وهي من آيات الأنبياء ، ولكنها ليست من آياتهم الكبرى ، ولا مما يتوقف عليها صدق النبوة مما يكون خارقاً لعادة غير الأنبياء مطلقاً ، بل هي معتادة في الصالحين من جميع الأمم .

الثالثة : خوارق الفجار والكفار ، كالسحرة والكهان ، وما يحصل لبعض المشركين وأهل الكتاب ، وأهل الضلال من المسلمين[2] .

ومن خلال هذه المراتب والأنواع السالفة الذكر يمكننا التفريق بين أجناس الخوارق ومعرفة ما يؤيد الله به رسله من غيره ، فلا إلتباس إذاً بين آيات الأنبياء وغيرها من الخوراق .

---

(١) انظر ابن تيمية - النبوات - (ص ١٠، ١١، ٢٦٠، ٢٦٣) .

(٢) المرجع السابق - (ص ٤، ٥، ٢٦٠) .

المآخذ على الآمدي في الكرامة :

تقدم أن مذهب الآمدي والأشعرية هو جواز وقوع الخارق من الولي بدون حدود ، وأهل السنة يوافقونهم في أصل وقوع الكرامة ولكن الخلاف معهم في جعلهم الكرامة من جنس السحر ومن جنس بقية الخوارق فما يقع للنبي يجوز عندهم وقوعه للولي ، فليس هناك فرق بين خوارق الأنبياء وخوارق الأولياء إلاّ دعوى النبوة من النبي .

يقول شيخ الإسلام تبييناً لهذا المذهب ورداً عليه :

« فأتى هؤلاء – يريد الأشاعرة – فأثبتوا ما أثبته الفقهاء وأهل الحديث من السحر والكهانة والكرامات ، لكن قيل لهم فميزوا بين هذا وبين المعجزات ، فقالوا لا فرق في نفس الجنس... لكن جنس خرق العادة واحد »[1].

ثم قال : « وإن من قال أن آيات الأنبياء والسحر والكهانة والكرامات وغير ذلك من جنس واحد فقد غلط »[2].

كما أن القول بهذا المذهب يفضي إلى عدم اختصاص الأنبياء بمعجزات زائدة على ما يحدث على أيدي الأولياء وهذا مردود لعدة أمور منها :

أن آيات الأنبياء أظهرها الله عز وجل لتأييد دعوى النبي وإظهار صدقه عند قومه المبعوث فيهم ومنهم المعاند والجاحد ، ومثل هذا الأمر ليس بالأمر الهين فهو يحتاج إلى أدلة تتناسب مع عظم مكانته .

وأما مايظهر على أيدي الأولياء فإنه خاص بالولي نفسه ، جزاء له على عبادته أو لتقوية إيمانه ونحوه .

ولا يستوي ما كان الغرض منه إقناع أمم متعددة متنوعة الثقافة ، ومختلفة العقول منها المعاند والمحارب ، مع ما كان الغرض منه فردياً لشخص مؤمن في الأصل [3].

(١) ابن تيمية – النبوات – (ص ١٠٩) .

(٢) ابن تيمية – النبوات – (ص ٢٩٢) .

(٣) د/ أحمد سعد حمدان الغامدي – مقدمة تحقيقه للجزء التاسع من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي – (ص ٢٠) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وهو يعرض مذهب الأشاعرة :

« ثم هؤلاء جوَّزوا كرامات الصالحين و لم يذكروا بين جنسها وجنس كرامات الأنبياء فرقاً ، بل صرح أئمتهم أن كل ما خرق لنبي يجوز أن يخرق للأولياء ، حتى معراج - محمد ﷺ - وفرق البحر لموسى عليه السلام وناقة صالح عليه السلام ، وغير ذلك و لم يذكروا بين المعجزة والسحر فرقاً معقولاً بل قد يجوزون أن يأتي الساحر بمثل ذلك لكن بينهما فرق دعوى النبوة وبين الصالح والساحر والبر والفاجر ....

فيقال : المراتب ثلاثة :

آيات الأنبياء ، ثم كرامات الصالحين ، ثم خوارق الكفار والفجار ، كالسحرة والكهان وما يحصل لبعض المشركين وأهل الكتاب والضلال من المسلمين .

أما الصالحون الذي يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء فإنهم يقولون نحن إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء ، ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا ، فهؤلاء إذا قدر أنه جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء كما صارت النار برداً وسلاماً على أبي مسلم ، كما صارت على إبراهيم عليه السلام ، وكما يكثر الله الطعام والشراب لكثير من الصالحين كما جرى في بعض المواطن للنبي ﷺ أو إحياء الله ميتاً لبعض الصالحين كما أحياه للأنبياء .

فهذه الأمور هي مؤكدات لآيات الأنبياء وهي أيضاً من معجزاتهم بمنزلة ما تقدمهم من الإرهاص .

ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى دراجاتهم ولكن قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم ... »[1].

ولقد فطن تاج الدين السبكي - وهو من متأخري الأشاعرة - لهذا الأمر و لم يوافق أصحابه واستدرك عليهم قائلاً :

(1) ابن تيمية - النبوات - (ص ٣ - ٥) .

« معاذ الله أن يتحدى نبي بكرامة تكررت على ولي ، بل لابد أن يأتي النبي بما لا يوقعه الله على يد الولي ، وإن جاز وقوعه فليس كل جائز في قضايا العقول واقعاً . ولما كانت مرتبة النبي أعلى وأرفع من مرتبة الولي كان الولي ممنوعاً مما يأتي به النبي على الإعجاز والتحدي ، أدباً مع النبي » [(١)].

ثم أورد بعد ذلك كلام أبي القاسم القشيري وهو :

« إن كثيراً من المقدورات يعلم اليوم قطعاً أنه لا يجوز أن يظهر كرامة للأولياء لضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك فمنها حصول إنسان لا من أبويه ، وقلب جماد بهيمة أو حيواناً وأمثال هذا يكثر » انتهى .

ثم عقب السبكي عليه بقوله :

« وهو حق لا ريب فيه وبه يتضح أن قول من قال : لا فارق بين المعجزة والكرامة إلاّ بالتحدي ليس على وجهه » [(٢)].

وقال في موضع آخر :

« والذي يترجح عندي القول بتجويز الكرامات على الاطلاق إذا لم تخرق عادة وبتجويز بعض خوارق العوائد دون بعض فلا أمنع كثيراً من الخوارق وأمنع كثيراً » [(٣)].

وبهذا يتبين أن القول بعدم الفرق بين الكرامة والمعجزة وأنهما كلهما من جنس واحد قول غير صحيح ، فإن خوارق الأنبياء أعلى وأرفع وأعظم من بقية الخوارق ولا يمكن أن تلتبس بغيرها من الخوارق .

المعجزة ليست الدليل الوحيد على صدق النبي :

يرى أبو الحسن الآمدي – كما سبق بيانه – أن المعجزة هي الدليل الوحيد على صدق دعوى النبي ، والصحيح أن إثبات النبوة ليس مقتصراً على المعجزة فهي ليست الدليل الوحيد على صدق النبي كما يقول أكثر المتكلمين ، فالأدلة على صدق دعوى النبي كثيرة متعددة ، ومن ضمن هذه الأدلة المعجزة .

(١) السبكي – طبقات الشافعية الكبرى – (٣٢٠/٢) .

(٢) السبكي – طبقات الشافعية الكبرى – (٣١٦/٢) .

(٣) السبكي – طبقات الشافعية الكبرى – (٣٣٧/٢) .

ولقد بين شيخ الإسلام خطأ المتكلمين الذين يجعلون المعجزة هي الدليل الوحيد على صدق النبوة وما يترتب على ذلك من أمور باطلة حيث قال :

« ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح لتقرير نبوة الأنبياء ، لكن كثير من هؤلاء – يعني المتكلمين – بل كل من بنى إيمانه عليها يظن أن لا تعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات ....

ومنهم من يجعل المعجزة دليلاً ويجعل أدلة أخرى غير المعجزة ، وهذا أصح الطرق ، ومن لم يجعل طريقها إلاّ المعجزة اضطر لهذه الأمور التي فيها تكذيب لحق أو تصديق لباطل .

ولهذا كان السلف والأئمة يذمون الكلام المبتدع فإن أصحابه يخطئون » [1].

وفي رأي شيخ الإسلام أن معرفة صدق النبي بغير المعجزة أمر ممكن إذ التمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة ، ليست محصورة في طريق واحد ، فالناس لهم طرق وأدلة متنوعة ، وكثيرة في تمييز الصادق والكاذب فيما هو دون دعوى النبوة فكيف بدعوى النبوة ؟ وفي هذا يقول :

« فإن معرفتها – أي النبوة – بغير المعجزات ممكنة ، فإن المقصود إنما هو معرفة صدق مدعي النبوة أو كذبه ، فإنه إذا قال إني رسول الله ، فهذا الكلام إما أن يكون صدقاً وأما أن يكون كذباً .... فإذا كان مدعي الرسالة لم يكن صادقاً فلا بد أن يكون كاذباً عمداً أو إضلالاً ، فالتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون دعوى النبوة فكيف بدعوى النبوة ؟

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلاّ وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز ، وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلاّ وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز ، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور ولابد أن يفعل أموراً » [2].

---

(١) ابن تيمية – شرح العقيدة الأصفهانية – (ص ٨٩) .

(٢) المصدر السابق .

ويقول مؤكداً هذا المعنى في موضع آخر :

« كل شخصين ادعيا أمراً من الأمور أحدهما صادق في دعـواه والآخـر كاذب ، فلابـد أن يبين صدق هـذا وكـذب هـذا ، من وجوه كثيرة ، إذ الصدق مستلزم للبر ، والكذب مستلزم الفجور ، كما في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال :

« عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهـدي إلى الجنة ، ولا يزال الرجـل يصـدق ويتحرى الصـدق حتى يكتب عنـد الله صديقـاً ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » [(1)].

ولهذا قال تعالى :

﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشيـطين تـنزل على كـل أفـاك أثيـم يلقـون السمع وأكثرهم كـذبون والشعراء يتبعهم الغاوُن ، ألم تـر أنهـم في كـل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ [(2)].

وبين سبحانه أنه ليـس بكـاهن تـنزل عليـه الشـياطين ، ولا شـاعر حيث كانوا يقولون ساحر وشاعر فبين أن الشياطين تنزل على الكـاذب والفاجر ، يلقون إليهم السمع وأكثرهم كاذبون فهؤلاء الكهان ونحوهـم وإن كانوا يخبرون أحياناً بشيء من الغيبيات ويكون صدقـاً فمعهـم مـن الكذب والفجور ما يبين أن الـذي يخبرون بـه ليـس عـن ملـك وليسـوا بأنبياء » [(3)].

وكما أن التمييز بين الصادق والكاذب من المدعين للصناعات والمقالات كالفلاحة والطب والكتابـة وغير ذلك سـهل وميسـور ، فكذلـك الحـال في الأمور الدينية ، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام :

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب البر والصلة والآداب - باب قول الله تعالى : ﴿ يـايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصـدقين ﴾ - (٧/٩٥) .

(2) سورة الشعراء - آية : ٢٢١-٢٢٦ .

(3) ابن تيمية - شرح الأصفهانية - (ص ٩٠) ، وانظر النبوات - (ص ٢٦٤) وما بعدها .

« والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة حتى المدعين للصناعات والمقالات كالفلاحة والنساجة والكتابة وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك ، فما من أحد يدعي العلم بصناعة أو مقالة إلاّ والتفريق في ذلك بين الصادق والكاذب له وجوه كثيرة ، وكذلك من أظهر قصداً عملاً كمن يظهر الديانة والأمانة والنصيحة والمحبة وأمثال ذلك من الأخلاق ، فإنه لابد أن يتبين صدقه وكذبه من وجوه متعددة » [(1)].

فمعرفة النبي الصادق في دعواه من المتنبئ الكاذب سهلة ويسيرة ، فالنبوة موجودة منذ وجد الإنسان على وجه الأرض فالأصل في البشرية معرفة النبوة لا الجهل بها ، فيعرف الناس دعوة الأنبياء وأخلاق الأنبياء وصفات الأنبياء بالتوراث ، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام :

« والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لابد أن يتصف الرسول بها وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال ، فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب ولا يتبين صدق الصادق وكذب الكاذب من وجوه كثيرة ، ولا سيما والعالم لا يخلو من آثار نبي من لدن آدم إلى زمننا ، وقد علم جنس ما جاءت به الأنبياء والمرسلون ، وما كانوا يدعون إليه ويأمرون به ، ولم تزل آثار المرسلين في الأرض ولم يزل عند الناس من آثار الرسل ما يعرفون به جنس ما جاءت به الرسل ، ويفرقون بين الرسل وغير الرسل ، فلو قدر أن رجلاً جاء في زمان إمكان بعث الرسل وأمر بالشرك وعبادة الأوثان وإباحة الفواحش والظلم والكذب ، ولم يأمر بعبادة الله ولا الإيمان باليوم الآخر ، هل كان مثل هذا يحتاج أن يطالب بمعجزة أو يشك في كذبه أنه نبي ، ولو قدر أنه أتى بما يظن أنه معجزة لعلم أنه من جنس المخاريق أو الفتن والمحنة » [(2)].

ثم ضرب رحمه الله مثالاً بالدجال قائلاً :

« ولهذا لما كان الدجال يدعى الإلهية لم يكن ما يأتي به دالاً على صدقه للعلم بأنه دعواه ممتنعة في نفسها وأنه كذاب » [(3)].

---

(1) ابن تيمية – شرح العقيدة الأصفهانية – (ص ٨٩) .

(٢) ابن تيمية – شرح العقيدة الأصفهانية – (ص ٩١) .

(٢) المصدر السابق .

وضرب مثالاً آخر لمعرفة الصادق في دعوى النبوة ، بمعرفة خديجة رضي الله عنها صدق النبي عليه الصلاة والسلام وذلك عندما جاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى خديجة عليها السلام وهو يرتجف بعد نزول الملك عليه لأول مرة وكان خائفاً أن يكون قد أصابه من الشيطان مس فقالت له :

« كلا والله لا يخزيك الله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكلَّ وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق » [(1)].

والذي أوصل خديجة لهذا اليقين هو علمها بأن سنة الله قد جرت بأن من جبله الله على الأخلاق المحمودة ونزهه عن الأخلاق المذمومة فإن الله لا يخزيه ولا يكون للشيطان عليه سبيل [(2)].

والخلاصة : أن أدلة النبوة وبراهينها متعددة الطرق كثيرة الوجوه ، وهو ما أكده شيخ الإسلام في مواضع كثيرة في مؤلفاته ، منكراً على من يقتصر على دليل واحد أو طريق واحد في إثبات النبوة .

وبعبارة أخرى يرى شيخ الإسلام أن هناك مسلكين لمعرفة النبوة :

المسلك الأول النوعي : والمقصود به النظر في نوع ما حصل للنبي من بدايات الوحي وأوائل النبوة هل هو من نوع ما حصل للأنبياء السابقين أم لا ؟

وقد استدل بهذا المسلك غير واحد من أصحاب العقول النابهة والآفاق الواسعة منهم النجاشي ملك الحبشة ، فقد استدل بهذا المسلك على صدق نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة السلام ، وذلك عندما كاد كفار قريش مهاجري الحبشة عند النجاشي لكي يخرجهم من أرضه ويعودوا بهم إلى مكة ، فما كان منه إلا أن جمعهم و « استخبرهم عما يخبر به واستقرأهم القرآن فقرأوه عليه ، قال : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة [(3)]

---

(1) انظر صحيح البخاري - باب كيف كان بدء الوحي - (١/٢-٣) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(2) انظر ابن تيمية - شرح العقيدة الأصفهانية - (ص ٩٣) .

(3) قال في اللسان : « وفي حديث النجاشي : إنما يخرج من مشكاة واحدة ، المشكاة الكوة غير النافذة ، وقيل هي الحديدة التي يعلق عليها القنديل » .

انظر ابن منظور - لسان العرب - (٤٤١/١٤) .

واحدة »[1].

وبهذا المسلك عرف أيضاً ورقة بن نوفل صدق النبي عليه الصلاة والسلام ، وذلك عندما رأى صلوات الله وسلامه عليه جبريل عليه السلام أول مرة في غار حراء ، وخشي على نفسه أن يكون قد مس عقله شيء ، فرجع إلى خديجة رضي الله عنها يرجف فؤاده فطمأنته ، ثم انطلقت به حتى أتت به ورقة بن نوفل ، وكان تنصر في الجاهلية وعنده علم بالكتاب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة :

« يا ابن العم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى ؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة ، هذا الناموس[2] الذي أنزل على موسى ياليتني فيها جذعاً[3] ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ - أو مخرجي هم ؟

قال نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلاَّ عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي[4].

والمسلك الثاني الشخصي : ويعني به شيخ الإسلام ما يظهر من أحوال الأنبياء وصفاتهم وشمائلهم سواء كانت قبل البعثة أم بعدها ، فكل ذلك يدل دلالة واضحة على عظيم صدقهم وكمال عقولهم ، وصفاء سلوكهم .

---

(١) انظر ابن تيمية - شرح العقيدة الأصفهانية - (ص ٩٣) ، وابن هشام - السيرة والنبوية - (٣٣٥/١،٣٣٦) .

(٢) الناموس : هو صاحب سر الملك ، وهو جبريل ، وأهل الكتاب يسمون جبريل عليه السلام - الناموس - كما سماه ورقة .

انظر ابن منظور - لسان العرب - (٢٤٤/٦) .

(٣) الجذع : بفتح الجيم والذال المعجمة ، معناه الصغير السن ، ومعناه ليتني أكون شاباً حين تظهر دلائل النبوة حتى أبالغ في النصرة .

انظر ابن منظور - لسان العرب - (٤٣/٨،٤٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب بدء الوحي - باب رقم (١) - (٣/١) ، ومسلم في صحيحه - الإيمان - باب بدء الوحي - (١٣/١) .

كيف لا وأخلاقهم كانت ولا تزال مضرب الأمثال ، وتفوقهم في المدارك العقلية والمواهب الروحية لا يختلف فيه العقلاء ، واشتهارهم بين الخلائق بمكارم الأخلاق وحميد الصفات دلائل واضحة على صدق نبوتهم ، وقد استدل بهذا المسلك غير واحد من العقلاء منهم أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، فهي عندما رجع إليها النبي ﷺ من غار حراء لما فجاءه الملك وقرأ عليه أول سورة ﴿ اقرأ ﴾ دخل عليها رضي الله عنها وهو يرجف فؤاده : « فقال زملوني ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة - وهذا محل الشاهد - : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق »[1].

فبينت خديجة بهذا الكلام الذي اقسمت عليه رضي الله عنها وهو نفي الخزي عنه ﷺ ، واستدلت عليه بما « كان مجبولاً عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ... وقد علم من سنة الله أن من جبله الله على الأخلاق المحمودة ونزهه عن الأخلاق المذمومة فإنه لا يخزيه »[2].

ولاشك أن هذا المسلك طريق عظيم من طرق الاستدلال على إثبات النبوة وصدق مدعيها ، ولذلك قرر شيخ الإسلام أن مدعي الرسالة « إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم ، وإما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم ، ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي ﷺ - لما بلغهم الرسالة ودعاهم إلى الإسلام : والله لا أقول لك كلمة واحدة ، إن كنت صادقاً فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك ، وإن كنت كاذباً فأنت أحقر من أن أرد عليك .

فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم ، وما أحسن قول حسان[3] :

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) ابن تيمية - شرح العقيدة الأصفهانية - (ص ٩٣) .

(٣) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري أبو الوليد شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام عاش ستين في الجاهلية وستين في الإسلام عمي قبل وفاته سنة ٥٤ هـ . انظر ابن حجر - تهذيب التهذيب - (٢/٢٤٧) ، والزركلي - الأعلام - (٢/١٧٥) .

لو لم تكن فيه آيات مبينة   كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلاّ وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز ، وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلاّ وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز ، فإن الرسول لابد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور ولابد أن يفعل أموراً »[1] .

وبهذا المسلك استدل أيضاً هرقل ملك الروم على صدق نبوة النبي ﷺ من خلال ما أجابه به أبو سفيان[2] رضي الله عنه قبل إسلامه ، فإن النبي ﷺ لما كتب إلى هرقل يدعوه فيه إلى الإسلام ، « طلب هرقل من كان هناك من العرب وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى غزة فطلبهم وسألهم عن أحوال النبي ﷺ - وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه فصار يجدهم موافقين له في الإخبار »[3] .

وقد روى الإمام البخاري في كتابه الصحيح هذه المحاورة من طريق أبي سفيان نفسه : « أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام ... فأتوه وهم بإيليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظماءُ الروم ثم دعاهم ودعا ترجمانه ، فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، فقال أبو سفيان : قلت أنا أقربهم نسباً ، فقال : ادنوه وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه ، قال : فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه ، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبُهُ فيكم ، قلت : هو فينا ذو نسب ، قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبلهُ ، قلت : لا ، قال : فهل كان

---

(1) ابن تيمية - شرح العقيدة الاصفهانية - (ص ٨٩) .

(2) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي ، أبو سفيان صحابي شهير من علية قريش ، أسلم عام الفتح ، ومات سنة ٣٢ هـ .

انظر ابن حجر - تقريب التهذيب - (ص ٢٧٥) .

(3) ابن تيمية - شرح العقيدة الاصفهانية - (ص ٩٣ - ٩٤) .

من آبائه من ملك ، قلتُ : لا ، قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ، قلت : بل ضعفاؤهم ، قال : أيزيدون أم ينقصُون ، قلت : بل يزيدون ، قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ، قلت : لا ، قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، قلت : لا ، قال : فهل يغدر ، قلت : لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها ، قال : ولم تمكني كلمةٌ أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة ، قال : فهل قاتلتموه ، قلت : نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه ، قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه ، قال : ماذا يأمركم ، قلتُ : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحدٌ منكم هذا القول فذكرت أن لا ، فقلت لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله لقلتُ رجل يتأسى بقول قيل قبله ، وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءَهم اتبعوه وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحدٌ سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارجٌ لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ... »[1] .

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ – (1/5 – 6) .

وقد اعترض بعض المتكلمين ، كما يقول شيخ الإسلام على طريقة هرقل في معرفته لصدق النبي عليه الصلاة والسلام زاعماً أنه لا يمكن معرفة النبوة إلا بالمعجزة ، وقد أبطل شيخ الإسلام هذه الدعوى بقوله :

« وليس الأمر على ما قال ، بل كل عاقل سليم الفطرة إذا سمع هذا السؤال والبحث علم أنه من أدل الأدلة على عقل السائل وخبرته واستنباطه ما يتميز به هل هو صادق أو كاذب »[1] .

ومن الأدلة الأخرى التي تدخل تحت نطاق هذا المسلك ما يثبته علماء الحديث والسير في مصنفاتهم الخاصة بدلائل النبوة ، على أنها من علامات النبوة ودلائلها ، ومن هذه الدلائل ، ما حدث عام الفيل وهو العام الذي ولد فيه المصطفى عليه الصلاة والسلام من حبس الفيل وإبادة جيش الحبشة[2] ، ورؤيا أمه النور عند ولادته وقد ملأ الآفاق[3] ، وكذلك حادثة شق الصدر[4] ، وكذلك العلامات التي ظهرت في بني سعد أيام رضاعه ، ثم بعد ذلك نشأته الطاهرة وحفظ الله تعالى إياه من أقذار الجاهلية ، ثم بعد ذلك انقطاعه عن مشاركة أهل مكة في باطلهم ولهوهم ، وتحنثه في غار حراء[5] .

---

(١) ابن تيمية – شرح العقيدة الاصفهانية – (ص ٩٩) .

(٢) انظر البيهقي – دلائل النبوة – (١١٥/١) وما بعدها ، وأبو نعيم الأصفهاني – دلائل النبوة – (ص ١٠٠ – ١٠٨) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي – (٥٣٥/٢) .

(٣) انظر البيهقي – دلائل النبوة – (٨٠/١ – ١٣٦) ، والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي – (٦٠٠/٢) .

(٤) أخرجهما البخاري في صحيحه – كتاب بدء الخلق – باب ذكر الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم – (٧٧/٤) ، ومسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلاة – (١٠١/١ – ١٠٢) .

(٥) انظر البخاري الصحيح – كتاب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ – باب (١) – (٣/١) ، ومسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ – (٩٧/١) .

وقد أومأ شيخ الإسلام إلى هذه الأدلة وغيرها في كتابه الجواب الصحيح حيث قال :

« وآيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول ، وقبل مولده ، وبعد مماته لا تختص بحياته فضلاً عن أن تختص بحال دعوى النبوة أو حال التحدي ، كما ظنه بعض أهل الكلام ، بل لابد من آيات في حياته تدل على صدقه تقوم بها الحجة ، وتظهر بها المحجة ، كما قال النبي – عليه الصلاة والسلام – في الحديث الصحيح :

« ما من نبي من الأنبياء إلاّ وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »[1] »[2] .

ويقول شيخ الإسلام في موضع آخر :

« وسيرة الرسول – ﷺ – من آياته ، وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته ، وأمته من آياته ، وعلم أمته ودينهم من آياته ، وكرامات صالح أمته من آياته ، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد إلى أن بعث ، ومن حيث بعث إلى أن مات ، وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً من صميم سلالة إبراهيم ، الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب ، فلم يأت نبي من بعد إبراهيم إلاّ من ذريته ... وكان من أكمل الناس تربية ونشأة لم يزل معروفاً بالصدق والبر والعدل ، ومكارم الأخلاق وترك الفواحش والظلم وكل

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب فضائل القرآن – باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل – (٩٧/٦) من حديث أبي هريرة وكذلك في كتاب الاعتصام بالسنة – باب قول النبي عليه الصلاة والسلام بعثت بجوامع الكلم – (١٣٨/٨ – ١٣٩) ، وكذلك مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته – (٩٢/١ – ٩٣) ، والإمام أحمد في مسنده – (٣٤١/٢ – ٤٥١) .

(٢) ابن تيمية – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – (٢٥٠/٤ – ٢٥١) – مطابع المجد التجارية – بدون تاريخ .

وقد أومأ شيخ الإسلام إلى هذه الأدلة وغيرها في كتابه الجواب الصحيح حيث قال :

« وآيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول ، وقبل مولده ، وبعد مماته لا تختص بحياته فضلاً عن أن تختص بحال دعوى النبوة أو حال التحدي ، كما ظنه بعض أهل الكلام ، بل لابد من آيات في حياته تدل على صدقه تقوم بها الحجة ، وتظهر بها المحجة ، كما قال النبي – عليه الصلاة والسلام – في الحديث الصحيح :

« ما من نبي من الأنبياء إلاّ وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »[1] »[2] .

ويقول شيخ الإسلام في موضع آخر :

« وسيرة الرسول – ﷺ – من آياته ، وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته ، وأمته من آياته ، وعلم أمته ودينهم من آياته ، وكرامات صالح أمته من آياته ، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد إلى أن بعث ، ومن حيث بعث إلى أن مات ، وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً من صميم سلالة إبراهيم ، الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب ، فلم يأت نبي من بعد إبراهيم إلاّ من ذريته ... وكان من أكمل الناس تربية ونشأة لم يزل معروفاً بالصدق والبر والعدل ، ومكارم الأخلاق وترك الفواحش والظلم وكل

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب فضائل القرآن – باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل – (٩٧/٦) من حديث أبي هريرة وكذلك في كتاب الاعتصام بالسنة – باب قول النبي عليه الصلاة والسلام بعثت بجوامع الكلم – (١٣٨/٨ – ١٣٩) ، وكذلك مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته – (٩٢/١ – ٩٣) ، والإمام أحمد في مسنده – (٣٤١/٢ – ٤٥١) .

(٢) ابن تيمية – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – (٢٥٠/٤ – ٢٥١) – مطابع المجد التجارية – بدون تاريخ .

وصف مذموم مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة وممن آمن به وكفر بعد النبوة لا يعرف بشيء يعاب بـه ، لا في أقوالـه ولا في أفعالـه ولا في أخلاقه ، ولا جُرب عليـه كذبـة قـط ، ولا ظلـم ولا فاحشـة ، وكـان خلقه وصورته من أكمل الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالـة علـى كمالـه وكان أمياً من قوم أميين لا يعرف لا هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتـاب ، مـن التوراة والإنجيل ، ولم يقرأ شيئاً عن علوم الناس ، ولا جالس أهلهـا ولم يـدع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة فأتى بأمر وهو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولـون والآخـرون بنظيره وأخبرنـا بـأمر لم يكـن في بلـده وقومه من يعرف مثله ، ولم يعرف قبله ولا بعـده لا في مصـر مـن الأمصـار ، ولا في عصر من الأعصار ، من أتى بمثل ما أتى بـه ولا مـن ظهـر كظهـوره ، ولا من أتى من العجائب والآيات بمثل ما أتى به ولا من دعا إلى شريعة أكمل من شريعته ، ولا من ظهر دينه علـى الأديـان كلهـا بـالعلم والحجـة ، وبـاليد والقوة كظهوره »[1] .

وبهذا يتضح أن أهل السنة والجماعة يـرون أن معرفـة صـدق النبي بغير المعجزة أمـر ممكـن فليسـت المعجـزة عندهـم كمـا يـرى الآمـدي وغـيره مـن المتكلمين الطريق الوحيد لمعرفة صدق النبي .

بل هناك طرق كثيرة متعددة يمكن من خلالها معرفة صـدق دعـوى النبي كالبشارات والنظر في أحوال النبي والنظر في دعوته والشـريعة الـتي أتى بها ونصر الله وتأييده لـه فبكـل هـذا يمكـن معرفـة صـدق النـبي في دعواه[2] .

---

(١) ابن تيمية – دقائق التفسير – (١٥٩/١) – تحقيق محمد السـيد الجلينـد – الطبعـة الثانيـة – ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م – مؤسسة علوم القرآن – بيروت – دمشق .

(٢) انظر د/ أحمد عبد اللطيف – منهج إمام الحرمين – (ص ٤٩٥) .

الاستدلال بالمعجزة على غير صدق النبي من العقائد :

والمعجزة لا تقتصر دلالتها على إثبات صدق النبي كما يرى ذلك الآمدي وغيره من المتكلمين ، بل إن أهل السنة والجماعة يرون أنها موصلة إلى إثبات توحيد الربوبية وإثبات صفاته تعالى وإثبات المعاد ، وأنها طريقة شرعية إذ استخدمها الأنبياء مع أقوامهم فموسى عليه الصلاة والسلام أقام الحجة على فرعون وقومه – الذين أنكروا ربوبية الله سبحانه وتعالى – مستخدماً المعجزات التي أيده الله بها .

ولقد استدل شيخ الإسلام بقصة موسى مع فرعون مثبتاً صحة دلالة المعجزات كطريق لإثبات توحيد الربوبية ، فبعد أن ساق الآيات التي تحكي قصة موسى مع فرعون وهي قوله تعالى :

﴿ فأتيا فرعون فقولآ إنا رسول رب العٰلمين أن أرسل معنا بني إسرآءيل . قال ألم نربك فينا وليداً ﴾ إلى قوله تعالى :

﴿ قال فرعون وما رب العٰلمين قال رب السمٰوٰت والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب ءَابائكم الأولين . قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون . قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصٰدقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للنٰظرين ﴾ (1).

ثم قال بعد سوق هذه الآيات :

« فهنا قد عرض عليه موسى الحجة البينة التي جعلها دليلاً على صدقه في كونه رسول رب العالمين وفي أن له إلهاً غير فرعون يتخذه وكذلك قال تعالى :

﴿ فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنّمآ أنزل بعلم الله وأن لآإله إلا هو ﴾ (2).

---

(1) سورة الشعراء – آية : ١٦-٣٣ .

(2) سورة هود – آية : ١٤ .

فبين أن المعجزة تدل على الوحدانية والرسالة ، وذلك لأن المعجزة التي هي فعل خارق للعادة تدل بنفسها على ثبوت الصانع كسائر الحوادث بل هي أخص من ذلك ، لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة ، ولهذا يسبح الرب عندها ، ويمجد ويعظم ما لا يكون عند المعتاد ، ويحصل في النفوس ذلة من ذكر عظمته ما لا يحصل للمعتاد ، إذ هي آيات جديدة فتعطي حقها ، وتدل بظهورها على الرسول وإذا تبين أنها تدعوا إلى الإقرار بأنه رسول الله فتقرر بها الربوبية والرسالة » [1].

ولقد تابع ابن القيم شيخه في أهمية المعجزة كطريق من الطرق الموصلة إلى إثبات الصانع ، بل هي من أقوى الطرق لقوة إرتباطها بمدلولاتها إذ هي تجمع بين دلالة الحس والعقل ودلالتها ضرورية والله عز وجل سماها آيات وبينات لذلك يقول :

« وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله ، وإرتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من إرتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها ، فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل ودلالتها ضرورية بنفسها ، ولهذا يسميها تعالى آيات بينات وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها ، فإن انقلاب العصا – تقلها اليد – ثعباناً عظيماً يبتلع ما يمر به ، ثم يعود عصا كما كانت من أدل الأدلة على وجود الصانع وحياته وقدرته ومشيئته وإرادته وعلمه بالكليات والجزئيات وعلى رسالة الرسول وعلى المبدأ والمعاد ، فكل قواعد الدين في هذه العصا وكذلك اليد وفلق البحر طوقاً والماء قائم بينهما كالحيطان ونتق الجبل من موضعه ورفعه على قدر العسكر العظيم فوق رؤوسهم » [2].

(١) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٧٨/١١) .
(٢) ابن القيم – مختصر الصواعق المرسلة – (ص ١٩٥) .

ومما يجدر ذكره أن البيهقي قد حكى أن بعض مشايخه سلكوا – في إثبات الصانع وحدث العالم – طريق الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة وذلك لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها ومن طريق إستفاضة الخبر لمن غاب عنها » [(١)].

والواقع أن من يتدبر أحوال الرسل لا يجدهم يأمرون الكافر إذا أراد الإيمان والصبي إذ بلغ ، أن ينظر أولاً في إثبات وجود الله وصفاته ، وبعد ذلك ينظر في جواز الرسالة وإمكانها وأن الله حكيم لا يظهر المعجزة على يد كذاب بل كانوا يدعون الناس دون فصل بين الإيمان بالله والإيمان بهم .

ويؤسسون إيمانهم بالله وإيمانهم بهم على المعجزة نفسها .

فالمعجزة إذا ظهرت وشاهدها الإنسان كانت من أعظم الأدلة على وجوده سبحانه وقدرته وعلمه وعلى صدق الرسول وأنه مؤيد من الله [(٢)].

---

(١) البيهقي – الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث – (ص ٤٥) تحقيق أحمد عصام الكاتب – دار الآفاق الجديدة – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٠١ هـ .

(٢) انظر الدكتور أحمد عبد اللطيف آل عبد اللطيف – منهج إمام الحرمين – (ص ٤٩٧ – ٤٩٨) .



ختم النبوة وعمومها

وفيه مبحثان

المبحث الأول : ختم النبوة وعمومها عند الآمدي

المبحث الثاني : ختم النبوة وعمومها

عند أهل السنة والجماعة

تمهيد :

نحن في هذا الفصل أمام قضيتين مترابطتين ، ولازمتين لنبوة سيدنا محمد ﷺ ، من أنكرهما أو أنكر واحدة منهما فكأنه أنكر النبوة من أساسها ، ألا وهما عموم رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، وختمه للنبوة .

وبالإضافة إلى أن القضيتين مترابطتان ، فإنهما متداخلتا المفهوم والمعنى وتودي كل واحدة منهما إلى مفهوم الأخرى ، فإن قولنا رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عامة يودي إلى أن رسالته لا يقتضي من عمومها مجئ غيرها بعدها أو معها ، وقولنا إنها خاتمة الرسالات يقتضي أن تكون شاملة لكل ما جاءت به الرسالات ، وما لم تجئ به لتكون نظاماً لأعمار الكون ما دامت خاتمة الرسالات ، وهذا يعنى أنها عامة لكل الناس .

وقد تعرض الكتاب والسنة لعموم بعثة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه و لم يقصراها على الأنس بل عديا ذلك إلى الجن ، وبالتالي فقد ازداد مفهوم العموم وضوحاً وشمولاً .

و لم تكن تلك القضايا محل خلاف بين المسلمين ، بل إن الإجماع منعقد على كفر من أنكر عموم رسالة محمد ﷺ أو ختمه للنبوة ، لأنه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، وكذب بالكتاب والسنة [(1)].

---

(1) القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – (١٩٦/١٤) مطبعة دار الكتب المصرية – الطبعة الأولى ، و البغدادي – أصول الدين – (ص ١٥٩) .

المبحث الأول:

ختم النبوة وعمومها عند الآمدي

المبحث الأول : ختم النبوة وعمومها عند الآمدي :

تطرق الآمدي إلى قضية عموم بعثته عليه الصلاة والسلام وختمه للنبوة ، عند مناقشته لشبه بعض طوائف اليهود حول بعثته عليه الصلاة والسلام ، حيث ذهبت العيسوية – وهم أتباع أبو عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني الذي ادعى النبوة واتبعه كثير من اليهود ، وادعوا أن له آيات ومعجزات – إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام مبعوث إلى العرب خاصة ، وأن دعوته ليست عامة إلى جميع الأمم [(1)].

واستدلوا على دعواهم تلك ، ببعض النصوص من التوراة والتي تدل على دوام شريعة موسى عليه الصلاة والسلام ، واستدلوا أيضاً ببعض آيات الإنذار الواردة في القرآن الكريم ، كقوله تعالى :

﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ [(2)].

يقول أبو الحسن الآمدي مصوراً مذهب العيسوية :

« وأما العيسوية منهم[(3)] فإنهم قالوا : سلمنا ظهور المعجزات على يده واقترانها بدعوته ، لكنه إنما ادعى الرسالة للعرب خاصة ، لا إلى الأمم كافة ، فلابد لبيان عموم دعواه من دليل قاطع ، ولا سبيل إليه » [(4)].

« وقد نطق كتابكم بذلك حيث قال :

﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ [(5)].

وهو دليل اختصاص رسالته بأهل لسانه ولغته » [(6)].

وبعد تصوير شبهتهم يرد الآمدي عليهم قائلاً :

« وأما العيسوية فيمتنع عليهم بعد التسليم لصحة رسالته وصدقه وقيامه

---

(١) انظر الآمدي – الإحكام في أصول الأحكام – (٣/١١٥) ، وغاية المرام – (ص٣٤١-٣٥٩) ، وأبكار الأفكار – (٢/١٣١-أ) ، والشهرستاني – الملل والنحل – (١/٢١٥-٢١٦) .

(٢) سورة إبراهيم – آية : ٤ .

(٣) أي اليهود .

(٤) الآمدي – غاية المرام – (ص ٣٥٠) .

(٥) سورة إبراهيم – آية : ٤ .

(٦) الآمدي – أبكار الأفكار – (٢/١٣١-أ) .

بالمعجزة القاطعة تكذيبه فيما ورد به التواتر القاطع عنه بدعوى البعثة إلى الأمم كافة لا إلى العرب خاصة ، وعلم ذلك منه كما علم وجوده ودعواه الرسالة ، ومن ذلك ما ورد به الكتاب العزيز وتواترت به الأخبار ، كقوله :

﴿ يـٰأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ (1).

وقوله تعالى :

﴿ وما أرسلنـٰـك إلا كآفة للناس ﴾ (2).

وقال في وصف ما أنزل عليه :

﴿ هذا هدى للناس ﴾ (3)....

وإنما يكون كذلك أن لو حكـم للجميع ، وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أخبار في ذلك تنزل منزلة التواتر وإن كانت أحادها أحاداً ، فمن ذلك قوله عليه السلام :

« بعثت إلى الأحمر والأسود » (4).

وقوله : « بعثت إلى الناس كافة » (5).

وقال : « لو كان أخي موسى حيّاً لما وسعه إلاّ اتباعي » (6).

---

(1) سورة الأعراف – آية : 158 .

(2) سورة سبأ – آية : 28 .

(3) سورة البقرة – آية : 185 .

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه (145/5) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : « ورجاله رجال الصحيح » (259/8) ، وأبوداود الطيالسي في مسنده (122/2) بترتيب البنا بمنحة المعبود .

(5) جزء من حديث طويل عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب المساجد – (64/2) ، والإمام أحمد في مسنده – (412/2) .

(6) أخرجه البخاري تعليقاً في صحيحه – كتاب الاعتصام بالسنة – باب قول النبي عليه الصلاة والسلام لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء – (160/8) .

قال الحافظ ابن حجر أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والبزار من حديث جابر ورجاله موثقون إلا أن في مجالد ضعفاً ، وأخرجه البزار أيضاً من طريق عبد الله بن ثابت الأنصاري ، إلاّ إن في سنده جابر الجعفي وهو ضعيف ، واستعمله الإمام بالبخاري في الترجمة لورود ما يشهد بصحته من الحديث الصحيح . انظر فتح الباري – (334/13) .

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة ويدل عليـه مـا اشتهر عنه تواتراً مـن دعوته طوائف الجبابرة وغيرهم من الأكاسرة وتنفيذه إلى أقاصي البلاد وملـوك العباد إلى الدخول في ملته وإجابة دعوتـه وقـاتل مـن جحـد نبوتـه مـن أهـل الكتاب وغيرهم ممن هو خارج عن قبائل العرب » [1].

« ثم ذلك معتمد على سند الصدر الأول مـن المسلمين مـع علمنـا بـأن ذلك الجم الغفير ، والجمع الكثير ممن لا يتصـور عليهـم التواطـو علـى البـاطل عادة ، لا سيما لما كانوا عليه من شدة اليقين ومراعاة الدين » [2].

« فلو لم يعلموا منه ضرورة أنه مبعوث إلى الناس كافة والأمم عامـة وإلاّ لما فعلوا ذلك رعاية للدين مع أنه ترك للدين ، وكذلك أيضاً من جـاء بعدهـم على سنتهم وهلم جراً إلى زمننا هذا ولو لم يكن رسولاً علـى العمـوم لـزم أن يكون قد كذب في دعواه وأبطل في مـا أتـاه وذلـك محـال في حق مـن ثبتـت عصمته عن الكذب في الرسالة بالمعجزة القاطعة ، ثم ولو جاز ذلك عليـه مـع ظهور المعجزة على يده لجاز ذلك في حق موسى عليه السلام وهو محال » [3].

لكل ذلك يرى الآمدي أنه لا ينبغي أن يلتفت إلى ما أثارته العيسوية مـن أنه ﷺ أرسل إلى العرب فقـط ، لأنهـم سـلموا صحـة نبوتـه بالأدلـة القاطعـة والمعجزات الباهرة فوجب عليهم أن يعترفوا بما تواتر عنه من الآثار الصحيحـة عن طريق الجم الغفير من الرواة عنه عليه الصـلاة والسـلام ، بأنـه مبعـوث إلى الناس كافة عربهم وعجمهم وأسـودهم وأحمرهـم وقـد علـم ذلـك منـه عليـه الصلاة والسلام ،كما علم وجوده ودعواه الرسالة .

والآمدي هنا متأثراً إلى حدٍ ما بالإمام الغزالي حيث ذكر الغـزالي أن مـن قال بأنه ﷺ مبعوث إلى العرب خاصة ، إما أن يكون مكذباً لمـا جـاء بـه ﷺ من أخبار عن عموم رسالته أو مصدقاً له ، فإن كان مكذباً ، فقد ظهر صدقه عليه الصلاة والسلام بما ظهر على يديه من المعجزات .

---

(١) الآمدي - أبكار الأفكار - (٢/٤٠ق أ ب) .

(٢) الآمدي - غاية المرام - (ص ٣٦٠) .

(٣) الآمدي - أبكار الأفكار - (٢/١٤٠-ب) .

وإن كان مصدقاً وجب تصديقه في الجميع ، يقول الغزالي ما نصه :

« لأنه من المحال أن يصدق في شيء ويكذب في شيء ، فلو جاز ذلك لجاز ظهور المعجزات على أيدي الكذابين ، وفي ذلك إبطال للضرورات ، واضمحلال الدلالة القاطعة ، وما أدى إلى ذلك فهو باطل » [(1)].

ويقول الأستاذ عبد القاهر البغدادي :

« ونبينا ﷺ إلى الكافة في عصره ومن بعده من الجن والإنس إلى القيامة ، خلاف قول من زعم من العيسوية أنه كان مبعوثاً إلى العرب دون بني إسرائيل ، وقلنا لهم قد أقررتم بنبوته والنبي معصوم عن قتال من لا يكون مبعوثاً إليه ، وقد قاتل اليهود وهم بنوا إسرائيل ووضع عليهم الجزية واسترق قوماً منهم فدل ذلك على أنه كان مبعوثاً إليهم كما كان مبعوثاً إلى العرب والعجم »[(2)].

ويقول الباقلاني :

« ويجب أن يعلم أن نبينا محمد ﷺ مبعوث إلى كافة الخلق ، وأن شرعه لا ينسخ ، بل هو ناسخ لجميع من خالفه من الملل » [(3)].

ثم أشار الآمدي إلى قضية أخرى ألاَ وهي انسداد باب النبوة واستغناء الناس عن الرسل بعموم رسالة محمد عليه الصلاة والسلام وخاتميتها ، فلم تعد الأمة بحاجة إلى رسول يكمل لها دينها ، لأن الله تعالى قد أكمله على يد رسوله ﷺ ، وارتضاه له ولأمته ديناً يعبدون الله تعالى به إلى يوم القيامة .

قال الآمدي :

« وإذا ثبت صدقه بالمعجزات والآيات الواضحات فقد قال عليه السلام : « لا نبي بعدي » [(4)].

---

(1) أبو حامد الغزالي – الاقتصاد في الاعتقاد – (ص ١٧٠) – مطبعة الحلبي – مصر – القاهرة – ١٣٨٥ هـ .

(2) البغدادي – أصول الدين – (ص ١٦٣-١٦٤) .

(3) الباقلاني – الإنصاف – (ص ٦٢) .

(4) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه – كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل علي رضي الله عنه – (١٢٠/٧) .

ونزل الكتاب العزيز مصداقاً له في ذلك ، لقوله تعالى :

﴿ وخاتم النبيين ﴾ [1].

واشتهر ذلك فيما بين أهل عصره من قوله وكتابه ، ولم يزل تتناقله الأمم في جميع الأعصار والأمصار نقلاً موجباً للعلم به ، وذلك يدل على امتناع نبي آخر بعده ... » [2].

وبعد أن انتهينا من البحث في ختم النبوة وعمومها عند الآمدي ، نكون قد انتهينا من هذا المبحث لنصل إلى المبحث الثاني وهو ختم النبوة وعمومها عند أهل السنة والجماعة .

(١) سورة الأحزاب – جزء من الآية : ٤٠ .

(٢) الآمدي – أبكار الأفكار – (٢/١٤٠/ب) .

المبحث الثاني :

ختم النبوة وعمومها عند أهل السنة والجماعة

المبحث الثاني : ختم النبوة وعمومها عند أهل السنة والجماعة :

تقدم معنا أن علماء المسلمين أجمعوا على أن من أنكر عموم رسالة محمد ﷺ أو أنه خاتم الأنبياء ، في عداد الكفار الخارجين عن الإسلام ، وإن نطق بالشهادتين ، وصام وصلى ، لأنه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، وكذب بالكتاب والسنة [1].

وكل من آمن بالقرآن الكريم وبسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، آمن بهاتين القضيتين ، فإن الأمة الإسلامية على مر عصورها ودهورها لم يثبت عن آحادها فضلاً عن جماعاتها أنهم ادعوا أن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام خاصة إلى العرب ، أو أنه سيأتي بعده نبي ، فإن في ذلك خروجاً على مقتضيات الإيمان بالكتاب والسنة .

وقد روى أهل السنة أحاديث كثيرة في دواوين السنة يحذر فيها المصطفى عليه الصلاة والسلام من ظهور الكذابين الدجالين الذين يدعون النبوة من بعده عليه الصلاة والسلام ، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

« لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله » [2].

وقوله ﷺ :

« إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم » [3].

---

(1) القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – (١٩٦/١٤) مطبعة دار الكتب المصرية – الطبعة الأولى ، والبغدادي – أصول الدين – (ص ١٥٩) مطبعة الدولة – تركيا – الطبعة الأولى .

(2) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الفتن – باب رقم ٢٥ – (١٠١/٨) مطولاً ، ومسلم في صحيحه – كتاب الفتن – باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ... – (١٨٩/٨) واللفظ له ، وأبوداود في سننه – كتاب الملاحم – باب في خبر ابن صائد – (٥٠٧/٤) ، والإمام أحمد في مسنده – (٤٣٩/٢) .

(3) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الفتن – باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ... – (١٨٩/٨) ، والإمام أحمد في مسنده – (٨٦/٥ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ...) كلهم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه .

وهذا من كمال نصحه وشفقته على أمته صلوات الله وسلامه عليه ، فحذرنا جملة الكذابين المتنبئين إلى قيام الساعة ، وهؤلاء بالقطع لم يؤمنوا بالكتاب ولا بالسنة وإن كان كثير منهم ينتمي زوراً وبهتاناً إلى الإسلام .

وقد تقدم معنا أن المخالفين في هذه القضايا هم من غير المسلمين ، وقد رد الآمدي على العيسوية وهي إحدى طوائف اليهود كما مر معنا ولا داعي لتكرار الرد عليهم هنا ، إلاّ أن العيسوية لم يكونوا الوحيدين في هذا الأمر ، بل هناك بعض النصارى الذين قالوا بأن محمد عليه الصلاة والسلام لم يرسل إليهم بل أرسل إلى العرب خاصة ، وأنه لم يدع ﷺ منذ بعث إلى أن مات إلاّ قومه [1].

ويستدلون على ذلك ببعض آيات الإنذار الواردة في القرآن الكريم ، كقوله تعالى :

﴿ ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتـهم من نذير من قبلك ﴾ [2].

وقوله تعالى :

﴿ بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتـهم من نذير من قبلك ﴾ [3].

وقوله تعالى :

﴿ لتنذر قوماً ما أنذر ءاباؤهم فهم غـفلون ﴾ [4].

وبقوله تعالى :

﴿ فإنما يسرنـه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً ﴾ [5].

قالوا هذه الآيات ونظائرها تشعرنا بخصوص إنذار النبي قوماً خاصين .

واستدلوا أيضاً بالآيات التي تشعر بأن كل نبي مبعوث بلسان قومه ، كقوله تعالى :

﴿ وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشآء ويهدي من يشآء وهو العزيز الحكيم ﴾ [6].

(١) انظر ابن تيمية – الجواب الصحيح – (٣٢/١) .
(٢) سورة القصص – آية : ٤٦ .
(٣) سورة السجدة – آية : ٣ .
(٤) سورة يس – آية : ٦ .
(٥) سورة مريم – آية : ٩٧ .
(٦) سورة إبراهيم – آية : ٤ .

وهذا النص كما يقولون واضح في خصوصية الرسالة إذ الأصل أن يبعث الرسول بلسان قومه ، لأنه لو لم يبعث كذلك لما آمنوا به كما قال سبحانه :

﴿ ولو نزلنـٰه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴾ [1].

وقالوا فإذا كان كل رسول يوافق لسانه لسان من أرسل إليهم ، فإن ذلك يعني أن من لا يوافق لسانه لسان من أرسل إليهم ليس رسولاً منه سبحانه .

وبما أنه قد ثبت أن الشريعة التي أنزلت على محمد ﷺ بلسان عربي مبين ، ولم تنزل بلسان غيرهم ، قال تعالى :

﴿ إنا أنزلنـٰه قرءاناً عربيّاً لعلكم تعقلون ﴾ [2].

فدلَّ ذلك على أنه رسول للعرب دون غيرهم من الأمم [3].

وقد تصدى لهذه الشبهة غير واحد من أهل العلم ، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله حيث قام برد تلك الشبه من خلال ثلاثة محاور :

أولاً : رفض احتجاج النصارى بالقرآن أو بشيء مما جاء به محمد ﷺ .

ثانياً : تفسير الآيات التي احتج بها النصارى تفسيراً صحيحاً يبطل الاحتجاج بها .

ثالثاً : الاستدلال على عموم بعثته عليه الصلاة والسلام بالكتاب والسنة والوقائع التاريخية .

أولاً : رفض احتجاج النصارى بالقرآن :

لايجوز شيخ الإسلام احتجاج النصارى بشيء من القرآن أو بما جاء به سيدنا محمد عليه الصلاة والصلاة على صحة ما يخالفون فيه المسلمين ، إذ لا يجوز أن يحتج من يكذب محمداً عليه الصلاة والسلام في كلمة واحدة مما جاء به بمجرد المنقول عنه ، فما أخبرت به الأنبياء لا يمكن الاحتجاج ببعضه دون بعض سواء على تقدير صدقهم أو كذبهم [4].

(١) سورة الشعراء – آية : ١٩٨-١٩٩ .

(٢) سورة يوسف – آية : ٢ .

(٣) الدكتور عبد الراضي بن محمد عبد المحسن ، منهج أهل السنة في الرد على النصارى – (ص ٢٨٧) ، مكتبة التربية الإسلامية – الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م – مصر .

(٤) انظر ابن تيمية – الجواب الصحيح – (٣٢/١) .

يقول شيخ الإسلام :

« فيقال لهم : على تقدير سواء إن أقروا بنبوته إلى العرب أو إلى غيرهم ، أو كذبوه في قوله : إنه رسول الله مطلقاً ، أو سكتوا عن هذا وهذا ، أو صدقوه في البعض دون البعض : إن احتجاجهم على صحة ما يخالفون فيه المسلمين مما جاء به محمد ﷺ لا يصح بوجه من الوجوه فاحتجاجهم على أنه لم يرسل إليكم أو على صحة دينكم بشيء من القرآن حجة داحضة على كل تقدير » [1].

ثانياً : تفسير الآيات التي احتج بها النصارى على وجهها الصحيح :

وأما الآيات التي أشعرت بخصوص رسالته عليه الصلاة والسلام والتي استدل ببعضها المخالفون ، فإنها ضعيفة الدلالة على ما ذهب إليه المستدلون بها ، سيما أن الآيات المشعرة بالعمومية أكثر وضوحاً في التصريح بالعمومية ، على كما سيأتي بعد قليل أننا لو سلمنا وجود آيات تشعر بخصوصية الدعوة ، فإن ذلك لا ينصرف إلى العرب وحدهم بل إلى أمم أخرى ، فآيات كثيرة تشير إلى أن النبي أرسل إلى غير العرب لينذرهم ، كقوله تعالى :

﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ﴾ [2].

ومن المعلوم لدى الجميع أن أصحاب هذا القول هم أهل الكتاب بصفة عامة ، فالنصارى قالوا المسيح ابن الله ، واليهود قالوا عزير ابن الله ، تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً ، وهؤلاء ليسوا من العرب ، وليسوا من عشيرة الرسول الأقربين ، وما دامت هذه الآية قد شملت جميع من قال بهذه المقولة المنكرة ومنهم نصارى العرب بالإضافة إلى أهل الكتاب من العجم على اختلاف أجناسهم ، فإنها تخرج بدعوة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، عن كونها خاصة بأمة معينة أو بجنس معين إلى أعم من ذلك .

ثم إن هناك آيات كثيرة في كتاب الله تشير إلى أن دائرة الإنذار تشمل كل حي من الذين يقع عليهم التكليف ، كقوله تعالى :

﴿ ... لينذر من كان حيًّا ويحق القول على الكـٰفرين ﴾ [3] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) سورة الكهف – آية : ٤ .

(٣) سورة يس – آية : ٧٠ .

وكقوله تعالى :

﴿ هذا بلٰغ للناس ولينذروا به ... ﴾ [(١)].

وكقوله تعالى :

﴿ وما أرسلنٰك إلا كآفة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ [(٢)].

ولا شك أن هذه الآيات وأمثالها في كتاب الله تعالى أقوى في الدلالة من تلك الآيات التي استدل بها من منع عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه ، إلى عموم الإنس والجن ، ثم إن الخطاب في تلك الآيات المشعرة بالخصوصية هو خطاب بمقتضى المقام لا بمقتضى التخصيص ، فقد يقتضي المقام أحيانا توجيه الكلام إلى فئة معينة تحقيقاً لمصلحة أو تأكيداً لغرض معين ، أو تنبيهاً لأمر من الأمور ، ثم إن المسلم مأمور بالبداية بتبليغ أهل بيته ومن له عليهم ولاية ثم عشيرته الأقربين ثم بني جنسه ثم بقية الأمم ، وهذا بالفعل ما حصل مع الرسول ﷺ عندما نزل عليه قوله تعالى :

﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [(٣)].

دعا صلوات الله وسلامه عليه قريشاً فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ فقال :

« يابني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يابني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يابني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها » [(٤)].

---

(١) سورة إبراهيم – آية : ٥٢ .

(٢) سورة سبأ – آية : ٢٨ .

(٣) سورة الشعراء – آية : ٢١٤ .

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – كتاب الإيمان – باب وأنذر عشيرتك الأقربين – (١/١٣٣) .

وأما ما قيل أن في إرسال كل رسول بلسان قومه دلالة على خصوصية الدعوة ، فهو أيضاً لا يقوم دليلاً على ذلك ، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن عربياً ، ولكنه دعا عرب الحجاز إلى الحج وإلى الإيمان ، وكذلك موسى عليه الصلاة والسلام دعا فرعون مصر إلى الإيمان برب العالمين و لم يكن من قومه ، وكذلك الحال في أمر نبينا صلوات الله وسلامه عليه .

على أن الآية تصريح بلزوم موافقة لغة الرسول مع لسان قومه ، لا اتحاد لغته مع لسان كل من أرسل إليهم ، وهذا هو الأساس في الشبهة ، إذ ليس في هذا الآية أنه ما أرسل سبحانه رسولاً إلا إلى من يفهم لسانه ، وإنما أخبر بأنه ما أرسله إلا بلسان قومه [(١)].

وهذا ما كان من أمر المسيح عليه السلام فقد كان لسانه عبرياً ، وكذلك ألسنة الحواريين الذين اتبعوه أولاً ، ثم إنهم على حد قولهم أرسلوا إلى الأمم يخاطبونهم ويترجمون لهم بلغاتهم ما قاله المسيح [(٢)].

ونصارى العرب في زمنه ﷺ فهموا القرآن بدون ترجمة مع أن أصول ألسنتهم فارسي أو قبطي أو تركي أو هندي ، كما أن النصارى الذين استدلوا على عروبة الإسلام بتلك الآيات قد فهموا من القرآن ما فهموا بدون ترجمة أو واسطة[(٣)].

كما أن نزول القرآن باللسان العربي يتضمن إنعاماً من الله على عباده ، لأن اللسان العربي أكمل الألسنة ، وأحسنها بياناً للمعاني ، ولإقامة الحجة به على العرب الذين يعرفون معانيه قبل غيرهم [(٤)].

ثالثاً : الاستدلال على عموم بعثته عليه الصلاة والسلام بكتاب والسنة والوقائع التاريخية :

يقرر شيخ الإسلام بداية في مواجهة من يزعم أن محمداً ﷺ رسول أرسل إلى العرب الجاهلية دون أهل الكتاب ، أن المعلوم بالضرورة لكل من علم أحواله ،

---

(١) انظر ابن تيمية – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – (١٩٤،١٩٢،١٨٩/١) .
(٢) المصدر السابق – (١٩٢/١) .
(٣) المصدر السابق – (١٩٤/١) .
(٤) المصدر السابق – (١٩٥/١) .

وبالنقل المتواتر الذي هو أعظم تواتراً مما نقل عن موسى وعيسى وغيرهما ، وبالقرآن المتواتر عنه ، وسنته المتواترة عنه ، وسنة خلفائه الراشدين من بعده ، أنه ﷺ ذَكَرَ أنه أرسل إلى أهل الكتاب اليهود والنصارى ، كما ذكر أنه أرسل إلى الأميين رسولاً ، بل ذكر أنه أرسل إلى جميع بني آدم : عربهم وعجمهم من الروم والفرس والترك والهند والبربر والحبشة ، وسائر الأمم ، بل أنه أرسل إلى الثقلين الجن والإنس جميعاً [1].

ثم يقسم شيخ الإسلام الأدلة على عمومية رسالة المصطفى وشمولها الجن والإنس التقسيم التالي[2] :

أ – دعوته عليه الصلاة والسلام اليهود والنصارى بالمدينة للإسلام .

ب– إرساله عليه الصلاة والسلام الكتب والرسل إلى ملوك النصارى وغيرهم من الحكام .

جـ– جهاده عليه الصلاة والسلام الكفار من النصارى وغيرهم وأمره بقتالهم .

د – تصريحه عليه الصلاة والسلام بإرساله إلى الناس عامة .

هـ– دعوة القرآن لأهل الكتاب بالإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وتصريحه ببعث محمد عليه الصلاة والسلام للناس كافة .

وقد أورد من الأدلة على كل نوع حسب تقسيمه السابق :

أ – دعوته عليه الصلاة والسلام اليهود والنصارى بالمدينة للإسلام[3] :

يذكر شيخ الإسلام أن كثيراً من اليهود بالمدينة قد استجابوا لدعوته عليه الصلاة والسلام وآمنوا به لما أظهره من دلائل النبوة ، كما هو معروف من السيرة النبوية [4].

أما النصارى فقد دعاهم للإسلام وناظرهم حينما قدم عليه وفد نجران من النصارى وطلب منهم المباهلة فرفضوا ، وأقروا بالجزية [5].

---

(١) انظر ابن تيمية – الجواب الصحيح – (٤٩/١) .

(٢) المصدر السابق – (١١٢/١) .

(٣) المصدر السابق – (٥٠/١–٨٨) .

(٤) انظر ابن هشام – السيرة النبوية – (١٠١/٢–١٠٢) المكتبة التوفيقية – مصر .

(٥) انظر الواحدي – أسباب النزول – (ص ٧٤–٧٥) – مكتبة المتنبي – القاهرة – مصر .

ب- إرساله عليه الصلاة والسلام الكتب والرسل إلى الملوك والحكام[1] :

ومما يؤيد عموم رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ما أرسله عليه الصلاة والسلام من كتب ووفود إلى من حوله من الملوك والأمراء ، حيث كتب إلى كسرى ملك فارس وإلى قيصر ملك الروم ، والمقوقس عظيم القبط ، والنجاشي ملك الحبشة وغيرهم من أمراء القبائل ، وذلك بعد صلح الحديبية[2] ، ولا شك أن مكاتبة الملوك خارج جزيرة العرب تعبير عملي عن عالمية الرسالة الإسلامية ، والتي أختص بجملها أشرف ولد آدم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة .

جـ - جهاده ﷺ الكفار وأمره بقتالهم[3] :

فقد أرسل عليه الصلاة والسلام جمعاً من الصحابة في جيش لقتال النصارى بمؤتة ، ثم بعد ذلك غزا ﷺ النصارى نفسه وأمر جميع المسلمين القادرين على القتال أن يخرجوا معهم لقتال النصارى في تبوك ، وقام خلفاؤه من بعده بدينه ، فغزو النصارى وفتح الله الشام على يد خليفته عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

د - تصريحه ﷺ ببعثه إلى الناس عامة[4] :

الأحاديث التي تشير إلى عموم الرسالة كثيرة جداً بلغت في جملتها حد التواتر بحيث لا يبقى أدنى شك أو تردد في كون رسول الله ﷺ بعث إلى الناس كافة ، وأن ذلك من جملة ما أختص به سيدنا محمد ﷺ ، على سائر الأنبياء والمرسلين ، وهذا بعض منها :

١- عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال :

« أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ،

---

(١) انظر ابن تيمية - الجواب الصحيح - (١/٨٨-١١٠) .

(٢) انظر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ - تاريخ الأمم والملوك - (٢/٢٨٨) بعناية أبي الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر - ١٩٦٠-١٩٦٩ م ، وابن هشام - السيرة النبوية - (٤/٢٧٩) - تحقيق السقا وجماعة ، مطبعة الحلبي - مصر - ١٣٧٥ هـ ، ود/ أكرم العمري - السيرة النبوية الصحيحة - (٢/٤٥٥) - دار العلوم والحكم - المدينة - السعودية .

(٣) انظر ابن تيمية - الجواب الصحيح - (١/١٠١-١١٠) .

(٤) انظر ابن تيمية - الجواب الصحيح - (١/١١١-١١٢) .

وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » [(١)].

٢- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون » [(٢)].

٣- عن أبي ذر[(٣)] قال قال رسول الله ﷺ : « أوتيت خمساً لم يؤتهن نبي قبلي ، نصرت بالرعب فيرعب مني العدو عن مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وبعثت إلى الأحمر والأسود » .[(٤)]

٤- وعن عمرو بن شعيب[(٥)] عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال :

«لقد أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلي :
أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم ... » [(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب التيمم – باب رقم (١) – (٨٦/١) ، ومسلم في صحيحه – كتاب المساجد – (٦٣/٢) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب المساجد – (٦٤/٢) ، والإمام أحمد في مسنده – (٤١٢/٢) .

(٣) أبو ذر الغفاري ، الصحابي الجليل ، اسمه جندب بن جنادة على الأصح ، تقدم اسلامه ، وتأخرت هجرته فلم يشهد بدراً ، مناقبه كثيرة جداً ، مات سنة ٣٢ هـ .

انظر ابن حجر – الإصابة في معرفة الصحابة – (٢٥٩/١) دار الكتب العلمية – لبنان .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده – (١٤٥/٥) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد : « ورجاله رجال الصحيح » (٢٥٩/٨) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده (١٢٢/٢) بترتيب البنا المسمى بمنحة المعبود .

(٥) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أكثر مروياته عن أبيه عن جده ، قال عنه الحافظ ابن حجر صدوق ، مات سنة ١١٨ هـ .

انظر ابن حجر – تقريب التهذيب – (ص ٤٢٣) .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده – (٢٥٦/٥) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد : « رجاله ثقات » (٣٦٧/١٠) .

ه- وعن أبي أمامة[1] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه ذكر فضائله ومنها : « وأرسلت إلى الناس كافة » [2].

وقد روى عن جمع من الصحابة مثل هذه الأحاديث ، وفيما ذكر تحصل الفائدة ، وهذه الآثار تشير إلى عموم بعثته ﷺ للناس كافة من غير استثناء لجنس معين أو فئة بعينها أو تقييد بزمن دون زمن مما يؤكد حقيقة عموم بعثته إلى الناس كلهم إلى قيام الساعة [3].

هـ - تصريح القرآن بإرسال محمد ﷺ للناس كافة[4] :

القرآن الكريم قد صرح في آيات كثيرة منه بعموم رسالة محمد ﷺ ، وذلك من عدة وجوه :

الأول: الإشعار بعموم رسالته ، وأن محمداً رسولٌ إلى الناس جميعاً ، فهو رحمة للعالمين ، وهو نذير وبشير لهم ، من غير فرق بين أمة وأمة ، أو بين إنسان وإنسان .

قال تعالى :

﴿ قل يـٰأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ [5].

وقال تعالى :

﴿ وما أرسلنـٰك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ [6].

وقال تعالى :

﴿ وأرسلنـٰك للناس رسولاً ، وكفى بالله شهيداً ﴾ [7].

---

(١) أبو أمامة البلوي ، حليف بني حارثة اسمه إياس ، وقيل عبد الله بن ثعلبة ، وقيل ثعلبة بن عبد الله ، صحابي ، له أحاديث في مسلم والأربعة .
انظر الذهبي – الكاشف – (٢٧١/٣) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٥٦/٥) .
قال الهيثمي في المجمع : « ورجال أحمد ثقات » (٢٥٩/٨) .

(٣) انظر د/ أحمد سعد حمدان – عقيدة ختم النبوة المحمدية – (ص ٤٨-٤٩) – دار طيبة – الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م – الرياض – المملكة العربية السعودية .

(٤) انظر شيخ الإسلام – الجواب الصحيح – (١١٢/١-١١٤) .

(٥) سورة الأعراف – آية : ١٥٨ .

(٦) سورة سبأ – آية : ٢٨ .

(٧) سورة النساء – آية : ٧٩ .

وقال تعالى :

﴿ يـٰأيها الناس قد جآءكم الرسول بالحق من ربكم فـامنوا خيراً لكم ... ﴾[1].

وقال تعالى :

﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعـٰلمين نذيراً ﴾ [2].

ومثل هذا الآيات في كتاب الله كثير ، وفيها دلالة واضحة وصريحة على أن دعوة الإسلام غير مختصة بالعرب ولا بأمة معينة بل هي عامة لكل مكلـف من الإنس والجن ، وهذه إحدى الخصائص التي انفرد بهـا المصطفـى ﷺ عـن بقية الأنبياء السابقين ، وإذ كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، ولئلا يتوهم هذا في رسولنا عليه الصلاة والسلام ، بيّن الرب سبحانه وتعالى عمـوم رسـالته إلى الناس جميعاً . قال تعالى :

﴿ قل يـٰأيها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً ﴾ [3].

يقول أبوجعفر الطبري[4] رحمه الله في تفسير هذه الآية :

« قل يامحمد للناس كلهم إنـي رسـول الله إليكـم جميعـاً لا إلى بعضكـم دون بعض كما كان من قبلي من الرسل مرسلاً إلى بعض الناس دون بعـض ، فمن كان منهـم أرسـل كذلـك ، فـإن رسـالته ليـس إلى بعضكـم دون بعـض ولكنها إلى جميعكم » .[5]

ويقول ابن كثير رحمه الله :

« يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ قل يامحمد يا أيها الناس وهذا خطـاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي :

﴿ إنّي رسول الله إليكم جميعاً ﴾ .

---

(١) سورة النساء – آية : ١٧٠ .

(٢) سورة الفرقان – آية : ١ .

(٣) سورة الأعراف – آية : ١٥٨ .

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر ، المفسر ، المؤرخ ، الإمام ولد في آمل طبرستان سنة ٢٢٤ هـ ، له التاريخ المعروف باسمه ، وكذلك التفسير وغيرها ، استوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠ هـ .
انظر الذهبي – تذكرة الحفاظ – (٢/٣٥١) .

(٥) أبو جعفر الطبري – جامع البيان – (٦/٨٦) – دار الفكر – بيروت – لبنان – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

أي : جميعكم وهذا من شرفه وعظمه ﷺ أنه خاتم النبيين ومبعوث إلى الناس كافة »[1].

ثم ساق رحمه الله الأدلة من الكتاب والسنة حول هذه المسألة ثم قال : « والآيات في هذا كثيرة ، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصى وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم »[2].

الثاني : أن في القرآن آيات كثيرة تخاطب الناس عموماً ، وتطالبهم بأداء ماشرعه الله سبحانه وتعالى ، أو بامتثال توجيهات معينة ، وهي لا تختص بأمة دون أمة ، ولا بجنس دون جنس ، ولا بقوم دون قوم ، أو إنسان دون آخر كقوله تعالى :

﴿ يـٰأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾[3].

وكقوله تعالى :

﴿ يـٰأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾[4].

وكقوله تعالى :

﴿ يـٰأيها الناس كلوا مما في الأرض حلـٰلاً طيباً ولا تتبعوا خطوٰت الشيطـٰن إنه لكم عدو مبين ﴾[5].

وكقوله تعالى :

﴿ قل يـٰأيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلاَ أعبد الذين تعبدون من دون الله ﴾[6].

---

(١) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (٢/٢٥٤-٢٥٥) – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سورة البقرة – آية : ٢١ .

(٤) سورة النساء – آية : ١ .

(٥) سورة البقرة – آية : ١٦٨ .

(٦) سورة يونس – آية : ١٠٤ .

فالمخاطب بهذا الآيات الكريمات كافة الناس ، دون تحديد أو تخصيص وهذا يقطع تماماً الدعوى القائلة بأن رسالة محمد خاصة بقوم بعينهم ، فقد ورد الخطاب في القرآن عاماً لكافة أجناس البشر ، لم يختص به ناساً دون ناس أو أمة دون أمة .

الثالث : تشير آيات القرآن الكريم إلى أنه جاء هداية للناس جميعاً ، كقوله تعالى :

﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرءان هدى للناس ﴾ [1].

وكقوله تعالى :

﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾ [2].

وقوله تعالى :

﴿ يـٰأيها الناس قد جآءكم برهـٰن من ربكم ، وأنزلنآ إليكم نوراً مبيناً ﴾ [3].

وقوله تعالى :

﴿ يـٰأيها الناس قد جآءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ﴾ [4].

وهذه الآيات صريحة في أن القرآن الكريم ليس فيه خصوصية الهداية لقوم مخصوصين ، أو أنه يحمل دعوة معينة لأمة بعينها .

تلك كانت مجموعة الأدلة التي اعتمد عليها شيخ الإسلام في الاستدلال على عموم رسالة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، والتي رد بها على شبه بعض النصارى .

وإذا كانت أدلة عموم رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قد ثبتت بالكتاب والسنة ، فكذلك أدلة ختمها ، وقد قلنا في بداية هذا الفصل أن العموم والختم مترابطان ، فكل واحد منهما يدل على الآخر ، ولذلك وجب على كافة الأمم على مر العصور والدهور الإيمان بأن سيد ولد آدم سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، جاءهم بخاتمة الشرائع .

---

(١) سورة البقرة – آية : ١٨٥ .

(٢) سورة آل عمران – آية : ١٣٨ .

(٣) سورة النساء – آية : ١٧٤ .

(٤) سورة يونس – آية : ٥٧ .

قال الله تعالى :

﴿ ما كان محمدٌ أبآ أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النّبيين ﴾ [1].

نزلت هذه الآية في الوقت الذي راج فيه بين العرب تبني الأبناء ، وقد كان في عرفهم أن الابن بالتبني يسرى عليه من الأحكام ما يسري على الابن من صلب الرجل ، غير أن الإسلام أبطل هذه العادة الجاهلية ، فالابن المتبني لا يمكن أن يكون كالابن الشرعي من حيث الأحكام الشرعية ، بمن فيهم من تبناه الرسول عليه الصلاة والسلام .

وفي هذه الآية الكريمة التصريح بخاتميته عليه الصلاة والسلام للأنبياء والمرسلين الذين بعثوا من قبله ، فلا نبي ولا رسول بعده عليه الصلاة والسلام ، وهذه الحقيقة هي عين ما فهمه المفسرون لكتاب الله سبحانه وتعالى من صدر الإسلام إلى اليوم ، يقول الإمام الطبري[2] رحمه الله تعالى :

« يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمد فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقها أياها ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة ، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء » ، ثم ذكر عن بعض السلف[3] في قوله تعالى :

﴿ وخاتم النبيين ﴾ أنه قال : « أي آخرهم » [4].

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى :

« فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريقة الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ... » [5].

(١) سورة الأحزاب – آية : ٤٠ .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) هو قتادة ، انظر جامع البيان عن تأويل القرآن – (١٦/١٢) – دار الفكر – بيروت – لبنان .

(٤) ابن جرير الطبري – المصدر السابق .

(٥) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (٤٩٣/٣) دار المعرفة – بيروت – لبنان – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

قال الله تعالى :

﴿ ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين ﴾ [(1)].

نزلت هذه الآية في الوقت الذي راج فيه بين العرب تبني الأبناء ، وقد كان في عرفهم أن الابن بالتبني يسرى عليه من الأحكام ما يسري على الابن من صلب الرجل ، غير أن الإسلام أبطل هذه العادة الجاهلية ، فالابن المتبني لا يمكن أن يكون كالابن الشرعي من حيث الأحكام الشرعية ، بمن فيهم من تبناه الرسول عليه الصلاة والسلام .

وفي هذه الآية الكريمة التصريح بخاتميته عليه الصلاة والسلام للأنبياء والمرسلين الذين بعثوا من قبله ، فلا نبي ولا رسول بعده عليه الصلاة والسلام ، وهذه الحقيقة هي عين ما فهمه المفسرون لكتاب الله سبحانه وتعالى من صدر الإسلام إلى اليوم ، يقول الإمام الطبري[(2)] رحمه الله تعالى :

« يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمد فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقها أياها ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة ، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء » ، ثم ذكر عن بعض السلف[(3)] في قوله تعالى :

﴿ وخاتم النبيين ﴾ أنه قال : « أي آخرهم » [(4)].

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى :

« فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريقة الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ... » [(5)].

---

(1) سورة الأحزاب - آية : ٤٠ .

(2) سبقت ترجمته .

(3) هو قتادة ، انظر جامع البيان عن تأويل القرآن - (١٦/١٢) - دار الفكر - بيروت - لبنان .

(4) ابن جرير الطبري - المصدر السابق .

(5) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - (٤٩٣/٣) دار المعرفة - بيروت - لبنان - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

ويقول محمود الألوسي رحمه الله تعالى :

« والمراد بكونه عليه الصلاة والسلام خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقلين بعد تحلّيه عليه الصلاة والسلام بها في هذه النشأة »[1].

هذه بعض أقوال المفسرين عليهم رحمة الله في معنى آية الختم وهي أقوال واضحة في تأكيد عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ولم ينقل عن أحد من المفسرين خلاف ذلك [2].

ويمكن الاستدلال أيضاً بالآيات الدالة على عمومية بعثته عليه الصلاة والسلام ، فإنها وإن لم تنص على الخاتمية باللفظ ، فإنها تشمله في المفهوم ، فإن قول الله سبحانه :

﴿ وما أرسلنَٰكَ إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ [3].

دليل على أن محمد ﷺ مبعوث إلى الناس جميعهم دون تحديد بزمان أو بمكان معين ، وهذا يقتضي استمرار بعثته ورسالته إلى قيام الساعة دون الإشارة إلى قدوم نبي بعده .

وقد وردت آيات كثيرة تقرر هذا المعنى منها قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ قل يٰأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ [4].

يقول أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى :

« قل يا محمد للناس كلهم إني رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض كما كان من قبلي من الرسل مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض فمن كان منهم أرسل كذلك فإن رسالته ليست إلى بعضكم دون بعض ولكنها إلى جميعكم » [5].

---

(١) الألوسي – روح المعاني – (٣٤/٢٢) – المطبعة المنيرية – الطبعة الثانية .

(٢) جمع الدكتور أحمد سعد حمدان أقوال المفسرين حول هذه الآية فلتراجع ، انظر عقيدة ختم النبوة – (١٩-٢٣) .

(٣) سورة سبأ – آية : ٢٨ .

(٤) سورة الأعراف – آية : ١٥٨ .

(٥) ابن جرير الطبري – تفسير الطبري – (٨٦/٩) .

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى :

« يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ قل يامحمد يا أيها الناس وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي :

﴿ إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ .

أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمه ﷺ أنه خاتم النبيين ومبعوث إلى الناس كافة » .

ثم ساق الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك وقال بعدها : « والآيات في هذا كثيرة ، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصى وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم »[1].

هذا بالنسبة للأدلة من الكتاب ، أما بالنسبة للأدلة من السنة فهي كثيرة جداً وقد أكدت ختمية النبوة وانقطاع الوحي بعده عليه الصلاة والسلام وقد وصل بعضها إلى حد التواتر وهي في جملتها متواترة تواتراً قطعيّاً بحيث لا يبقى مجال للشك أو للتردد في كون رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء لا نبي بعده ولا شرع بعد شرعه [2].

وقد ذكر ذلك التواتر كثير من العلماء منهم عبد القاهر البغدادي رحمه الله حيث قال :

« وقد تواترت الأخبار عنه – أي النبي ﷺ – بقوله : لا نبي بعدي »[3].

ويقول ابن حزم رحمه الله :

« وقد صح عن رسول الله ﷺ بنقل الكواف التي نقلت نبوته وكتابه أنه أخبر أنه : لا نبيَّ بعده » [4].

---

(١) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (٢/٢٥٤) – دار المعرفة – بيروت .

(٢) انظر د/ أحمد سعد حمدان – عقيدة ختم النبوة – (ص ٣٠) .

(٣) عبد القاهر بن طاهر البغدادي – أصول الدين – (ص ١٥٨) مطبعة الدولة – استانبول – الطبعة الأولى .

(٤) ابن حزم – الفصل في الملل والأهواء والنحل – (١/٧٧) .

ويقول ابن كثير رحمه الله :

« وقد أخبر الله تعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادَّعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل » [(1)].

وهكذا نرى أن كل حديث من هذه الأحاديث قد بلغ درجة التواتر بمفرده فكيف بمجموع تلك الأحاديث ، ثم إن ورود هذه الكثرة الكاثرة من الأحاديث لتقرير أمر واحد لا يبقى هناك أدنى منفذ للشك في عقيدة ختم النبوة ولا بأس من ذكر بعض تلك الأحاديث :

١- عن ثوبان[(2)] قال قال رسول الله ﷺ :

« إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ... وإنه سيكون في أمتي كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » [(3)].

٢- وعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال :

« أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا شافع وأول مشفع ولا فخر » [(4)].

٣- أخرج البخاري : أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً ، فقال : « اتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال :

ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنه ليس نبي بعدي » [(5)].

---

(١) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (٤٩٣/٣) – طبع دار المعرفة – بيروت .

(٢) ثوبان بن بجدد ، أبو عبد الله ، مولى رسول الله ﷺ ، اشتراه ثم اعتقه فلم يزل يخدمه إلى أن مات عليه الصلاة والسلام ، توفي في حمص سنة ٥٤ هـ .

انظر أبو نعيم – حلية الأولياء – (١٨٠/١) .

(٣) أخرجه أبوداود في سننه – كتاب الفتن – باب ذكر الفتن ودلائلها – (٤٥٠/٤-٤٥٢) ، والترمذي في سننه كتاب الفتن – باب ما جاء لاتقوم الساعة حتى يخرج كذابون – (٤٩٩/٤) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

(٤) أخرجه أحمد في المسند – (٢٧/١) ، وحسنه الشيخ ناصر في تعليقه على مشكاة المصابيح (١٢٨/٣) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب المغازي – باب غزوة تبوك – عن مصعب بن سعد عن أبيه (١٢٩/٥) .

٤- عن سعد بن أبي وقاص[١] قال قال رسول الله ﷺ لعلي :

« أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي »[٢].

٥- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ :

« مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارًا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون : لولا موضع اللبنة » وفي رواية لأبي هريرة « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلاّ موضع لبنه من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »[٣].

٦- وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ألا وأنه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء فسيكثرون ، قالوا فما تأمرنا ؟

قال : فوا ببيعة الأول فالأول ، أعطوهم حقهم ، فإن الله سائلهم عما استرعاهم »[٤].

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون »[٥].

---

(١) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب الزهري ، أبو إسحاق ، أحد العشرة ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، ومناقبه كثيرة ، مات بالعقيق ، سنة ٥٥ هـ .

انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٩٢/١) ، وابن تغري بردي – النجوم الزاهرة – (١٤٧/١) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل علي رضي الله عنه – (١٢٠/٧) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب – باب خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام – (١٦٢/٤) بكلا الروايتين ، وكذلك الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الفضائل – باب كونه ﷺ خاتم النبيين – (٦٤/٧) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الأنبياء – باب ما ذكر عن بني إسرائيل – (١٤٤/٤) ، ومسلم في صحيحه كتاب الأمراء – باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول – (١٧/٦).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – (٦٤/٢).

وهذه الأحاديث هي قليل من كثير رواها جماعة من الصحابة رضي الله عنهم في مناسبات عديدة وبألفاظ متنوعة كلها تؤكد انتفاء النبوة بعده ﷺ ، وقد بلغ عدد الصحابة رضي الله عنهم الذي رووا أحاديث الختم سبعة وثلاثين صحابياً ولم ينقل عن أحد منهم القول بخلاف ذلك ، ولذلك لما حصلت فتنة الردة التي كان سببها الرئيسي إدعاء بعض سفهاء العقول النبوة ، وجدنا إجماعاً قويّاً من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في وجوب قتالهم وتسيير الجيوش إليهم ، ولو كانوا غير معتقدين بختم النبوة وإنتهائها بعد رسول الله ﷺ لما تعجلوا في ذلك ، ولكنهم لم يفعلوا لأنهم يعلمون علم اليقين أنه لا نبي بعد رسول الله ﷺ [1].

بعض أقوال علماء الأمة رضي الله عنهم في عقيدة الختم :

يقول البغدادي رحمه الله :

« أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام وأولهم آدم وآخرهم عند المسلمين محمد عليه الصلاة والسلام » [2].

وقال أيضاً : « كل من أقر بنبوة نبينا محمد ﷺ أقر بأنه خاتم الأنبياء والرسل وأقر بتأبيد شريعته ومنع من نسخها » [3].

ولذلك لم يدخل عليه رحمة الله فرقة اليزيدية[4] في الفرق الإسلامية وإنما

---

(١) انظر د/ أحمد سعد حمدان – عقيدة ختم النبوة – (ص ٥٤) ، والدكتور أكرم ضياء العمري – الرسالة والرسول – (ص ٣٧-٤١) الطبعة الأولى – ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

(٢) البغدادي أصول الدين – (ص ١٥٩) ، والفرق بين الفرق – (ص ٣٤٢) .

(٣) البغدادي أصول الدين – (ص ١٦٢) .

(٤) أحد فرق الخوارج ، وهم أتباع يزيد بن أبي أنيسة الخارجي ، كان على رأي الأباضية من الخوارج ، قال بأن الله سوف يبعث رسولاً من العجم ، وينزل عليه كتاباً ناسخاً لشريعة الإسلام ، وزعم أن أتباع ذلك النبي هم الصابئون المذكورون في القرآن ، وهم غير صابئة واسط وحران ، وقال بتولي من شهد لمحمد عليه الصلاة والسلام بالنبوة من أهل الكتاب وإن لم يدخل الإسلام ، وسمّاهم بذلك مؤمنين ، كالعيسوية أتباع أبو عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني مدعي النبوة ، ويذلك أخرجهم العلماء من الإسلام .

انظر الشهرستاني – الملل والنحل –(١٣٦/١) تحقيق الكيلاني ، والأشعري – مقالات الإسلاميين – (١٠٣/١) .

جعلها في الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منه ، لأن تلك الفرقة خرجت عن قول جميع الأمة لدعوها « أن الله عز وجل يبعث رسولاً من العجم ، وينزل عليه كتاباً من السماء ، وينسخ بشرعه شريعة محمد ﷺ »[1].

وبعد أن ذكر مقالتهم قال رحمه الله :

« وليس بجائز أن يعد في فرق الإسلام من يعد اليهود من المسلمين ، وكيف يعد من فرق الإسلام من يقول بنسخ شريعة الإسلام ؟ »[2].

ويقول القاضي عياض رحمه الله تعالى :

« أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد منه دون تأويل ولا تخصيص »[3].

ويقول الغزالي رحمه الله تعالى وهو يرد على المخالفين :

« إن الأمة فهمت بالإجماع من هذا اللفظ - أي قوله تعالى ﴿ وخاتم النبيين ﴾ - ومن قرائن أحواله أنه أفهم عدم مجيء نبي بعده أبداً وأنه ليس فيه تأويل ولا تخصيص فمنكر هذا لا يكون إلا منكر الإجماع »[4].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

« ولما كان محمد ﷺ رسولاً إلى جميع الثقلين جنهم وإنسهم عربهم وعجمهم وهو خاتم الأنبياء لا نبيَّ بعده كان من نعم الله على عباده ومن تمام حجته على خلقه »[5].

وهكذا نرى أن علماء الأمة نقلوا إجماعها على تلك العقيدة من صدر الإسلام إلى يومنا هذا ولم ينقل عن أحد من العلماء خلاف ذلك ، وقد كانت مواقفهم صلبة تجاه المخالفين ومدعي النبوة بل تعدى ذلك إلى

---

(١) البغدادي - الفرق بين الفرق - (ص ٢٧٩) .

(٢) المصدر السابق - (ص ٢٨٠) .

(٣) القاضي عياض - الشفا - (٢٧١/٢) طبع محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة - مصر .

(٤) الغزالي - الاقتصاد في الإعتقاد - مطبعة دار الأمانة - الطبعة الأولى - (ص ٢٢٥) .

(٥) ابن تيمية - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - (٦٣/٤) .

المتردد في تكفيرهم ، فهذا الإمام أبو حنيفة[1] رحمه الله تعالى تنبأ رجل في زمنه وطلب الإمهال من الناس حتى يأتي بالعلامات وذلك بعد مطالبتهم له فقال الإمام يرحمه الله :

من طلب منه علامة كفر لقوله ﷺ : « لا نبي بعدي » [2].

ولما كان الأمر كذلك ، فقد تباينت مواقف الأمة الاسلامية من المتنبئين بعده ﷺ على حسب شكل تلك الدعوة وحجمها ، فإن كانت تلك الدعوة جادة وكان لصاحبها تأثير على أتباعه من ضعفاء العقول واستطاع أن يجمع حوله أحداً من الأتباع ، فإنه والحالة هذه لابد من مجابهته بالقوة حتى تستأصل شأفته وتقتلع جرثومته ، لئلا يتأثر به من لا علم له من العوام .

وما حروب الردة ببعيدة عما ذكرناه ، وإن كانت الحالة أقل من ذلك قوبلت على حسب مدعيها إما بالاستنكار الشديد أو بالتهكم والسخرية ، وخصوصاً إذا كان مدعي النبوة من الحمقى الذين لا يخشى على العامة منهم ، لعدم كياستهم وفطنتهم وإفلاسهم من وسائل الدجل والشعوذة ، وقد حفظت لنا كتب التواريخ طرفاً منها ضمن أبواب النوادر والفكاهات[3].

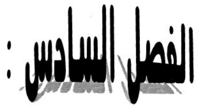
---

(1) هو النعمان بن ثابت بن زوطي أبو حنيفة الكوفي ، ولد ونشأ بالكوفة ، إليه ينسب أتباع المذهب الحنفي ، كان فصيح اللسان عذب المنطق حسن الوجه والهيئة ، ورعاً ، تقياً شديد الذّب عن محارم الله ، ضُرب بالسياط على أن يلي القضاء فلم يفعل ، كان إماماً ورعاً عالماً متعبداً كبير الشأن ، لا يقبل جوائز السلطان ، توفي عليه رحمة الله سنة ١٥٠ هـ .

انظر الذهبي – تذكرة الحفاظ – (١٦٨/١) ، وابن أبي حاتم – الجرح والتعديل – (٤٤٩/٨) دار الكتب العربية – بيروت – لبنان .

(2) مناقب الإمام أبي حنيفة للمكي نقلاً عن د/ محمد الخميس – أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة – (ص ٤٨٧) – دار الصميعي – الرياض – المملكة العربية السعودية .

(3) انظر شهاب الدين أحمد النوري – نهاية الأرب في فنون الأدب – باب المجون والنوادر والفكاهات والملح ، وذكر تحته أخبار المتنبئين كمادة من مواد الطرف والنوادر – (١/٤) ، وأحمد بن عبد ربه الأندلسي – العقد الفريد – كتاب الجمانة الثانية في المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين ، وذكر فيه أخبارهم المضحكة – (١٣٦/٧) مطبعة الإستقامة – الطبعة الثانية .



الفصل السادس :

عصمة الأنبياء والرسل

وفيه مبحثان

المبحث الأول : عصمة الأنبياء والرسل عند الآمدي

المبحث الثاني : موقف أهل السنة والجماعة

تمهيد :

الأنبياء والرسل هم صفوة الخلق اصطفاهم الله عز وجل وبعثهم سفراء إلى الناس وقدوة لهم مبشرين ومنذرين وحجة عليهم .

قال تعالى :

﴿ كان الناس أمة وٰحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتٰب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾[2] .

لذلك لزم أن يكونوا المثل الأعلى في جميع نواحي الكمال والقدوة الحسنة لجميع البشر ، ببعدهم عن اقتراف المعاصي وعزوفهم عن الشهوات واجتنابهم عن كل ما يخل بالمروءة ، أو يهدر الكرامة ، فهم صلوات الله وسلامه عليهم أكمل الناس خلقاً ، وأزكاهم عملاً وأطهرهم نفساً وأعطرهم سيرة ، لأنهم القدوة للبشر والأسوة الحسنة للإنسانية ، لذلك أمر الله عز وجل بالإقتداء بهم ، والتخلق بأخلاقهم والسير على منهاجهم في جميع شؤون الحياة ، قال تعالى :

﴿ أولٰئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾[3] .

وقال تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾[4] .

(١) سورة البقرة – آية : ٢١٣ .
(٢) سورة النساء – آية : ١٦٥ .
(٣) سورة الأنعام – آية : ٩٠ .
(٤) سورة الأحزاب – آية : ٢١ .

العصمة :

تعريف العصمة : العصمة في اللغة معناها : المنع ، يقال عصمته عن الطعام أي منعته عن تناوله ، واعتصم فلان با لله إذا امتنع به ، وعصمته عن الكذب أي منعته منه ، ومنه قوله تعالى :

﴿ قال ساوى إلى جبل يعصمني من المآء ﴾[1] ، أي يمنعني من الغرق .

وقوله تعالى :

﴿ لقد رودتُّه عن نفسه فاستعصم ﴾[2] ، أي امتنع امتناعاً شديداً .

والمطالع لمعاجم اللغة يجد أن المدلول الأصلي لكلمة العصمة عند العرب هو الحفظ والإمساك والوقاية والمنع[3] .

وأما في الاصطلاح :

فقد عرف العلماء العصمة في الاصطلاح بجملة من التعاريف ، ارتضيت منها تعريفاً أراه بحسب علمي القاصر سالماً من القصور والانتقاد .

العصمة هي : « حفظ الله ظواهر الأنبياء وبواطنهم مما تستقبحه الفطر السليمة قبل النبوة وحفظهم من الكبيرة وصغائر الخسة بعدها وتوفيقهم للتوبة والاستغفار من الصغائر وعدم اقرارهم عليها »[4] .

والعصمة ثابتة للأنبياء وهي من صفاتهم التي أكرمهم الله تعالى بها وميزهم عن سائر البشر ، فلم تكن لأحد إلا للأنبياء الكرام حيث وهبهم الله هذه النعمة العظمى ، وقد اختلفت آراء الفرق فيها ما بين مغالٍ ومتساهل ، وقد كان لأبي الحسن الآمدي رأي في هذه المسألة ، وهو مدار البحث في هذا الفصل ، وقد خصصت المبحث الأول لرأي الآمدي ، ولموقف أهل السنة المبحث الثاني .

---

(١) سورة هود – آية : ٤٣ .

(٢) سورة يوسف – آية : ٣٢ .

(٣) انظر ابن منظور – لسان العرب – (٤٠٤/١٢) مادة عصم ، والجوهري – الصحاح – (١٩٨٦/٥) ، والفيروز آبادي – القاموس المحيط – (١٥١/٤) مادة عصم .

(٤) انظر الدكتور أحمد عبد اللطيف آل عبد اللطيف – عصمة الأنبياء – (ص ٢٤) .

المبحث الأول:

عصمة الأنبياء والرسل عند الآمدي

المبحث الأول : عصمة الأنبياء والرسل عند الآمدي :

أولاً : عصمة الأنبياء قبل النبوة :

ذهب أبو الحسن الآمدي إلى عدم القول بعصمة الأنبياء قبل النبوة ، فالأنبياء تقع منهم المعاصي كبيرة كانت أو صغيرة ، إذ لا دلالة للمعجزة على عصمة الأنبياء فيما قبل ظهورها على أيديهم ، كما أنه لا توجد دلالة سمعية تدل على عصمة الأنبياء والرسل قبل بعثتهم صلوات الله وسلامه عليهم[1] .

وقد ذكر أن ذلك هو مذهب الباقلاني وأكثر أصحابه من الأشاعرة وكثير من المعتزلة[2] .

قال الآمدي :

« أما قبل النبوة فقد قال القاضي أبو بكر : لا يمتنع عقلاً ولا سمعاً أن يصدر من النبي قبل نبوته معصية ، وسواء كانت صغيرة أو كبيرة إذ لا دلالة للمعجزة على عصمته فيما قبل ظهورها على يده ... ووافقه عليه أكثر أصحابنا وكثير من المعتزلة »[3] .

ثم قال الآمدي بعد ذلك مرجحاً قول القاضي أبي بكر :

« والحق ما ذكره القاضي لأنه لا سمع قبل البعثة يدل على عصمتهم عن ذلك ... »[4] .

وعند الرجوع إلى أمهات مصادر علم الكلام نجد أن ذلك القول هو بالفعل قول جمهور الأشاعرة ، وبعض المعتزلة .

قال الإيجي :

« وأما قبله – أي قبل النبوة – فقال الجمهور لا يمتنع أن يصدر عنهم كبيرة إذ لا دلالة للمعجز عليه ولا حكم للعقل »[5] .

---

(١) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (١٤٠/٢ ق ب – ١٤١ ق ب) .

(٢) انظر الآمدي – الإحكام في أصول الأحكام – (١٦٩/١) .

(٣) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (١٤٠/٢ ق ب) .

(٤) انظر الآمدي – الإحكام في أصول الأحكام – (١٧٠/١) .

(٥) الإيجي – المواقف في علم الكلام – (ص ٣٥٩) .

وقال الرازي :

« وقال الأكثرون هذه العصمة إنما تجب في زمان النبوة ، فأما قبلها فهي غير واجبة ، وهو قول أكثر أصحابنا رحمهم الله »[1] .

وقال البغدادي :

« واجازوا عليهم الذنوب »[2] ، يقصد أصحابه من الأشاعرة ، والذنوب غير مقيدة عنده فهي تشمل الصغائر وغيرها .

وحكى القاضي عبد الجبار عن بعض أصحابه مثل هذا القول حيث قال :

« ويجري في كلام أبي علي في مواضع فإن كلامه في مواضع يقتضي أنه يجوز على الأنبياء الكبيرة قبل البعثة وأن كان لا يجوزها بعدها ... »[3] .

وبذلك يتضح لنا مدى دقة الآمدي في نسبة الأقوال إلى قائليها .

وبعد أن اتضح لنا رأي الآمدي في هذه المسألة ، وعرفنا من وافقه من أصحابه ومن بقية الفرق ، سوف نترك المجال للآمدي لكي يطلعنا على أهم المخالفين وهم الروافض وأكثر المعتزلة ، وهؤلاء اتفقوا كما يقول أبو الحسن الآمدي على عدم جواز بعثة نبي قد صدرت منه كبيرة قبل بعثته ، وحجتهم على هذا القول أن صدور الذنوب من الأنبياء والمرسلين مما يوجب في النفوس هضمهم واحتقارهم والنفرة منهم مما يتسبب في عدم اتباعهم والانقياد لهم .

وحكى الآمدي أيضاً أن الروافض قد غلو في هذه المسألة إلى درجة أنهم قالوا بعصمة الأنبياء والمرسلين عن الصغائر أيضاً .

وبعد أن ذكر الآمدي أقوال المخالفين وما استندوا إليه من حجج ، أوضح أن ما ذهبوا إليه مبنى على الحسن والقبح العقليين ، ووجوب رعاية المصلحة ، وهو مما لا يراه الآمدي عليه رحمة الله تبعاً لأصحابه الأشاعرة[4] ، وفي ذلك يقول الآمدي :

---

(١) الرازي – عصمة الأنبياء – (ص ٣) .

(٢) البغدادي – أصول الدين – (ص ١٦٨) .

(٣) القاضي عبد الجبار – شرح الأصول الخمسة – (ص ٥٧٣) .

(٤) لمعرفة رأي الآمدي في هذه المسائل وموقف والسلف منها انظر (ص ٢٠٣ وما بعدها) من هذه الرسالة .

« قالت الروافض وأكثر المعتزلة لا يجوز أن يبعث الله من صدرت منه كبيرة وإن تاب منها لأن ذلك مما يوجب في النفوس هضمه واحتقاره والنفرة عنه وعن اتباعه ، وهو خلاف ما تقتضيه الحكمة من رعاية الصلاح والأصلح ، وزادت الروافض على ذلك حيث قضوا بوجوب عصمته عن الصغائر أيضاً ، والأصلح ما ذكره القاضي[1] لأن السمع لا دلالة له على العصمة قبل البعثة ودلالة العقل فمبنية على الحسن والقبح ووجوب رعاية المصلحة وقد سبق ابطاله »[2] .

ولم يكن الآمدي منفرداً بنسبة هذا القول للرافضة وأكثر المعتزلة ، فقد أكد ذلك القاضي عبد الجبار ونسبه إلى أصحابه من المعتزلة حيث قال :

« فقد ثبت أنه لا يجوز على الأنبياء الكبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها »[3] .

وقد توسع عليه رحمة الله في ذكر هذه المسألة وأطال مناقشتها وعقد لها فصلاً في كتابه المغني حيث قال :

« فصل في أن الكبائر وما يجري مجراها في التنفير لا يجوز عليهم قبل البعثة »[4] .

وذكر ذلك عنهم الرازي في تفسيره وفي عصمة الأنبياء حيث ذكر أن الروافض يقولون بعصمة الأنبياء من وقت مولدهم إلى آخر العمر ، وإن أكثر المعتزلة يقولون بأن وقت عصمتهم يكون وقت بلوغهم وأن الكبائر لا تجوز عليهم قبل البعثة[5] .

كما حكاه عنهم صاحب المواقف وأضاف أن المعتزلة يرون أن ذلك يمتنع وإن تاب النبي منها ، وفي ذلك يقول :

« وقال أكثر المعتزلة : تمتنع الكبيرة - أي قبل البعثة - وإن تاب منها لأنه يوجب النفرة وهي تمنع عن إتباعه فتفوت مصلحة البعثة ... .

---

(١) القاضي أبو بكر الباقلاني .

(٢) الآمدي - أبكار الأفكار - (١٤٠/٢ ق ب - ١٤١ ق أ) .

(٣) القاضي عبد الجبار - شرح الأصول الخمسة - (ص ٥٧٣) .

(٤) القاضي عبد الجبار - المغني في أبواب التوحيد والعدل - (٣٠٤/١٥ - ٣١٦) .

(٥) انظر الرازي - التفسير - (٧/٣) ، وعصمة الأنبياء - (ص ٣) .

وقالت الروافض : «لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة فكيف بعد الوحي ؟ »[(١)].

بعد أن تبين لنا أن الآمدي لا يرى عصمة الأنبياء والمرسلين من وقوعهم في المعاصي قبل البعثة ، وتبين لنا أيضاً موقفه من المخالفين وهم الرافضة وأكثر المعتزلة ، بقي أن نتعرض للإجابة على تسائل يلزم الباحث لهذه المسألة إلا وهو : هل الأنبياء والرسل معصومون من الوقوع في الكفر أو الشرك قبل البعثة ؟ أم أنهم غير معصومين ؟ وما هو راي الآمدي في هذه المسألة ؟

وقد أجاب الآمدي على هذا التساؤل بأن ليس هناك مانع عقلي ولا سمعي يوجب عصمة من بعثه الله عن الكفر قبل بعثته ، فيجوز أن يرسل الله من أسلم بعد كفره ، وأن هذا هو مذهب القاضي أبي بكر الباقلاني وأكثر أصحابه – الأشاعرة – .

قال الآمدي :

« قال القاضي أبو بكر ... بل ولا يمتنع عقلاً إرسال من أسلم بعد كفره ، ووافقه عليه أكثر أصحابنا ... »[(٢)] .

وبعد حكايته لهذا القول الذي قال به الباقلاني وأكثر الأشاعرة ، ذكر أن الرافضة وأكثر المعتزلة قالوا بعدم جواز أن يبعث الله من صدرت منه كبيرة فمن باب أولى الكفر ، لأن ذلك مما يوجب هضمهم في النفوس واحتقارهم ، والنفرة عن اتباعهم ، وهو خلاف مقتضي الحكمة من بعثة الرسل[(٣)] .

« والحق ما ذكره القاضي لأنه لا سمع قبل البعثة يدل على عصمتهم عن ذلك ، والعقل دلالته مبنية على التحسين والتقبيح العقلي ، ووجوب رعاية الحكمة في أفعال الله تعالى ، وذلك كله مما أبطلناه في كتبنا الكلامية »[(٤)] .

---

(١) الإيجي – المواقف – (ص ٣٥٩) .
(٢) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٤٠/٢ ق ب) .
(٣) المصدر السابق .
(٤) الآمدي – إحكام الأحكام – (١٧٠/١) .

والعجب أن بعض محققي الأشاعرة زعم أن عصمة الأنبياء والرسل من الكفر قبل النبوة كما هو الحال بعدها وادعى الإجماع على ذلك، مع أن الآمدي قد قال بهذا القول ومن قبله الباقلاني، وهما من أعيان الأشاعرة ومحققيهم، فهل الآمدي واهم في ذكر الخلاف في هذه المسألة أم أن الوهم ممن حكى الإجماع على عصمتهم من الكفر قبل البعثة هذا ما سوف نتطرق إليه.

يقول التفتازاني:

« إنهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالإجماع »[1].

ويقول صاحب المواقف في ذلك ما نصه:

« وأما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه »[2].

وعلق عليه الشارح قائلاً:

« أي قبل النبوة وبعدها ولا خلاف لأحد منهم في ذلك »[3].

وهذا الإجماع الذي ذكره كل من التفتازاني وشارح المواقف مجانباً للصواب، فالخلاف بين الفرق الإسلامية في هذه المسألة، لم يتفرد الآمدي بذكره فقد ذكره غير واحد من أهل العلم، منهم القاضي عياض حيث ذكر الخلاف في هذه المسألة، ولم يذكر الإجماع عليها، إلا أنه رجح «أنهم معصومون عن الكفر قبل النبوة وكل ما يضاد المعرفة بالله كما هو الحال بعد النبوة »[4].

وحكى الخلاف أيضاً صاحب طوالع الأنوار حيث قال:

« وأما قبل الوحي فالأكثرون منعوا الكفر وإفشاء الكذب والإصرار عليه لئلا تزول عنه الثقة بالكلية »[5].

---

(١) التفتازاني - شرح العقائد النسفية - (ص ١٣٦).

(٢) الإيجي - المواقف - (ص ٣٥٨).

(٣) الجرجاني - شرح المواقف - (٢٦٣/٨، ٢٦٤).

(٤) انظر القاضي عياض - الشفا بشرح الخفاجي المسمى نسيم الرياض - (٣٨/٤).

(٥) ناصر الدين البيضاوي - طوالع الأنوار - (ص ٢١٥ - ٢١٦).

ويقول صاحب التحرير :

« والحق أنه لا يمتنع قبل البعثة الكبيرة ولو كانت كفراً عقلاً أي امتناعاً عقلياً كما هو قول القاضي وأكثر المحققين خلافاً لهم - أي المعتزلة - ... وأما الواقع في نفس الأمر فالمتوارث أنه لم يبعث نبي قط أشرك با لله طرفة عين ولا من نشأ فحاشاً سفيهاً »[1] .

وذكر الشهاب الخفاجي :

« أن منهم من خالف في ذلك فجوز عدم عصمتهم عن الكفر قبل النبوة ، إلا أنه ليس بصواب وقد نقل عن الباقلاني أنه جوزه عقلاً وأن لم يقع أن ا لله بعث كافراً ولا فاسقاً »[2] .

وخلاصة القول في المسألة أن الآمدي تبعاً لجمهور الأشاعرة وفي مقدمتهم القاضي أبو بكر الباقلاني ، ذهب إلى عدم امتناع المعاصي على الأنبياء قبل البعثة سواء كانت تلك المعصية من الكبائر أو الصغائر ، إذ لا دلالة للمعجزة على عصمة الأنبياء فيما قبل ظهورها على أيديهم ، وذهب أيضاً إلى أنه ليس هناك مانع عقلي يمنع من إرسال من أسلم وآمن بعد كفره ، لأنه لا سمع قبل البعثة يدل على عصمتهم عن ذلك كله ، وإن حجة من قال بالعصمة عقلية مبنية على التحسين والتقبيح العقلي ، ووجوب رعاية الحكمة في أفعال ا لله تعالى وذلك كله مما لا يقول به الآمدي ، وقد تقدم معنا رأي الآمدي في هذه القضايا وموقف أهل السنة منها[3] .

---

(١) الكمال بن الهمام - التحرير في أصول الفقه - (ص ٣٠٤) - مطبعة الحلبي .

(٢) الشهاب الخفاجي - نسيم الرياض - شرح الشفا - (٣٩/٤) .

(٣) انظر الفصل الثاني - حكم إرسال الرسل - (ص ٢٠٣) وما بعدها .

ثانياً : عصمة الأنبياء بعد النبوة :

أ – العصمة في التبليغ : إن الدين الذي يهتدي به البشر للتي هي أقوم اعتقاداً أو عملاً ، إنما يعرفه الناس عن طريق الأنبياء والرسل .

وهولاء الرسل لو كذبوا فيما أنزله الله عليهم لتبليغه إلى عباده فنقصوا منه أو زادوا عليه شيئاً من عند أنفسهم ، أو بدلوا فيه وغيروا لكانت عقيدة الناس وشرائعهم على وجه غير صحيح ، وليس من المنطق أن يرسل الله تعالى الأنبياء والرسل إلى خلقه وهم متصفون بنقيصة الكذب وصفة الإفتراء ، فالله عز وجل يمقت هذه الصفة ويخزي صاحبها .

وقد جرت سنن الله تعالى في إرسال رسله إلى أقوامهم ، أنه تعالى يثبت من اصطفاهم لهذه المهمة العظيمة على الحق والصدق ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ولولا أن ثبتنٰك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ، إذا لأذقنٰك ضعف الحيوٰة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾[1] .

ولما كان الله تعالى لم يخز ولم يعذب ولم يهلك أحداً من رسله عقاباً له فقد دل هذا على عصمتهم من الكذب ، وأنه لا يتطرق إلى أحد منهم الكذب في التبليغ أو دعوى الرسالة .

ولم تكن هذه القضية في يوم من الأيام محل خلاف بين أهل الشرائع قاطبة فهم متفقون على عصمة الأنبياء والرسل عن تعمد كل ما يخل بصدقهم في دعوى الرسالة والتبليغ عن الله تعالى .

يقول الآمدي :

« وأما بعد النبوة فقد اتفق أهل الملل وأرباب الشرائع على وجوب عصمة الأنبياء عليهم السلام عن الكذب عمداً فيما دلت المعجزة القاطعة على صدقهم فيه وذلك في دعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله تعالى إلى الأمة بطريق التبليغ عنه وإلا فلو جاز عليهم التقول والتخرص في ذلك عقلاً لأفضى إلى إبطال دلالة المعجزة وهو محال »[2].

(١) سورة الإسراء – آية : ٧٤ ، ٧٥ .
(٢) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٤١ ق أ) .

وقد قال الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام :

﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾(١) .

والخطاب في هذه الآية للرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي تشمل في حكمها جميع الأنبياء والرسل ، فإنهم لما لم يكتموا شيئاً من الوحي استحال عليهم الكتمان في التبليغ ، ومن أجل هذا عصمهم الله من الكذب في التبليغ وفي دعوى الرسالة لأن الكذب في دعوى الوحي يودي إلى هدم الشريعة بالكلية ، ولذلك خاطب الله القائلين أن ما جاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام من الوحي إنما هو مجرد أقاويل تخرصها واختلقها من عند نفسه ، قال تعالى :

﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾(٢) .

وقال تعالى :

﴿ وما ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحى ﴾(٣) .

ويذهب شارح المواقف إلى نفس الرأي الذي ذكره الآمدي ، حيث يقول :

« أجمع أهل الملل والشرائع كلها على وجوب عصمتهم عن تعمد الكذب فيما دل المعجز القاطع على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله تعالى إلى الخلائق ، إذ لو جاز عليهم التقول والإفتراء في ذلك عقلاً لأدى إلى إبطال دلالة المعجزة وهو محال »(٤) .

وإلى مثل ذلك ذهب إمام الحرمين الجويني :

« فإن قيل : بينوا لنا عصمة الأنبياء وما يجب لهم قلنا تجب عصمتهم عما يناقض مدلول المعجزة ، وهذا مما نعلمه عقلاً ، ومدلول المعجزة صدقهم فيما يبلغون »(٥) .

---

(١) سورة المائدة – آية : ٦٧ .

(٢) سورة الحاقة – آية : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) سورة النجم – آية : ٣ ، ٤ .

(٤) الجرجاني – شرح المواقف – (٢٦٢/٨) .

(٥) الجويني – الإرشاد – (ص ٣٥٦) .

ومما سبق يتضح لنا أن أرباب الشرائع والملل قد اتفقوا على هذه القضية و لم يخالف فيها أحد ، فالأنبياء معصومون عن الكذب في التبليغ وفي دعوى الرسالة ، وهو ما أكده الآمدي وغيره من العلماء ، ولكن هل يجوز على الأنبياء الغلط في التبليغ على سبيل الذهول والنسيان ، خصوصاً وأنهم بشر يعتريهم ما يعتري البشر من الخطأ والنسيان .

قال تعالى :

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾[1] .

أم أن ذلك غير جائز في حقهم لما فيه من مناقضة دلالة المعجزة على صدقهم فيما يبلغونه عن الله تعالى .

مسألة صدور الكذب عن الأنبياء والمرسلين في التبليغ بطريق الغلط والنسيان مما اختلف فيها المتكلمون ، فقد حكى الآمدي خلافهم ، وأنهم في هذه المسألة ما بين مجوز ومانع .

يقول الآمدي :

« واختلفوا في جواز ذلك عليهم بطريق الغلط والنسيان ، فمنع منه الأستاذ أبو إسحاق وكثير من الأئمة ، لما فيه من مناقضة دلالة المعجزة القاطعة .

وجوزه القاضي أبو بكر ، مصيراً منه إلى أن ما كان من النسيان وفلتات اللسان غير داخل تحت التصديق المقصود بالمعجزة ، وهو الأشبه »[2] .

و لم يكن الآمدي متفرداً في ذكر الخلاف في هذه المسألة بل ذكره صاحب المواقف ، وفي ذلك يقول :

« وفي جواز صدوره عنهم على سبيل السهو والنسيان خلاف :

فمنعه الأستاذ وكثير من الأئمة ، لدلالة المعجزة على صدقهم ، وجوزه القاضي مصيراً منه إلى عدم دخوله في التصديق المقصود بالمعجزة »[3] .

---

(١) سورة الكهف - آية : ١١٠ .

(٢) الآمدي - إحكام الأحكام - (١٧٠/١) ، وأبكار الأفكار - (١٤١/٢ ق أ) .

(٣) الإيجي - المواقف - (ص ٣٥٨) .

« فإن المعجزة دلت على صدقه فيما هو متذكر له عامد إليه ، وأما ما كان من النسيان وفلتات اللسان فلا دلالة له على الصدق فيه فلا يلزم من الكذب هناك نقض لدلالتها »[1] .

هكذا ذكر صاحب المواقف الخلاف بدون أن يرجح أحد القولين ، بخلاف الآمدي فإنه ومن خلال النص السابق قد رجح مذهب القاضي أبي بكر الباقلاني في المسألة الآنفة الذكر ، وحاصل هذا الخلاف يرجع إلى هل الغلط والنسيان داخل تحت دلالة التصديق المقصود بالمعجزة أم أنه غير داخل ، فالآمدي والباقلاني ومن قال بقولهم لا يرون دخوله لأن « المعجزة إنما تدل على صدق الرسول فيما هو متذكر فيه عامد له وأما ما كان من النسيان وفلتات اللسان فلا تدخل تحت التصديق المقصود بالمعجزة ، ولا المعجزة دالة على نفسه وعلى هذا فلا تكون صورة النسيان ناقضة لدلالة المعجزة »[2] .

ثم تطرق الآمدي إلى ذكر المذاهب في مسألة أخرى من مسائل العصمة إلا وهي هل الأنبياء والرسل معصومون من المعاصي على العموم أم أن هناك تفصيل في المسألة ؟

يرى الآمدي أن الإجابة على هذا التساؤل يحتاج إلى شيء من التفصيل فالمعاصي سواء كانت قولية أو فعلية ، إما أن تكون كفراً أو تكون دون ذلك ككبائر الذنوب وصغارها ، فإن كانت من القسم الأول ألا وهو الكفر فلا يعرف خلافاً بين أرباب الشرائع في عصمتهم عنه ولم يشذ عن ذلك الإجماع إلا جماعة من الخوارج ، ونقل عليه رحمة الله عن الأزارقة[3] أنهم قالوا بجواز

---

(١) الجرجاني - شرح المواقف - (٢٦٣/٨) .

(٢) الآمدي - أبكار الأفكار - (١٤١/٢ ق أ) .

(٣) الأزارقة أحد فرق الخوارج هم أتباع أبي راشد نافع بن الأزرق الحنفي الذي خرج آخر أيام يزيد بن معاوية وقتل سنة ٦٥ هـ ، قالت الأزارقة بكفر مخالفيهم ومعاملة المسلمين منهم معاملة الكفار ، وتبرؤا من القعدة ، وكفروا كل من لم يهاجر إلى معسكرهم ، وأن مرتكب الكبيرة كافر خارج من الإسلام ، وأن دار مخالفيهم دار حرب إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة .
انظر الأشعري - مقالات الإسلاميين - (ص ٨٨ - ٨٩) ، والبغدادي - الفرق بين الفرق - (ص ٨٢ - ٨٧) .

بعثة نبي علم الله أنه يكفر بعد نبوته ، وكذلك كل من قال بجواز صدور الذنوب عن الأنبياء وحكم بالكفر على كل ذنب كالفضيلية[1] ، فيلزمهم أيضاً جواز الكفر على الأنبياء .

قال الآمدي :

« وأما ما يتعلق بأفعالهم وأقوالهم مما لا دلالة للمعجزة على صدقهم فيه فإما أن تكون كفراً أو لا يكون كفراً ، فإن كان كفراً فلا يعرف خلافاً من الأمة في وجوب عصمة الأنبياء عنه إلا ما نقل عن الأزارقة من الخوارج فإنهم قالوا بجواز بعثة نبي علم الله أنه يكفر بعد نبوته وكل من قال بجواز صدور الذنوب عن الأنبياء وحكم بالكفر على كل ذنب[2] ، فيلزمه أيضاً جواز الكفر على الأنبياء »[3] .

وفات الآمدي أن يذكر أن الروافض يجوزون على الأنبياء عليهم السلام إظهار الكفر على سبيل التقية[4] .

ويحتجون على ذلك :

بأن إظهار الإسلام إذا كان مفضياً إلى القتل فإن إظهاره والحالة هذه إلقاء بالنفس في التهلكة وهو غير جائز[5] .

---

(1) طائفة تنسب إلى الفضل بن عيسى الرقاشي وقد عده الشهرستاني في رجال الخوارج .
انظر الشهرستاني – الملل والنحل – (١٣٨/١) ، والبيضاوي – طوالع الأنوار – (ص ٢١٤) .

(2) صرح الآمدي بأنهم الفضيلية كما في الإحكام – (١٧٠/١) .

(3) الآمدي أبكار الأفكار – (١٤١/٢ ق أ) ، وانظر الإحكام في أصول الأحكام – (١٧٠/١) .

(4) التقية كتمان الحقيقة وإظهار ما عداها وهي كذب خالص ونفاق محض ، ويعدونها من أصول دينهم وينسبون إلى جعفر الصادق رضي الله عنه قوله : التقية ديني ودين آبائي ، وهي النظام السري الذي يعمل الشيعة على كتمانه على الناس .
انظر إحسان إلهي ظهير – الشيعة وأهل السنة – (ص ١٦٥) ، وموسى جار الله – الوشيعة في نقد عقائد الشيعة – (ص ١٠٨) .

(5) الرازي – المحصل – (ص ١٦٠) تقديم طه عبد الرؤوف سعد – مكتبة الكليات الأزهرية – مصر .

وما ذهبت إليه الروافض من أعظم الباطل ، لأن تجويز إظهار الكفر من الأنبياء على سبيل التقية يودي إلى إخفاء الدعوة ، وترك تبليغ الرسالة ، لأن الدعوة إلى الله قامت في ظروف محفوفة بالمصاعب والأخطار ، نلمس هذا واضحاً فيما قصه القرآن الكريم عن حال الأنبياء مع أقوامهم وما لاقوا من الشدائد والمحن ، ولاشك أن أولى الأوقات بالتقية هو بدء الدعوة ، لقلة الأنصار والأعوان وكثرة المعارضين والمعاندين وضعف الداعي ، وقد نبأنا القرآن الكريم أن بعض الأنبياء قد لاقى أشد ألوان الاضطهاد والإيذاء في سبيل إعلاء دين الله وانتشار الرسالة ، فلو جازت التقية على الأنبياء وعملوا بمقتضاها ما عرضوا أنفسهم للقتل والتعذيب [1].

وخلاصة المسألة أن الآمدي عليه رحمة الله يرى أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الكفر والشرك بالله وكل ما يضاد المعرفة به سبحانه وتعالى بعد نزول الوحي عليهم ، وقد نقل الإتفاق على ذلك ، فأرباب الشرائع والملل من المسلمين وغيرهم متفقون على ذلك ، وشذ عن هؤلاء بعض فرق الخوارج وكذلك الروافض حيث أجازوا أظهار الكفر على الأنبياء تقية ، ولم يكن الآمدي متفرداً في ذكر الإجماع على هذه المسألة ، بل وافقه على ذلك كثير من أصحابه من علماء الأشاعرة [2].

تقدم معنا أن الآمدي قد قسم الذنوب والمعاصي إلى قسمين ، الأول منها ما كان كفراً ، وقد تقدم الكلام عليه ، واتضح لنا رأي الآمدي فيه ، أما القسم الثاني وهو ما دون الكفر من الذنوب ، وهي إما أن تكون من الكبائر أو ليس منها ، وهو ما سوف نتطرق إليه بإذن الله .

---

(١) انظر التفتازاني - شرح المقاصد - (٥/٥٠) ، والرازي - المحصل - (ص ١٦٠) ، والبيضاوي - طوالع الأنوار من مطالع الأنظار - (ص ٢١٤) - دار الجيل - تحقيق عباس سليمان - بيروت - لبنان .

(٢) انظر التفتازاني - شرح العقائد النسفية - (ص ٤٦٧) مطبعة صبيح الطبعة الثانية ، والإيجي المواقف - (ص ٣٥٨ - ٣٥٩) ، والبيضاوي - طوالع الأنوار - (ص ٢١٤) .

عصمة الأنبياء من الكبائر :

يرى الآمدي عصمة الأنبياء من الكبائر بعد النبوة ، فلا يجوز أن يتلبس الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم في الكبائر عامدين ، وأوضح الآمدي أن هذه المسألة محل اتفاق بين الأمة و لم يخالف في ذلك سوى الخوارج وقد تقدم أنهم يقولون بجواز صدور الكفر عليهم ومن أجاز الكفر فالكبيرة يجيزها من باب أولى ، إلا أن الآمدي قد زل وأخطأ عندما نسب إلى أهل السنة والجماعة القول بجواز صدور الكبائر عن الأنبياء ، فأهل السنة والجماعة كما هو مشهور عنهم ومعروف يقولون بعصمة الأنبياء عن تعمد الكبائر كما سيتضح لنا من خلال النقول التي نقلها شيخ الإسلام ابن تيمية عن السلف الصالح وذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل .

قال الآمدي :

« فإن كان من الكبائر فقد اتفق المحققون والأئمة على وجوب عصمتهم عن تعمده من غير نسيان ولا تأويل و لم يخالف في ذلك غير الحشوية[1] ومن جوز الكفر عليهم[2]، فإنه إذا جوز عليهم الكفر فما دونه أولى بالتجويز »[3] .

وهذا النص يدل على أن الآمدي لم يخالف أصحابه من الأشاعرة بل تابعهم في القول بامتناع تعمد الكبائر على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ونحا نحو الآمدي شارح المواقف حيث قال :

« أما الكبائر – أي صدورها عنهم عمداً – فمنعه الجمهور من المحققين والأئمة و لم يخالف فيه إلاّ الحشوية » [4].

---

(١) أول من استعمل لفظ الحشوية عمرو بن عبيد قال كان عبد الله بن عمر حشوياً يريد بالحشوية الأميين ، ثم صار من يقدس العقل ويؤثره على النقل كالمعتزلة يرمون بها علماء الحديث كأحمد بن حنبل ونحوه من أئمة أهل السنة والجماعة ، فأعداء أهل السنة عموماً ينبزون أهل السنة بمثل هذه الألقاب على سبيل الاستنقاص ، وكثيراً ما يستعمل الآمدي هذه اللفظة ينبز بها أهل السنة غفر الله له .

انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٢٩/٤) ، وتعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي على هذه اللفظة في كتاب الآمدي الإحكام – (١٧٠/١) .

(٢) وهم الخوارج كما تقدم .

(٣) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٤١/٢ ق أ) ، وانظر الإحكام – (١٧٠/١) .

(٤) الجرجاني – شرح المواقف – (٢٦٤/٨) .

وكذلك التفتازاني في شرح المقاصد[1]، والبيضاوي في طوالع الأنوار[2].

ثم ذكر الآمدي أن القائلين بوجوب العصمة عن الكبائر من غير نسيان ولا تأويل اختلفوا في مدرك العصمة هل هو العقل أم السمع وقد رجح الآمدي تبعاً للأشاعرة ما ذهب إليه الباقلاني إلى أن العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلاً لعدم دلالة المعجزة عليه وإنما هو مستفاد من السمع وإجماع الأمة قبل ظهور المخالفين على ذلك خلافاً للمعتزلة الذين قالوا بأن مدرك وجوب العصمة إنما هو من العقل دون السمع[3]، وفي ذلك يقول الآمدي :

« ثم اختلف القائلون بوجوب العصمة عن الكبائر هل ذلك مستفاد من العقل أو السمع ، فذهب القاضي أبو بكر والمحققون من أصحابنا إلى أن العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلاً لعدم دلالة المعجزة عليه وإنما هو مستفاد من السمع وإجماع الأمة قبل ظهور المخالفين على ذلك ، وذهب المعتزلة إلى امتناع ذلك منهم عقلاً مصيراً منهم إلى أن صدور الكبائر من الأنبياء مما يوجب سقوط هيبتهم وانحطاط رتبتهم في أعين الناس وذلك مما يوجب النفرة عنهم وعدم الإنقياد لهم ويلزم منه إفساد الخلائق وترك استصلاحهم وهو خلاف مقتضى الحكمة والعقل .

وما ذكروه فمبني على فاسد أصولهم في التحسين والتقبيح ووجوب رعاية الصلاح والأصلح وقد أبطلناه ... »[4].

وقريباً من ذلك يقول شارح المواقف :

« وقالت المعتزلة بناء على أصولهم الفاسدة في التحسين والتقبيح العقليين ووجوب رعاية الصلاح والأصلح يمتنع ذلك عقلاً لأن صدور الكبائر عنهم عمداً يوجب سقوط هيبتهم عن القلوب وانحطاط رتبتهم في أعين الناس

---

(1) انظر التفتازاني – شرح المقاصد – (٥/٥٠) .

(2) انظر البيضاوي – طوالع الأنوار – (ص ٢١٤) .

(3) انظر الإيجي – المواقف – (ص ٣٥٩) ، والتفتازاني – شرح المقاصد – (٥/٥٠) ، والجويني – الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد – (ص ٣٥٦) .

(4) الآمدي – أبكار الأفكار – (٢/١٤١ ق أ – ب) ، وانظر الإحكام في أصول الأحكام – (١/١٧٠) .

فيؤدي إلى النفرة عنهم وعدم الانقياد لهم ، ويلزم إفساد الخلائق وترك استصلاحهم ، وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة » [١].

وبذلك نرى أن المعتزلة وإن كانوا قد صرحوا باستحالة صدور الكبائر على الأنبياء كما ذهب الأشاعرة والآمدي أحدهم ، إلاّ أن الآمدي يختلف معهم في المنهج الذي سلكوه ، فالآمدي يرى امتناع صدور الكبائر عن الأنبياء سمعاً ، وهو لا يوافقهم تبعاً لأصحابه في مدركهم لهذا المسألة لأنه مبني على قضية التحسين والتقبيح العقليين حيث إن الأشاعرة والآمدي منهم يرون أنه لا تحسين إلاّ ما حسنه الشرع ، ولا تقبيح إلاّ ما قبحه الشرع ، وقد تقدم مزيد بيان لهذه القضية [٢].

وإذا كانت الكبيرة قد وقعت من غير تعمد وسبق إصرار وإنما كانت على سبيل النسيان أو تأويل خاطئ ، فهل الأنبياء عليهم السلام معصومون منها أو أنهم غير معصومين .

يرى الآمدي أن هذه المسألة من المسائل المتفق عليها في باب العصمة و لم يخالف فيها سوى الرافضة .

قال الآمدي :

« وأما إن كان فعل الكبيرة عن نسيان أو تأويل خاطئ فقد اتفق الكل على جوازه سوى الرافضة » [٣].

وذلك لأن صدور السهو والنسيان والخطأ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتنافى مع عصمتهم ، بل إن ذلك من مقتضيات بشريتهم ،فالبشر مهما بلغوا من درجات الكمال الإنساني ، فلابد أن يعتريهم ما يعتري البشر من الخطأ والنسيان ، والأنبياء إنما امتازوا عن غيرهم من البشر بنزول الوحي عليهم لا غير ، أما في غير الوحي والتبليغ ، فهم مثل بقية البشر فيجوز أن يصدر منهم السهو والخطأ والنسيان ، ولهذا السبب جوز أهل العلم صدور

(١) الجرجاني – شرح المواقف – (٨/٢٦٥) .

(٢) انظر (ص ١٨٩) .

(٣) الآمدي – أحكام الإحكام – (١/١٧٠) .

الكبائر عن الأنبياء سهواً أو خطأً في التأويل ، ولم يعتبروها من الذنوب ، ونقلوا اتفاق الطوائف على ذلك سوى الرافضة [1].

عصمة الأنبياء عن الصغائر :

تنقسم الصغائر إلى قسمين ، قسم يوجب الحكم على فاعله بالخسة ودناءة الهمة وسقوط المروءة ، كسرقة حبة أو كسرة ، ويسمى هذا القسم بصغائر الخسة ، والقسم الآخر لا يوجب على فاعله الحكم بالخسة كنظرة أو كلمة سفه نادرة في حالة غضب .

يقرر أبو الحسن الآمدي أن الأنبياء معصومون من الوقوع في صغائر الخسة ، وأن الحكم في صغائر الخسة كالحكم في جواز صدور الكبائر عن الأنبياء والرسل ، وقد تقدم معنا أن الآمدي يرى عصمة الأنبياء من الكبائر ، ويجيز وقوعها عليهم في حال السهو والنسيان ، ونقل الاتفاق على ذلك خلافاً للرافضة .

قال الآمدي :

« وأما ما ليس بكبيرة فإما أن يكون من قبيل ما يلحق فاعله بالأراذل والسفل والحكم عليه بالخسة ودناءة الهمة وسقوط المروءة كسرقة حبة أو كسرة ونحوه فالحكم فيه حكم الكبيرة » [2].

وهذه المسألة تدل على أشعرية الآمدي حيث إنه تابع أصحابه فيها ، فالأشاعرة متفقون على عصمة الأنبياء من الوقوع في صغائر الخسة ، وممن حكى إجماعهم القاضي عياض حيث قال :

« وقال بعض أئمتنا لا يجب على القولين أن يختلف أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها إذ تلحقها بالكبائر ، ولا في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة واسقطت المروءة وأوجبت الأزراء والخساسة فهذا مما يعصم عنه الأنبياء إجماعاً » [3].

---

(١) انظر المصدر السابق .
(٢) الآمدي – أبكار الأفكار – (٢/١٤١ ق ب) ، وانظر الإحكام – (١/١٧١) .
(٣) القاضي عياض – الشفا – (٢/٣٣٠) .

وأما ما ليس كذلك من صغائر الذنوب ، فيرى الآمدي جواز صدورها عن الأنبياء عمداً وسهواً ، وأن ذلك مذهب أكثر أصحابه من الأشاعرة وأكثر المعتزلة ، خلافاً للشيعة ، وقد تقدم معنا أنهم يرون عصمة الأنبياء والرسل مطلقاً منذ ولادتهم إلى حين وفاتهم ولا يجوز عليهم الخطأ والنسيان والغفلة ، في صغائر الذنوب وكبارها .

وذكر الآمدي أن بعض المعتزلة قالوا بخلاف هذا القول حيث نقل عن الجبائي[1] أنه قال بعصمة الأنبياء والرسل عن تعمد الصغائر ، وأن ذلك لا يجوز عليهم إلاّ بطريق السهو أو الخطأ في التأويل ، ونقل مثل ذلك عن النظام[2] وجعفر بن مبشر[3] .

قال الآمدي :

« وأما ما لايكون من هذا القبيل كنظرة أو كلمة سفه نادرة في خصام ونحو ذلك فهذا مما اتفق أكثر أصحابنا وأكثر المعتزلة على جوازه عمداً وسهواً خلافاً للشيعة ، وذهب الجبائي إلى أن ذلك لايجوز إلا بطريق السهو أو الخطأ في التأويل وذهب النظام وجعفر بن مبشر إلى أن ذلك لا يجوز منهم إلا على طريق الغفلة والسهو غير أنهم يواخذون بذلك ، وأن لم تواخذ أممهم به لعلو رتبهم وقوة معرفتهم با لله تعالى »[4] .

---

(١) محمد بن عبد الوهاب أبو علي الجبائي ، نسبة إلى بلدة تسمى جبى في خورزستان ، كان رأساً في الاعتزال ، مات سنة ٢٩٥ هـ .

انظر الشهرستاني – الملل والنحل – (٧٨/١) .

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن سيار المعتزلي رأس الفرقة النظامية ، مات ما بين سنة ٢٢١ ، ٢٢٣ هـ .

انظر الشهرستاني – الملل والنحل – (٥٣/١) .

(٣) أبو محمد جعفر بن مبشر من رجال المعتزلة وهو وجعفر بن حرب زعيما الجعفرية من المعتزلة .

انظر البغدادي – الفرق بين الفرق – (ص ١٦٧) .

(٤) الآمدي – ابكار الأفكار – (١٤١/٢ ق ب) .

ويذكر صاحب المواقف قريباً من كلام الآمدي إلا أن عبارته فيها شيء من الإختصار :

« وأما الصغائر عمداً فجوزه الجمهور إلا الجبائي ، وأما سهواً فهو جائز اتفاقاً »[١] .

ولا يسلم لصاحب المواقف حكاية الاتفاق على جواز وقوع الصغائر سهواً .

فقد ذكر الآمدي الخلاف في ذلك ، والشيعة ممن لا يقولون بوقوع الذنوب من الأنبياء مطلقاً[٢] .

وعند الرجوع إلى شرح الأصول الخمسة نجد القاضي عبد الجبار قد ذكر هذه المسألة و لم يذكر فيها خلافاً بين أصحابه .

قال القاضي عبد الجبار :

« فأما الصغائر التي لاحظ لها إلا في تقليل الثواب دون التنفير ، فإنها مجوزة مع الأنبياء ولا مانع يمنع منه ، لأن قلة الثواب مما لا يقدح في صدق الرسل ولا في القبول منهم »[٣] .

ولعله اكتفى عن ذكر الخلاف في المسألة بذكر الرأي الذي استقر عليه أكثر المعتزلة ، وإلا فالخلاف بين المعتزلة حاصل في هذه المسألة فقد ذكره الآمدي كما تقدم وذكره الإمام أبو الحسن الأشعري حيث ذكر أن بعضهم منع من تعمد الصغيرة وبعضهم جوز تعمد الصغيرة[٤] .

وتعتبر هذه المسألة آخر مسائل العصمة التي تناولها الآمدي بالبحث والدراسة ، وبذلك نكون قد ذكرنا جميع آرائه في العصمة وموقفه من بقية الفرق التي يختلف معها في الرأي .

---

(١) الإيجي – المواقف – (ص ٣٥٩) .

(٢) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (١٤١/٢ ق ب) ، والأحكام – (١٧١/١) .

(٣) القاضي عبد الجبار – شرح الأصول الخمسة – (ص ٥٧٥) ، والمغني – (٢٨٠/١٥) .

(٤) انظر أبو الحسن الأشعري – مقالات الإسلاميين – (٢٩٧/١) .

وخلاصة البحث في هذه المسألة :

أن الآمدي قد رجح مذهب القاضي أبي بكر الباقلاني وأكثر الأشاعرة وكثير من المعتزلة في أن الأنبياء قبل النبوة لا يمتنع عليهم المعصية كبيرة كانت أو صغيرة ، بل ولا يمتنع عقلاً إرسال من أسلم وآمن بعد كفره .

لأنه لا سمع قبل البعثة يدل على عصمتهم عن ذلك ، والعقل دلالته مبنية على التحسين والتقبيح العقلي ، ووجوب رعاية الحكمة في أفعال الله تعالى وذلك كله مما يراه الآمدي والأشاعرة باطلاً .

وأما بعد النبوة فيرى الآمدي عصمة الأنبياء والرسل عن الكذب عمداً فيما دلت المعجزة على صدقهم فيه ، وذلك في دعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله عز وجل من الوحي بطريق التبليغ .

ويرى الآمدي جواز الغلط على الأنبياء في ذلك على سبيل الذهول والنسيان ، وقد وافق في ذلك الباقلاني ، لأن ما كان من النسيان وفلتات اللسان غير داخل تحت التصديق المقصود بالمعجزة .

ويرى الآمدي عصمة الأنبياء والرسل من الكفر ومن الكبائر عمداً مع جواز صدورها منهم صلوات الله وسلامه عليهم عن نسيان أو تأويل خطأ ، خلافاً للرافضة الذين يرون عصمتهم مطلقاً .

كما أنه يرى تبعاً لأصحابه أن مدرك العصمة هو السمع خلافاً للمعتزلة .

وبالنسبة لصغائر الخسة فيرى الآمدي أن الحكم فيها كالحكم في الكبيرة فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من تعمدها مع جواز وقوعها منهم على سبيل الخطأ والنسيان .

أما بالنسبة لصغائر الذنوب والمعاصي كنظرة أو كلمة سفه نادرة في حالة غضب ، فقد رجح الآمدي رأي أكثر أصحابه وأكثر المعتزلة فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجوز عليهم صدور الصغائر عمداً وسهواً خلافاً للشيعة ولبعض المعتزلة .

المبحث الثاني :

موقف أهل السنة والجماعة

المبحث الثاني : موقف أهل السنة والجماعة :

أولاً : العصمة قبل النبوة :

لا يرى أهل السنة والجماعة عصمة الأنبياء قبل النبوة مطلقاً ، خلافاً للرافضة وأكثر المعتزلة ، وقد تقدم أن الروافض يرون عصمة الأنبياء والرسل من جميع الذنوب صغارها وكبارها ، وأن وقت العصمة يبدأ منذ الولادة ويستمر إلى الوفاة ، والأنبياء بأي حال من الأحوال لا تجوز عليهم المعاصي لا سهواً ولا عمداً ولا ذهولاً ، سواء كانت تلك المعاصي من الكبائر أم الصغائر[1].

وأما أكثر المعتزلة فيرون عصمة الأنبياء عن الكبائر وما يجري مجراها في التنفير قبل البعثة[2].

وقد ألجأهم هذا القول إلى تأويل نصوص القرآن الكريم والتي أخبرت بما وقع من الرسل والأنبياء من التوبة من الذنوب ، ومغفرة الله لهم ، ورفع درجاتهم بذلك[3].

وبين شيخ الإسلام منشأ خطأ من يقول بالعصمة حيث قال :

« وبهذا يظهر جواب شبهة من يقول :

إن الله لا يبعث نبياً إلا من كان معصوماً قبل النبوة ، كما يقول ذلك طائفة من الرافضة وغيرهم .

وكذلك من قال إنه لا يبعث نبياً إلاّ من كان مؤمناً قبل النبوة ، فإن هؤلاء توهموا أن الذنوب تكون نقصاً وإن تاب التائب منها ، وهذا منشأ غلطهم فمن ظن أن صاحب الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصاً فهو غالط غلطاً عظيماً ، فإن الذم والعقاب الذي يلحق أهل الذنوب لا يلحق التائب منه شيء أصلاً ، لكن أن قدم التوبة لم يلحقه شيء ، وإن أخر التوبة فقد يلحقه ما بين الذنوب والتوبة من الذم والعقاب ما يناسب حاله .

---

(1) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (١٤٠/٢ ق ب – ١٤١ ق أ) .

(2) انظر القاضي عبد الجبار – شرح الأصول الخمسة – (ص ٥٧٣) ، والمغني في ابواب التوحيد – (٣٠٤/١٥-٣١٦) .

(3) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (١٥٠/١٥) .

والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه كانوا لا يؤخرون التوبة ، بل يسارعون إليها ، ويسابقون إليها ، ولا يؤخرون ولا يصرون على الذنب ، بل هم معصومون من ذلك »[1].

وقد نقل شيخ الإسلام الاتفاق « على جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به الرسل من قبله من النبوة والشرائع ، وإن من لم يقر بذلك بعد الرسالة فهو كافر ، والرسل قبل الوحي لا تعلمه فضلاً عن أن تقربه .

قال تعالى :

﴿ ينزل الملئكة بالروح من أمره ﴾[2] الآية .

وقال تعالى :

﴿ يلقي الروح من أمره على من يشآء من عباده لينذر يوم التلاق ﴾[3] .

فجعل إنذارهم بالتوحيد كالإنذار بيوم التلاق ، وكلاهما عرفوه بالوحي »[4].

ثم بين عليه رحمة الله أن الرسول الذي ينشأ بين أهل الكفر الذين لا نبوة لهم أكمل من غيره ممن نشأ بين أهل الإيمان والنبوة .

وبين أيضاً أنه لا يلزم من اصطفاء من بعثه الله أن يبغض بما عليه قومه من العبادة قبل مبعثه ، وما حصل للمصطفى عليه الصلاة والسلام من تبغيضه عبادة الأوثان خاص به ، لا يجب أن يكون لكل نبي .

قال شيخ الإسلام :

« وما ذكر أنه ﷺ بغضت إليه الأوثان لا يجب أن يكون لكل نبي ، فإنه سيد ولد آدم ، والرسول الذي ينشأ بين أهل الكفر الذين لا نبوة لهم يكون أكمل من غيره ، من جهة تأييد الله له بالعلم والهدى وبالنصر والقهر ، كما كان نوح وإبراهيم »[5].

---

(١) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (١٠/٣٠٩) .

(٢) سورة النحل – آية : ٢ .

(٣) سورة غافر – آية : ١٥ .

(٤) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (١٥/٣٠-٣١) .

(٥) المصدر السابق – (١٥/٣١) .

ثم ذكر في موضع آخر أن من نشأ بين قوم مشركين جهال لم يكن عليه نقص إذا كان على مثل دينهم وقد عرف عنه الصدق والأمانة والبعد عما ينفر من القبول فالرسل يبعثون من خيار قومهم .

قال عليه رحمة الله :

« إن الله سبحانه إنما يصطفي لرسالته من كان خيار قومه حتى في النسب ، كما في حديث هرقل .

ومن نشأ بين قوم مشركين جهال ، لم يكن عليه نقص إذا كان على مثل دينهم ، إذا كان معروفاً بالصدق والأمانة ، وفعل ما يعرفون وجوبه ، وترك ما يعرفون قبحة .

قال تعالى :

﴿ وما كنّا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ [(1)].

فلم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب ، وليس في هذا ما ينفر عن القبول منهم ، ولهذا لم يذكره أحد من المشركين قادحاً » [(2)].

مما سبق نقله من نصوص عن شيخ الإسلام ، يتضح لنا أن أهل السنة والجماعة لا يرون عصمة الأنبياء عن الكفر والمعاصي قبل البعثة ، وإنما يرون وجوب عصمتهم عما ينفر عن القبول ، فهم يبعثون من خيار أقوامهم في كل شيء حتى النسب وممن يتصفون بالصدق والأمانة .

وقد تقدم أن الآمدي يرى هذا الرأي وقد تابع في ذلك القاضي أبا بكر الباقلاني ، ونسبه إلى جمهور الأشاعرة ، وعليه يكون الآمدي وقد وافق في هذه المسألة أهل السنة والجماعة .

(1) سورة الإسراء - آية : ١٥ .

(2) ابن تيمية - مجموع الفتاوى - (٣٠/١٥) .

ثانياً : العصمة بعد النبوة :

المسألة الأولى : العصمة في التحمل وفي التبليغ :

يرى أهل السنة والجماعة أن الرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون في تحمل الرسالة ، فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم إلاّ شيئاً قد نسخ وقد تكفل الله لرسوله ﷺ بأن يقرئه الوحي فلا ينسى شيئاً مما أوحاه إليه ، قال تعالى :

﴿ سنقرئك فلا تنسىٰ إلاّ ما شاء الله ﴾ (1).

وتكفل الله لنبيه عليه الصلاة والسلام بأن يجمعه في صدره فلا ينسى منه شيئاً ، قال تعالى :

﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرءانه . فإذا قرأنٰه فاتبع قرءانه ﴾ (2).

وهم معصومون في التبليغ ، بمعنى أنهم لا يكذبون على الله ولا يتقولون على الله ما لم يقله ، ولا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم ، ففعل ذلك خيانة ، والرسل يستحيل أن يكونوا كذلك قال تعالى :

﴿ يـٰأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ (3).

ولو حدث شيء من الكتمان أو التغيير لما أوحاه الله فإن عقاب الله يحل بذلك الكاتم المغير ، قال تعالى :

﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ (4).

ومن العصمة ألاّ ينسوا شيئاً مما أوحاه الله إليهم ، وبذلك لا يضيع شيء من الوحي ، وعدم النسيان في التبليغ داخل في قوله تعالى :

﴿ سنقرئك فلا تنسىٰ ﴾ (5).

(1) سورة الأعلى – آية : ٦ .
(2) سورة القيامة – آية : ١٦-١٨ .
(3) المائدة – آية : ٦٧ .
(4) سورة الحاقة – آية : ٤٤-٤٦ .
(5) سورة الأعلى – آية : ٦ .

ومما يدل على عصمته في التبليغ قوله تعالى :

﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى ﴾ [1].

وعصمة الأنبياء في التبليغ محل إتفاق الأمة لم يخالف في ذلك أحد من المسلمين ، فلا يستقر في ذلك خطأ .

قال شيخ الإسلام :

« وهم – أي الأنبياء – معصومون في تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين » [2].

وقال :

« والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين » [3].

وقال في موضع آخر :

« والكلام في هذا المقام مبني على أصل :

وهو أن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه في تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه كما قال تعالى :

﴿ قولوا آمنّا بالله ومآ أنزل إلينا وما أنزل إلى إبرٰهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط . وما أوتي موسىٰ وعيسىٰ ومآ أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا . وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ [4].

وقال تعالى :

﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملٰئكة والكتٰب والنبيين ﴾ [5].

وقال تعالى :

---

(١) النجم – آية : ٣-٤ .

(٢) شيخ الإسلام – منهاج السنة – (١/١٣٠) .

(٣) شيخ الإسلام – مجموع الفتاوى – (١٠/٢٩٠) .

(٤) سورة البقرة – آية : ١٣٦ – ١٣٧ .

(٥) سورة البقرة – آية : ١٧٧ .

﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملٰئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله . وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ (1).

بخلاف غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء ولو كانوا أولياء لله ... » (2).

وقال ابن حمدان(3) في نهاية المبتدئين :

« وأنهم معصومون فيما يؤدونه عن الله تعالى » (4).

وقال ابن عقيل(5) في الإرشاد :

« إنهم عليهم الصلاة والسلام لم يعتصموا في الأفعال بل في نفس الأداء ، قال : ولا يجوز عليهم الكذب في الأقوال فيما يؤدونه عن الله تعالى » (6).

وقال السفاريني(7) في لوامع الأنوار البهية :

« وقد أجمعت الأمة على أن ما كان طريقه الإبلاغ فالأنبياء والرسل معصومون فيه من الأخبار عن شيء منه بخلاف الواقع لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً على تفصيل في بعض ذلك يعلم مما مر » (8).

---

(1) سورة البقرة – آية : ٢٨٥ .

(2) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (١٠/٢٨٩–٢٩٠) .

(3) أحمد بن حمدان بن شبيب النميري الحراني ، فقيه حنبلي ، أديب ، ولد ونشأ بحران سنة ٦٠٣ هـ ، كف بصره بعد ما أسن توفي بالقاهرة سنة ٦٩٥ م .

انظر العليمي – المنهج الأحمد – (ص ٤٠٥) ، والدرر المنضد – (١/٤٣٦) .

(4) انظر السفاريني – لوامع الأنوار البهية – (٢/٣٠٤) .

(5) علي بن عقيل بن محمد أبو الوفاء المعروف بابن عقيل ، عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته ، توفي سنة ٥١٣ هـ .

انظر ابن رجب – طبقات الحنابلة – (٢/٢٥٩) ، والعليمي – الدرر المنضد – (١/٤٣٦) .

(6) انظر السفاريني – لوامع الأنوار البهية – (٢/٣٠٤) .

(7) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ، أبو العون ، عالم بالحديث والأصول والأدب ، ولد في سفارين من قرى نابلس ، وتوفي بها سنة ١١٨٨ هـ .

انظر الزركلي – الأعلام – (٦/١٤) .

(8) السفاريني – لوامع الأنوار البهية – (٢/٣٠٧) .

ومن العصمة في التبليغ عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من تناقض أقوالهم ، فلا يجوز أن يصدر عنهم « خبران متناقضان في الحقيقة ولا أمران متناقضان في الحقيقة إلا وأحدهما ناسخ والآخر منسوخ » [(1)]. « لأن الله قد ضمن حفظ الذكر الذي أنزله على رسوله ، ولم يضمن حفظ ما يؤثر عن غيره .

ولأن ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة هو هدى الله الذي جاء من عند الله ، به يعرف سبيله وهو حجته على عباده ، فلو وقع فيه ضلال لم يبين لسقطت حجة الله في ذلك ، وذهب هداه ، وعميت سبيله » [(2)].

وعصمة الأنبياء فيما يبلغونه عن الله ثابتة بالشرع والعقل والإجماع .

قال شيخ الإسلام في معرض رده على أحد الفرق :

« ثم إن العصمة المعلومة بدليل الشرع والعقل والإجماع ، وهي عصمة التبليغ لم ينتفعوا بها .... » [(3)].

وممن حكى الإجماع في هذه المسألة الشوكاني حيث قال :

« وهكذا وقع الإجماع على عصمتهم بعد النبوة من تعمد الكذب في الأحكام الشرعية لدلالة المعجزة على صدقهم » [(4)].

وكذلك أبو الحسن الآمدي وغيره من العلماء [(5)].

وإذا كان الإتفاق بين المسلمين على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما يبلغونه عن الله ، فلا يستقر في ذلك خطأ ، وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة [(6)]، ولكن هل يصدر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خطأ في التبليغ نتيجة إلقاء الشيطان ، فيستدركه الله بالنسخ ويرفع ما ألقاه الشيطان من الباطل ويحكم الله آياته ؟

---

(1) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٤/١٦٨) .

(2) المصدر السابق – (٤/١٦٨-١٦٩) .

(3) المصدر السابق – (١٠/٢٩٥) .

(4) الشوكاني – إرشاد الفحول – (ص ٣٣) .

(5) انظر (ص ٣٧٩) وما بعدها .

(6) انظر شيخ الإسلام – مجموع الفتاوى – (١٠/٢٩٠) .

حكى شيخ الإسلام قولان في المسألة ، وذكر أن المأثور عن السلف يوافق القرآن ، فالأنبياء قد يصدر منهم مايستدركه الله تعالى فينسخ مايلقي الشيطان ويحكم الله آياته .

قال شيخ الإسلام :

« والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين ولكن هل يصدر ما يستدركه الله فينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته ؟

هذا فيه قولان ، والمأثور عن السلف يوافق القرآن بذلك .

والذين منعوا ذلك من المتأخرين طعنوا فيما نقل من الزيادة في سورة النجم بقوله تعالى :

« تلك الغرانيق العلى ، وأن شفاعتهن لترتجى » .

وقالوا : إن هذا لم يثبت ، ومن علم أنه ثبت : قال هذا ألقاه الشيطان في مسامعهم و لم يلفظ به الرسول ﷺ ، ولكن السؤال وارد على هذا التقدير أيضاً .

وقالوا في قوله :

﴿ إلا إذا تمنى ألقى الشيطٰن في أمنيته ﴾[1] .

هو حديث النفس .

وأما الذين قرروا ما نقل عن السلف ، فقالوا هذا منقول نقلاً ثابتاً لا يمكن القدح فيه ، والقرآن يدل عليه بقوله :

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطٰن في أمنيته . فينسخ الله ما يلقي الشيطان . ثم يحكم الله ءايٰته . والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقي الشيطٰن فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم . وإن الظٰلمين لفي شقاق بعيد ، وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ، وإن الله لهاد الذين ءامنوا إلى صراط مستقيم ﴾[2] .

---

(٢) سورة الحج – آية : ٥٢ .

(١) سورة الحج – آية : ٥٢ – ٥٤ .

فقالوا الآثار في تفسير هذه الآية معروفة ثابتة في كتب التفسير والحديث ، والقرآن يوافق ذلك فإن نسخ الله لما يلقي الشيطان وإحكامه آياته إنما يكون لرفع ما وقع في آياته ، وتمييز الحق من الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها .

وجعل ما ألقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ، والقاسية قلوبهم إنما يكون إذا كان ذلك ظاهراً يسمعه الناس لا باطناً في النفس والفتنة التي تحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الآخر من النسخ » [1].

ثم قال بعد ذلك مرجحاً قول السلف :

« وهذا النوع أدل على صدق الرسول ﷺ وبعده عن الهوى من ذلك النوع ، فإنه إذا كان يأمر بأمر ثم يأمر بخلافه وكلاهما من عند الله وهو مصدق في ذلك ، فإذا قال عن نفسه إن الثاني هو الذي من عند الله وهو الناسخ وإن ذلك المرفوع الذي نسخه الله ليس كذلك ، كان أدل على اعتماده للصدق وقوله الحق . وهذا كما قالت عائشة رضي الله عنها :

لو كان كان محمداً كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية :

﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشٰه ﴾ [2].

ألاَ ترى أن الذي يعظم نفسه بالباطل يريد أن ينصر كل ما قاله ولو كان خطأ ، فبيان الرسول ﷺ أن الله أحكم آياته ونسخ ما ألقاه الشيطان هو أدل على تحريه للصدق وبراءته من الكذب ، وهذا هو المقصود بالرسالة فإنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم تسليماً ، ولهذا كان تكذيبه كفراً محضاً بلا ريب » [3].

وقد رجح الآمدي الرأي المنقول عن السلف ، وقد احتج به على القائلين بعدم جواز صدور الكبيرة من الأنبياء سهواً بعد البعثة ، وهذه الحجة هي الحجة الثامنة عشرة من أصل عشرين حجة استدل بها الآمدي على المخالفين وفي ذلك يقول :

---

(1) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (١٠/٢٩١-٢٩٢) .

(2) سورة الأحزاب – آية : ٣٧ .

(3) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (١٠/٢٩٢) .

الحجة (الثامنة عشرة ما روى الثقات من أهل التفسير كابن عباس والحسن وغيرهما أن النبي عليه السلام كان يصلي يوماً بمكة بقوله تعالى :

﴿ أفرأيتم اللّٰت والعزى ومنٰوة الثالثة الأخرىٰ ﴾ (1).

فتمنى في نفسه شيئاً كما تمنى الناس فألقى الشيطان على لسانه فإنهن عند الله من الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجي وإن قريشاً لما سمعت ذلك سرت به وقالوا أنا نسمعه يذكر آلهتنا بخير فنزل عليه جبريل معاتباً ، وقال له تلوت على الناس ما لم آتك به ، فحزن لذلك حزناً شديداً فنزل قوله تعالى مسلياً له بقوله :

﴿ ومآ أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطٰن في أمنيته . فينسخ الله ما يلقى الشيطٰن ﴾ (2).

ولا يخفى أن الإخبار عن اللات والعزى بأنهن من الغرانيق العلى أي الملائكة وإن شفاعتهن لترتجى كذب ، والكذب عند الخصوم غير جائز على الأنبياء عمداً وسهواً » (3).

الموقف من قصة الغرانيق :

إن هذه القصة قد ذكرها المفسرون عند قوله تعالى :

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطٰن . ثم يحكم الله ءايٰته . والله عليم حكيم ﴾ (4).

وقد اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى :

﴿ تمنى ﴾ و ﴿ أمنيته ﴾ ، وأحسن ما قيل في ذلك أن ﴿ تمنى ﴾ من « الأمنية » وهي التلاوة ، كما قال الشاعر في عثمان رضي الله عنه تعالى عنه حين قتل :

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

---

(1) سورة النجم آية : ١٩ .
(2) سورة الحج – آية : ٥٢ .
(3) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٥٤/٢ ق ب) .
(4) سورة الحج – آية : ٥٢ .

وعليه جمهور المفسرين والمحققين ، وحكاه ابن كثير عن أكثر المفسرين[1] بل عزاه ابن القيم إلى السلف قاطبة فقال عليه رحمة الله :

« والسلف كلهم على أن المعنى إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته » [2].

وقال القرطبي في تفسيره :

« وقد قال سليمان بن حرب : إن « في » بمعنى عند أي : ألقى الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة النبي ﷺ كقوله عز وجل :

﴿ ولبثت فينا ﴾[3] ، أي عندنا ، وهذا هو معنى ما حكاه ابن عطية عن أبيه عن علماء الشرق وإليه أشار القاضي أبو بكر بن العربي » [4].

وما حكاه القرطبي هو اختيار الإمام ابن جرير الطبري ، حيث قال بعد ما رواه عن جماعة من السلف :

« وهذا القول أشبه بتأويل الكلام بدلالة قوله :

﴿ فينسخ الله ما يلقى الشيطـٰن . ثم يحكم الله ءايـٰته ﴾ على ذلك لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها لا شك أنها آيات تنزيله ، فمعلوم بذلك أن الذي ألقى فيه الشيطان ، هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله ، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه ، فتأويل الكلام إذن : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاّ إذا تلا كتاب الله وقرأ أو حدث وتكلم ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه أو في حديثه الذي حدث وتكلم فينسخ الله ما يلقي الشيطان بقوله تعالى : فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك ، على لسان نبيه ويبطله » [5].

---

(١) انظر ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (٢٣٠/٣) .

(٢) انظر ابن القيم – إغاثة اللهفان – (٩٣/١) .

(٣) سورة الشعراء – آية : ١٨ .

(٤) القرطبي – الجامع لإحكام القرآن – (٨٣/١٢) .

(٥) ابن جرير الطبري – جامع البيان – (١٩٠/١٧) دار الفكر – بيروت – ١٤٠٨ هـ .

هذا هو المعنى المراد من هذه الآية الكريمة ، وهي كما يلاحظ ليس فيها إلاّ أن الشيطان يلقي عند تلاوة النبي ﷺ ما يفتتن به الذي في قلوبهم مرض ، وليس في ذلك المعنى أمراً لا يليق بمقام النبوة والرسالة أو أمراً يجب فيه تنزيه الرسول مما يتنافى مع عصمته عليه الصلاة والسلام ، بخلاف تلك القصة التي حكم بضعفها بل وضعها غير واحد من السلف منهم الحافظ البزار والبيهقي وابن خزيمة[1] حيث سئل الإمام ابن خزيمة عن هذه القصة ؟ فقال :

« هذا من وضع الزنادقة » نقل ذلك الفخر الرازي في تفسيره ، وكذلك الشوكاني ، وقد استعرض الحافظ ابن كثير روايات هذه القصة وانتهى إلى تضعيفها ، وفي ذلك يقول [2] :

« ولكنها من طرق كلها مرسلة ، و لم أرها مسندة من وجه صحيح » [3].

ومن المتأخرين علامة الشام محمد ناصر الدين الألباني حيث حكم على هذه القصة بالوضع بعد دراسة متسفيضة ، وتطرق في دراسته لنقد سند القصة ومتنها ويحسن أن نذكر طرفاً منها :

« تلك هي روايات القصة ، وهي كلها كما رأيت معلة بالإرسال ، والضعف والجهالة ، فليس فيها ما يصلح للاحتجاج به ، ولا سيما في مثل هذا الأمر الخطير ، ثم إن مما يؤكد ضعفها بل بطلانها ، ما فيها من الاختلاف والنكارة مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة ، وإليك البيان :

أولاً : في الروايات كلها ، أو جلها ، أن الشيطان تكلم على لسان النبي ﷺ بتلك الجملة الباطلة التي تمدح أصنام المشركين ، « تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى » .

---

(١) محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة ، الحافظ الحجة شيخ الإسلام أبوبكر النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف الشهيرة منها كتاب التوحيد وكتاب الإيمان ، ولد سنة ٢٢٣ هـ ، وعني في حداثته بالحديث والفقه حتى صار يضرب به المثل ولقب بإمام الأئمة ، سمع من خلق كثير وأخذ منه خلق كثير ، توفي سنة ٣١١ هـ عليه رحمة الله .

انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٣٦٥/١٤) ، وتذكرة الحفاظ – (٧٢٠/٢) .

(٢) انظر الرازي– التفسير الكبير –(٤٤/٢٣) وما بعدها ، والشوكاني –فتح القدير–(٤٦١/٣–٤٦٢).

(٣) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (٢٣٩/٣–٢٤١) – طبعة دار المعرفة – ١٤١٣ هـ .

ثانياً : وفي بعضها كالرواية الرابعة « والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاء به عن ربهم ولا يتهمونه على خطأ ولا وهم » ففي هذا أن المؤمنين سمعوا ذلك منه ﷺ ، ولم يشعروا بأنه من القاء الشيطان ، بل اعتقدوا أنه وحي الرحمن !! بينما تقول الرواية السادسة « ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان » فهذه خلاف تلك .

ثالثاً : وفي بعضها كالرواية (١و٤و٧و٩) : أن النبي ﷺ بقي مدة لا يدري أن ذلك من الشيطان ، حتى قال له جبريل :

« معاذ الله ! لم آتك بهذا ، هذا من الشيطان !! » .

رابعاً : وفي الرواية الثانية أنه ﷺ سهى حتى قال ذلك ! فلو كان كذلك ، أفلا ينتبه من سهوه ؟ !

خامساً : في الرواية العاشرة الطريق الرابع : أن ذلك ألقى عليه وهو يصلي !!

سادساً : وفي الرواية (٤و٥و٩) أنه ﷺ تمنى أن لا ينزل عليه شيء من الوحي يعيب آلهة المشركين ، لئلا ينفروا عنه !! ....

سابعاً : وفي الرواية (٤و٦و٩) أنه ﷺ قال عندما أنكر جبريل ذلك عليه : « افتريت على الله ، وقلت على الله مالم يقل ، وشركني الشيطان في أمر الله !! » .

فهذه طامات يجب تنزيه الرسول منها لاسيما هذا الأخير منها فأنه لو كان صحيحاً لصدق فيه ، عليه الصلاة والسلام ، - وحاشاه - قوله تعالى :

﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ الآية الحاقة : ٤٤ - ٤٦ .

فثبت مما تقدم بطلان هذه القصة سنداً ومتناً . والحمد لله على توفيقه وهدايته »[1] .

---

(١) ناصر الدين الألباني - نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق - (ص ١٨ - ١٩) - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

وعليه فإن القول بثبوت تفاصيل تلك القصة ، فيه مساس بجانب العصمة من الطامات ما يجب تنزيه المصطفى عليه الصلاة والسلام عنه ، وللعلم فإن القائلين بصحة القصة من السلف يقولون بأن قوله : « تلك الغرانيق العلى ... » لم يلفظ به الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإنما ألقاه الشيطان في أسماعهم عند تلاوته ، وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام وإن كان عليه رحمة الله يقول بثبوت القصة [1] .

والخلاصة أن السلف منهم من قال بعدم صحة القصة المذكورة ، نقل ذلك عنهم الطبري عليه رحمة الله ، وكذلك ابن كثير ، وقد تقدم أن ذلك هو قول جمهور المفسرين والمحققين[2] ، ومن هولاء إمام الأئمة ابن خزيمة .

وأما القسم الثاني من السلف وهم القائلون بصحة القصة فإنهم قالوا أن تلك اللفظة المنكرة ليست من لفظ النبي عليه الصلاة والسلام وإنما ألقاها الشيطان في مسامع الكفار عند تلاوته ﷺ .

المسألة الثانية : العصمة من الكبائر وما فحش من الذنوب .

السلف متفقون على عصمة الأنبياء من الكبائر وما فحش من الذنوب وهذا هو قول أكثر علماء الإسلام من المتكلمين والمحدثين والفقهاء وجميع الطوائف .

قال شيخ الإسلام :

« فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر ، هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف ، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكر « أبو الحسن الآمدي » أن هذا قول أكثر الأشعرية ، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول »[3] .

وقد تقدم معنا أن المعتزلة قد اتفقوا على ذلك ، وقد نقل عنهم ذلك أبو الحسن الأشعري حيث قال :

(١) انظر شيخ الإسلام - مجموع الفتاوى - (٢٨٢/٢) .
(٢) انظر (ص ٤٠٢) وما بعدها .
(٣) ابن تيمية - مجموع الفتاوى - (٣١٩/٤) .

« وأجمعت – أي المعتزلة – أن معاصي الأنبياء لا تكون إلا صغاراً »[1].

وحكى القاضي عياض إجماع المسلمين على ذلك فقال :

« أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات »[2].

قال الشوكاني في تفسيره عند تأويله لقوله تعالى على لسان إخوة يوسف :

﴿ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صٰلحين ﴾[3].

« وفي هذا دليل على أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء ، فإن الأنبياء لا يجوز عليهم التواطؤ على القتل ظلماً وبغياً .

وقيل كانوا أنبياء وكان ذلك منهم زلة قدم ، أوقعهم فيها إلتهاب نار الحسد في صدورهم واضطرام جمرات الغيظ في قلوبهم .

ورد بأن الأنبياء معصومون عن مثل هذه المعصية الكثيرة المتبالغة الكبر مع ما في ذلك من قطع الرحم وعقوق الوالد وافتراء الكذب .

وقيل أنهم لم يكونوا في ذلك الوقت أنبياء بل صاروا أنبياء من بعد »[4].

وقال في إرشاد الفحول :

« ذهب الأكثر من أهل العلم إلى عصمة الأنبياء بعد النبوة من الكبائر ، وقد حكى القاضي أبوبكر إجماع المسلمين على ذلك ، وكذا حكاه ابن الحاجب وغيره من متأخري الأصوليين »[5].

ومن خلال ما نقلناه من نصوص عن شيخ الإسلام وغيره من العلماء ، يتضح لنا غلط الآمدي وغيره من المتكلمين في نسبتهم إلى أهل السنة والجماعة القول بعدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الكبائر بعد النبوة[6].

---

(١) أبو الحسن الأشعري – مقالات الإسلاميين – (٢٩٧/١) .

(٢) القاضي عياض – الشفا بتعريف حقوق المصطفى – (٣٣٧/٢) .

(٣) سورة يوسف – آية : ٩ .

(٤) الشوكاني – فتح القدير – (٨/٣) .

(٥) الشوكاني – إرشاد الفحول – (١٥٩/١) تحقيق د/ شعبان محمد إسماعيل – دار الكتبي – الطبعة الأولى – ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .

(٦) انظر (ص ٣٨٥) .

المسألة الثالثة : العصمة من الصغائر :

ذهب أهل السنة والجماعة إلى القول بعدم عصمة الأنبياء من الصغائر ، فالأنبياء والرسل يجوز أن تصدر منه الصغائر ، ولكنهم لا يقرون عليها بل يتداركها الله عليهم بأن ييسر لهم التوبة والرجوع والإنابة إليه والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لا يؤخرون التوبة ، بل يسارعون إليها ، ويسابقون إليها ، لايؤخرون ولا يصرون على الذنب ، بل هم معصومون من ذلك [(١)].

وهذا القول أعني عدم العصمة من الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام ، فهو قول أكثر أهل الكلام ، وأكثر أهل التفسير ، والحديث ، والفقهاء ، وقد ذكر شيخ الإسلام أنه لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم ، إلاّ ما يوافق هذا القول [(٢)].

قال شيخ الإسلام :

« وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ولا يقرون عليها ، ولا يقولون إنها لا تقع بحال » [(٣)].

وقال القاضي عياض :

« وأما الصغائر ... فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء ، وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين » [(٤)].

وقد استدل جماهير العلماء على دعواهم بأدلة منها :

١- معصية آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها ، قال تعالى :

﴿ وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلاّ إبليس أبىٰ . فقلنا يـادم إن هذا عدوٌّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . إن لك ألاّ تجوع

(١) انظر شيخ الإسلام - مجموع الفتاوى - (٣٠٩/١٠) .
(٢) المصدر السابق - (٣١٩/٤) .
(٣) المصدر السابق - (٣٢٠/٤) .
(٤) القاضي عياض - الشفا - (٣٢٨/٢) .

فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأُ فيها ولا تضحى فوسوس إليه الشيطـٰن قال يـٰـادم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى ءادم ربه فغوى ﴾[1].

والآية في غاية الوضوح والدلالة على المراد فقد صرحت بعصيان آدم ربه .

٢- ونوح عليه الصلاة والسلام دعا ربه في ابنه الكافر ، قال تعالى :

﴿ ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحـٰكمين ﴾[2].

فلامه ربه سبحانه على مقالته هذه ، وأعلمه أنه ليس من أهله ، وأن هذا منه عمل غير صالح ، قال تعالى :

﴿ قال يـٰنوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صـٰلح فلا تسئلنِ ما ليس لك به علم . إني أعظك أن تكون من الجـٰهلين ﴾[3].

فاستغفر ربه من ذنبه وتاب وأناب ، قال تعالى :

﴿ قال رب إني أعوذ بك أن أسئلك ما ليس لي به علم وإلاَّ تغفر لي وترحمنيٓ أكن من الخـٰسرين ﴾[4].

والآية صريحة في كون ما وقع منه كان ذنباً يحتاج إلى مغفرة لقوله تعالى : ﴿ وإلاَّ تغفر لي وترحمني ﴾ .

٣- وموسى عليه الصلاة والسلام أراد نصرة الذي من شيعته فوكز خصمه القبطي فقضى عليه ، قال تعالى :

﴿ قال هذا من عمل الشيطـٰن إنه عدوٌ مضلٌ مبين قال ربِّ إنِّي ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴾[5].

فقد اعترف موسى بظلمه لنفسه ، وطلب من الله أن يغفر له ، وأخبر الله بأنه غفر له .

(١) سورة طه – آية : ١١٦-١٢١ .
(٢) سورة هود – آية : ٤٥ .
(٣) سورة هود – آية : ٤٦ .
(٤) سورة هود – آية : ٤٧ .
(٥) سورة القصص – آية : ١٥-١٦ .

٤- وداود عليه الصلاة والسلام تسرع في الحكم قبل سماع قول الخصم الثاني فأسرع إلى التوبة فغفر الله له ذنبه ، قال تعالى :

﴿ فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب . فغفرنا له ذلك ﴾ (1).

٥- ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام عاتبه ربه في أمور منها قوله تعالى :

﴿ يـأيها النبي لم تحرم ما أحـل الله لـك تبتغي مرضـات أزوٰجـك والله غفور رحيم ﴾ (2).

نزلت بسبب تحريم الرسول عليه الصلاة والسلام العسل على نفسـه ، أو تحريم مارية القبطية(3) .

وعاتبه ربه بسبب عبوسه في وجه الأعمى ابن أم مكتوم(4) ، وانشغاله عنه بطواغيت الكفر يدعوهم إلى الله ، والإقبال على الأعمى الراغب فيما عند الله هو الذي كان ينبغي أن يكون من الرسـول عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى :

﴿ عبس وتولىّ أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعـه الذكرى ﴾(5) .

وقبل الرسول ﷺ من أسرى بدر الفدية فأنزل الله تعالى :

﴿ لولا كتـٰبٌ من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذابٌ عظيم ﴾(6) .

ومن السنة استدلوا بالأحاديث التي فيها تصريح بالتوبـة والاستغفار من النبي عليه الصلاة والسلام وهي كثيرة جداً نقتصر منها على الآتي :

---

(1) سورة ص – آية : ٢٤-٢٥ .

(2) سورة التحريم – آية : ١ .

(3) مارية بنت شمعون القبطية أم المؤمنين ، من سراري النبي ﷺ أهداها له المقوقس ملك مصر أم إبراهيم ، توفيت في خلافة عمر رضي الله عنه بالمدينة .

انظر ابن الأثير – أسد الغابة – (٢٦١/٧) ، وابن سعد – الطبقات الكبرى – (١٥٣/٨-١٥٦) .

(4) عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم ضرير البصر أسلم بمكة ، وهاجر بعد بدر وكان يؤذن لرسول الله ﷺ مع بلال ، قاتل بالقادسية وهو أعمى ورجع إلى المدينة وبها توفي .

انظر ابن حجر – الإصابة – (٨٣/٧) تحقيق طه الزيني .

(5) سورة عبس – آية : ١-٤ .

(6) سورة الأنفال – آية : ٦٨ .

١- عن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ أنه كان يدعو:

« اللهم أغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني اللهم أغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير »[١].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

« كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة، فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله اسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقي الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد »[٢].

٣- وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

« كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن »[٣].

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

« كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده: اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، أوله وآخره، وعلانيته وسره، وقليله وكثيره »[٤].

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الدعوات - باب قول النبي ﷺ اللهم اغفر ما قدمت وما أخرت - (١٦٦/٧)، ومسلم في صحيحه - كتاب الذكر والدعاء - باب التعوذ من شر ما عمل - (٨١/٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأذان - باب ما يقول بعد التكبير - (١٨١/١)، ومسلم في صحيحه - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة - (٩٨/٢ - ٩٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأذان - باب التسبيح والدعاء في السجود - (١٩٩/١)، ومسلم في كتاب الصلاة - باب ما يقال في الركوع - (٥٠/٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الصلاة - باب ما يقال في الركوع والسجود - (٥٠/٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الدعوات - باب استغفار النبي عليه الصلاة والسلام في اليوم والليلة - (١٤٥/٧).

هذه أمثلة اكتفينا بذكرها عن غيرها ، وإلا فقد ورد في القرآن مغاضبة يونس لقومه ، وخروجه من قومه من غير إذن من ربه ، وما صنعه أولاد يعقوب بأخيهم يوسف في إلقائه في غيابة الجب ، ثم أوحى الله إليهم وجعلهم أنبياء ، « ونصوص الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة متظاهرة والآثار في ذلك عن الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين كثيرة »[١] .

ثم بين شيخ الإسلام أنه لا يوجد دليل للذين يثبتون العصمة من الصغائر والعصمة من التوبة من الذنوب وفي ذلك يقول :

« والقائلون بعصمة الأنبياء من التوبة من الذنوب ، ليس لهم حجة من كتاب الله وسنة رسوله ، ولا لهم إمام من سلف الأمة وأئمتها ، وإنما مبدأ قولهم من أهل الأهواء كالروافض والمعتزلة ، وحجتهم آراء ضعيفة من جنس قول الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم »[٢] .

ثم بين شيخ الإسلام شبهة القائلين بالعصمة ، وأنها تمثلت بما يلي :

الشبهة الأولى : أن الله أمر باتباع الرسل والتأسي بهم ، قال تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾[٣] .

وهذا شأن كل رسول ، والأمر بإتباع الرسول يستلزم أن تكون اعتقاداته وأفعاله وأقواله جميعها طاعات لا محالة ، لأنه لو جاز أن يقع من الرسول معصية لله تعالى لحصل تناقض في واقع الحال ، إذ يقتضي أن يجتمع في هذه المعصية التي وقعت من الرسول الأمر بإتباعها وفعلها من حيث كوننا مأمورين بالتأسي بالرسول ﷺ ، والنهي عن موافقتها من حيث كونها معصية منهي عنها ، وهذا تناقض ، فلا يمكن أن يأمر الله عبداً بشيء في حال أنه ينهاه عنه[٤] .

---

(١) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣١٣/١٠) ، ولمزيد من الأدلة انظر (٣٠٩/١٠ – ٣١٦) من مجموع الفتاوى ، وجامع الرسائل – (٢٢١/١ – ٢٢٦ ، ٢٧٦ – ٢٧٩) ، والآمدي – أبكار الأفكار – (١٤٢/٢ ق ب – ١٥٦ ق ب) ، وقد أورد الآمدي أدلة كثيرة على جواز صدور الصغائر من الأنبياء بعد البعثة ، حيث بلغت أكثر من عشرين دليلاً .

(٢) ابن تيمية – جامع الرسائل – (٢٧٦/١) .

(٣) سورة الأحزاب – آية : ٢١ .

(٤) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٢٩٣/١٠) .

وقد بين شيخ الإسلام أن اعتراضهم هذا غير صحيح بل هو في غاية الضعف واعتراضهم هذا قد تكون له وجهة ، لو بقيت معصية الرسول خافية غير ظاهرة بحيث تختلط علينا الطاعة بالمعصية ، وأمّا وأن الله ينبه رسله وأنبياءه إلى ما وقع منهم من مخالفات ويوفقهم إلى المسارعة للتوبة منها ، من غير تأخير فإن ما أوردوه لا يصلح دليلاً « والإقتداء إنما يكون بما استقر عليه الأمر ، فأما المنسوخ والمنهي عنه والمتوب منه فلا قدوة فيه بالإتفاق .

فإذا كانت الأقوال المنسوخة لا قدوة فيها ، فالأعمال التي لم يقر عليها أولى بذلك »[1] .

الشبهة الثانية :

أن هؤلاء توهموا أن الذنوب تنافي الكمال ، وأنها تكون نقصاً وإن تاب التائب منها[2] ، أو أنها توجب التنفير ، وعدم السكون إليهم .

وهذا منشأ غلطهم فمن ظن أن صاحب الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصاً فهو غالط غلطاً عظيماً ، فإن التوبة تغفر الحوبة ، ولا تنافي الكمال ولا يتوجه إلى صاحبها اللوم ، بل إن العبد في كثير من الأحيان يكون بعد توبته من معصيته خيراً منه قبل وقوع المعصية ، وذلك لما يكون في قلبه من الندم والخوف والخشية من الله تعالى ، ولما يجهد به نفسه من الاستغفار والدعاء ، ولما يقوم به من صالح الأعمال يرجو بذلك أن تمحو الحسنات السيئات ، وقد قال بعض السلف :

« كان داود عليه السلام بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة »[3] .

وقال آخر :

« لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه »[4].

(١) ابن تيمية – جامع الرسائل – (٢٧٦/١) ، وانظر مجموع الفتاوى – (٢٩٣/١٠) .

(٢) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٢٩٣/١٠ ، ٣٠٩) ، والآمدي – أبكار الأفكار – (١٥٧/٢ ق أ – ١٥٩ ق ب) حيث أورد ما يزيد على العشرة شبه للقائلين بالعصمة عن الصغائر ورد عليها ، ومنها هذه الشبهة .

(٣) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٢٩٤/١٠) .

(٤) المصدر السابق .

وقد ثبت في الصحيحين :

« لله أفرح بتوبة أحدكم من رجل خرج بأرض دوية مهلكة ، معه راحلته عليها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه ، فأضلها ، فخرج في طلبها حتى إذا ادركه الموت و لم يجدها ... فغلبته عينه ، فاستيقظ فإذا راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه »[1] .

وقال تعالى :

﴿ إن الله يحب التوٰبين ويحب المتطهرين ﴾[2] .

وقال تعالى مبيناً مثوبة التائبين :

﴿ إلاّ من تاب وءامن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنٰت ﴾[3] .

ومعلوم أنه لم يقع ذنب من نبي إلا وقد سارع إلى التوبة والاستغفار يدلنا على هذا أن القرآن لم يذكر ذنوب الأنبياء إلا مقرونة بالتوبة والاستغفار ، فآدم وزوجه عصيا فبادرا بالتوبة قائلين :

﴿ ربنا ظلمنآ أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخٰسرين ﴾[4].

وما كادت ضربة موسى تسقط القبطي قتيلاً حتى سارع طالباً الغفران والرحمة :

﴿ رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ﴾[5] .

وداود ما كاد يشعر بخطيئته حتى خر راكعاً مستغفراً :

﴿ فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب ﴾[6] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الدعوات – باب التوبة – (١٤٦/٧) ، ومسلم في صحيحه – كتاب التوبة – باب في الحض على التوبة والفرح بها – (٩٢/٨) .

(٢) سورة البقرة – آية : ٢٢٢ .

(٣) سورة الفرقان – آية : ٧٠ .

(٤) سورة الأعراف – آية : ٢٣ .

(٥) سورة القصص – آية : ١٦ .

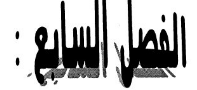
(٦) سورة ص – آية : ٢٤ .

فالأنبياء لا يقرون على الذنب ، ولا يؤخرون التوبة ، فالله عصمهم من ذلك ، وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها[1] .

وهاتان الشبهتان هما أهم شبه مدعي العصمة عن الصغائر ، وقد ذكر الآمدي معظم شبههم وقام بالرد عليها[2] ، وليس هذا بمحال إيرادها والرد عليها ، فالمقصود يحصل بدحض أهمها ، وقد حصل ولله الحمد والمنة ، وحسب المؤمن بالأدلة الواضحة البينة التي تهدي للتي هي أقوم .

(١) انظر ابن تيمية - مجموع الفتاوى - (١٠/٢٩٣ - ٢٩٦) ، والدكتور عمر الأشقر - الرسل والرسالات - (ص ١١٠ - ١١١) .

(٢) انظر الآمدي - أبكار الأفكار - (٢/١٥٧ ق أ - ١٥٩ ق ب) .



تفاضل الأنبياء والملائكة

وفيه مبحثان

المبحث الأول : تفاضل الأنبياء والملائكة عند الآمدي

المبحث الثاني : موقف أهل السنة والجماعة

المبحث الأول :

تفاضل الأنبياء والملائكة عند الآمدي

المبحث الأول : تفاضل الأنبياء والملائكة عند الآمدي :

لقد تعرض أبو الحسن الآمدي لقضية التفضيل بين الأنبياء والملائكة حيث عقد لهذه المسألة فصلاً كاملاً وهو الفصل الثاني من الأصل السادس : فيما قيل في عصمة الملائكة والتفضيل بينهم وبين الأنبياء .

وقد ناقش الآمدي فيه الأقوال والمذاهب مستعرضاً أدلة كل فريق مبيناً أوجه الاحتجاج بها ، وقد حصر الخلاف في هذه المسألة بين طائفتين اثنتين لا غير ، طائفة تقول أن الملائكة أفضل من الأنبياء واستدلت على ذلك بأدلة ، أسهب الآمدي في ذكرها وتعقبها ، وهؤلاء هم المعتزلة والفلاسفة وبعض الأشاعرة كالقاضي أبي بكر الباقلاني والحليمي[1] والرازي[2].

أما الطائفة الأخرى وهم أهل السنة وأكثر الأشاعرة والشيعة ، فقد ذهبوا إلى القول بتفضيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الملائكة[3].

قال الآمدي :

« الفصل الثاني : في ما قيل في التفضيل بين الملائكة والأنبياء عليهم السلام ، مذهب أكثر أئمتنا والشيعة وأكثر الناس أن الأنبياء عليهم السلام أفضل من الملائكة ، وذهبت الفلاسفة والمعتزلة والقاضي أبو بكر من أصحابنا إلى أن الملائكة أفضل من الأنبياء »[4].

---

(١) الحسين بن الحسن بن محمد ، أبو عبد الله الحليمي ، فقيه شافعي ، قاض ، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر ، مولده بجرجان سنة ٣٣٨ هـ ، ووفاته ببخارى سنة ٤٠٣ هـ وإليهما ينسب .

انظر الزركلي - الأعلام - (٢/٢٣٥) .

(٢) انظر الآمدي - أبكار الأفكار - (٢/١٦١ ق ب) ، والرازي - معالم أصول الدين - (ص ١٠١) طبع مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - مصر ، والإيجي - المواقف - (ص ٣٦٧) ، والتفتازاني - شرح المقاصد - (٥/٦٥) ، والبغدادي - أصول الدين - (ص ٢٩٥) .

(٣) انظر المصادر السابقة .

(٤) الآمدي - أبكار الأفكار - (٢/١٦١ ق ب) ، وقارن البغدادي - أصول الدين - (ص ٢٩٥) ، والإيجي - المواقف - (ص ٣٦٧) ، والتفتازاني - شرح المقاصد - (٥/٦٥) ، والبيضاوي - طوالع الأنوار - (ص ٢١٦) ، والبيجوري - شرح الجوهرة التوحيد - (ص ١٣١) .

وتبعاً للمنهج الذي سلكه الآمدي في الفصل المذكور فسوف أقوم بعرض قول الجمهور أولاً ، ثم أعرض لرأي المعتزلة وأدلتهم ثم أتبعها مناقشة الآمدي لها ، وفي الختام أبين رأي أبي الحسن الآمدي الذي ارتضاه فيها وفيما يلي أدلة كل فريق :

أولاً : أدلة الجمهور :

١- قوله تعالى :

﴿ وإذ قلنا للملٰئكة اسجدوا لأدم ﴾ [(١)].

٢- قوله تعالى :

﴿ إني خٰلق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له سٰجدين ﴾ [(٢)].

قالوا : « أمرهم بالسجود له مع أن السجود من أعظم أنواع الخدمة والتذلل بين يدي المسجود له ، يدل على أن آدم عليه السلام أفضل عند الله من الملائكة » [(٣)].

لم يذكر الآمدي للقائلين بتفضيل الأنبياء على الملائكة سوى هذين الدليلين ، وقد ذكر شيخ الإسلام لهم أكثر من ذلك كما سيتضح لنا في المبحث الثاني عند عرض قول أهل السنة والجماعة [(٤)].

ثانياً : أدلة المعتزلة :

استدل القائلون بأفضلية الملائكة على الأنبياء بخمسة عشر دليلاً ذكرها الآمدي عنهم وهي كالتالي :

١- قال تعالى :

﴿ ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ﴾[(٥)] .

---

(١) سورة البقرة – آية : ٣٤ .

(٢) سورة ص – آية : ٧١ – ٧٢ .

(٣) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦١/٢ ق أ) .

(٤) لمزيد من الأدلة انظر الإيجي – المواقف – (ص ٣٦٧) ، والتفتازاني – شرح المقاصد – (٦٥/٥-٧٦) ، والبيضاوي – طوالع الأنوار .

(٥) سورة الأنبياء – آية : ١٩ .

قالوا بأن الله وصف الملائكة بأنهم عنده ، وهذا فيه مزية وفضيلة في الرتبة عن غيرهم ، ووصفهم أيضاً بعدم الاستكبار عن عبادته وذلك دليل مزيتهم وعلو مرتبتهم بالنسبة إلى البشر ، فإنهم لو كانوا مساوين لهم أو أنقص منهم لما حسن هذا الاستدلال [(1)].

٢- « أن عبادات الملائكة أشق من عبادات البشر فكان ثوابها أكثر ولا معنى لكونهم أفضل غير أن ثوابهم أكثر ، وبيان أن عبادتهم أشق أنها مستمرة متصلة لا يلحقها انقطاع ولا فتور كغفلة ونوم وغيره لقوله تعالى :

﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ [(2)].

« وأنها أكثر لطول أعمار الملائكة بالنسبة إلى أعمار البشر وما كان كذلك فهو لا محالة أشق ، وأما أن ثوابهم أكثر للنص والمعنى .

أما النص لقوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها :

« ثوابك على قدر نصبك » .

وأما المعنى فهو أن زيادة المشقة لو لم تقتضي زيادة الثواب لكان التكليف بها وتحملها خالٍ عن المقصود متجرداً عن الحكمة وهو ممتنع » [(3)].

٣- أن عبادات الملائكة أسبق من عبادات البشر لا محالة ، والسابق إلى العبادة أفضل من المسبوق لقوله تعالى :

﴿ والسبقون السبقون أولئك المقربون ﴾ [(4)].

٤- إن اشتغال الملائكة بالعبادة أتم غير منقطع على ما سبق وذلك لا يقع معه الإقدام إلى المعصية ، والأنبياء وإن كانوا معصومين من الكبائر فغير معصومين من الصغائر كما سبق ، فكانت الملائكة لذلك أتقى ، والأتقى أفضل لقوله تعالى :

(1) انظر الآمدي - أبكار الأفكار - (١٦٢/٢ ق أ) ، قارن التفتازاني - شرح المقاصد - (٦٧/٥) ، والبيضاوي - طوالع الأنوار - (ص ٢١٨) .

(2) سورة الأنبياء - آية : ٢٠ .

(3) الآمدي - أبكار الأفكار - (١٦٢/٢ ق أ) .

(4) سورة الواقعة - آية : ١٠-١١ .

﴿ إن أكرمكم عند الله أتقٰكم ﴾ (١).

٥- قال تعالى :

﴿ يوم يقوم الروح والملٰئكة صفاً لا يتكلمون ﴾ (٢).

وقوله تعالى :

﴿ وترى الملٰئكة حافين من حول العرش ﴾ (٣).

« ووجه الاحتجاج به أنه إنما ذكر ذلك للتنبيه على عظمة الله تعالى وجلاله وعلو شأنه ولو كان ثم من هو أفضل من الملائكة لكان ذكره في هذا المقام أولى »(٤).

٦- قوله تعالى خطاباً لجملة البشر :

﴿ وإن عليكم لحٰفظين كراماً كٰتبين ﴾ (٥).

« ووجه الاحتجاج به أنه جعل الملائكة حفظة للبشر عن المعاصي والحافظ عن المعصية لابد وأن يكون أبعد عنها عن المحفوظ فيكون أفضل من المحفوظ ، وأنه جعل كتابتهم حجة للبشر وعليهم ولو كان البشر أفضل منهم لكان الأمر بالعكس » (٦).

٧- قوله تعالى :

﴿ ءامن الرسول بمآ أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بـا لله وملٰـئكته وكتبه ورسله ﴾ (٧).

« ووجه الاحتجاج به أنه ابتداء بنفسه ثم بملائكته ثم بكتبه ثم برسله والتقديم في الذكر دليل على التقـدم في الشرف والفضيلة عرفاً وعـادةً ، ولهذا وقع الشارع في عهد رسول الله ﷺ لما كتب كتاب الصلح بينه وبـين المشركين في تقديم اسمه .

---

(١) سورة الحجرات - آية : ١٣ .

(٢) سورة النبأ - آية : ٣٨ .

(٣) سورة الزمر - آية : ٧٥ .

(٣) الآمدي - أبكار الأفكار - (٢/١٦٢ ق أ) .

(٥) سورة الانفطار - آية : ١٠ .

(٦) الآمدي - أبكار الأفكار - (٢/١٦٢ ق أ) .

(٧) سورة البقرة - آية : ٢٨٥ .

وقال عمر للشاعر القائل :

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

لو قدمت الإسلام لاعطيتك ، وذلك يدل على فضيلة المتقدم والأصل في العرف الشرعي أن يكون على وفق العرف العادي وفي معنى هذه الآية قوله تعالى :

﴿ الله يصطفى من الملٰئكة رسلاً ومن الناس ﴾[1] »[2].

٨- أن الملائكة أعلم من الأنبياء ، فكانوا أفضل منهم لقوله تعالى :

﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[3].

قالوا :

« وبيان أن الملائكة أعلم إمـا بالنسبة إلى ذات الله أو صفاته ومخلوقاته العلوية والسفلية فلإنهم أطول أعماراً وأكثر مشاهدة لها من الأنبياء .

وأما بالنسبة إلى الأمور السفلية والقضايا الشرعية فلأنهم عالمون بجملتها ، وأن ما يحصل الأنبياء من العلم بها إنما هو بوساطة الوحي وتبليغ الملائكة لهم ذلك ، ولها قال تعالى في حق محمد عليه الصلاة والسلام :

﴿ علمه شديد القوى ﴾[4].

أي : جبريل ، والمعلم لابد وأن يكون أعلم من المتعلم »[5].

٩- قوله تعالى في حق جنس الإنس :

﴿ وفضلنٰهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾[6].

قال ذلك « يدل بمفهومه على أنهم ليسوا أفضل من جميع المخلوقات ، ومن المعلوم أنهم أفضل من جميع الجمادات والحيوانات العجماوات ، والجن والشياطين ، فلو كانوا أفضل من الملائكة لكانوا أفضل من جميع المخلوقات

(١) سورة الحج - آية : ٧٥ .

(٢) الآمدي - أبكار الأفكار - (١٦٢/٢ ق ب) .

(٣) سورة الزمر - آية : ٩ .

(٤) سورة النجم آية : ٥ .

(٥) الآمدي - أبكار الأفكار - (١٦٢/٢ ق ب) .

(٦) سورة الإسراء - آية : ٧٠ .

وهو خلاف مفهوم الآية [1].

١٠ – قوله تعالى :

﴿ ينزل الملٰئكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ [2].

وقوله تعالى :

﴿ جاعل الملٰئكة رسلاً ﴾ [3].

ووجه الاحتجاج بهذه الآيات « أنه قضى بكون الملائكة رسلاً وإنما يكونون رسلاً إلى الأنبياء ، والنبي إنما يكون رسولاً إلى من ليس بنبي ولا يخفى أن الرسول إلى أمة هم الرسل ، يكون أفضل من رسول إلى أمة ليسوا برسل ، ولا فيهم رسول » [4].

١١– قوله تعالى في حق يوسف على لسان النسوة :

﴿ ما هٰذا بشراً إن هٰذآ إلا ملك كريم ﴾ [5].

ووجه الاحتجاج بهذه الآية أن النسوة شبهن يوسف عليه الصلاة والسلام بالملك الكريم ، والمشبه بالملك يكون دونه في الفضل [6].

١٢– قوله تعالى لسيدنا محمد ﷺ :

﴿ قل لآ أقول لكم عندي خزائن الله ولآ أعلم الغيب ولآ أقول لكم إني ملك ﴾ [7].

ووجه الاحتجاج بهذه الآية أنه عليه الصلاة والسلام « ذكر ذلك في معرض سلب التعظيم ونفي الترفع والنزول عن هذه الدرجات يدل على أن

---

(١) الآمدي – أبكار الأفكار – (٦٢/٢) ، وقارن التفتازاني – شرح المقاصد – (٦٧/٥) ، وقارن البيضاوي – طوالع الأنوار – (ص ٢١٩) ، والإيجي – المواقف – (ص ٣٦٨) ، والتفتازاني – شرح المقاصد – (٦٨/٥) .

(٢) سورة النحل – آية : ٢ .

(٣) سورة فاطر – آية : ١ .

(٤) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٢/٢ ق ب) ، قارن الإيجي – المواقف – (ص ٣٧٠) .

(٥) سورة يوسف – آية : ٣١ .

(٦) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٢/٢ ق ب) .

(٧) سورة الأنعام – آية : ٥٠ .

حال الملك أفضل وأشرف من حال النبي » [1].

١٣- قوله تعالى :

﴿ ما نهٰكما ربكما عن هذه الشجرة إلاَّ أن تكونا ملكين ﴾ [2].

قالوا : إن هذه الآية فيها دلالة على أن حال الملك أفضل من جنس البشر [3].

١٤- قوله تعالى :

﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملئكة المقربون ﴾ [4].

ووجه الاحتجاج بهذه الآية أن الله تعالى « ابتدأ بالمسيح وثنى بالملائكة المقربين ، وذلك يدل على أن الملائكة أفضل من المسيح ، كما يقال أن فلاناً لا يستنكف الوزير عن خدمته بل ولا السلطان ولا يقال ذلك بالعكس إذ هو مستقبح عرفاً وعادة » [5].

١٥- قوله تعالى في وصف جبريل :

﴿ إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ [6].

ثم قال تعالى في وصف سيدنا محمد ﷺ بعد ذلك :

﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ [7].

« ولو كان محمد مساوياً لجبريل في صفات الكمال ، أو أفضل منه لكان الاقتصار في وصفه على ذلك بعد وصف جبريل بما وصف به غضاً من منصبه

---

(١) الآمدي - أبكار الأفكار - (١٦٢/٢ ق ب - ١٦٣ ق أ) ، قارن الإيجي - المواقف - (ص ٣٩٩) ، والتفتازاني - شرح المقاصد - (٦٨/٥) ، والبيضاوي - طوالع الأنوار - (ص ٢١٨) .

(٢) سورة الأعراف - آية : ٢٠ .

(٣) انظر الآمدي - أبكار الأفكار - (١٦٣/٢ ق أ) ، قارن الإيجي - المواقف - (ص ٣٦٩) ، والتفتازاني - شرح المقاصد - (٦٨/٥) ، والبيضاوي - طوالع الأنوار - (ص ٢١٨) .

(٤) سورة النساء - آية : ١٧٢ .

(٥) انظر الآمدي - أبكار الأفكار - (١٦٣/٢ ق أ) ، قارن الإيجي - المواقف - (ص ٣٦٩) ، والتفتازاني - شرح المقاصد - (٦٨/٥) ، والبيضاوي - طوالع الأنوار - (ص ٢١٨) .

(٦) سورة التكوير - آية : ١٩، ٢٠، ٢١ .

(٧) سورة التكوير - آية : ٢٢ .

وتنقيصاً من أمره وتحقيراً لشأنه » [1].

رأي الآمدي في المسألة :

بعد أن استقصى الآمدي أدلة المعتزلة ومن وافقهم ، رجح القول القائل بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من الملائكة .

وقد تتبع الآمدي أدلة المعتزلة بالمناقشة والتحليل ، وانتهى إلى أن أدلتهم ليست في محل النزاع ، ولا يمكن الاستدلال بها على ما ذهبوا إليه ، ولم يكتف عند هذا الأمر بل أنه تتبع اعتراضات المعتزلة على أدلة الجمهور وقام بإبطالها .

وقد اعترض المعتزلة ومن وافقهم على استدلال الجمهور بالآية التي فيها أمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم ، بأن السجود الحقيقي وهو وضع الجبهة على محل السجود لا يمكن أن يتصور في حق الملائكة ، لأن ذلك يتصور بالنسبة للأجسام المتحيزة المتنقلة ، والملائكة ليست أجساماً ولا جواهر متحيزة حتى يتصور عليها الحركة والانتقال بل هي جواهر بسيطة معقولة ، ولو سلمنا تصور السجود الحقيقي في حق الملائكة لآدم فما المانع أن يكون المراد بأمرها بالسجود التواضع الملازم للسجود ، ومن يتواضع لغيره لا يعني ذلك أنه أنقص منه ، ثم إننا لا نسلم أن السجود كان لآدم ، بل كان لله تعالى وآدم قبلة ، وقبلة السجود لا يكون أفضل من الساجد لها ، ولو سلمنا أن آدم أفضل من الملائكة لكن ليس في دليلكم ما يدل على تفضيل جملة الأنبياء على الملائكة [2].

وأجاب أبو الحسن الآمدي عن هذه الاعتراضات بقوله :

« قولهم لا نسلم تصور السجود الحقيقي في حق الملائكة ، قلنا دليل تصوره أنه لا يلزم المحال من فرض وجوده لذاته عقلاً ، ولا معنى للممكن إلا هذا .

قولهم الملائكة ليست أجساماً متحيزة ولا قابلة للانتقال والحركة ، قلنا دليل كونها أجساماً قابلة للحركة والانتقال قوله :

---

(1) الآمدي – أبكار الأفكار – (٢/١٦٣ ق أ) .

(2) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (٢/١٦١ ق ب) ، قارن الإيجي – المواقف – (ص ٣٦٧) ، والتفتازاني – شرح المقاصد – (٥/٦٥-٦٦) .

﴿ ينزل الملـٰئكة بالروح من أمره على من يشآء من عباده ﴾ [1].

وصفهم بالنزول ، والنزول حقيقة ، والحركة والانتقال ، والأصل في الاطلاق الحقيقة » [2].

ثم أشار إلى قولهم ما المانع أن يكون المراد بالسجود ما هو لازم له من التواضع ، بأن ذلك فيه صرف للمعنى الحقيقي المراد والأصل اطلاق اللفظ على حقيقته [3]، وأما قولهم لا نسلم أن السجود كان لآدم ، وأن آدم قبلة ، فقد أجاب الآمدي عن هذه الاعتراض بقوله :

« عنه جوابان :

الأول : هو أن إضافة السجود لآدم في قوله تعالى : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ كإضافته إلى الله تعالى في قوله :

﴿ واسجدوا لله الذي خلقهن ﴾ [4].

ويلزم من اتحاد اللفظ الدال اتحاد المدلول المفهوم منه نفياً للإشتراك والتجوز عن اللفظ إذ هو خلاف الأصل وليس المراد منه في حق الله تعالى أن يكون الله تعالى قبلة للسجود بل المراد منه المبالغة في الخدمة والتذلل فكذلك في حق آدم .

الثاني : هو أن قول إبليس :

﴿ أرءَيتك هذا الذي كرمت علي ﴾ [5].

يدل على أن الأمر بالسجود لآدم إنما كان بطريق التفضيل له على الملائكة ولو كان قبلة للسجود كما ذكروه لما كان كذلك وبهذا يندفع ما ذكروه ... قولهم ليس في ذلك ما يدل على تفضيل جملة الأنبياء على الملائكة عنه جوابان :

(١) سورة النحل – آية : ٢ .
(٢) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٣/٢ ق أ) .
(٣) انظر المصدر السابق .
(٤) سورة فصلت – آية : ٣٧ .
(٥) سورة الإسراء – آية : ٦٢ .

الأول : إن القائل قائلان قائل يقول بتفضيل الأنبياء جملة على جملة الملائكة لزم تفضيل كل نبي عليهم عملاً بموافقة الدليل في البعض ، ولضرورة امتناع خرق الإجماع في التفضيل .

الثاني : إنه إذا ثبت فضل آدم عليه السلام على الملائكة فمن كان مساوياً له من الأنبياء في الفضيلة أو كان أفضل منه لزم أن يكون أفضل من الملائكة ضرورة ، وذلك كاف في إثبات فضيلة البعض وإبطال قول الخصم بتفضيل الملائكة على جملة الأنبياء » [(١)].

وبعد أن رد أبو الحسن الآمدي على اعتراضات المخالفين ، ذكر أن المعتزلة ومن تبعهم في هذه المسألة يقولون بأن أدلة الجمهور معارضة بما استدلوا به من الأدلة التي يرون أنها تدل على فضل الملائكة على الأنبياء ، ولم يسلم لهم الآمدي وجود العارض ، وقام بمناقشة أدلتهم وإبطالها .

مناقشة الآمدي لأدلة مفضلي الملائكة :

يرى الآمدي أن استدلال مفضلي الملائكة بالآية الكريمة[(٢)] بأن الله وصف الملائكة بأنهم عنده ، بأن غايته الدلالة على الفضيلة ، وليس في ذلك ما يدل على الأفضلية ، لا سيما وإن لها معارض من قوله تعالى في حق البشر :

﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ [(٣)].

وما ذكروه دليل على أن الملائكة عند الله تعالى ، ولا يخفى إن من الرب تعالى عنده يكون أفضل من الكائن عند الرب [(٤)].

وأما بالنسبة لاستدلالهم بأن عبادات الملائكة أشق من عبادات البشر ، فإنه غير مسلم ، فإن الصحيح أن عبادة البشر أشق من عبادة الملائكة ، فالبشر كما هو معروف مكلفون بالعبادات مع استيلاء الموانع عليهم عنها ، وذلك

---

(١) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦١/٢ ق ب) .

(٢) سورة الأنبياء – آية : ١٩ .

(٣) سورة القمر – آية : ٥٥ .

(٤) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٣/٢ ق ب –١٦٤ ق أ) ، قارن الإيجي – المواقف – (ص ٣٧٠) ، والتفتازاني – شرح المقاصد – (٦٧/٥-٦٨) .

كالشهوة والغضب والمرض والحرص والهوى ووسوسة الشيطان وكثرة اعتراض الشبه لهم مع أن أكثر عباداتهم مستنبطة لهم بالاجتهاد والنظر ، لبعدهم عن مشاهدة العالم العلوي وغير ذلك من الأمور ، وذلك كله مما لا يتحقق في حق الملائكة ولا يخفى أن التكليف بالعبادات مع هذه الأمور أشق منها مع عدمها [1].

أما بالنسبة لاستدلال مفضلي الملائكة بأسبقية عبادات الملائكة لعبادات البشر ، يرى الآمدي أن ذلك وإن كان صحيحاً فليس فيه ما يدل على كون الملائكة أفضل .

وأما بالنسبة لاستدلالهم بقوله تعالى :

﴿ السٰبقون السٰبقون أولٰئك المقربون ﴾ [2].

فقد « قال بعض أهل التفسير المراد به السابقون في الدنيا إلى الخيرات وقيل المراد به أول الناس رواحاً إلى المسجد وأولهم خروجاً في سبيل الله وقيل المراد به السابقون إلى التصديق بالأنبياء من أممهم وعلى كل تقدير فلا دخل للملائكة فيه » [3].

وأما بالنسبة لاستدلالهم بقوله تعالى :

﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [4].

بأن الملائكة عباداتهم غير منقطعة ، ومن كان ذلك شأنه لا يقع منهم الإقدام على المعصية ، بمعنى أنهم معصومون بخلاف الأنبياء ، فإنهم وإن كانوا معصومين عن الكبائر فغير معصومين من الصغائر كما تقدم .

وقد عقد الآمدي لهذه المسألة فصلاً كاملاً توصل فيه إلى أن الملائكة غير معصومين واحتج على ذلك بحجتين :

---

(١) انظر الآمدي – أبكار الأفكار – (٢/١٦٤ ق أ) ، قارن التفتازاني – شرح المقاصد – (٥/٧٢) .

(٢) سورة الواقعة – آية : ١٠، ١١ .

(٣) الآمدي – أبكار الأفكار – (٢/١٦٤ ق أ) .

(٤) سورة الحجرات – آية : ١٣ .

الحجة الأولى : أن ابليس كان من الملائكة وقد عصى لمخالفته أمر الله تعالى بالسجود لآدم ، « ودليل أنه كان من الملائكة أمران :

الأول : أنه استثناه من الملائكة وذلك يدل على أنه من جنسهم .

الثاني : أن الأمر بالسجود لآدم إنما كان للملائكة بدليل قوله :

﴿ وإذ قلنا للملٰئكة اسجدوا لأدم ﴾ [١].

ولو لم يكن إبليس من الملائكة لما كان عاصياً ولا مخالفاً للأمر ، لأن أمر الملائكة لا يكون أمراً له ، ودليل عصيانه قوله تعالى :

﴿ إلآ إبليس أبي واستكبر وكان من الكٰفرين ﴾ [٢].

الحجة الثانية : قوله تعالى :

﴿ وإذ قال ربك للملٰئكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [٣].

وفي الآية احتجاجات كثيرة ، غير أنا نقتصر على ما هو الأشبه منها وذلك من أربعة أوجه :

الأول : أنهم ذكروا ذلك بطريق الاعتراض على الله تعالى والإنكار لفعله ، وذلك من أعظم الذنوب .

الثاني : أنهم اغتابوا بني آدم ونسبوهم إلى الفساد وسفك الدماء ، والغيبة ذنب لقوله تعالى :

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ [٤].

نهى عن الغيبة والنهي ظاهر في التحريم ، ثم شبه ذلك بأكل لحم الميت والمشبه به حرام فكذلك ما شبه به ولولا أن الغيبة معصية لما كان كذلك .

---

(١) سورة البقرة – آية : ٣٤ .

(٢) سورة البقرة – آية : ٣٤ .

(٣) سورة البقرة – آية : ٣٠ .

(٤) سورة الحجرات – آية : ١٢ .

الثالث : أنهم كذبوا فيما نسبوا بني آدم إليه إذ ليس كل بني آدم كذلك ، والكذب معصية أيضاً .

الرابع : أنهم نسبوا أنفسهم إلى التسبيح والتقديس بعد الطعن في بني آدم على طريق الترفع والتعلي ، وذلك عجب منهم بأنفسهم ، والعجب من الذنوب المهلكة » [(١)].

وعلى ذلك فغير مسلم أن الملائكة أتقى من الأنبياء ، لأن الملائكة غير معصومين من وقوع بعض الذنوب .

وأما استدلالهم بقوله تعالى :

﴿ يوم يقوم الروح والملئكة صفاً لا يتكلمون ﴾ [(٢)].

وقوله تعالى :

﴿ وترى الملئكة حافين من حول العرش ﴾ [(٣)].

غاية تلك الآيات « الدلالة على عظمة الله تعالى لخدمة العظماء الجبابرة الشداد له ، وذلك يدل على أن الملائكة أقدر وأقوى وأجبر من البشر ، وليس في ذلك ما يدل على كثرة ثوابهم بالنسبة إلى البشر ، ولا أنهم أفضل منهم عند الله تعالى » [(٤)].

وأما استدلالهم بقوله تعالى :

﴿ وإن عليكم لحفظين كراماً كتبين ﴾ [(٥)].

وليس فيما استدلوا به ما يدل على أن حال الشاهد وهم الملائكة أفضل من حال المشهود عليهم .

أما قولهم بأن الملائكة يحفظون البشر عن المعاصي فليس كذلك ،

---

(١) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٥٩/٢ ق أ ب) ، قارن الإيجي – المواقف – (ص ٣٦٦) ، والتفتازاني – شرح المقاصد – (٦٣/٥-٦٤) .
(٢) سورة النبأ – آية : ٣٨ .
(٣) سورة الزمر – آية : ٧٥ .
(٤) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٤/٢ ق أ ب) .
(٥) سورة الانفطار – آية : ١٠ .

فالحافظ لهم عنها والمقدر لهم عليها إنما هـو الله تعـالى ، ثـم إن قولهـم هـذا لم يسبقهم إليه أحد من أهل التفسير السابقين [1].

وقوله تعالى :

﴿ ءامن الرسول بما إنزل إليه من ربه والمؤمنون ... ﴾ الآية [2].

ليس فيه تفضيل الملائكة على الأنبياء ، والتقديـم في الذكـر لم يقصـد بـه بيان فضيلة المتقدم في الآية على المتأخر فيها .

والآية إنما وردت في معرض الثناء على المؤمنـين بالإيمـان ، ولا يخفـى أن الإيمان بما هو أخفى يكون أفضل ، ووجود الملائكة أخفى من وجود الرسل ، فكان الإيمان بهم أدل على طواعية المؤمن وانقياده فكان تقديم الملائكة لفضيلة الإيمان بهم لا لفضيلتهم » [3].

وقوله تعالى :

﴿ الله يصطفي من الملٰئكة رسلاً ومن الناس ﴾ [4].

فليس فيه أيضاً ما يدل على أن الملائكة أفضـل بـل إنمـا وقـع الـترتيب في الذكر على وفق الترتيب في الوقوع ، ولا يخفى أن اتخاذ الملائكة رسـلاً متقـدم على اتخاذ البشر رسلاً ، فقدمهم في الذكر لذلك [5].

وقولهم أن الملائكة أعلم من الأنبياء ، فغـير مسـلم لأن آدم عليـه الصـلاة والسلام كان أعلم من الملائكة بدليل قوله تعالى :

﴿ وعلم ءادم الأسماء كلها ﴾ [6].

والملائكة لم يكونوا عالمين بها بدليل قوله تعالى :

---

(١) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٤/٢ ق أ ب) .

(٢) سورة البقرة – آية : ٢٨٥ .

(٣) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٥٩/٢ ق أ ب) ، قارن الإيجي – المواقف – (ص ٣٧٠) ، والتفتازاني – شرح المقاصد – (٦٨/٥) .

(٤) سورة الحج – آية : ٧٥ .

(٥) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٤/٢ ق أ ب) ، قارن الإيجي – المواقف – (ص ٣٧٠) ، والتفتازاني – شرح المقاصد – (٦٨/٥) .

(٦) سورة البقرة : آية : ٣١ .

﴿ ثم عرضهم على الملئكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صـٰدقين قالوا سبحـٰنك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ [(١)].

ثم يورد الآمدي اعتراضاً للمخالفين ويرد عليه بقوله :

« فإن قيل وإن كـان آدم أعلـم بالأسماء فالملائكـة أعلـم بالمسـميات ولا يخفى أن العلم بالحقائق أفضل من العلـم بأسمائها ، قلنا لا نسـلم أن الملائكـة أعلم بالمسميات فإنه قد قال أهل التفسير أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها والمسميات التي توضع الأسماء عليها ، لأنه لا فائدة في الأسماء دون المسميات ، ويدل على ذلك قوله تعالى :

﴿ ثم عرضهم على الملئكة ﴾ [(٢)].

والمراد به أصحـاب الأسمـاء ولذلـك قـال عرضهـم بـالميم ، ولـو أراد بـه الأسماء لقال ثم عرضهن بالنون أو ثم عرضها .

هكذا قال ثعلب وهو من أكبر أئمة اللغـة ، ثـم وإن سـلمنا أن الملائكـة أعلم فغايته أن لهم فضيلة ولا يدل ذلك على أنهم أفضل ، وعلـى هـذا يخـرج الجواب عن قوله تعالى :

﴿ علمه شديد القوى ﴾[(٣)] » [(٤)].

وأما استدلالهم بقوله تعالى :

﴿ وفضلنـٰهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ [(٥)].

فيرى الآمدي أن غايته الدلالة بمفهومه على أن البشـر ليسـوا أفضـل مـن جميع المخلوقات ، وكون المفهوم حجة أو غير حجة مسألة خلافية ، والآمدي ممن لا يرى حجية المفهوم ، ثم يسترسل الآمدي في مناقشـتهم ويقـول متـنزلاً مع الخصم ، ولو سلمنا كون المفهـوم حجة « فـلا نسـلم أنـه لم يعلـم بـه في

---

(١) سورة البقرة : آية : ٣١.

(٢) الآية السابقة .

(٣) سورة النجم – آية : ٩ .

(٤) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٤/٢ ق ب – ١٦٥ ق أ) .

(٥) سورة الإسراء – آية : ٧٠ .

مفهومه بتقدير تفضيل البشر على من عداهم من المخلوقات فإنهم من جملة المخلوقات وليس أفضل من أنفسهم فليس هم أفضل من جميع المخلوقات ، وإن سلمنا أن العمل بمفهوم الآية يتوقف على عدم تفضيل جنس البشر على جملة المخلوقات ممن عداهم فلا نسلم أن ذلك يتوقف على عدم تفضيلهم على الملائكة ، إذ المراد هنا ليس هو التفضيل في الدار الآخرة ولا في كثرة الثواب إذ هو المتنازع فيه ، بل المراد إنما هو التفضيل بإكرامهم في الدنيا ، بأكلهم بأيديهم وباقي الحيوانات بأفواهها وحملهم في البر على ظهور الحيوانات وفي البحر على السفن ، ورزقهم من الطيبات أي : الحلال على ما قال تعالى في أول الآية :

﴿ ولقد كرمنا بني ءادم وحملنٰهم في البر والبحر ورزقنٰهم من الطيبٰت وفضلنٰهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ [(1)].

أي : بهذه الأمور على كثير ممن خلقنا من الحيوانات » [(2)].

ثم يقول متنزلاً مرة أخرى « وإن سلمنا أن المراد به الفضيلة في الآخرة ولكن لا يلزم من كون جملة البشر ليسوا أفضل من الملائكة ، إلاّ بكون الأنبياء أفضل منهم فإنه لا يلزم من انتفاء حكم عن الجملة انتفاؤه عن بعض آحاد الجملة » [(3)].

أما بالنسبة لقولهم بأن الملائكة رسل إلى الأنبياء ، والأنبياء رسُل إلى من ليس بنبي فتكون الملائكة بذلك أفضل .

يرى الآمدي أن حصر إرسال الرسل إلى غير الأنبياء من بقية البشر مسألة غير مسلمة ، فهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان رسولاً إلى لوط عليه الصلاة والسلام وكان نبياً ، وكذلك موسى كان رسولاً إلى نبي إسرائيل وكانت تسوسهم الأنبياء كما هو معلوم [(4)].

---

(١) سورة الإسراء – آية : ٧٠ .

(٢) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٥/٢ ق أ) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر المصدر السابق .

ولو سلمنا ما ذكروه جدلاً للزم أن تكون فضيلة الرسل مستفادة من شرف المرسل إليهم وهذا في غاية البعد ، والصحيح أن « فضيلة الرسول لذاته ولكونه رسولاً لله تعالى أو نقول فضيلة الرسول من لوازم كونه رسولاً حاكماً على المرسل إليهم متصرفاً في أحوالهم على حسب ما يشاء ويختار وهذا غير متحقق في حق الملائكة بالنسبة للأنبياء إذ ليس لهم غير التبليغ والإعلام والعادة والعرف جاريان أنه لا يتولى على قوم ليحكم عليهم ويتصرف في أحواهم ويكون أولى بهم من أنفسهم على ما قال تعالى :

﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ [(١)].

إلا وهو أفضل بخلاف الرسول المبلغ لا غير ، فإن العادة لا توجب فضيلته على من أرسل إليه ، وإلاّ كان آحاد العبيد عند إرساله إلى ملك من بعض الملوك لإعلامه بأمر من الأمور إن يكون أفضل من الملك المرسل إليه وهو ممتنع » [(٢)].

ثم يشير الآمدي إلى أن قول الله تعالى على لسان النسوة :

﴿ ما هذا بشراً إن هذآ إلاّ ملك كريم ﴾ [(٣)].

ليس فيه أيضاً ما يدل على كون الملك أفضل ، لأن تشبيه النسوة ليوسف عليه الصلاة والسلام بالملك إنما وقع من جهة حسنه وجماله لا من جهة فضيلته وذلك يدل على أن الملك أجمل وأحسن لا أنه أفضل[(٤)].

واستدل الآمدي على صحة قوله بثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن سبب قول النسوة لذلك هو خروجه عليه الصلاة والسلام عليهن وتقطيعهن أيديهن بالسكاكين لدا مشاهدتهن لحسنه وجماله على ما قال تعالى :

﴿ وءاتت كل واحدة منهن سكيناً وقالتِ اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ﴾ الآية [(٥)].

---

(١) سورة الأحزاب – آية : ٦ .

(٢) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٥/٢ ق أ ب) ، قارن الإيجي – المواقف – (ص ٣٧٠) .

(٣) سورة يوسف – آية : ٣١ .

(٤) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٥/٢ ق ب) .

(٥) سورة يوسف – آية : ٣١ .

الوجه الثاني : أن معرفة صفات الفضيلة كالعفاف وحسن السيرة وغيرها من الصفات الحميدة تحتاج إلى مخالطة وطول مدة ، بخلاف معرفة حسن الشخص وجماله فإن ذلك لا يحتاج إلى طول مدة ، بل إنه يحصل بأقل نظرة ، والحاصل أنهن لم يعرفنه قبل خروجه عليهن .

الوجه الثالث : قول امرأة العزيز :

﴿ فذلكن الذي لمتنني فيه ﴾ (١).

أي : في حبها له وميلها إليه لما ظهر لهن عذرها لحسنه وجماله ولا يخفى أن ما كان فيه من حسن السيرة وصفات الفضيلة غير موجب لذلك (٢).

وقوله تعالى :

﴿ قل لآ أقول لكم عندي خزآئن الله ولآ أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إني ملك ﴾ (٣).

وهذه الآية أيضاً لا تدل على أفضلية الملائكة ، ويوضح المراد منها سبب النزول فالنبي عليه الصلاة والسلام لما خوف الكفار بالعذاب في قوله تعالى :

﴿ والذين كذبوا بـايتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ﴾ (٤).

والمراد كفار قريش ، فسألوه تعجيل العذاب تهكماً به وتكذيباً له فأنزل الله تعالى :

﴿ قل لآ أقول لكم عندي خزآئن الله ولآ أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك ﴾ (٥).

بمعنى أنه ليس لي إنزال العذاب من خزائن الله ، ولا أعلم متى ينزل بكم العذاب ولست ممن يقدر على إحاطة العذاب بكم ونزوله عليكم إنما يكون عن طريق الملائكة ، كما فعل بالأمم السالفة ، كما يحكى أن جبريل

---

(١) سورة يوسف – آية : ٣٢ .
(٢) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٥/٢ ق ب) .
(٣) سورة الأنعام – آية : ٥٠ .
(٤) سورة الأنعام – آية : ٤٩ .
(٥) سورة الأنعام – آية : ٥٠ .

قلب بأحد جناحيه المؤتفكات ، وعليه فإن هذه الآية تدل على أن الملك أقدر وأقوى ولا تدل على كونه أفضل [(١)].

وقوله تعالى :

﴿ ما نهٰكم ربكما عن هذه الشجرة إلآ أن تكونا ملكين ﴾ الآية [(٢)].

وليس في هذه الآية أيضاً ما يدل على ما ذهبوا إليه ، فيذكر أهل التفسير أن آدم عليه الصلاة والسلام وحواء رأيا الملائكة على صور أحسن من صورهما وخلقاً أعظم من خلقهما ، فقال لهما إبليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا على صورة الملائكة أو تكونا خالدين وحلف لهما على ذلك ، وذلك يدل على أن صور الملائكة أحسن وأعظم من صور البشر لا على الفضيلة [(٣)].

وكذلك قول الله تعالى :

﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملٰئكة المقربون ﴾ [(٤)].

لا يدل على تفضيل الملائكة على المسيح عليه الصلاة والسلام وتأخير الملائكة المقربين لا يدل أيضاً على تفضيل الملائكة ، ومعنى الآية بعيد عما ذهبوا إليه وذلك أن النصارى استعظموا المسيح لما رأوه قادراً على إحياء الموتى ، ولكونه بلا أب ، والملائكة فوقه فيهما فإنهم قادرون على ما لا يقدر عليه ، ولكونهم بلا أب ولا أم ، فإذا لم يستنكفوا من العبودية ولم يصر ذلك سبباً لادعائهم الألوهية ، فالمسيح أولى بذلك ، وليس ذلك من الأفضلية في شيء والتفاوت بين المسيح والملائكة في كل واحد من الأمرين المذكورين لا يدل على أفضلية الملك

---

(١) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٤/٢ ق ب – ١٦٥ ق أ) ، قارن الإيجي – المواقف – (ص ٣٦٩) ، والتفتازاني – شرح المقاصد – (٦٨/٥) .

(٢) سورة الأعراف – آية : ٢٠ .

(٣) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٥/٢ ق أ) ، قارن الإيجي – المواقف – (ص ٣٦٩) ، والتفتازاني – شرح المقاصد – (٦٨/٥) .

(٤) سورة النساء – آية : ١٧٢ .

بالنسبة إلى المسيح عليه الصلاة والسلام [1].

وأما دليلهم الأخير وهو قول الله تبارك وتعالى :

﴿ إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين ﴾ الآية [2].

فلا دلالة فيه على أن جبريل أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ، وإن غاية ما فيه كما يقول الآمدي ذكر صفات جبريل عليه السلام موجبة لفضيلته ولا يلزم من ذلك الأفضلية ، إلاَّ أن يكون كل ما وصف به محمد ﷺ قد وصف به جبريل وزيادة وليس كذلك ، ثم إن هذه الآية لم يكن القصد منها وصف جبريل بما ذكر به لقصد تفضيله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أو لأنه أفضل منه بل أنما ذكر ذلك « للرد على الكفار حيث أنهم كانوا يقولون أن محمداً مجنون ، وإن كل مايذكره من القرآن إنما هو كلام شيطان يلقيه على لسانه فقال تعالى :

﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾[3] أي الكواكب ﴿ والليل إذا عسعس ﴾[4] ، أي أظلم ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾[5] ، أي أضاء ﴿ إنه – أي القرآن – لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾[6] مبالغة في أنه ليس بقول شيطان رجيم ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾[7] ، كما زعمتهم وإنما وقعت المبالغة في ذكر صفات جبريل دون صفات محمد ﷺ لوجهين أحدهما أنها لم تكن معلومة لهم بخلاف صفات محمد عليه الصلاة والسلام فإنها معلومة لهم لكونه بين أظهرهم ... الثاني للمبالغة في الميز بينه وبين من نسب إليه إلقاء القرآن على لسان الرسول عليه السلام من الشياطين ،

(١) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٥/٢ ق أ) ، قارن الإيجي – المواقف – (ص ٣٦٩) ، والتفتازاني – شرح المقاصد – (٦٨/٥) .

(٢) سورة التكوير – آية : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) سورة التكوير – آية : ١٥ ، ١٦ .

(٤) سورة التكوير – آية : ١٧ .

(٥) سورة التكوير – آية : ١٨ .

(٦) سورة التكوير – آية : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

(٧) سورة التكوير – آية : ٢٢ .

لا لأن جبريل أفضل منه » [1].

وبعد ان انتهى الآمدي من مناقشة أدلة المعتزلة ، ذكر عليه رحمة الله أن هذه المسألة ظنية لا حظ للقطع فيها نفياً ولا إثباتاً وفي ذلك يقول :

« وهذه المسألة ظنية لاحظ للقطع فيها نفياً ولا إثباتاً ومدارها على الأدلة السمعية دون الأدلة العقلية ، وقد أتينا فيها مبلغ الجهد ونهاية الوسع مما لم يأت به غيرنا على وفق مذهب أصحابنا و لله الحمد » [2].

وواضح لنا من خلال نص الآمدي الآنف الذكر أنه يميل للرأي الذي رجحه أكثر الأشاعرة وهو تفضيل الأنبياء والرسل على الملائكة وبذلك نكون قد وصلنا إلى نهاية المبحث الأول من هذا الفصل ، و لله الحمد والمنة .

---

(١) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٦/٢ ق ب) .

(٢) الآمدي – أبكار الأفكار – (١٦٦/٢ ق ب) .

المبحث الثاني :

التفاضل بين الأنبياء والملائكة
عند أهل السنة والجماعة

المبحث الثاني :

التفاضل بين الأنبياء والملائكة عند أهل السنة والجماعة :

الخلاف في المسألة قديم :

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

« وقد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر على أقوال :

فأكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين ، والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم ، وأقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر(1) في تاريخه في ترجمة أمية(2) بن عمرو بن سعيد بن العاص : أنه حضر مجلساً لعمر بن عبد العزيز(3) وعنده جماعة ، فقال عمر : ما أحد أكرم على الله من كريم بني آدم ، واستدل بقوله تعالى :

﴿ إن الذين ءامنوا وعملوا الصَّـلحـٰت أولٰٓئك هم خير البرية ﴾ (4).

ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد ، فقال عراك بن مالك(5) : ما أحد أكرم على الله من ملائكته ، هم خدمة داريه ، ورسله إلى أنبيائه ، واستدل بقوله تعالى :

---

(1) علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي ، المؤرخ الحافظ المحدث ولد بدمشق وتوفي بها سنة ٥٧١ هـ .

انظر ابن خلكان – وفيات الأعيان – (٣٣٥/١) ، والذهبي – سير أعلام النبلاء – (٥٥٤/٢٠) .

(2) هو أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي ، ولد الأشرف من نبلاء بني أمية وثقاتهم قال عنه الحافظ : صدوق .

انظر الحافظ ابن حجر – تقريب التهذيب – (ص ١١٥) .

(3) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو حفص الخليفة الصالح ، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين ، ولد ونشأ بالمدينة وولي إمارتها للوليد ، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام ، وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩ هـ ، ومدة خلافته سنتان ونصف ، والأخبار في عدله وحسن سياسته كثيرة ، توفي مسموماً سنة ١٠١ هـ .

انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (١١٤/٥) .

(4) سورة البينة – آية : ٧ .

(5) عراك بن مالك الغفاري الكناني المدني ، ثقة فاضل ، مات في خلافة يزيد بن عبد الملك .

انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (٦٣/٥) .

﴿ ما نهـكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا مـن الخـلدين ﴾ (1).

فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي(2) :

ما تقول أنت يا أبا حمزة ؟ فقال :

قد أكرم الله آدم فخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وجعـل مـن ذريتـه الأنبيـاء ، والرسـل ومـن يـزوره الملائكـة فوافـق عمـر بـن عبد العزيز في الحكم ، واستدل بغير دليله(3) .... .

وهذا الذي ذكره ابن كثير من كلام عمر بن عبد العزيز وجلسائه في هذه المسألة يبين خطأ ما قاله تاج الدين الفزاري(4) حيث يقول :

« وهذه المسألة من بدع علم الكلام ، التي لم يتكلـم فيهـا الصـدر الأول من الأمة ولا من بعدهم من أعلام الأئمة » (5).

بل قد ثبت أن بعض الصحابة تكلموا في شيء من ذلك .

قال شيخ الإسلام :

« وكنت أحسب أن القول فيها محدث حتى رأيتها أثرية سلفية صحابية ، فانبعثت الهمة إلى تحقيق القول فيهـا ، فقلنـا حينئـذٍ بمـا قالـه السـلف ، فـروى أبو يعلى الموصلي في كتاب التفسير المشهور له عن عبد الله بن سلام – وكان عالماً بالكتاب الأول – والكتاب الثاني إذ كان كتابياً ، وقد شهد له النبي ﷺ

---

(1) سورة الأعراف – آية : 20 .

(2) محمد بن كعب بن سليم أبوحمزة القرضي المدني ، ثقة عالم ، توفي سنة 120 هـ .

انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء – (65/5) .

(3) ابن كثير – البداية والنهاية – (49/1) – الطبعة الخامسة .

(4) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضياء الفزاري ، المصري الأصل ، الدمشقي الإقامة ، شيخ الشافعية في زمانه ، كان ممن اجتمع فيه فنون كثيرة من العلوم النافعة ، والأخلاق اللطيفة ، توفي عليه رحمة الله سنة 690 هـ .

انظر ابـن كثـير – البدايـة والنهايـة – (325/13) ، والنعيمـي – الـدارس في تـاريخ المدارس – (28/1) .

(5) انظر ابن أبي العز الحنفي – شرح العقيدة الطحاوية – (413/2) تحقيق التركي .

بحسن الخاتمة ، ووصية معاذ عند موته ، وأنه أحد العلماء الأربعة الذين يبتغى العلم عندهم قال :

« ماخلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ : الحديث عنه قلت ولا جبرائيل ولا ميكائيل ؟ قال يابن أخي أو تدري ما جبرائيل وميكائيل ؟ إنما جبرائيل وميكائيل خلق مسخر ، مثل الشمس والقمر وما خلق الله تعالى خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ [(1)] » [(2)].

الأقوال في المسألة :

يذكر شارح الطحاوية أنه يُنْسَبُ إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر أو الأنبياء فقط على الملائكة ، وأن المعتزلة يفضلون الملائكة ، وأتباع الأشعري على قولين :

منهم من يفضل الأنبياء والأولياء ، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً وحكى عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة ، وحكى ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية .

وقالت الشيعة : إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة ، ومن الناس من فصل تفصيلاً آخر ، ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض ، وذكر إن أبا حنيفة رحمه الله توقف في الجواب عن هذه المسألة ، وتبعه في ذلك صاحب الطحاوية ، وكذلك شارح الطحاوية حيث جنح عليه رحمة الله إلى التوقف[(3)] ، ولعل المانع له من القول بتفضيل الأنبياء على الملائكة هو عدم تحققه من صحة نسبة ذلك إلى أهل السنة ، وقد سئل شيخ الإسلام عن المطيعين من أمة محمد ﷺ : هل هم أفضل من الملائكة ؟ فأجاب عليه رحمة الله :

« قد ثبت .... عن عبد الله بن سلام أنه قال :

« ما خلق الله تعالى خلقاً أكرم عليه من محمد ، فقيل له :

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك – (٥٦٨/٤-٥٦٩) ، وصححه ووافقه الذهبي .

(2) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٥٧/٤) .

(3) انظر ابن أبي العز الحنفي – شرح العقيدة الطحاوية – (٤١٠/٢-٤١١) .

ولا جبريل ولا ميكائيل ، فقال للسائل :

أتدري ما جبريل وما ميكائيل ؟ إنما جبريل وميكائيل خلق مسخر كالشمس والقمر ، وما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ » [1].

وما علمت عن أحد من الصحابة ما يخالف ذلك ، وهذا هو المشهور عند المتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم ، وهو :

أن الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة .

ولنا في هذه المسألة مصنف مفرد ذكرنا فيه الأدلة من الجانبين » [2].

وقد استقصى شيخ الإسلام في المصنف المذكور الأدلة من كلا الجانبين وتعرض لاعتراضات القائلين بأفضلية الملائكة على أدلة الجمهور ، وقام بتفنيدها وإبطالها [3]، وقبل ذكر ذلك لابد من بيان موطن النزاع .

موطن النزاع :

لا خلاف في أن الكفرة والمنافقين والفجار والجاهلين والمستكبرين ، غير داخلين في المفاضلة ، فهؤلاء كالبهائم والأنعام السائمة ، بل الأنعام أحسن حالاً من هؤلاء ، كما نطق بذلك القرآن في مواضع ، مثل قوله تعالى :

﴿ إن شر الدوآب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ [4].

وقال تعالى :

﴿ إن شر الدوآب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾ [5].

وقال تعالى :

﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان لا يسمعون بها أولٰئك كالأنعام بل هم أضل أولٰئك هم الغٰفلون ﴾ [6].

---

(١) مضى تخريجه انظر (ص ٤٤٢) .

(٢) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٤٤/٤) .

(٣) انظر المصدر السابق – (٣٥٠/٤–٣٩٢) .

(٤) سورة الأنفال – آية : ٢٢ .

(٥) سورة الأنفال – آية : ٥٥ .

(٦) سورة الأعراف – آية : ١٧٩ .

ولا نعني بالمفاضلة : التفضيل بين حقيقة طبيعة البشر وحقيقة طبيعة الملائكة ، وإنما المقصود هو المفاضلة بين صالحي البشر والملائكة ، وهو محل النزاع [1].

حجة الذين يفضلون صالحي البشر على الملائكة :

بعد أن حررنا محل النزاع نبين حجة الذين ذهبوا إلى تفضيل البشر .

الدليل الأول : أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم كلهم أجمعين ، ولعن الممتنع عن السجود له ، وهذا تشريف وتكريم له [2].

ورد بعضهم أن السجود كان لله ، وآدم إنما كان قبلة لهم ، يسجدون إليه ، كما يسجد إلى الكعبة ، وليس في هذا تفضيل له عليهم ، كما أن السجود إلى الكعبة ليس فيه تفضيل للكعبة على المؤمن عند الله ، وقالوا : السجود لغير الله محرم بل كفر [3].

والجواب عن ذلك :

أن آدم لو كان قبلة لم يمتنع إبليس من السجود ، أو يزعم أنه خير منه فإن القبلة قد تكون أحجاراً ، وليس في ذلك تفضيل لها على المصلين إليها وقد يصلي الرجل إلى سترة كحائط مثلاً أو دابة أو رحل ، ولا يمكن أن يتوهم من له أدنى تفكير أنها تكون بذلك مفضلة ، فمن أي شيء إذن فرَّ إبليس ؟ [4]

وأما قولهم : لا يجوز السجود لغير الله ، فيقال لهم : السجود شريعة من الشرائع ، راجعة إلى الأمر والنهي ، والله عز وجل أمرنا أن نسجد له وحده لا شريك له ، ولو أمرنا أن نسجد لأحد من خلقه غيره لسجدنا لذلك الغير ، طاعة لله عز وجل إذ أحب أن نعظم من سجدنا له ، ولو لم يفرض علينا السجود لم يجب البتة فعله .

---

(١) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٥٠/٤-٣٥٥) .

(٢) انظر المصدر السابق – (٣٥٨/٤) ، وابن أبي العز الحنفي – شرح العقيدة الطحاوية – (٤١٤/٢) ، والسفاريني – لوامع الأنوار البهية – (٤٠١/٢) .

(٣) انظر المصادر السابقة .

(٤) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٥٩/٤) .

فسجود الملائكة لآدم عبادة لله وطاعة له ، وقربة يتقربون بها إليه ، وهو لآدم تشريف وتكريم وتعظيم ، و لم يأت أن آدم سجد للملائكة ، بل لم يؤمر آدم وبنوه بالسجود إلا لله رب العالمين ، لأنهم والله أعلم بحقائق الأمور أشرف الأنواع ، وهم صالحوا بني آدم ليس فوقهم أحد يحسن السجود له إلا الله رب العالمين [(١)].

الدليل الثاني : قوله تعالى قصصاً عن إبليس :

﴿ أرءَيتك هذا الذي كرمت علي ﴾ [(٢)].

فإن هذا نص في تكريم آدم على إبليس إذ أمر بالسجود له [(٣)].

الدليل الثالث : أن الله تعالى خلق آدم بيده ، وخلق الملائكة بكلمته وهذا يقوله جميع من يدعي الإسلام سنيهم ومبتدعهم ، بل وعليه أهل الكتاب وبكل حال اتفق هؤلاء كلهم على أن لآدم فضيلة ومزية ليست لغيره إذ خلقه بيده [(٤)].

الدليل الرابع : قوله تعالى :

﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [(٥)].

فالخليفة يفضل على من ليس خليفة ، وقد طلبت الملائكة أن يكون الاستخلاف فيهم ، والخليفة منهم حيث قالوا :

﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدمآء ﴾ [(٦)].

فلولا أن الخلافة درجة عالية أعلى من درجاتهم لما طلبوها وغبطوا صاحبها [(٧)].

---

(١) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٤/٣٦٠-٣٦١) .

(٢) سورة الإسراء – آية : ٦٢ .

(٣) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٤/٣٦٥) ، وابن أبي العز الحنفي – شرح العقيدة الطحاوية – (٢/٤١٤) تحقيق التركي ، والسفاريني – لوامع الأنوار – (٢/٤٠٢) .

(٤) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٤/٣٦٥) ، وابن أبي العز الحنفي – شرح العقيدة الطحاوية – (٢/٤١٦) ، والدكتور عمر سليمان الأشقر – عالم الملائكة الأبرار – (ص ٨٧) .

(٥) سورة البقرة – آية : ٣٠ .

(٦) سورة البقرة – آية : ٣٠ .

(٧) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٤/٣٦٧-٣٦٨) .

الدليل الخامس : تفضيل بني آدم عليهم بالعلم حين سألهم الله عز وجل عن علم الأسماء فلم يجيبوه ، واعترفوا أنهم لا يحسنونها فأنبأهم آدم بذلك [1]، وقد قال تعالى :

﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [2].

الدليل السادس : ومما يدل على فضل صالحي البشر أن طاعة البشر أشق ، والأشق أفضل ، فإن البشر مجبولين على الشهوة والحرص والغضب والهوى ، وهذه من أكبر الموانع وهي مفقودة في الملك [3].

الدليل السابع : قول عبد الله بن سلام رضي الله عنه :

« إن أكرم خليقة الله على الأرض أبو القاسم ﷺ قال : قلت يرحمك الله فأين الملائكة ، قال : فنظر إلي وضحك ، وقال : يابن أخي هل تدري ما الملائكة ؟ إنما الملائكة خلق كخلق السماء والأرض والرياح .... كسائر الخلق الذي لا يعصي الله شيئاً ... » [4].

الدليل الثامن : أن السلف كانوا يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالحي البشر على الملائكة ، وتروى على رؤوس الناس ، ولو كان منكراً لأنكروه ، فدل على إعتقادهم ذلك [5].

الدليل التاسع : مباهاة[6] الله بهم الملائكة :

يباهي الله بعباده الملائكة ، إذا أدوا ما أوجبه عليهم وأمرهم به .

فإذا صلوا الفريضة باهى بهم الملائكة ، فعن عبد الله بن عمرو أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال :

---

(١) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٦٨/٤) ، والسفاريني – لوامع الأنوار – (٤٠٢/٢) .

(٢) سورة الزمر – آية : ٩ .

(٣) انظر السفاريني – لوامع الأنوار – (٤٠٢/٢) .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي – (٥٦٨/٤) ، وكذلك الشيخ ناصر في تعليقه على شرح الطحاوية – (ص ٣٤٢) .

(٥) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٧١/٤) .

(٦) المباهاة : المفاخرة .

انظر ابن الأثير – النهاية في غريب الحديث – (١٦٩/١) .

« أبشروا هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة ، يقول انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى » [(1)].

وعنه رضي الله عنه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال :

« إن الله تعالى يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة يقول :

انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً[(2)] غبراً[(3)] »[(4)].

والمباهاة لا تكون إلا بالأفاضل [(5)].

هذه بعض الأدلة التي استدل بها أهل السنة في تفضيل الأنبياء على الملائكة ، وقد أشار شيخ الإسلام إلى أن الكلام في تفضيلهم ليس في هذه الحياة الدنيا فقط ، بل لابد من النظر إلى أحوال صالحي البشر عند الكمال والتمام والاستقرار في الدار الآخرة ، ومن لم يلاحظ هذه المسألة وقع في الغلط .

فإن فضل صالحي البشر على الملائكة باعتبار كمال النهاية ، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى ، وسكنوا الدرجات العلا وحياهم الرحمن ، وخصهم بمزيد قربة ، وتجلى لهم ، يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم ، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم .

---

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه – كتاب المساجد – باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة – (٢٦٢/١) ، والإمام أحمد في المسند – (١٨٦/٢) .

قال البوصيري في مصباح الزجاجة – (٢٨٢/١) هذا إسناد رجاله ثقات ، وقال الشيخ ناصر : إسناده صحيح على شرط مسلم ، سلسلة الأحاديث الصحيحة – (٢٧٠/٢) .

(2) الشعر إذا كان متفرقاً يسمى شعثاً .

انظر ابن الأثير – النهاية في غريب الحديث – (٤٧٨/٢) .

(3) أغبر الشيء : أي علاه الغبار ، والغبرة لطخ الغبار .

انظر ابن منظور – لسان العرب – (٥/٥) .

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده – (٢٢٤/٢) ، والحديث صحيح صححه الشيخ ناصر في صحيح الجامع – (٣٨١/١) – الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

(5) انظر شيخ الإسلام – مجموع الفتاوى – (٣٧٠/٤) ، والسفاريني – لوامع الأنوار البهية – (٤٠٤/٢) ، والدكتور عمر الأشقر – عالم الملائكة الأبرار .

والملائكة أفضل باعتبار البداية ، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عمّا يلابسه بنو لآدم ، مستغرقون في عبادة الرب سبحانه ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر[1] .

قال ابن القيم :

« وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه » [2] .

أما بالنسبة لأدلة القائلين بفضل الملائكة على صالحي البشر ، فقد تقدم في المبحث الأول ذكرها ، وقد تتبع شيخ الإسلام تلك الأدلة وقام بإبطالها وسوف أذكر بعض ردود شيخ الإسلام على أدلتهم إذ بالبعض تتم الفائدة .

تقدم معنا أنهم احتجوا بقوله تعالى :

﴿ إلاّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخٰلدين ﴾ [3].

فلولا أن كونهما ملكين حالة هي أكمل من كونهما بشرين ، لما أغراهما بهما ولما ظنا أنها هي الحالة العليا ، ولهذا قرنها بالخلود ، والخالد أفضل من الفاني [4].

وقد أجاب شيخ الإسلام عن ذلك بعدة وجوه :

الأول : إن إبليس عليه لعنة الله بقوله :

﴿ إلا أن تكونا ملكين ﴾ [5]، ظن أن الملائكة خير منهما ، كما ظن أنه خير من آدم وكان مخطئاً في كل ذلك ، وظن كذلك أنهما يؤثران الخلود ، لما في ذلك من السلامة من الأمراض والأسقام والأوجاع ، والآفات والموت ، لأن الخالد في الجنة هذه حاله ولم يخرج هذا مخرج التفضيل على الأنبياء ، ألا ترى أن الحور والولدان المخلوقين في الجنة خالدون فيها وليسوا بأفضل من الأنبياء [6]؟

(١) انظر شيخ الإسلام – مجموع الفتاوى – (٣٤٣/٤) .

(٢) انظر المصدر السابق – (٣٤٣/٤) .

(٣) سورة الأعراف – آية : ٢٠ .

(٤) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٨٤/٤) .

(٥) سورة الأعراف – آية : ٢٠ .

(٦) انظر ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٨٥/٤) .

الثاني : « إن الملك أفضل من بعض الوجوه ، وكذلك الخلود آثر عندهما فمالا إليه » [1].

الثالث : « إن حالهما تلك كانت حال إبتداء لا حال إنتهاء ، فإنهما في الانتهاء قد صارا إلى الخلود الذي لا حظر فيه ولا معه ، ولا يعقبه زوال ، وكذلك يصيران في الإنتهاء إلى حال هي أفضل وأكمل من حال الملك أراداها أولاً ، وهذا بين » [2].

أما بالنسبة لاستدلالهم بقوله تعالى :

﴿ فلمَّا رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشَ لله ما هذا بشراً إن هذا إلاّ ملك كريم ﴾ [3].

وقد أجاب عنه شيخ الإسلام بقوله :

« إن النسوة لم يكن يقصدن أنه نبي ، بل ولا أنه من الصالحين إذ ذاك ولم يشهدن له فضلاً على غيره من البشر في الصلاح والدين ، وإنما شهدن بالفضل في الجمال والحسن ، وسباهن جماله فشبهنه بحال الملائكة وليس هذا من التفضيل في شيء من الذي نريد .

ثم نقول : إذا كان التفضيل بالجمال حقاً :

فقد ثبت أن أهل الجنة تدخل الزمرة الأولى ووجوهم كالشمس ، والذين يلونهم كالقمر ، الحديث ، فهذه حال السعداء عند المنتهى ، وإن كان في الجمال والملك تفضيل ، فإنما هو في هذه الحياة الدنيا ، لعلم علمه النساء وأكثر الناس .

وأما ما فضل الله عباده الصالحين ، وما أعده من الكرامة ، فأكثر الناس عنه بمعزل ، ليس لهم نظر إليه ، وكذلك ما أتاهم الله من العلم الذي غبطتهم الملائكة به من أول ما خلقهم ، وهو مما به يفضلون » [4].

---

(٢) المصدر السابق – (٣٨٥/٤) .

(٣) المصدر السابق – (٣٨٥/٤) .

(٤) سورة يوسف – آية : ٣١ .

(١) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٨٧/٤-٣٨٨) .

وأما استدلالهم بقوله تعالى :

﴿ إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ﴾ [1].

بأن الله قد وصف جبريل بهذه الصفات الفاضلة بخلاف وصف النبي عليه الصلاة والسلام بهذه الآية ، وفي هذا تفاوت عظيم بين البشر والملائكة وقد أجاب شيخ الإسلام عن هذه الحجة بقوله :

« والجواب : **أولاً** : أين هو من قوله تعالى :

﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾[2] إلى آخرها ، وقوله :

﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾ [3]، وقوله :

﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾[4] الآيات .

﴿ وعسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ [5].

وأين هو عن قصة المعراج[6] التي تأخر فيها جبرائيل عن مقامه ؟

ثم أين هو عن الخلة ؟ وهو التقريب ، فهذا نزاع من لم يقدر النبي ﷺ قدره .

ثم نقول **ثانياً** : لما كان جبرائيل هو الذي جاء بالرسالة ، وهو صاحب الوحي وهو غيب عن الناس ، لم يروه بأبصارهم ، ولم يسمعوا كلامه بآذانهم وزعم زاعمون أن الذي يأتيه شيطان يعلمه ما يقول ، أو أنه إنما يعلمه إياه بعض الإنس .

أخبر الله العباد أن الرسول الذي جاء به ، ونعته أحسن النعت وبين حاله أحسن البيان ، وذلك كله إنما هو تشريفٌ لمحمد ﷺ ونفي عنه ما زعموه ، وتقرير للرسالة ، إذ كان هو صاحبه الذي يأتيه بالوحي ، فقال :

---

(١) سورة التكوير – آية : ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢ .

(٢) الشرح – آية : ١ .

(٣) سورة الضحى – آية : ١، ٢ .

(٤) سورة الفتح – آية : ١ .

(٥) سورة الإسراء – آية : ٧٩ .

(٦) انظر الإمام مسلم الصحيح – كتاب الإيمان – باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلاة – (١/٩٩-١٠٧) .

﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ [(1)]، أي أن الرسول البشري لم ينطق به من عند نفسه ، وإنما هو مبلغ يقول ما قيل له ، فكان في اسم الرسول إشارة إلى محض التوسط والسعاية .

ثم وصفه بالصفات التي تنفي كل عيب ، من القوة والمكنة ، والأمانة والقرب من الله سبحانه ، فلما استقر حال الرسول الملكي ، بين أنه من جهته ، وأنه لا يجيء إلا بخير .

وكان الرسول البشري معلوم ظاهره عندهم ، وهو الذي يبلغهم الرسالة ولولا هؤلاء لما أطاقوا الأخذ عن الرسول الملكي ، وإنما قال :

﴿ صاحبكم ﴾ ، إشارة إلى أنه قد صحبكم سنين قبل ذلك ، ولا سابقة له بما تقولون فيه وترمونه من الجنون والسحر وغير ذلك ، وأنه لولا سابقته وصحبته إياكم لما استطعتم الأخذ عنه ، ألا تسمعه يقول :

﴿ ولو جعلنٰه ملكاً لجعلنٰه رجلاً ﴾ [(2)].

تمييزاً من المرسلين ثم حقق رسالته بأنه رأي جبرائيل وأنه مؤتمن على ما يأخذه عنه ، فقام أمر الرسالة بهاتين الصفتين وجاء على الوجه الأبلغ والأكمل والأصلح » [(3)].

ثم أشار شيخ الإسلام إلى أقوى ما احتج به القائلون بتفضيل الملائكة على صالحي البشر وهو الحديث المشهور الصحيح عن الله عز وجل أنه قال :

« من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » [(4)].

والملأ الذي يذكر الله الذاكر فيه هم الملائكة ، وقد نطق الحديث بأنهم أفضل من الملأ الذين يذكر العبد فيهم ربه ، وخير منهم [(5)].

---

(1) سورة التكوير – آية : ١٩ .

(2) سورة الأنعام – آية : ٩.

(3) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٨٨/٤ – ٣٩٠) .

(4) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – باب قول الله عز وجل ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ من حديث أبي هريرة – (١٧١/٨) ، والإمام أحمد في المسند – (٢٥١/٢ ، ٢٥٤ ، ٤٠٥ ، ٤٨٠) .

(5) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٩٠/٤) .

وقد أجاب شيخ الإسلام عن هذا الحديث بعدة أوجه :

الأول : « أن الملأ الأعلى الذين يذكر الله من ذكره فيهم ، هـم صفوة الملائكة وأفضلهم ، والذاكر فيهم للعبد هو الله ، يقال ينبغي أن يفـرض على موازنة أفضل بني آدم يجتمعون في مجلس نبيـه ﷺ ، وإن كـان أفضـل البشر ، لكن الذين حوله ليس أفضل ممن بقي من البشر الفضلاء ، فإن الرسـل والأنبيـاء أفضل منهم .

ثانيها : أن مجلس أهل الأرض إن كـان فيـه جماعـة الأنبيـاء يذكـر العبـد فيهم ربه : فالله تعالى يذكر العبد في جماعات مـن الملائكـة أكـثر مـن أولئـك فيقع الخير للكثرة التي لا يقوم لها شيء ، فإن الجماعة كلما كثروا كانوا خـيراً من القليل .

ثالثها : أنه لعله في الملأ الأعلى جماعة من الأنبياء يذكر الله العبد فيهم ، فإن أرواحهم هناك .

رابعها : أن من الناس من فرق بين الخير والأفضل ، فيقال الخير للأنفع .

خامسها : أنه لا يدل على أن الملأ الأعلى أفضل من هؤلاء الذاكرين إلا في هذه الدنيا ، وفي هذه الحال لأنهم لم يكملوا بعد ، و لم يصلحوا أن يصيروا أفضل من الملأ الأعلى ، فالملأ الأعلى خير منهم في هـذه الحالـة ، كمـا يكـون الشيخ العاقل خيراً من عامة الصبيان لأنه إذ ذاك فيـه مـن الفضـل مـا ليس في الصبيان ، ولعل في الصبيان في عاقبته أفضل منه بكثير ، ونحن إنما نتكلـم على عاقبة الأمر ومستقره ، فليتدبـر هـذا فإنـه جـواب معتمـد إن شـاء الله ، والله سبحانه أعلم بحقائق خلقه وأفاضلهم » (1).

هذه هي أهم أدلة المعتزلة وقد رد عليها شيخ الإسلام رداً وافياً شافياً .

والخلاصة أن أهل السنة والجماعة يرون تبعاً للسلف الصالح من الصحابة وغيرهم أفضلية الأنبياء على الملائكة ، وقد دلت الأدلة على صحة مـا ذهبـوا إليه ، وقد تقدم معنا أن الآمدي قد رجح القـول القـائل بفضـل الأنبيـاء على الملائكة وعلى ذلك يكون الآمدي موافقاً لأهل السنة في هذه المسألة .

---

(1) ابن تيمية – مجموع الفتاوى – (٣٩١/٤ – ٣٩٢) .

هذا وقد نقل السفاريني عن بعض العلماء أن مسألة تفضيل الأنبياء على الملائكة ليست مما يجب اعتقاده أو يضر الجهل بها ، فلو لقي العبد ربه ساذجاً من المسألة بالكلية لم يكن عليه إثم ، فما هي مما كُلِّف الناس بمعرفتها [1].

(١) انظر السفاريني – لوامع الأنوار البهية – (٤٠٩/٢) .


الخاتمة :

الخاتمة :

انتهيت من دراستي للآمدي وآراؤه الاعتقادية في النبوة والرسالة عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة إلى تقرير الحقائق التالية :

١- عاش الآمدي في عهد الخلافة العباسية ، وكانت بلاد مصر والشام تحت سلطان الأيوبيين ، وقد تميز ذلك العصر بحركة علمية واسعة نتيجة تشجيع حكام العصر ، فبنيت المدارس وصرفت الأموال في سبيل نشر العلم وإعانة أهله .

وقد ساد في ذلك العصر الجمود الفكري على مذاهب السابقين ونودي بغلق باب الاجتهاد ، ونودي بوجوب التقليد ، واحتدمت الصراعات المذهبية بين الحنابلة والأشاعرة .

٢- يعتبر الآمدي من كبار الأشاعرة ، وقد كتب فيه محضر اتهم فيه بالخروج من الدين ، وبترك الصلاة ، والظاهر عدم صحة شيء مما اتهم به ، ولعله من قبيل الحسد والغيرة من بعض أقرانه ، نتيجة نبوغه وتفوقه عليهم .

٣- لا يرى الآمدي أن هناك ثمة فرق بين النبوة والرسالة ، إذ النبوة عنده عبارة عن قول الله لمن اصطفاه واجتباه إنك رسولي ونبيي ، وقد خالف الآمدي في ذلك جماهير أهل العلم ، فالأدلة من الكتاب والسنة تؤيد من قال بالتفريق .

٤- يرى الآمدي أن النبوة اصطفاء واختيار من الله عز وجل لمن يشاء من عباده ، ليست خاضعة كما يقول الفلاسفة للاكتساب ولا تستحق باجتماع أسباب وشروط ، بل هي محض فضل من الباري سبحانه يهبها لمن يشاء من الأخيار .

٥- أما بالنسبة لحكم إرسال الرسل فهو يرى أن ذلك واقع في حكم الجواز مخالفاً في ذلك القائلين بالوجوب كالمعتزلة والفلاسفة ، والقائلين بالامتناع - كالبراهمة والصابئة والتناسخية .

٦- يوافق الآمدي أهل السنة والجماعة في حكم إرسال الرسل ، إلاّ أنهم يختلفون معه في الأصول التي بنا عليها قوله في المسألة كالقول بالحسن والقبح الشرعيين ، ونفي الحكمة والتعليل والقول بجواز تكليف ما لا يطاق .

٧- تصدى أبو الحسن الآمدي لشبه الملاحدة من البراهمة والتناسخية ومن تأثر بهم القائلين باستحالة وقوع الوحي ، واستعرض شبه القوم ، وقام بالرد عليها ، وأثبت تهافتها ، واستدل على إمكان الوحي ووقوعه بالفعل بأدلة دامغة .

٨- يختلف أهل السنة والجماعة مع الآمدي في حكم دلالة المعجزة وبوجه تلك الدلالة وشرائطها ، وقد وافق في ذلك أصحابه من الأشاعرة .

٩- يرى الآمدي خلافاً لجمهور أصحابه أن المعجزة هي الدليل الوحيد على صدق النبي ، بينما يرى أهل السنة والجماعة وكذلك جمهور الأشاعرة أن هناك طرق أخرى يمكن الاستدلال بها على صدق النبي كقرائن الأحوال ، وبشارات الأنبياء ، ومضمون رسالة النبي نفسها .

١٠- لم يستدل الآمدي بالمعجزة على غير صدق النبي من العقائد الأخرى ، وأهل السنة لا يقرونه على ذلك ، فالمعجزة يمكن الاحتجاج بها على غير صدق النبي من العقائد الأخرى كوجود الله وصفاته وأفعاله .

١١- أثبت الآمدي تناقض دعوى العيسوية - أحد فرق اليهود - القائلين ببعثة سيدنا محمد عليه والصلاة والسلام إلى العرب خاصة ، إذ كيف يقولون بصحة نبوته عليه الصلاة والسلام ولا يقولون بصحة ما تواتر عنه من البيان ببعثته إلى الناس كافة .

وقطع الطريق أمام دعاوى المتنبئين وقال بختم النبوة بالنبوة المحمدية .

١٢- في مسائل العصمة يوافق الآمدي أهل السنة والجماعة ، حيث ذهب إلى عدم عصمة الأنبياء قبل النبوة مطلقاً ، إذ لا دلالة للمعجزة على عصمة الأنبياء فيما قبل ظهورها على أيديهم ، بل ولا يمتنع عقلاً إرسال من أسلم بعد كفره ، وليس هناك دليل سمعي يمنع من ذلك .

١٣- حكى الآمدي اتفاق أرباب الشرائع على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى ، إذ لو جاز عليهم التقول والتخرص في ذلك عقلاً لأفضى إلى إبطال دلالة المعجزة وهو محال ، لكن قد يصدر عنهم الغلط في التبليغ على سبيل الذهول والنسيان نتيجة لطبيعتهم البشرية .

١٤- يرى الآمدي أن الأنبياء بعد النبوة معصومون من الوقوع في الكفر و الشرك با لله ، وكذلك من تعمد الكبائروصغائر الخسة ، وقد تقع منهم الكبائر أو صغائر الخسة على سبيل الذهول والنسيان ، أما بالنسبة لصغائر الذنوب فيجوز أن تقع منهم سهواً أو عمداً .

١٥- الأنبياء عند الآمدي أفضل من الملائكة ، وقد بسط الآمدي الكلام في هذه المسألة واستقصى أدلة الفريقين ، وانتهى إلى ترجيح رأي الجمهور ودعمه بالأدلة .

الفهارس العامة :

فهرس الآيات

- ق -

فهرس الأحاديث

الحـــــديث	رقم الصفحة
- ب -	
بعثت إلى الأحمر والأسود	٣٤٣
بعثت إلى الناس كافة	٣٤٣
بلغوا عني ولو آية	١٥٤
- ت -	
تعلموا إنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل	٢٥٣
تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى	٤٠٠
تنام عيني ولا ينام قلبي	٢٤٩
- ث -	
ثم كان أول ما سألني عنه قال	١٥٨
- خ -	
خرج رجل يزور أخاً له في الله	١٥١
- س -	
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي	٤١١
- ع -	
عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر	٣٢٦
- ف -	
فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم	٢٥٦
فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم	٣٦٥
- ك -	
كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء	٣٦٥
كلا والله لا يخزيك الله	٣٢٨
- ل -	
لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين	٣٤٨
لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً	١٥٤
لست نبيء الله ولكني نبي الله	١٣٥
لقد أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلي	٣٥٦
لله أفرح بتوبة أحدكم من رجل خرج بأرض	٤١٤

فهرس الأعلام

- أ -

- ش -

- ص -

- ظ -

- ع -

- ل -

- م -

فهرس أهم المراجع

١- الإبانة - تأليف أبي الحسن الأشعري - تحقيق بشير عيون - مكتبة المؤيد الطائف - الطبعة الثالثة ، وتحقيق د/ فوقية حسن محمود - دار الأنصار - القاهرة الطبعة الأولى - ١٣٩٧ هـ .

٢- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة - تأليف ابن بطة العكبري الحنبلي - دار الراية - الرياض - المملكة العربية السعودية .

٣- ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفي - الطبعة الثانية - ١٩٧٨ م .

٤- أبكار الأفكار للآمدي - تحقيق ودراسة أحمد المهدي محمد المهدي - رسالة دكتوراه - جامعة الأزهر - كلية أصول الدين - القاهرة - ١٩٧٢ م .

٥- أبكار الأفكار في علم أصول الدين - تأليف أبي الحسن الآمدي - مخطوط نسخة أيا صوفيا بتركيا - رقم ٢١٦٨ .

٦- الإتقان في علوم القرآن - تأليف جلال الدين السيوطي - دار التراث - القاهرة - مصر - ١٩٦٧ م - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .

٧- آثار البلاد وأخبار العباد - تأليف زكريا بن محمد القزويني - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٨- إخبار العلماء بأخبار الحكماء - القفطي - طبع في القاهرة - ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م .

٩- أخبار القضاة - تأليف وكيع بن خلف - عالم الكتب - بيروت - لبنان .

١٠- الإحكام في أصول الأحكام - تأليف أبي الحسن الآمدي - تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي - طبع المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية - ١٤٠٢ هـ - بيروت - لبنان .

١١- آراء المعتزلة الأصولية - الدكتور علي بن سعد الضويحي - مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .

١٢- الأربعين - الرازي - تحقيق أحمد حجازي السقا - مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى ١٩٨٦ - القاهرة .

١٣- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب والمعروف بمعجم الأدباء - تأليف ياقوت الحموي - تحقيق د/ إحسان عباس - دار الغرب الإسلامي - الطبعة الأولى - ١٩٩٣ م - بيروت - لبنان .

١٤- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد - تأليف إمام الحرمين أبي المعالي الجويني - تحقيق د / محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد - مطبعة السعادة - مصر ١٩٥٠ .

١٥- إرشاد الفحول - تأليف الشوكاني - تحقيق د/ شعبان محمد إسماعيل - دار الكتبي - الطبعة الأولى - ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م .

١٦- أسباب النزول - تأليف الواحدي مكتبة المتنبي - القاهرة - مصر .

١٧- الاستقامة - تأليف شيخ الإسلام أحمد بن تيمية .

١٨- الإستيعاب في معرفة الأصحاب - تأليف ابن عبد البر القرطبي - تحقيق علي محمد البيجاوي - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٣ م - دار الجيل - بيروت لبنان .

١٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة - تأليف أبي الحسن عز الدين ابن الأثير - تحقيق محد إبراهيم البنا وآخرون - طبع دار الشعب - ١٣٩٠ هـ .

٢٠- الإسلام يتحدى - الأستاذ وحيد خان - الطبعة العاشرة - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان .

٢١- الإصابة في معرفة الصحابة - تأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني - تحقيق د / طه الزيني - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - مصر - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠ .

٢٢- أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرامطة - تأليف برنارد لويس ترجمة حكمت تلحوت - دار الحداثة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٩٨٠ م .

٢٣- أصول الدين - تأليف عبد القاهر البغدادي - الطبعة الأولى استانبول - مطبعة الدولة - ١٣٤٦ هـ .

٢٤- أصول الدين عند أبي حنيفة - د/ محمد الخميس - دار الصميعي - الرياض المملكة العربية السعودية .

٢٥- أصول السنة - تأليف محمد بن عبد الله الشهير بابن زمنين - مكتبة الغرباء - الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية .

٢٦- الأطلس المدرسي - لجنة تطوير المواد الاجتماعية بوزارة التربية بالكويت - مؤسسة فهد المرزوق الصحفية للطباعة والنشر - الطبعة الخامسة - ١٩٩٤ م .

٢٧- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد - تأليف الحافظ البيهقي - دار الآفاق الجديدة - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ تحقيق أحمد عصام الكاتب .

٢٨- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة - تأليف عز الدين محمد بن شداد - تحقيق سامي الدهان - دمشق - المعهد الفرنسي للدراسات العربية - سوريا - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

٢٩- الأعلام بما في دين الأنصارى من الفساد والأوهام - تأليف القرطبي .

٣٠- الأعلام - تأليف خير الدين الزركلي - الطبعة ١٩٨٦ م - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان .

٣١- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء - تأليف محمد راغب الطباخ الحلبي صححه وعلق عليه محمد كمال - دار القلم - الطبعة الثانية - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م - حلب سوريا .

٣٢- أعلام النبوة - تأليف أبي الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي - تحقيق محمد البغدادي الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

٣٣- أعلام النساء - عمر رضا كحالة - مؤسسة الرسالة - بيروت لبنان .

٣٤- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان - تأليف ابن قيم الجوزية - تحقيق محمد سيد الكيلاني - طبع مصطفى البابي الحلبي - مصر - القاهرة - ١٣٨١ هـ - ١٩٨١ م .

٣٥- الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر - تأليف عبد اللطيف البغدادي .

٣٦- الاقتصاد في الاعتقاد - الغزالي - تحقيق مورف فوزي الجبر - طبع دار الحكمة للطباعة والنشر - الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م - دمشق - سوريا .

٣٧- الاقتصاد في الاعتقاد - طبع دار الكتب العلمية .

٣٨- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم - تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق محمد حامد الفقي - نشر دار المعرفة - بيروت - لبنان .

٣٩- الإقناع في القراءات السبع - تأليف تحقيق د / عبد المجيد قطامش - طبع جامعة أم القرى مكة المكرمة .

٤٠- الإمام من أبكار الأفكار للآمدي - تحقيق ودراسة محمد الزبيدي - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م - دار الكتاب العربي - بيروت لبنان .

٤١- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني - حياته وعصره وآثاره وفكره - تأليف عبد العظيم الديب - دار القلم الكويت - الطبعة الأولى - ١٤٠١ هـ .

٤٢- الإمام زيد حياته وعصره وآراؤه الفقهية - دار الفكر العربي .

٤٣- الإمام زيد بن علي المفترى عليه - الشيخ صالح أحمد الخطيب - دار الندوة الجديدة - بيروت - لبنان - ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

٤٤- الآمدي أصولياً - محمد الجيزاني - رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الأسلامية - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

٤٥- إنباه الرواة على أنباء النحاة - تأليف القفطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة دار الكتب المصرية .

٤٦- الأنساب - تأليف عبد الكريم بن محمد السمعاني - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي - دار الجنان .

٤٧- الإنسان بين المادية والإسلام - الأستاذ محمد قطب - دار الشروق الطبعة السابعة - ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م - القاهرة .

٤٨- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به - أبو بكر الباقلاني - تحقيق محمد زاهد الكوثري - المكتبة الأزهرية للتراث - مصر - بدون تاريخ .

٤٩- أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية - محمد بن إبراهيم الشيباني - مكتبة ابن تيمية - الكويت - الطبعة الأولى - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

٥٠- أيام صلاح الدين - تأليف عبد العزيز سيد الأهل - طبع المكتب التجاري للطباعة - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٦١ م .

٥١- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون - مطبعة وكالة المعارف العثمانية - استانبول - ١٣٦٤ هـ - ١٦٤٥ م .

- ب -

٥٢- باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي - تأليف محمد خليل هراس - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٥٣- البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير - تحقيق د/ أحمد أبي ملحم وجماعة - الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

٥٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع - محمد بن علي الشوكاني - دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - مصر .

٥٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - تأليف السيوطي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - بيروت - لبنان .

٥٦- بنيات المعجزة الخالدة - تأليف د/ حسن ضياء عتر - دار النصر - سوريا - حلب - الطبعة الأولى - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

- ت -

٥٧- تاج العروس من جواهر القاموس - طبع وزارة الأعلام والإرشاد - الكويت .

٥٨- تاريخ الأدب العربي - تأليف بروكلمان - ترجمة النجار - دار المعارف .

٥٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - شمس الدين الذهبي - تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري - الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

٦٠- تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي - الطبعة الأولى - مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م .

٦١- تاريخ الأمم والملوك - ابن جرير الطبري - بعناية أبي الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر - ١٩٦٩ م .

٦٢- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية - تأليف عز الدين بن الأثير - تحقيق عبد القادر طليمات - دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٩٦٣ م .

٦٣- تاريخ التشريع الإسلام - تأليف محمد الخضري - الطبعة الثالثة - دار الأندلس - بيروت - لبنان - ١٩٧٩ م .

٦٤- تاريخ الخلفاء - تأليف جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

٦٥- تاريخ خليفة بن خياط - تأليف خليفة بن خياط - تحقيق د/ أكرم العمري - دار طيبة - الرياض - الطبعة الثانية - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٦٦- تاريخ الدولة الفاطمية - حسن إبراهيم حسن - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثالثة - ١٩٦٤ م - مصر .

٦٧- تاريخ الفقه الإسلامي ونظرية الملكية والعقود - تأليف بدران أبي العينين بدران - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

٦٨- تاريخ مولد العلماء ووفاتهم - تأليف ابن زبر الربعي - تحقيق عبد الله وعمر أنيش الطباع - مؤسسة المعارف - ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م - بيروت - لبنان .

٦٩- التبصرة في القراءات السبع - تأليف أبي محمد مكي بن أبي طالب - الدار السلفية - الطبعة الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٧٠- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الهالكين - تأليف أبي المظفر الإسفراييني - تحقيق كمال يوسف الحوت - عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٧١- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه - تأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني - تحقيق علي محمد البيجاوي ومحمد علي النجار - المكتبة العلمية - بيروت - لبنان - ١٩٦٤ م .

٧٢- تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الأشعري - تأليف ابن عساكر - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ١٣٩٩٠ هـ .

٧٣- التجسيم عند المسلمين - سهير محمد مختار - مذهب الكرامية - نشر شركة الإسكندرية للطباعة والنشر - الطبعة الأولى - ١٩٧١ م .

٧٤- التحرير في أصول الفقه - الكمال بن الهمام - مطبعة الحلبي .

٧٥- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد - تأليف البيجوري - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٧٦- التحقيق التام في علم الكلام - تأليف محمد الحسين الظواهري - الطبعة الأولى ١٩٣٩ م مكتبة النهضة .

٧٧- تدوي السنة النبوية - تأليف د / محمد مطر الزهراني - دار الهجرة الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ .

٧٨- تذكرة الحفاظ - تأليف شمس الدين الذهبي - الطبعة الثانية - حيدر آباد الدكن - دائرة المعارف العثمانية - الهند - ١٣٣٣ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان .

٧٩- تذكرة السامع والمتكلم - تأليف ابن جماعة - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٨٠- ترتيب القاموس - المحيط على طريقة المصباح المنير - وأساس البلاغة - الطاهر الزاوي - دار العربية للكتاب - الطبعة الثالثة .

٨١- التعريفات - تأليف الشريف بن علي الجرجاني - تحقيق إبراهيم الأبياري - دار الكتاب العربي - الطبعة الثانية - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م - بيروت - لبنان .

٨٢- تفسير التحرير والتنوير - محمد الطاهر عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤ م .

٨٣- تفسير القرآن العظيم - الحافظ عماد الدين ابن كثير - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٨٤- التفسير الكبير - الفخر الرازي - دار الكتب العلمية - لبنان .

٨٥- تفسير المنار - محمد رشيد رضا - طبع المنار بمصر - الطبعة الثالثة - ١٣٦٧ هـ .

٨٦- التكملة لوفيات النقلة - تأليف زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري - تحقيق الدكتور بشار عواد معروف - مؤسسة الرسالة الطبعتان الثانية (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) والثالثة (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م) .

٨٧- تنزيه القرآن عن المطاعن - القاضي عبد الجبار - دار النهضة - بيروت - لبنان .

٨٨- تلخيص المحصل - نصير الدين الطوسي - مطبوع بهامش المحصل للرازي مراجعة طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة .

٨٩- التمهيد - تأليف أبي بكر الباقلاني - منشورات جامعة الحكمة بغداد - تصحيح / تشرد يوسف اليسوعي - المكتبة الشرقية - بيروت - ١٩٥٧ م .

٩٠- تهذيب التهذيب - الحافظ ابن حجر العسقلاني - مطبعة دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد الدكن - الطبعة الأولى - الهند - ١٣٢٥ هـ .

٩١- تهذيب الكمال في أسماء الرجال - الحافظ جمال الدين المزي - مراجعة وتحقيق د / سهيل زكار وأحمد علي عبيد وحسن أحمد آغا - دار الفكر للنشر .

٩٢- تهذيب اللغة - تأليف أبي منصور محمد الأزهري - تحقيق د / عبد الله درويش - الدار المصرية - للتأليف والنشر .

٩٣- توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس - تأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني - تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٩٤- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد - سليمان بن عبد الله آل الشيخ - المكتب الإسلامي - الطبعة السابعة - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ - بيروت - لبنان .

٩٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي - تقديم محمد زهري النجار وتصحيح محمد سليمان البسام - طبع ونشر دار المدني بجدة - المملكة العربية السعودية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

- ج -

٩٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري - دار - الفكر - بيروت - لبنان .

٩٧- جامع الرسائل - أحمد بن تيمية - تحقيق محمد رشاد سالم - نشر دار المدني للنشر والتوزيع - جدة - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

٩٨- الجامع لأحكام القرآن - تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .

٩٩- الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج القيشيري النيسابوري - دار الفكر - بيروت - لبنان .

١٠٠- الجرح والتعديل - تأليف ابن أبي حاتم - دار الكتب العربية - بيروت لبنان .

١٠١- الجمع بين الصحيحين - ابن القيسراني - الطبعة الأولى - ١٣٢٣ هـ - حيدر آباد الدكن - الهند .

١٠٢- جمهرة أنساب العرب - تأليف ابن حزم الأندلسي - تحقيق محمد عبد السلام هارون - دار المعارف - مصر - ١٣٨٢ هـ - الطبعة الخامسة .

١٠٣- الجواب الصحيح - شيخ الإسلام ابن تيمية - مطابع المجد التجارية بدون تاريخ .

١٠٤- الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين - تأليف إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي المعروف بابن دقماق - تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ومراجعة د/ أحمد السيد دراج - أم القرى - مركز البحث العلمي إحياء التراث .

- خ -

١٠٥- الخطط - تأليف تقي الدين أحمد بن علي بن محمد المقريزي - دار التحرير للطبع والنشر - القاهرة .

١٠٦- خوارق العادات في القرآن الكريم - تأليف عبد الرحمن الحميضي - شركة مكتبات عكاظ - جدة المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .

- ح -

١٠٧- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي - تأليف الشهاب الخفاجي - دار صادر - بيروت - لبنان .

١٠٨- حاشية الصاوي المالكي على الجلالين - تأليف أحمد الصاوي المالكي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

١٠٩- حاشية كتاب التوحيد - عبد الرحمن بن محمد العاصمي - الطبعة الثالثة - ١٤٠٨ هـ .

١١٠- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة - تأليف إسماعيل بن محمد الأصبهاني - تحقيق محمد بن ربيع المدخلي - دار الراية الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م - الرياض - المملكة العربية السعودية .

١١١- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة - جلال الدين السيوطي - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - الطبعة الأولى - دار إحياء الكتب العربية - ١٣٨٧هـ .

١١٢- حلية الأولياء - تأليف أبي نعيم الأصبهاني - طبع دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

- د -

١١٣- دائرة المعارف بطرس البستاني - دائرة المعرفة - بيروت - لبنان .

١١٤- دائرة المعارف الإسلامية - عمل جماعة من المستشرقين - أعد النسخة العربية إبراهيم خورشيد وآخرون - طبعة الشعب - مصر .

١١٥- دائرة معارف القرن العشرين - تأليف محمد فريد وجدي - دار المعرفة - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة .

١١٦- الدارس في تاريخ المدارس - النعيمي - دمشق - سوريا .

١١٧- درء تعارض النقل مع العقل - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق محمد رشاد سالم - طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

١١٨- دراسات في النبوة والرسالة - الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر - مكتبة المعارف الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .

١١٩- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين - الخوارج والشيعة - تأليف أحمد محمد جلي - الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض - المملكة العربية السعودية .

١٢٠- الدرة فيما يجب اعتقاده - تأليف أبي محمد علي بن حزم - دارسة وتحقيق وتعليق دكتور أحمد بن ناصر الحمد - والدكتور سعيد القزقي - مطبعة المدني - الطبعة الأولى .

١٢١- الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد - عبد الرحمن العليمي - تحقيق د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م - مكتبة التوبة - المملكة العربية السعودية .

١٢٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - الحافظ ابن حجر العسقلاني - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

١٢٣- دقائق التفسير - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق السيد الجليند - مؤسسة علوم القرآن - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

١٢٤- الدليل الشافي على المنهل الصافي - ابن تغري بردي - تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت - جامعة أم القرى - مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية .

١٢٥- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ومعه الابتهاج بتطريز الديباج - ابن فرحون - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٤ م .

١٢٦- ديوان أبي العتاهية - طبع دار بيروت للطباعة والنشر - لبنان - ١٣٨٤ هـ .

- ذ -

١٢٧- ذيل طبقات الحنابلة - تأليف الحافظ ابن رجب الحنبلي - الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

١٢٨- الذيل على الروضتين - تأليف شهاب الدين المقدسي المعروف بأبي شامة - عرف بالكتاب وترجم لمؤلفه محمد زاهد الكوثري - الطبعة الثانية - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٤ م .

١٢٩- ذيل مرآة الزمان - تأليف قطب الدين موسى بن محمد اليونيني - بعناية وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية - الطبعة الأولى - ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م - حيدر آباد الدكن - الهند .

١٣٠- ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال - تأليف أبي العباس المكناسي - تحقيق د/ الأحمدي أبي النور - دار التراث - الطبعة الأولى - ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م - مصر القاهرة .

- ر -

١٣١- الرد على المنطقيين - تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية - إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان - الطبعة الثانية - ١٣٩٦ هـ .

١٣٢- رسالة إلى أهل الثغر - تأليف أبي الحسن الأشعري - تحقيق ودراسة عبد الله شاكر - مؤسسة علوم القرآن - سوريا - الطبعة الأولى - ١٩٨٨ م .

١٣٣- الرسالة المستطرفة - الكتاني - بيروت - لبنان .

١٣٤- الرسل والرسالات - عمر سليمان الأشقر - الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - مكتبة الفلاح الكويت .

١٣٥- الروض الأنف - تأليف السهيلي - طبع مصر - ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م .

- ز -

١٣٦- زاد المسير في علم التفسير - تأليف عبد الرحمن بن الجوزي - المكتب الإسلامي - الطبعة الرابعة - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٥ م ، وطبعة أخرى تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبد الله - دار الفكر الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٥ م .

١٣٧- زبدة الحلب في تاريخ حلب - كمال الدين بن العديم - تحقيق سامي دهان - المعهد الفرنسي للدراسات العربية - دمشق - ١٩٥١ م .

- س -

١٣٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة - تأليف محمد ناصر الدين الألباني - المجلد الثاني - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان .

١٣٩- سلسلة أعلام العرب - شيخ الإسلام ابن تيمية - تأليف د / محمد يوسف موسى - طبع مكتبة مصر - ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م - مصر - القاهرة .

١٤٠- السنة - تأليف أبي بكر عمر بن أبي عاصم - تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الثالثة - ١٤٠٣ هـ - ١٩٩٣ م - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان .

١٤١- السنة قبل التدوين - تأليف د / محمد عجاج الخطيب - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

١٤٢- السنة والشيعة - تأليف حسن إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة - لاهور باكستان - الطبعة الثانية - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

١٤٣- سنن ابن ماجة - محمد بن يزيد القزويني - ترقيم وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي - بيروت - لبنان .

١٤٤- سير أعلام النبلاء - تأليف شمس الدين الذهبي - تخريج وتعليق وتحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م - بيروت لبنان .

١٤٥- السيرة النبوية - تأليف ابن هشام - المكتبة التوفيقية - مصر .

- ش -

١٤٦- الشافعي حياته عصره آراؤه وفقهه - دار الفكر العربي - الطبعة الثانية - ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م - القاهرة - مصر .

١٤٧- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية - محمد بن محمد مخلوف - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٤٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ابن العماد الحنبلي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

١٤٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - تأليف اللالكائي - تحقيق أحمد سعد حمدان - دار طيبة - الرياض الطبعة الثانية - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

١٥٠- شرح الأصول الخمسة - تأليف القاضي عبد الجبار - تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان - مكتبة وهبة - الطبعة الثانية - ١٤٠٨ هـ - ١٩٩٤ م .

١٥١- شرح العقائد النسفية - تأليف سعد الدين التفتازاني - مطبعة صبيح - الطبعة الثانية - القاهرة - مصر .

١٥٢- شرح العقيدة الطحاوية - تأليف ابن أبي العز الحنفي - تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م - بيروت - لبنان ، وطبعة آخرى تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - الطبعة الخامسة - ١٣٩٩ هـ - بيروت .

١٥٣- شرح المقاصد - شرح التفتازاني - تحقيق دكتور عميرة - عالم الكتب بيروت - لبنان - الطبعة الأولى .

١٥٤- الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى - القاضي عياض - مطبعة محمد المدني .

١٥٥- شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل - ابن القيم - طبع دار التراث - القاهرة - مصر .

١٥٦- شيخ الإسلام ابن تيمية - إمام السيف والقلم - - الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م - دار اللواء - الرياض - المملكة العربية السعودية .

١٥٧- الشيعة وأهل السنة - إحسان إلهي ظهير - لاهور - باكستان .

- ص -

١٥٨- الصحاح - تأليف إسماعيل الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان .

١٥٩- صحيح البخاري - الإمام محمد بن إسماعيل البخاري - المكتبة الإسلامية استانبول تركيا .

١٦٠- صحيح الجامع الصغير وزياداته - محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الثانية - المكتب الإسلامي - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٦١- الصفدية - شيخ الإسلام ابن تيمية - مكتبة ابن تيمية - القاهرة - تحقيق محمد رشاد سالم - الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ .

- ض -

١٦٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - للسخاوي - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ - دار الجيل - بيروت - لبنان .

- ط -

١٦٣- طائفة الإسماعيلية تاريخها نظمها عقائدها - محمد كامل حسين - الطبعة الأولى - ١٩٥٩ م .

١٦٤- طبقات الحنابلة - للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى - دار المعرفة - بيروت - لبنان .

١٦٥- طبقات الشافعية - ابن قاضي شهبة - عناية الدكتور الحافظ عبد العليم خان - الطبعة الأولى - عالم الكتب - بيروت - لبنان .

١٦٦- طبقات الشافعية الكبرى - ابن السبكي - تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو - الطبعة الأولى - دار إحياء الكتب العربية - فيصل البابي الحلبي - مصر .

١٦٧- طبقات الشافعية - عبد الرحيم جمال الدين الأسنوي - تحقيق عبد الله الجبوري - دار العلوم - ١٤٠١ هـ .

١٦٨- طبقات فقهاء الشافعية - تأليف ابن الصلاح - تحقيق وتعليق محي الدين علي نجيب - دار البشائر الإسلامية - الطبعة الأولى - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٤ م - بيروت - لبنان .

١٦٩- الطبقات الكبرى - ابن سعد - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م - بيروت - لبنان - تحقيق محمد عبد القادر عطا .

١٧٠- طوالع الأنوار من مطالع الأنظار - البيضاوي - تحقيق عباس سليمان - دار الجيل - بيروت - لبنان .

- ع -

١٧١- عالم الملائكة الأبرار - الدكتور عمر سليمان الأشقر - مكتبة الفلاح - الكويت .

١٧٢- العبر في أخبار من غبر - شمس الدين الذهبي - تحقيق بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

١٧٣- العدة في أصول الفقه - تأليف أبي يعلى الفراء - تحقيق الدكتور أحمد المباركي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

١٧٤- عصمة الأنبياء عند مفكري الإسلام - أحمد عبد اللطيف - رسالة ماجستير - توجد نسخة منها في مكتبة الدراسات العليا بجامعة أم القرى - مكة المكرمة .

١٧٥- العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها - د/ صابر طعيمة - توزيع المكتبة الثقافية - الطبعة الثانية - ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م - بيروت لبنان .

١٧٦- العقد الفريد - أحمد بن عبد ربه الأندلسي - مطبعة الاستقامة - الطبعة الثانية .

١٧٧- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي - مطبعة المدني - القاهرة - مصر .

١٧٨- عقيدة ختم النبوة المحمدية - د/ أحمد سعد حمدان - دار طيبة - الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م - الرياض - المملكة العربية السعودية .

١٧٩- علوم القرآن والحديث - أحمد محمد علي - دار البشير - عمان الأردن .

١٨٠- عمر بن الخطاب - عبد الرحمن بن الجوزي - تحقيق زينب القاروط - الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

١٨١- عيون الأنباء في طبقات الأطباء - موفق الدين أحمد بن القاسم المعروف بابن أبي أصيبعة - شرح وتحقيق د/ نزار رضا - دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - ١٩٦٥ م .

١٨٢- عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية - شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة - تحقيق أحمد البسيوني - وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية - دمشق - ١٩٩١ م - إحياء التراث العربي .

- غ -

١٨٣- غاية المرام للآمدي - تحقيق ودراسة د / حسن محمود عبد اللطيف - طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة - مصر - ١٣١٩ هـ - ١٩٧١ م .

- ف -

١٨٤- فتاوى ومسائل ابن الصلاح - تأليف ابن الصلاح تحقيق د / عبد المعطي قلعجي - الطبعة الأولى - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ١٤٠٦ هـ - توزيع مكتبة دار المعارف - الرياض .

١٨٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - الطبعة السلفية - بتعليق الشيخ عبد العزيز بن باز .

١٨٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير - محمد بن علي الشوكاني - الطبعة الثانية - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر .

١٨٧- فتوح البلدان - تأليف أبي العباس أحمد بن يحي البلاذري - تحقيق عبد الله وعمر أنيس الطباع - مؤسسة المعارف - ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م - بيروت - لبنان .

١٨٨- الفخري في الآداب السلطانية - محمد بن علي طباطبا - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - بيروت - لبنان .

١٨٩- الفرق بين الفرق - عبد القاهر بن طاهر البغدادي - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - طبع محمد علي صبيح - القاهرة - مصر .

١٩٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل - تأليف أبي محمد على بن أحمد بن حزم - دار الجيل - بيروت - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - تحقيق دكتور محمد إبراهيم نصر ودكتور عبد الرحمن عميرة .

١٩١- فضائح الباطنية - تأليف أبي حامد الغزالي - تحقيق وتقديم د / عبد الرحمن بدوي - مؤسسة الرسالة دار الكتب الثقافية - الكويت .

١٩٢- فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها - الدكتور أحمد سعد حمدان - الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م - دار طيبة - الرياض - المملكة العربية السعودية .

١٩٣- الفقه الأكبر في التوحيد - الإمام الشافعي - طبع على فقة أحمد أفندي - الطبعة الأولى - المطبعة الأدبية الأربكية .

١٩٤- فكر الرازي في النبوات - أحمد محمد ليلة - رسالة دكتوراه - الأزهر - كلية أصول الدين .

١٩٥- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي - محمد بن الحسن الحجوي - تحقيق عبد العزيز القاري - الطبعة الأولى - المكتبة العلمية - المدينة المنورة - ١٣٩٦ هـ .

١٩٦- الفهرست - لابن النديم - تحقيق رضا تجددي - نشر دار المسيرة - بيروت - لبنان .

١٩٧- الفوائد البهية في تراجم الحنفية - أبو الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي - الناشر مكتبة خير الكثير - باكستان .

١٩٨- الفيلسوف الآمدي - عبد الأمير الأعسم - دار المناهل - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- ق -

١٩٩- القاموس المحيط - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - بيروت - لبنان .

٢٠٠- قاموس المورد القريب - منير البعلبكي - دار العلم للملايين .

٢٠١- القرامطة - عبد الرحمن بن الجوزي - تحقيق محمد الصباغ - منشورات المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

٢٠٢- قواعد المنهج السلفي - مصطفى حلمي - دار الدعوة - الأسكندرية - الطبعة الثانية - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

٢٠٣- القول المفيد على كتاب التوحيد - محمد بن صالح العثيمين - دار العاصمة - الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ - الرياض - المملكة العربية السعودية .

- ك -

٢٠٤- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة - تأليف الإمام الذهبي - مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٢٠٥- كتاب التوحيد - تأليف محمد بن عبد الوهاب التميمي - تحقيق أحمد شاكر - عالم الكتب - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٢٠٦- الكشاف عن حقائق التنزيل - تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - دار المعرفة - بيروت - لبنان .

٢٠٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - تأليف حاجي خليفة - مكتبة المثنى - بغداد .

٢٠٨- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد - تأليف جمال الدين أبي منصور الحسين بن يوسف بن علي بن المظهر الحلي - مكتبة المصطفوي - قم - إيران .

٢٠٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - تأليف العلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري - مؤسسة الرسالة - بيروت لبنان - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكري حيان - وصححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوة السقا .

٢١٠- الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية - مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي - تحقيق وتعليق نجم الدين عبد الرحمن خلف - دار الغرب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - بيروت - لبنان .

- ل -

٢١١- لسان العرب - تأليف أبي الفضل جمال الدين بن منظور - دار صادر - بيروت - لبنان .

٢١٢- لمع الأدلة في اعتقاد أهل السنة - الجويني - تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود - المؤسسة المصرية العامة للتأليف - مصر - الطبعة الأولى - ١٣٨٥ م .

٢١٣- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع - تأليف ابي الحسن الأشعري - تحقيق حمود غرابة - مطبعة مصر - ١٩٥٥ م .

٢١٤- لوائح الأنوار السنية - محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي - تحقيق عبد الله بن محمد البصيري - مكتبة الرشد - الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م - الرياض - المملكة العربية السعودية .

٢١٥- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية - محمد بن أحمد السفاريني - مطبعة المدني - القاهرة .

- م -

٢١٦- مباحث في علم الجرح والتعديل - تأليف قاسم علي سعد - دار البشائر الإسلامية - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - بيروت - لبنان .

٢١٧- مباحث في علوم القرآن - د / صبحي الصالح - دار العلم للملايين .

٢١٨- مجرد مقالات الأشعري - تأليف أبي بكر بن فورك - دار المشرق - بيروت - تحقيق دانيال جيما ربه .

٢١٩- مجمع الزوائد - الهيثمي - مؤسسة المعارف للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٢٢٠- مجموع الفتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي - طبعة الإفتاء .

٢٢١- مختصر التحفة الاثنى عشرية - شاه عبد العزيز الدهلوي - ترجمة واختصار السيد محمود شكري الألوسي - تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب - الطبعة الثانية - ١٣٨٧ هـ .

٢٢٢- مختصر الصواعق المرسلة - لابن القيم - اختصره الشيخ محمد بن الموصلي - طبعة مكتبة الرياض الحديثة .

٢٢٣- المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد الدبيثي - أو ذيل تاريخ بغداد - الحافظ شمس الدين الذهبي - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥ هـ - نشر دار الباز .

٢٢٤- محاضرات الأمم الإسلامية - محمد الخضري - دار الفكر العربي .

٢٢٥- المحلى - تأليف أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري - تحقيق أحمد شاكر - دار التراث - القاهرة .

٢٢٦- المحيط بالتكليف - تأليف القاضي عبد الجبار - تحقيق عمر السيد عزمي - مراجعة أحمد فؤاد الأهواني - المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر - القاهرة .

٢٢٧- المدخل لدراسة القرآن - تأليف د/ محمد محمد أبي شهبة - مكتبة السنة - القاهرة - مصر الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ - ١٩٨٣ م .

٢٢٨- مذاهب الإسلاميين - تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي - دار العلم للملايين - الطبعة الثالثة - ١٩٨٣ م - بيروت - لبنان .

٢٢٩- مذكرة التوحيد - عبد الرزاق عفيفي - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٢٣٠- مرآة الجنان وعبرة اليقظان - تأليف عبد الله أسعد اليافعي - الطبعة الأولى - ١٣٣٧ هـ - دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند .

٢٣١- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان - سبط بن الجوزي - الطبعة الأولى - مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٣٩ هـ .

٢٣٢- المستدرك - تأليف أبي عبد الله الحاكم - نشر مكتبة ابن العربي - بيروت - لبنان .

٢٣٣- مسند الإمام أحمد - الطبعة الميمنية - نشر دار صادر - بيروت - وطبعة أخرى بتحقيق أحمد شاكر - دار المعارف بمصر - ١٣٧٥ هـ .

٢٣٤- المستصفى من علم الأصول - تأليف أبي حامد الغزالي - الطبعة الثانية - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٢٣٥- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد - تحقيق وتعليق د / قيصر أبي فرح مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند - الطبعة الأولى - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٢٣٦- مشاهير علماء الأمصار - تأليف ابن حبان البستي - بيروت - لبنان .

٢٣٧- مصباح الزجاجة - تأليف البوصيري - الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٣٨- معارج القبول - الشيخ حافظ الحكمي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٢٣٩- معالم أصول الدين - فخر الدين الرازي - طبع مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - مصر .

٢٤٠- معجم البلدان - ياقوت الحموي - تحقيق فريد عبد العزيز الجندي - الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٢٤١- معجم المؤلفين - عمر كحالة - طبع مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م - بيروت - لبنان .

٢٤٢- معجم الشيوخ أبو المعجم الكبير - الحافظ الذهبي - تحقيق د/ محمد الحبيب هيلة - مكتبة الصديق - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - الطائف - المملكة العربية السعودية .

٢٤٣- المعجم الفلسفي - تأليف عبد المنعم المغني - الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م - الدار الشرقية .

٢٤٤- المعجم الكبير للطبراني - تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي - طبعة مطبعة الوطن العربي - الجمهورية العراقية .

٢٤٥- معجم المعاجم - تأليف أحمد الشرقاوي إقبال - دار الغرب الإسلامي - الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٢٤٦- معجم مصنفي الكتب العربية - تأليف عمر كحالة - طبع مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - بيروت - لبنان .

٢٤٧- المعجم الوسيط - معجم اللغة العربية - الطبعة الثالثة .

٢٤٨- معرفة الصحابة - تأليف أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني - تحقيق ودراسة الدكتور محمد راضي - مكتبة دار المدينة المنورة - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٢٤٩- معرفة القراء الكبار - الحافظ الذهبي - طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان .

٢٥٠- المغني في أبواب التوحيد والعدل - تحقيق أحمد فؤاد الأهواني - الطبعة الأولى - القاهرة .

٢٥١- مفتاح دار السعادة - ابن قيم الجوزية - مطبعة صبيح القاهرة .

٢٥٢- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - طاش كبرى زاده - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ .

٢٥٣- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - تأليف ابن واصل الحموي - تحقيق جمال الدين الشيال - القاهرة - مصر - ١٩٥٩ م ، وطبعة أخرى بتحقيق حسن محمد ربيع - مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور - القاهرة - دار الكتب المصرية .

٢٥٤- مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصفاني - تحقيق صفوان عدنان رادودي - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

٢٥٥- المقدمة - عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي - تصحيح وفهرست أبي عبد الله السعيد المندوه - مؤسسة الكتب الثقافية - الطبعة الأولى - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - بيروت - لبنان ، وطبعة آخرى بتقديم د / جمعة شيخة - مكتبة ودار المدينة المنورة للنشر والتوزيع - الدار التونسية للنشر تونس - ١٩٨٤ م .

٢٥٦- مقارنة الأديان (أديان الهند الكبرى) - تأليف أحمد شلبي - الطبعة التاسعة - ١٩٩٠ م - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .

٢٥٧- مقارنة بين الغزالي وابن تيمية - د/ محمد رشاد سالم - الدار السلفية - الكويت - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

٢٥٨- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - تأليف أبي الحسن الأشعري - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - الطبعة الثانية - ١٩٦٩ م - مكتبة النهضة ، وطبعة آخرى بتحقيق هلموت ريتر - الطبعة الثالثة - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٢٥٩- الملل والنحل - تأليف محمد بن عبد الكريم الشهرستاني - تحقيق محمد سيد كيلاني - مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر - طبعة ١٣٩٦٥ هـ - ١٩٧٦ م .

٢٦٠- مناقب الإمام أحمد - عبد الرحمن بن الجوزي - تحقيق د/ عبد الله ابن عبد المحسن التركي - مكتبة الخانجي - مصر - القاهرة .

٢٦١- مناقب الإمام الشافعي - تأليف فخر الدين الرازي - تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا - مكتبة الكليات الأزهرية - الطبعة الأولى - مصر - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ .

٢٦٢- مناهج الأدلة - تأليف ابن رشد - تحقيق د / محمود قاسم - القاهرة - مصر .

٢٦٣- مناهج البحث العلمي في العقيدة بين النصيين والعقليين - تأليف د / عماد خفاجي - رسالة دكتوراه - جامعة الأزهر - كلية أصول الدين - قسم العقيدة والفلسفة .

٢٦٤- مناهل العرفان في علوم القرآن - تأليف محمد عبد العظيم الزرقاني - دار الفكر - بيروت - لبنان .

٢٦٥- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - عبد الرحمن بن الجوزي - تحقيق ودراسة محمد عبد القادر عطا ومراجعة نعيم زرزور - دار الكتب العلمية الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م - بيروت - لبنان .

٢٦٦- منتهى السول في علم الأصول - الآمدي - تصحيح عبد الوصيف محمد - مطبعة محمد علي صبيح - القاهرة - مصر .

٢٦٧- المنقذ من الضلال - تأليف أبي حامد الغزالي - تحقيق عبد الحليم محمود - دار الكتاب اللبناني - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٧٩ م .

٢٦٨- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية - ابن تيمية - تحقيق محمد رشاد سالم - طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ، وطبعة أخرى - نشر دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٢٦٩- المنهج الأحمد - المجير العليمي - راجعه عادل نويهض - عالم الكتب - بيروت - لبنان - ١٤٠٣ هـ .

٢٧٠- منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة - د/ أحمد عبد اللطيف - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

٢٧١- منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى - الدكتور عبدالراضي ابن محمد عبد المحسن - مكتبة التربية الإسلامية - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م - مصر .

٢٧٢- منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين - تأليف مصطفى حلمي - القاهرة - مصر .

٢٧٣- موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول - ابن تيمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٢٧٤- المواقف في علم الكلام - الإيجي - عالم الكتب - بيروت - لبنان .

٢٧٥- الموسوعة الفلسفية - الدكتور عبد المنعم الحفني - بيروت - لبنان .

٢٧٦- موقف الإسلام من السحر - أ / حياة سعيد عمر - دار المجتمع - الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م - جدة - المملكة العربية السعودية .

٢٧٧- ميزان الاعتدال - الحافظ الذهبي - تحقيق علي محمد البيجاوي - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأولى - ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

- ن -

٢٧٨- النبأ العظيم - الدكتور محمد عبد الله دراز - دار القلم - الطبعة السادسة - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م - الكويت .

٢٧٩- النبوات - ابن تيمية - دار الكتب العلمية - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - بيروت - لبنان .

٢٨٠- النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية - رسالة دكتوراه - توجد نسخة منها في مكتبة جامعة الأزهر - كلية الدعوة وأصول الدين - القاهرة - ١٩٩٣ م .

٢٨١- نبوة محمد ﷺ - حسن ضياء الدين عتر - دار البشائر - الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م - لبنان .

٢٨٢- النبوة والرسالة - معفور عثمان - رسالة ماجستير توجد نسخة منها في مكتبة جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٢٨٣- النبي والرسول - دكتور أحمد الناصر - مكتبة القدس - الزلفي - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ .

٢٨٤- النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية - ابن سينا - الطبعة الأولى - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٩٨٥ م .

٢٨٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ابن تغري بردي - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - طبع سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

٢٨٦- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام - الدكتور علي سامي النشار - دار المعارف - الطبعة السابعة - القاهرة - ١٩٧٧ م .

٢٨٧- نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م - بيروت - لبنان .

٢٨٨- نقض المنطق - ابن تيمية - تحقيق محمد حامد الفقي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - مصورة عن طبعة مكتبة السنة المحمدية - القاهرة - ١٣٧٠ هـ .

٢٨٩- نهاية الإقدام في علم الكلام - الشهرستاني - تحقيق الفرد جيوم - نشر مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - مصر .

٢٩٠- النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير - تحقيق محمود محمد الطناحي - دار الفكر - بيروت - لبنان .

٢٩١- النهر الماء من البحر - مطبوع على هامش البحر المحيط - تأليف أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي - دار الفكر - الطبعة الثانية - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

- هـ -

٢٩٢- هدية العارفين - إسماعيل باشا البغدادي - طبع استانبول تركيا - ١٩٥٥ م .

- و -

٢٩٣- الوحي عند أهل الكتاب - عبد الله بن عثمان - الكوكبي - رسالة ماجستير - توجد نسخة منها في كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى .

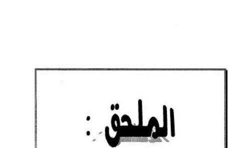
٢٩٤- الوحي المحمدي - محمد رشيد رضا - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة العاشرة - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٢٩٥- الوحي والقرآن الكريم - د/ محمد حسين الذهبي - مكتبة وهبة - مصر القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٢٩٦- الوشيعة في نقض عقائد الشيعة - موسى جار الله - بيروت - لبنان .

٢٩٧- وفيات الأعيان وأنباء الزمان - ابن خلكان - تحقيق د/ إحسان عباس - دار صادر - بيروت - لبنان .

٢٩٨- وفيات الوفيات - صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي - باعتناء محمد الحجيري - الطبعة الثانية - ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ، طبعة أخرى باعتناء س . ديدرينغ - الطبعة الثانية - ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م - دار نشر فرانز شتاير بفيسبادن .


الملحق :

الشبهة الرابعة :

« إن من يكلمه وينزل إليه بالوحي إما أن يكون جسمانياً أو روحانياً فإن كان الأول وجب أن يكون مشاهداً مرئياً وأن كان الثاني فذلك منه مستحيل » [١] .

رد الآمدي على الشبهة :

يرى الآمدي أن ذلك داخل تحت قدرة الرب سبحانه فا لله عز وجل على كل شيء قدير ، وما دام الأمر كذلك فما ذكروه غير مستحيل الوقوع [٢] .

الشبهة الخامسة :

« أن العلم برسالة الرسول ووقوع التصديق لقوله متوقف على معرفة وجود المرسل وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وليس العلم بذلك من البديهيات بل من أغمض النظريات ، ... وعند إرسال الرسول إمَّا أن يجوز للمبعوث إليه الإمهال للنظر في ذلك والاعتبار أو لا يجوز له ذلك فإن كان الأول فلا يخفى أن زمان النظر غير مقدر بقدر ولا محصور بزمان معين بل هو مختلف باختلاف الأشخاص ... وذلك يفضي إلى تعطيل النبي عن التبليغ لرسالته وافحامه في دعوته .. وإن كان الثاني فهو تكليف بما لا يطاق وهو قبح على ما تقدم ، وصدور القبح من ا لله تعالى محال » [٣] .

رد الآمدي على الشبهة :

إن هذه الشبهة تلزم من قال بوجوب الإمهال عند طلبه من الرسول وأما نحن فلا نقول بذلك ، بل نقول أنه كلما أدعى النبي الرسالة وأقترن بدعواه المعجزه الخارقة للعادة وكان المبعوث إليه عاقلاً منهمكاً في النظر في المعجزة فقد ثبت الشرع واستقر الوجوب وامتنع التأخير [٤] .

الشبهة السادسة :

« إما أن يكون الرب تعالى عالما بالجزوئيات أو لا يكون عالماً بها ، فإن لم يكن عالماً بالجزوئيات فقد بطل الارسال .. ، وإن كان عالماً بالجزوئيات فإمَّا أن يكون الرسول مبعوثاً إلى من علم ا لله أنه لابد أن يومر دون غيره أو إلى من

---

١ – الآمدي – أبكار الأفكار – (٢ / ١٠٨ / ق أ) .

٢ – انظر – الآمدي – أبكار الأفكار – (٢ / ١١٤ ق أ) .

٣ – المصدر السابق (٢ / ١٠٨ ق.ب)

٤ – انظر المصدر السابق (٢ / ١١٤ ق . ب) .

علم أنه يكفر دون غيره أو إلى الكل فإن كان الأول فهو خلاف مذهب القائلين بالنبوات ومع ذلك فلا فائدة في الارسال إلى من علم منه الإيمان وأنه لابد وأن يكون منه فإنّه بتقدير عدم الارسال يستحيل ألا يؤمن وإلاّ صار علم الباري تعالى جهلاً وهو محال ، وأن كان الثاني فهو أيضاً خلاف مذهب القائل بالنبوات ومع ذلك فهو ممتنع » [1] .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن السادسة باختيار أن الباري تعالى عالم بالجزويات وأن الرسول مبعوث إلى الناس كافة ، قولهم لا فائدة في الارسال إلى من علم منه الإيمان أو الكفران فهو مبني على وجوب رعاية الغرض في أفعال الله تعالى وهو باطل بما سبق . قولهم يلزم منه التكليف بما لا يطاق مسلم ولا مانع منه كما بيناه . قولهم أنه على خلاف الأصلح في حقه مبني على رعاية المصلحة وقد سبق إبطاله أيضاً » [2] .

الشبهة السابعة :

أن البعثة إما أن تكون لفائدة أو لغير فائدة ، وغير جائز القول بأنها لغير فائدة ، وإلا كانت عبثاً والعبث على الله محال .

وإن كانت لفائدة فإمَّا أن ترجع إلى الخالق أو المخلوق ، ويتعالى الخالق ويتقدس عن الأعراض والانتفاع ، وإن كان الثاني فالفائدة إما جلب نفع أو دفع ضرر وأي الأمرين قُدر فالرب تعالى قادر على تحصيله للعبد بدون واسطة البعثة فلا تكون البعثة مفيدة [3] .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن السابعة أن ما ذكروه مبني على وجوب رعاية الغرض في فعل الله وهو ممتنع على ما سبق » [4] .

---

١ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١٠٨ ق ب) .

٢ - المصدر السابق - (٢ / ١١٥ ق أ) ولمعرفة مذهب الآمدي في نفي الغرض أو الحكمة عن أفعال الله والتكليف بما لا يطاق انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذه الرسالة (ص ١٩٨ - ٢١٤) .

٣ - انظر الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١٠٨ ق ب) .

٤ - الآمدي - المصدر السابق - (٢ / ١١٥ ق أ) ولمعرفة المذهب الحق في الحكمة والتعليل أو ما يسميه الآمدي وأصحابه الأشاعرة الغرض انظر ص (١٩٨ - ٢١٤) .

الشبهة الثامنة :

« أن البعثة إمّا أن تكون متضمنة للتكليف [1] أو لا تكون متضمنة له لا جائز أن تكون غير متضمنة للتكليف إذ هو خلاف مذهب القائلين بالبعثة وإن كانت متضمنة للتكليف فالتكليف ممتنع » [2] .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن الثامنة بأن البعثة تتضمن التكليف وما ذكروه من الوجوه الستة فمبنية على امتناع التكليف بما لا يطاق ووجوب رعاية الفائدة والغرض في فعل الله تعالى وقد عرف بطلانه » [3] .

الشبهة التاسعة :

« إنَّا وجدنا كل مدع للرسالة قد أباح أموراً أو أوجب أموراً تحضرها العقول وحرم أموراً تحسنها العقول وكل من أخبر عن الله تعالى بما يخالف قضايا العقل ومقتضى الحكمة كان قوله مردوداً » [4] .

رد الآمدي على الشبهة :

« إن ما ذكروه مبني على رعاية الحكمة وتحسين الفعل وتقبيحه وقد سبق فساده »[5] .

الشبهة العاشرة :

« أنه إذا ارسل الله تعالى رسولا إلى قوم معينين وأمره بتبليغ الرسالة إليهم فأمّا أن يعلمه أنه سيبقى إلى حالة التبليغ أو لا يعلمه بذلك فإن كان الأول فهو خلاف مقتضى حكمة الصلاح لما فيه من إغراء العبد في الحال بالزلل مع توطين النفس على التوبة والإنابة بعد ذلك وهذا مما أتفق على إمتناعه القائلون برعاية الصلاح وإن كان الثاني فالرسول لا يعلم كونه رسولاً » [6] .

---

١ - أي التكليف بما لا يطاق .

٢ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١٠٩ ق ب) .

٣ - المصدر السابق - (٢ / ١١٥ ق أ) ولمعرفة المذهب الحق في التكليف بما لا يطاق والحكمة والتعليل انظر (ص ١٩٨ - ٢١٤) من هذا البحث .

٤ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١٠٩ ق أ) .

٥ - المصدر السابق - (٢ / ١١٥ ق أ) .

٦ - المصدر السابق - (١٠٩/٢ ق ب) .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن العاشرة من وجهين الأول أن ما ذكروه أيضاً مبني على وجوب رعاية الحكمة وهو باطل ، الثاني إنه إذا علمه أنه سيبقى متى يكون إغراء له بالزلل إذا كان معصوماً أو إذا لم يكن الأول ممنوع والثاني مسلم والأنبياء معصومون على ما سيأتي »[1] .

الشبهة الحادية عشر :

« إنه لا يخلو إمَّا أن يكون في البعثة وشرع الشرايع لطف ومصلحة أو لا يكون ذلك فان كان الأول فاما أن يكون الرب تعالى قادراً على نصب دليل عقلي عليها أو لا يكون قادراً ، فإن كان قادراً لزم أن ينصب عليها دليلاً عقلياً إذ هو أبلغ في تحصيل المقصود .. وإن لم يكن قادراً فيكون ذلك تعجيزاً للرب تعالى وهو محال وإن كان الثاني وهو ألا يكون فيها لطف ولا مصلحة فالبعثة تكون عبثاً والعبث على الله تعالى محال »[2].

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن الحادية عشرة من ثلاثة أوجه الأول ما المانع أن يكون نصب الدليل العقلي على القضية الشرعية غير مقدور وما لا يكون من قبيل المقدورات فلا يكون معجوزاً عنه لاستحالته ، الثاني أن يكون مقدوراً ولكن لا نسلم وجوبه لأنا بينا أنه لا يجب على الله شيء .

الثالث وإن أمكن أن يقال بالوجوب لكن فيما علم الله المصلحة فيه وما المانع أن يكون الله تعالى قد علم أن مصلحة العبيد في تعريفهم القضايا الشرعية بالسمع وأنه عرفهم إيَّاها بالأدلة العقلية لفسدوا »[3] .

الشبهة الثانية عشرة :

« ليس ثم عالم جزاء ولا حساب ، ولا كتاب ولا حشر ولا عقاب ، وذلك كله مما عرف بالعقول ، على طور الدهر ، فلا حاجة بالإنسان إلى من هو مثله يحسن له فعلا أو يقبح له فعلا ، إذ لا يزال في فعل يجزى أو في جزاء على فعل وهكذا على الدوام »[4].

---

١ - المصدر السابق - (٢ / ١١٥ ق أ) .

٢ - المصدر السابق - (٢ / ١٠٩ ق ب) .

٣ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١٠٩ ق . ب) .

٤ - الآمدي - غاية المرام - (ص ٣٢٤) والأبكار - (٢ / ١٠٩ ق . ب) وذكر أن هذه الشبهة للقائلين بالتناسخ وقارن بالشهرستاني - نهاية الإقدام (ص ٣٧٧ ، ٣٧٤ ، ٤١٧) والأشعري - مقالات الإسلاميين - (١ / ١١٤) .

رد الآمدي على الشبهة :

« وما أنفردت به التناسخية فهو فرع أصلهم في التناسخ وقد أبطلناه [1] ، وعند ذلك فلابد من معرف يعرف بالطرق الجيدة والأحوال السديدة التي يتعلق لها صلاح الخلق في مآلهم ، فإن ذلك مما لا يعرف بالعقل ، إذ الأفعال مما لا تقبح ولا تحسن لذواتها حتى يسبق العقل يدرك الصالح والفاسد منها » [2].

الشبهة الثالثة عشرة :

« ومما يدل على العبث في بعثته تعذر الوقوف على صدق مقالته ، فإن وجوب التصديق له بنفس دعواه ، مع أن الخبر ما يصح دخول الصدق والكذب فيه » [3] .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن الثالثة عشرة القائلة أنه لا طريق إلى معرفة صدقه ليس كذلك بل كما كان قادراً على تعريف الخلائق في ربوبيته وتصديقهم بوجوده وآلهيته قادر على أن يعرفهم صدق من اصطفاه لرسالته واجتباه لحمل امانته إما بأن يخلق لهم بذلك العلم الضروري أو بالأخبار عن كونه رسولاً » [4] .

الشبهة الرابعة عشرة :

« ما المانع أن يكون ذلك الشخص قادراً على ما لا يقدر عليه غيره – من وقوع الخوارق على يديه – باعتبار مخالفة نفسه لسائر النفوس الإنسانية بالحقيقة والماهية » [5] .

---

١ – انظر – أبكار الأفكار – (٢ / ١٤٢ ق أ ب) نسخة معهد المخطوطات بالقاهرة ، رقم ١ ، ٢ توحيد .

٢ – الآمدي – غاية المرام – (ص ٣٣٩) .

٣ – الآمدي – غاية المرام – (ص ٣٢١) والأبكار – (٢ / ١٠٩ ق ب) وقارن الشهرستاني – نهاية الاقدام – (ص ٤١٢ – ٤١٨) والقاضي عبد الجبار – المغني (١٥ / ١٤٥ – ١٤٦) .

٤ – الآمدي – أبكار الأفكار – (٢ / ١١٥ ق ب) .

٥ – المصدر السابق – (٢ / ١١٠ ق أ) .

رد الآمدي على الشبهة :

« القائلة أن الصادرة عنه من فعله - أي الخوارق التي تقع على يديه - إنّا قد بينا في خلق الأعمال أنه لا موجود ولا مؤثر إلاّ الله تعالى وبه اندفاع الخامسة عشرة أيضاً » [1] أي الشبهة الخامسة عشرة وهي قريبة من الشبهة السابقة ولا داعي لذكرها [2] .

الشبهة السادسة عشرة :

« أما أن تقولوا بجواز السحر أو لا تقولوا به فإن لم تقولوا الجواز فقد خالفتم كتابكم وسنة نبيكم وإجماع الأمة من المسلمين ... وإن قلتم بالسحر فما المانع أن يكون ما أتى به من أنواع السحر » [3] .

الشبهة السابعة عشرة :

قريبة من الشبهة السابقة ، بل تكاد تكون نفسها [4] .

رد الآمدي على الشبهتين :

« إن السحر وإن أنكره معظم القدرية [5] غير أن أهل الحق معترفون به ومع ذلك فالحق أن يقال السحر لا يخلو إمّا ألاّ ينتهي إلى حد المعجزة كفلق البحر وإحياء الميت ... كما هو مذهب جميع العقلاء ، أو أنه ينتهي إلى حد الإعجاز فان كان الأول فقد تحقق الفرق بين السحرة والمعجزة وإن كان الثاني فإمّا ألا يتحدى معه الساحر بالنبوة أو يتحدى فإن لم يتحد فقد تم الفرق أيضاً وأن تحدى بالنبوة فعندنا أنه لابد من أحد أمرين وهو إما ألاّ يخلقه الله على يده ... وإمّا أن يخلق مثله على يد غيره معارضاً له وإلا كان خلقه على يده مع تحديه بالنبوة ... ينزل منزلة التصديق من الله تعالى له وهو محال مع كذبه وبه يخرج

---

١ - المصدر السابق - (١١٦ - ق أ) .

٢ - المصدر السابق - (٢ / ١١٠ - ق أ) .

٣ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١١٠ ق أ ب) .

٤ - انظر المصدر السابق (٢ / ١١٠ ق ب) .

٥ - القدرية يقصد بهم المعتزلة فهم كما تقدم في (ص ٢٦٣ - ٢٧٣) ينكرون جميع خوارق العادات ما عدا خوارق الأنبياء .

الجواب عن السابعة عشرة أيضاً » [1] .

الشبهة الثامنة عشرة :

« سلمنا أنه ليس من فعله غير أن دلالته على صدقه متوقفة على فعله وذلك لأن ما أتي به لو تجرد عن التحدي بالنبوة لم يكن دليلاً على صدقه وإذا كان لا دلالة له دون التحدى والتحدي من فعله فلا يكون دليلا على صدقه » [2] .

رد الآمدى على الشبهة :

« وعن الثامنة عشرة أن الدال على صدقه هو الخارق وذلك من فعل الله تعالى ودعوى النبي وان كانت من فعله وهي شرط فليست خارقة ولا هي من دليل الصدق في شيء » [3] .

الشبهة التاسعة عشرة :

« سلمنا أنه لا أثر لفعله مطلقاً ولكن ما المانع أن يكون ذلك من فعل بعض الملائكة أو الشياطين أو أنه مستند إلى الاتصالات الكوكبية » [4] .

رد الآمدى على الشبهة :

« وعن التاسعة عشرة القائلة بأن ذلك من فعل بعض الملائكة أو الجن مستندة إلى الاتصالات الكوكبية فما بيناه في خلق الأفعال من أنه لا خالق غير الله تعالى » [5] .

---

١ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١١٦ ق أ) والآمدي كغيره من الأشاعرة لا يرى أن هناك فرق بين خوارق السحرة والكهان وبين خوارق الأنبياء فجنس الخوارق واحد فما خرق للساحر يجوز أن يكون من خوارق الأنبياء ولا شك أن مثل هذا القول في غاية الفساد وقد تقدم مزيد بيان لهذه المسألة انظر (ص ٣٢٢ - ٣٢٤) من هذه الرسالة .

٢ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١١٠ - ق ب) .

٣ - المصدر السابق - (٢ / ١١٦ ق أ) .

٤ - المصدر السابق - (٢ / ١١٠ ق ب - ١١١ ق أ) .

٥ - المصدر السابق - (٢ / ١١٦ ق أ) .

الشبهة العشرون :

« الخارق للعادة ما كان نادراً شاذ الوقوع ولو قدر وقوعه مرتين أو ثلاثة لم يلتحق بالعوايد والتكرار الملحق له بالعوايد غير مضبوط بضابط معين محصور ، فالخارق يكون مشروطاً بشرط مجهول ، فيكون مجهولاً » [1] .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن العشرين القائلة أن المعجز مشروط بشرط مجهول أن يقول ما تذكرون يجر إلى الجهل بالبين من المعتاد كرى الشارب وشبع الآكل وما يجري في العالم من الأمور المستمرة من الحركات والسكنات وغير ذلك وبين ما هو من الخوارق للعاده كإحياء الموتى وفلق البحر وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من الأمور التي ليست معتادة مع أن كل عاقل يميز بعقله ضرورة بين القسمين ، وكل تشكيك ورد على المعلوم ضرور فلا يكون مقبولاً » [2] .

الشبهة الحادية والعشرون :

« سلمنا أن الخارق معلوم غير مجهول ولكن ما أتى به إنما يدل على صدقه أن لو كان مما لم تطرد به العادة في بعض أقطار الأرض أو في ما تقدم من الأعصار وإن لم يكن معتاداً في ذلك الوقت ولا في ذلك القطر ولا سبيل إلى معرفة ذلك قطعاً فلا يكون خارقاً للعادة مطلقاً فلا تكون حجة على التصديق » [3] .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن الحادية والعشرين القائلة بجواز اطراده فيما تقدم من الأعصار أو في بعض الأمصار آية وإن أمكن ذلك عقلاً فهو مع بعده وعدم نقله لا يمنع أن يكون ما أتى به الرسول خارقاً للعادة بالنسبة إلى عصره وبالنسبة إلى قطره مع الذين تحدى به عليهم فأن طرد العادة بشئ بالنسبة إلى بعض المخلوقات لا يمنع من كونه خارقاً للعادة بالنسبة إلى بعض آخر » [4] .

---

١ – الآمدي – أبكار الأفكار – (٢ / ١١١ – ق أ) .
٢ – المصدر السابق – (٢ / ١١٦ – ق أ) .
٣ – الآمدي – أبكار الأفكار – (٢ / ١١١ – ق أ) .
٤ – المصدر السابق – (٢ / ١١٦ – ق ب) .

الشبهة الثانية والعشرون :

« سلمنا أنه خارق للعادة مطلقاً غير أنه مما تمتنع مع ذلك دلالته على صدقه لوجهين الأول أنكم قد اعترفتم أن الله تعالى قادراً على خرق العوايد وقلبها ... فلا يأمن مع أن يكون هو أول انقلاب العادة ... وعند ذلك فيخرج عن كونه مصدقاً له لعدم اختصاصه به الثاني أنه لا يخلو إمَّا أن يقولوا بجواز إرسال رسل متوالية من عند الله تعالى في أوقات متقاربة وآية كل واحد مماثلة لآية من قبله أو لا تقولوا بجوازه فإن قلتم بعدم الجواز فقد عجزتم الباري تعالى وإن قلتم بالجواز فقد صارت تلك المعجزة معتادة والمعتاد لا يكون دليلاً على الصدق »[1] .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن الثانية والعشرين القائلة بجواز اطراده وجواز بعثه رسل متوالية بآية واحدة .... أمَّا بعثه رسل متوالية بآيات فلا يخلو إمَّا أن يكون آيه الكل واحده أو مختلفة بان تكون مخالفة لآية الآخر فان كان الأول فما كان منها بعد نادراً خارقاً للعادة في العرف فهو آية وإن كان متكرراً وما خرج منه إلى حد الاعتبار والخروج عن الندرة فليس بآية ، ... وإن كان الثاني فالذي إليه ميل أكثر أصحابنا أن كل واحدة منهما خارقة للعادة .. والذي اختاره القاضي أبو بكر[2] إن ما كان من التكرار غير موجب لأيس النفوس باعتياد خرق العادات فهو آية ، وما كان موجباً لذلك بحيث لا يستبعدون معه حدوث شيء من الخوارق بل صار خرق العوايد عندهم معتاداً فلا يكون آية وهذا هو الأسد »[3].

الشبهة الثالثة والعشرون :

« سلمنا امتناع الاطراد ولكن إمَّا أنَّ تقولوا بجواز ظهور الكرامات والخوارق للعادات على يدي الأولياء أو لا تقولوا به فإن لم تقولوا به فهو خلاف المعقول .. وإن قلتم بظهور الكرامات على أيدي الأولياء فقد بطلت دلالتها على التصديق »[4] .

---

١ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١١١ - ق أ) .
٢ - الباقلاني .
٣ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١١٦ - ق ب) .
٤ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١١١ - ق أ) .

رد الآمدي على الشبهة :

بعد أن سرد الأقوال في الكرامة رجح جواز وقوعها خلافاً للمعتزلة ثم قال : « ... والفرق مع ذلك بين المعجزات والكرامات أن المعجزات مع دعوى النبوة والكرامات مع دعوى الولاية ولا منافاة وعلى كل تقدير ومذهب فالفرق بين المعجزات والكرامات واضح وقد أتفق الكل على امتناع تسمية الكرامات معجزات ، وعلى تخصيص هذا الاسم بآيات الأنبياء ، لما فيها من تعجيز الذين معهم التحدي عن المقابلة بمثلها بخلاف الكرامات أو لا تحدي فيها » [1] .

الشبهة الرابعة والعشرون :

« سلمنا امتناع ظهور الكرامات على أيدي الأولياء ولكن إنما يكون ما أتى به دليلاً على صدقه أن لو كان ذلك معجزة بالنسبة إلى المبعوث إليهم وانما يكون ذلك معجزة بالنسبة إليهم أن لو كان معجوزاً عنه بالنسبة إليهم إذا المعجزة مأخوذة من العجز وليست معجزة بالنسبة إليهم لأن ما لا يكون مقدوراً للشخص لا يكون معجزاً عنه ولهذا لا يقال أننا عاجزون عن خلق الأجسام والألوان لما لم تكن مقدورة بالنسبة إلينا » [2] .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن الرابعة والعشرين القائلة بأن ما لا يكون مقدوراً لا يكون معجوزاً عندما سبق في الأصل الثاني » [3] .

الشبهة الخامسة والعشرون :

« سلمنا صحة كون معجزة بالنسبة إليهم ولكن لا نسلم دلالته على تصديقه وما ذكروه من صورة الملك في الشاهد فلا نسلم دلالة ما وجد منه على التصديق قطعاً لاحتمال أن تكون حركة الملك على وفق ما ذكره المدعي لرسالته بحكم الإتفاق بناء على غفلة وذهول أو بسبب أوجب له ذلك غير التصديق أو لأنه كاذب في قصد تصديقه » [4] .

---

١ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١١٧ - ق أ ب) .
٢ - الآمدي - أبكار الأفكار - (١١١/٢ - ق ب) .
٣ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١١٧ - ق ب) .
٤ - المصدر السابق - (٢ / ١١١ - ق ب) .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن الخامسة والعشرين القائلة بأن حركة الملك بحكم الاتفاق بناء على سبب آخر إنا نقول كل من شاهد الصورة على الوجه المفروض حصل له العلم الضروري بالتصديق عادة ، واحتمال سبب آخر عقلاً غير قادح فيما حصل من العلم الضروري العادي ... » (١) .

الشبهة السادسة والعشرون :

« سلمنا دلالته على التصديق قطعاً ولكن ما المانع أن يكون العلم حاصلاً في تلك الصورة لما علم من عادة الملوك في حفظ الممالك وصلاح الرعية ... وأنتم فقد جوزتم على الله تعالى اضلال العبيد وخلق الكفر والفسوق لهم فلا يكون في معنى ما استشهدتم بـــه » (٢).

رد الآمدي على الشبهة :

« أن العلم الضروري في مثل الصور المفروضة واقع وان كانت عادة الملك المفروض مخالفة لعادة غير من الملوك » (٣) .

الشبهة السابعة والعشرون :

« ... إن المرسل في الصور المستشهد بها مرئي في وقتنا هذا ولو كان مرئياً فهو يتعالى عن الاتصاف بمثل القرائن الحالية المشاهدة من الواحد منا » (٤).

الرد على الشبهة :

« وعن السابعة والعشرين القائلة بإسناد العلم إلى ما شوهد من القرائن الحالية أن لقولنا الضروري بذلك لو كان مستنداً إلى القرائن المشاهدة بالرؤية لما حصل العلم بالتصديق إذا فرض لنا مثل الصورة المستشهد بها وأن لم تكن مشاهدة لنا » (٥) .

---

١ - المصدر السابق - (٢ / ١١٧ - ق ب) .
٢ - المصدر السابق - (٢ / ١١١٢ - ق أ) .
٣ - المصدر السابق - (٢ / ١١٧ - ق ب) .
٤ - المصدر السابق - (٢ / ١١٢ - ق أ) .
٥ - المصدر السابق - (٢ / ١١٧ - ق ب) .

الشبهة الثامنة والعشرون :

« سلمنا امتناع تأثير ما نشاهد منه من القرائن في العلم غير أنه يمتنع الحاق الغائب بالشاهد بطريق القياس إذ هو غير مفيد لليقين » [١]

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن الثامنة والعشرين القائلة بامتناع قياس الغائب على الشاهد ، أنّا غير قايسين بل إنما ذكرنا الصورة المفروضة للتمثيل لا غير » [٢] .

الشبهة التاسعة والعشرون :

« سلمنا صحة قياس الغائب على الشاهد في الجملة ولكن يمتنع مع ذلك الاستدلال بما ظهر على يده على صدقه لأن دلالته على صدقه أما دلالة عقلية أو سمعية لا سبيل إلى الأول لأن ما دل عقلاً فيدل لنفسه ويرتبط بمدلوله لذاته ولا يجوز تقديره غير دال ، وذلك كدلالة الفعل على الفاعل ودلالة الفعل المحكم على علم فاعله إلى غير ذلك من الأدلة العقلية ودلالة المعجزة على صدق المدعي للرسالة ليست كذلك وإلا لما تصور وجودها إلاّ وهي دالة على صدق الرسول وليس كذلك فانه يجوز خرق العوائد عند تصرم الدنيا ... وكذلك طريق الكرامات على أيدي الأولياء .

على أصلكم من غير دلالة ولا سبيل إلى الثاني لأن الدلالة السمعية متوقفة على صدق الرسول فلو توقف صدقه عليها كان دوراً » [٣] .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن التاسعة والعشرين القائلة بأن الدلالة إمّا عقلية أو سمعية يمنع الحصر بل بتقدير المواضعة كما أسلفناه من الاستشهاد بالصورة المفروضة كيف وإن العلم بالتصديق على ما حققناه ضروري الوقوع والتشكيك غير فادح في ما علم ضرورة » [٤].

---

١ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١١٢ - ق أ) .

٢ - المصدر السابق - (٢ / ١١٧ - ق ب) .

٣- المصدر السابق - (٢ / ١١٢ - ق أ) .

٤ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١١٧ - ق ب) .

الشبهة الثلاثون :

« سلمنا عدم الحصر في القسمين من الدلالة غير أن الاستدلال بما أتى من المعجزة إمّا أن يكون مشروطاً بالتحدي أو لا يكون مشروطاً به ، فإن كان الأول فيلزم ألاّ تقدح المعارضة فيه إلاّ أن يصدر ممن يدعي النبوة لأن المعارضة إنما تتحقق بالاتيان بمثل ما أتى به النبي عليه السلام على صفاته وشرائطه ، ولهذا فانه لما كان من شرائطه أن يكون خارقاً للعادة لم تحقق المعارضة دون الاتيان بما يخرق العادة ويلزم من ذلك الا يكون من عارض المعجزة بمثلها مبطلا لها بتقدير إلا يكون متحدياً بالنبوة وهو خلاف الإجماع ونصوص كتابكم وإن كان الثاني فلا يكون ما أتى به دليلاً على صدقه ولا كونه رسولاً بالإجماع وكما لو ظهر ذلك على أيدي الأولياء » [1] .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن الثلاثين القائلة بأن المعجز إما أن يكون مشروطاً بالتحدي قولهم يلزم ألاّ تصح المعارضة دون التحدي من المعارض ليس كذلك اذ المقصود ليس إثبات الصدق المعارض في الرسالة حتى يكون التحدي شرطاً فيه بل المقصود إنما هو إبطال دليل المدعي للرسالة بمعارضة الخارج بخارق آخر وذلك متحقق وإن لم يكن المعارض متحدياً » [2] .

الشبهة الحادية والثلاثون :

« سلمنا صحة الاستدلال به لكن بشرط أن يخلقه على يده لقصد التصديق له في دعواه الرسالة وإنما يلزم ذلك أن لو كان فعل الله تعالى مما يراعي فيه الغرض والمقصود وهو باطل على [3] ما سبق في التعديل والتجوير » [4] .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن الحادية والثلاثين القائلة بإنتفاء الغرض عن أفعال الله أن نقول ما ذكروه إنما يلزم ان لو قلنا أن خلق المعجزة على يد النبي معلل بغرض التصديق وليس

---

١ - المصدر السابق - (٢ / ١١٢ - ق أ ب) .

٢ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١١٧ - ق ب) .

٣ - الصحيح أن أفعال الله مبنية على الحكمة والتعليل كما تقدم في فصل حكم إرسال الرسل المبحث الثاني (ص ٢٠٨ وما بعدها) من هذا البحث .

٤ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢ / ١١٢ ق ب) .

كذلك بل خلق المعجزة على يده مع دعوى النبوة والتحدي والشروط المعتبرة من قبل دليل على التصديق ولا يخفى الفرق بين البابين » [1] .

الشبهة الثانية والثلاثون :

« سلمنا أمتناع خلو فعل الله عن الغرض والمقصود ولكن إنما يدل ذلك على صدقه أن لو انحصر الغرض في التصديق وما المانع أن يكون له غرض آخر لم يطلع عليه » [2] .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن الثانية والثلاثين القائلة لغرض آخر أن نقول قد بينا أن خلق المعجزة على يد المدعي للرسالة بالشروط المعتبرة يوجب العلم الضروري بالتصديق » [3] .

الشبة الثالثة والثلاثون :

« سلمنا إنحصار الغرض في التصديق غير أن ذلك إنما يدل على صدقة في نفس الأمران واستحال الكذب في تصديق الله له وذلك إما أن يدرك بالعقل والسمع لا سبيل إلى الأول لأنكم أبطلتم أن يكون الحسن والقبح ذاتياً للحسن والقبح وإذا لم يكن القبح ذاتياً للكذب فلا يمتنع على الله تعالى ولا سبيل إلى الثاني لما يلزمه من الدور كما تقدم » [4].

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن الثالثة والثلاثين ما بيناه من استحالة الكذب على الله تعالى » [5] .

الشبهة الرابعة والثلاثون :

« سلمنا إستحالة الكذب على الله تعالى ولكن من يصح الاستدلال به إذا بلغ التحدي بالمعجزة جميع الناس أو إذا لم يبلغهم الأول مسلم والثاني ممنوع ولهذا فإنه لو تحدى الخارق ببعض الصنائع البديعة في بعض القرى وعجز أهلها عن معارضته فإنه لا يكون بذلك نبياً وعلى هذا فيمتنع القول ببلوغ التحدي بذلك إلى جميع أقطار الأرض وقت التحدي وإظهار المعجزة . بحيث أحداً لا يعلم به إذ هو خلاف العادة » [6] .

---

١ - المصدر السابق (٢ / ١١٨ - ق أ) .
٢ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢/١١٢- ق ب)
٣ - المصدر السابق - (٢/١١٨-ق أ) .
٤ - المصدر السابق - (٢/١١٢- ق ب) .
٥ - المصدر السابق - (٢/١١٨-ق ب)
٦ - الآمدي - أبكار الأفكار - (٢/١١٢- ق ب) .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن الرابعة والثلاثين القائلة بامتناع وصول خبر التحدي إلى جميع الناس أن نقول إذا أدعى الرسالة وتحدي بها يعلم بالضرورة أنه من خوارق العادات في كل عصر ومصر كاحياء الميت وغيره مما ذكرناه وعجز من في قطره عن معارضته فإنا نجد من أنفسنا العلم الضروري بتصديق كما فرضناه » [١] .

الشبهة الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والثلاثين :

كلها تدور حول شرط عدم المعارضة والتشكيك لأن الناس المحتج عليهم بالمعجزه لم تتوفر لهم الدواعي على المعارضة وإلا فهم قادرون عليها إما استهانه به أو أحتقاراً له أو أنهم لم يعلموا أن طريق إفحامه المعارضة ولو كانوا يعلمون ذلك لعارضوه [٢] .

رد الآمدي على الشبه :

« وعن الخامسة والثلاثين القائلة بعدم توفر الدواعي على المعارضة أنه خروج عما يعلمه أضطراراً من اطراد العوايد واستمرارها على المبادرة والمنازعة إلى معارضة من يدعي الانفراد والاستبداد بأمر بعد خطير ويعظم وقعه دون أقرانه وأبناء زمانه ممن يقدر منهم على معارضته وإفحامه ودعوته بحيث لا ينتدب أحد منهم لذلك والمعلوم بالضرورة العادية لا يقدح فيه إحتمال نقيضه كما أسلفناه وعلى هذا فقد خرج الجواب .. عما ذكروه من الاحتمالات في الشبهة السادسة والسابعة والثامنة والثلاثين » [٣] .

الشبهة التاسعة والثلاثون :

« سلمنا عدم المانع وتوفر الدعاية على المعارضة ولكن لا يمتنع أن يكون قد عارض واحد من الناس و لم تظهر معارضته إما لأنه لم يظهرها أو لمانع منع من إظهاره ومع وجود هذه الإحتمالات فلا دلالة لما ظهر من الخارق على صدقه » [٤].

---

١ - المصدر السابق - (١١٨/٢- ق ب) .
٢ - انظر المصدر السابق - (١١٣/٢- ق أ) .
٣ - الآمدي - أبكار الأفكار (١١٩/٢ - ق ب) .
٤ - المصدر السابق - (١١٣/٢ - ق أ) .

رد الآمدي على الشبهة :

« وعن التاسعة والثلاثين القائلة باحتمال وقوع المعارضه أنه لو وقعت المعارضة لأستحال عدم نقلها عادة لأنا بينا أن العادة عند تحدي بعض الناس بهذه الأمور العظيمة والقضايا الجسيمة يحيل التواطي من الكل على عدم معارضته مع القدرة على المعارضه قصداً لإبطال دعوته وإفساد حجته ولا يتحقق هذا المقصود بمجرد المعارضة دون إظهارها وإحتمال وجود المانع من الإظهار وأن كان قائماً بالنظر إلى بعض الناس وبعض الأوقات وبعض الأماكن فالعادة تحيل وجود المانع مطلقاً بالنسبة إلى جميع الخلق وجميع الأوقات والأماكن فلو تحققت المعارضة لأستحال عادة ألا يظهر مطلقاً » [1].

الشبهة الأربعون :

« أن ما ذكرتموه من الدليل منتقض بما دلت عليه الأخبار الصحيحة عن نبيكم من ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاطعة على يد المسيح على وفق دعواه الألهية [2] وذلك يجر إلى أحد أمرين ، أما ثبوت الهيته وهو محال أو لا يكون ظهور المعجزة على يد المتحدي دليلاً على صدقه » [3] .

رد الآمدي على الشبهة الأخيرة :

« وعن الأربعين أن ما يظهر على يد مدعي الربوبية لا يضيفه إلى الله تعالى حتى ينزل ذلك من الله تعالى منزله التصديق له بل إنما يضيفه إلى نفسه ودلالة المعجزة على صدق المتحدي إنما كان جهة نزولها منزلة التصديق له من الله تعالى فإذا لم تكن نازلة منزلة التصديق من الله تعالى فلادلاله لها كيف وإن دلالة المعجزة على صدق المدعى مشروطة بعدم المعارض القاطع الدال على كذبه والدلالات القطعية على حدوث الواحد منا عند إدعائه الربوبية وإنه مربوب وليس برب بادية ظاهرة لا يرتاب فيها أحد العقلاء فلا يكون ما ظهر على يده موجباً لتصديقه » [4].

---

١ – المصدر السابق – (١١٩/٢ – ق أ) .

٢ – دلت الأخبار الصحيحة في الكتاب والسنة على أن المسيح عليه الصلاة والسلام لم يدع الألوهية، وإنما ادعاها له أتباعه ، وكان الأجدر بالآمدي أن ينبه على ذلك .

٣ – الآمدي – أبكار الأفكار – (١١٣/٢ – ق أ) .

٤ – المصدر السابق – (١١٩/٢ – ق أ ب) .

فهرس الموضوعات